

الآيات البينات

في ذكر ما في أعضاء رسول الله ﷺ من المعجزات

تأليف

أبي الخطاب عمر بن الحسن ابن دحية الكلبي الأندلسي السبتي

المتوفى سنة ٦٣٣ هـ رحمه الله تعالى

دراسة وتحقيق

جمال عزون

مكتبة العمرية العلمية

الطبعة الأولى
١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م

الناشر
مكتبة العمرية العلمية
الإمارات العربية المتحدة - الشارقة - شارع الزهراء - الغوير
هاتف: ٥٦١٠٤٨٤ - فاكس: ٥٦١٠٤٩٤ - ص.ب: ٢٥١٥٩

بسم الله الرحمن الرحيم

تقريظٌ

بقلم : د . عاصم بن عبد الله القريوتي

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصّلاةُ والسّلامُ على المبعوث رحمةً للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعدُ :

فلقد أطلعني الأخُ الشّابُّ الهُمامُ الشّيخُ جَمال عَزُّون ـ جَمَّلَهُ الله بالتّقوى ـ على تحقيقه لكتاب « الآيات البيِّنات في ذِكْرِ ما في أعضاء رسولُ الله ﷺ من المعجزات » لابن دحية الكلبيّ، من علماء القرن السّابع الهجري.

فأمّا المؤلِّفُ : فهو أبو الخطّاب عمرُ بن الحسن بن دحية الكلبيّ، وقد وصفه الحافظُ النّاقدُ الذّهبيُّ في « تذكرة الحُفّاظ » ١٧/٤ ـ ١٩ بالعلاّمة الحافظ الكبير ...، كان بصيراً بالحديث، معنيّاً بتقييده، مُكِبّاً على سماعِه، حسنَ الخطِّ، معروفاً بالضّبط، له حظٌّ وافرٌ من اللُّغة، ومشاركةٌ في العربيّة وغيرها ...

وإنّ النّاظرَ في ترجمة ابن دحية الكلبيّ في « تذكرة الحُفّاظ » وغيرها من مصادر ترجمته، يجد أنّه قد تُكُلِّمَ فيه في جوانبَ، كادِّعائه أشياءَ لا حقيقةَ لها في حفظه لبعض الكتب، وفي مجازفته في النّقل، وأشياء إن

صحّت عنه فهي تقدحُ في عدالته، في جانب الرّواية لو تفرّد بشيءٍ، لكن الشّأنُ أنّه لم ينفرد بذلك؛ فمدارُ ما يذكرُه بسنده إنّما هو من المحفوظ من مؤلّفات أهل المصنّفات المعروفة .

وأمّا هذا الكتابُ : « الآيات البيِّنات في ذِكْرِ ما في أعضاء رسولُ الله ﷺ من المعجزات » فهو كما يتبادرُ من اسمه تناولَ فيه المصنّفُ رحمه الله ما جاء من آياتٍ وأحاديثَ وأخبارٍ في مدح وجه النّبي ﷺ، وعينيه، ولسانه، ويديه، وصدره، وأذنيه، وقلبه، وظهره، وشَعَره، وشفتيه، وأسنانه، وجوارحه، ودمه، ونفخه، وريقه، وتفله، ونفثه، وعرقه، وطُوله، ومشيته ﷺ .

كما تناول مدحَ الله تعالى خُلُقَ نبيِّه ﷺ، وأنّ الله كساهُ من نُور الجَلال حُلَّةَ المحبّة والجمال، وتناول أيضاً في كتابه طائفةً مباركةً من خصائصه ومعجزاته ﷺ ، ممّا أثرى بذلك الكتاب، وختم المؤلِّفُ كتابَه بالكلام عن المدينة وأسمائها وفضائلها .

والكتابُ فيه علمٌ غزيرٌ، مع استطراداتٍ مفيدةٍ في اللُّغة، وبيان الغريب، والفقه المستنبط من النّصوص المستمدّة من القرآن والسُّنّة النّبويّة، بعد تخريجه لها، مع ذِكْرِه لأقوال الأئمّة في الرّجال، والمذاهب الفقهيّة لمسائل عديدة .

وأمّا عملُ المحقّق : فقد قدّم لتحقيقه للكتاب بمدخلين :

الأوّل : في تحليل مصادر ترجمة ابن دحية الكلبيّ تناول فيه ما ذكره المؤلِّفُ عن نفسه، وما ذكرهُ عنه مترجمُوه، وبعض ما انتُقد عليه، وحلّلَ ذلك ووجّهَهُ، وقد أرجأ تفصيلَ ترجمته لتُنشرَ في كتابٍ مستقلٍّ .

والثّاني : مؤلّفات ابن دحية، وقد أطال فيهـا النَّفَسَ جـدّاً، وتناولها من جوانب علميّةٍ عدّةٍ، ممّا يُؤهِّلُها بحـقٍّ لأن تُضـمَّ مـع سـابقتها في كتـابٍ واحدٍ.

وإنّ أخانا الشّيخ جَمال قد جَمَّـلَ الكتـاب في جـودة تحقيقـه لـه مـن جوانبَ عدّةٍ أبرزُها :

ـ عنايتُه الجيّدة بالنّصِّ مع ضبطه .

ـ توثيقُـه للأقـوال والنّصـوص الـتي يذكرُهـا المصنِّـفُ مـن مصادرهـا الأساسيّة .

ـ اهتمامُه بتخريج الأحاديث وعزوها إلى مصادرها مع بيان درجتها، والمقارنة بين المتن الذي يذكرُه المؤلِّفُ وبين المتن الذي في مصادر التّخريج.

ـ وضعُه فهارس تفصيليّة متعدّدة للكتاب ممّا يخدمُ بذلـك البـاحثين في دراساتهم.

وفي الختام نسألُ الله أن يُوفِّقنا وإيّاه لكلِّ ما يخدمُ دينَه الحنيـف، وأن يجعل أعمالنا جميعَها خالصةً له. وصلّى الله وسلّم على نبيّنا محمّدٍ وعلى آله وصحبه .

كتبه : د . عاصم بن عبد الله القريوتي.

المدينة في ليلة العشرين من شهر صفر لعام ألف وأربعمائة وعشرين للهجرة النّبويّة .

بسم ا لله الرّحمن الرّحيم

طَلِيعَةُ الكِتَابِ

إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بـا لله مـن شـرور أنفسنا وسيّئات أعمالنا، من يهده ا لله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هـادي له، وأشهد أن لا إله إلاّ ا لله وحده لا شريك لـه، وأشـهد أنّ محمّداً عبـده ورسوله .

أمّا بعد :

فقد أنعم الباري جلّ جلالُه على خَلْقِهِ فأرسلَ إليهـم رسـلاً مُبشّـرين ومُنذرين، وكان خاتَمَ رسلِه وأنبيائه سـيّدُ الخلـقِ أجمعـين نبيُّنـا محمّـدٌ ﷺ ، أرسلهُ ربُّه للنّاس كافّةً، فبلّغ الرّسالة، وأدّى الأمانة، ونصح الأمّـة، وجـاهد في ا لله حقَّ جهاده، فآمن به من كُتبت له السّعادة، وكفر من كُتبـت عليـه الشّقاوة، رغم مـا رأوه مـن المعجـزات البـاهرات الـتي أيّـد ا لله تعـالى بهـا رسولَه ﷺ حكمةً منه سبحانه ﴿**لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ**﴾، فكانت تلك المعجزات من دلائل صـدق نبوّتـه ﷺ، وقـد اهتـمّ علماءُ الإسلام بالتّصنيف في موضـوع دلائـل النّبـوّة وأولـوه عنايـة كبـيرة، وكتابُنـا هـذا « الآيـات البيّنـات فيمـا في أعضـاء رسـول ا لله ﷺ مـن المعجـزات » أثرٌ من تلك النّفائس النّادرة خطّه يَراعُ حافظٍ أندلسيٍّ عـاش جلّ حياته في المشرق العربيّ وفي مصر بالذّات وهو أبو الخطّاب ابن دحيـة الكلبيّ المتوفّى سنة ٦٣٣ هـ ، و قد ألّف كتابـه هـذا في أخريات حياتـه

كما صرّح بذلك في مقدمّته التي أشار فيها إلى قضيّة هامّةٍ جداً وهي وجوبُ الاهتمام بالكتاب والسُّنّة؛ ومن أجل ذلك صرف عنايته في مؤلّفاته إلى خدمة سنته ﷺ دعوة إليها وتصنيفا فيما يتعلّق بها فها هو يقول رحمه الله : « نحمدُ الله حمداً نستعجل به مزيدَ قَبولِه ورضوانِه، ونستقبلُ به جديدَ رَوْحِه ورَيْحانِه، ونتوكّلُ على سَعة رحمتِه وغُفرانِه، ونبذل الوُسْعَ في خدمة النّبيّ الأمّيّ الذي أعلمنا برفعِ شانِه، ونستعمل ألسنتَنا في مدحِه الدّال على حبه الذي هو أحدُ واجبات المرءِ في إيمانِه، وندخل بعظيم بركتِه ويمنِ منقبتِه في أمنِ الله وأمانِه، ونحصلُ في الدّنيا في رضاه وفي الآخرة في غرفاتِ جنانِه، ونجعل خاتمةَ عُمُرنا في ذِكر خاتم النّبيّين وسيّد المرسلين بما يطابق من سرّ الذِّكْرِ وإعلانِه، صلّى الله عليه وعلى آلِه صلاةً تمكّنه من درجة الوسيلة في رفيع مكانِه .

أمّا بعدُ فإنّ الواجبَ الاشتغالُ بكتاب الله المُنْزَل، وبما صحّ من سنّة النّبيّ المُرْسَل؛ فإنّهما الأصلان اللّذان يقرّبان إلى الله تعالى بالقول والعمَل، وقد ألّفتُ في ذلك كتباً عديدَة ، قطعتُ لها من العُمُر مُدّةً مديدَة، رجوتُ فيها ثوابَ الله تعالى في الأخرى وما يقرب منه يومَ الزّلفى، وقد رأيتُ الآن أن أختِمَ ذلك بما خصّ الله به أعضاءَ رسولِه، وما مدحها به في محكمِ تنزيلِه ، وما ظهر لها من المعجزات المسندةِ الطُّرُق والرّوايات ممّا استفدتُه شرقاً وغرباً مِن ذوي الدرايات، لينفعني الله به والقارئين له في المحيا والممات ... ».

إنّ هذا الكتاب روضةُ معارف يَرى فيه القارىءُ علوما شتّى وفوائد عدّة تخلّلت فكرته الأصليّة وهي الأشياءُ التي خصّ الله به أعضاءَ رسولِه

ﷺ، وما مدحها به في محكمِ تنزيلِه، وما ظهر لها من المعجزات المسندةِ الطُّرُقِ والرّوايات كما قال ابنُ دحية في المقدّمة، ورغم ما يشعر به القارئُ من استطراد كثير وخروج عن موضوع الكتاب قد يشتّت ذهنه أحيانا إلاّ أنّه في حقيقة الأمر وواقع الحال ينتقل من زهرة إلى زهرة ويقطف ثمرة تلو ثمرة، شأن كتب ابن دحية كلِّها لا أكادُ أستثني منها شيئاً، ممّا يدلُّك على نفسية عالمٍ أندلسي عاش غريبا عن وطنه وأحسّ في ديار مصر بأنّه بُخس حقّه من بعض علماء زمانه، فأراد أن يُعطي كلّ ما عنده، ويشعر الآخرين أنّه صاحبُ فنون متنوِّعة، ولا يُعجزه حينئذ أن يجمع ولو تلميحاً قبساتٍ من تلك العلوم ليضعها في مصنّف واحد كما فعل في هذا الكتاب النّفيس؛ فرحم الله الحافظَ ابن دحية وأجزل له المثوبة، وحقّق له ما كان يؤمِّله ويرجوه من ربّه جلّ جلاله بهذا التّأليف النّافع والأثر النّفيس ، إنّه جوادٌ كريم .

ولا أنسى ختاماً أن أشكُر فضيلة الشّيخ د. عاصم بن عبد الله القريوتي على ما تكرّم به عليَّ من تقريظٍ للكتاب، والأخ الباحث الزّميل عبد اللّطيف ابن محمّد الجيلاني على ما أبداهُ من ملاحظاتٍ قيّمةٍ، جعلَ الله ذلك في ميزان حسناتهما، وصلّى الله على محمّدٍ وآله وصحبه وسلّم .

وكتب : جَمال عَزُّون

في طَيْبَة الطَّيِّبَة بعد العشاء الآخرة من شهر شوّال ١٤١٩ هـ

ابنُ دِحْيَةَ الكَلْبِيُّ
وَ مَدْخَلٌ إِلَى مَصَادِرِ تَرْجَمَتِهِ
مَعَ
بَيَانٍ مُفَصَّلٍ
لِتُرَاثِهِ العِلْمِيِّ

مَدْخَلٌ

عشتُ مع ابن دحية برهةً من الزّمن أجمعُ أخبارَه وأتقصّى آثارَه، وأضعُ كلَّ شاردةٍ تتعلّقُ به في محلِّها المناسبِ لها حتّى اجتمع لدي مع مُضيّ الوقت كُنّاشٌ كبيرٌ موزَّعٌ في بطاقاتٍ وقصاصاتٍ وجُزازاتٍ، استخرجتُها بفضلٍ منه سبحانه من مؤلّفاته المخطوطةِ والمطبوعةِ ومصادرِ ترجمته الكثيرة، ومن غير ذلك الشّيءُ الكثيرُ ، وانعقد العزمُ على أن تكون دراسةُ المؤلِّف وما يتعلّقُ بترجمته في تحقيقي لكتابه هذا « الآياتُ البيِّنات فيما في أعضاءِ رسُول الله ﷺ مِن المعجزات » ، غير أنّ ضخامةَ المادّةِ واشتغالي بإعدادِ رسالة الدّكتوراه حالَ دون تحقيق ذلك ، فاقترحَ بعضُ الفضلاء - أحسنَ الله إليهم - أن تُفرد الدِّراسةُ بكتابٍ مستقلٍّ يجمعُ حياتَه وآثارَه، فوقع منّي اقتراحهُم موقعاً حسناً، وصادفَ قَبولاً وارتياحاً، ورأيتُ حينئذٍ أن أقتصر على أمرين مهمّين :

أحدُهما : مدخلٌ أتناولُ فيه بالتّحليل المصادرَ التي تعرّضت لابن دحية بالتّرجمة .

والثّاني : تراثُه العلميُّ المتمثّلُ في مؤلّفاته .

أوّلاً

مَدْخَلٌ
إلى مَصادرِ تَرجمةِ ابن دِحْيَةَ الكَلْبِيّ

يُعتبرُ ما يكتبُه العلماءُ عن أنفسهم أهمَّ مصدرٍ تُعرف به حياتُهم العلميّة وأطوارُها وما يتعلّقُ بها من اسمٍ ونسبٍ وكنيةٍ وولادةٍ ورحلاتٍ وشيوخٍ ومؤلّفاتٍ وغيرِ ذلك من أمورٍ لها صلةٌ وثيقةٌ بالعَلَمِ.

يلي ذلك ما يُدوِّنُه تلاميذُهم خصوصاً من حظيَ منهم بملازمة شيخِهِ مدّةً طويلةً تعرّفَ من خلالها عن كثبٍ على جوانبَ كثيرةٍ من حياته العلمية والأحرى إذا كان التّلميذُ ابناً للمترجم أو قريباً له.

وبعد هذا تأتي تراجمُ المعاصرين للعَلَمِ أو المتأخِّرين عنه قليلاً ولا تخلُو هي الأخرى من بيان جوانبَ مهمّةٍ قد تُغفلُها المصادرُ السّابقةُ.

لقد تحدّثَ ابنُ دحية عن نفسه كثيراً وترك لنا مادّةً قيّمةً يمكن الاستفادةُ منها في دراسة حياته العلميّة وكشف جوانبَ مهمّةٍ منها أغفلتها كتبُ التّراجم، ومصنّفاتُه المتبقّيّةُ خيرُ شاهدٍ على هذا؛ فقد ملأها حديثاً عن شُيوخه ومُؤلّفاته ورحلاته ومرويّاته وأشعاره وآرائه في شتّى المسائل، إلى غير ذلك من أمورٍ لها صلةٌ وثيقةٌ به، بحيث يمكن تكوينُ معالم واضحةٍ عن حياة ابن دحية وشخصيّتِه العلميّةِ مِن خلال تلك العناصر التي تُكوّن

في مجموعها ترجمةً ذاتيةً لها قيمتُها في مجال البحث العلميّ والدّراسة الدّقيقة لحياة عَلَمٍ أقلُّ ما يُقال أنّه أثار ضجّةً في عصره جعلتْ أهلَ العلمِ ينقسمُون نحوَه إلى معجبٍ يُشيد بعلمِه ومكانتِه، ومُنتقدٍ يَرميه في الصَّميم ويأبى أن يعترفَ له بفضلٍ أو يشهدَ له بعلمٍ، غير أنّ ابن دحية يمضي قُدُما لا يَلوي على أحدٍ؛ فدرّسَ وألّفَ، وجرّحَ وعدَّل، وصالَ وجَال، وأكثر التّرحال، وجالس الرِّجال، انطلق من الأندلس ومرَّ بحواضر العالم الإسلاميّ مفيداً ومستفيداً حتّى وصل إلى المشرق، ورأى مِن أهل العلم مَن رأى، ورَوى مِن كتبهم ما رَوى، مع الحرصِ على علوِّ الإسناد، والأخذِ من أفواه المشايخ من المحدِّثين وغيرِهم، إلى أن وضعَ عَصا التّسيار في دار الكِنانة، في القاهرة إحدى أشهر مُدن العلم والحضارة، وقد لقي فيها كلَّ تَرْحَابٍ وأقبلَ عليه أُولوا الأمرِ من أصحاب الدَّولة الأيُّوبية وعلى رأسهم الملكُ العادِلُ الذي استأدبه لوليّ عهده الملك الكامل؛ فمضى هذا مع ابن دحية طالباً للعلم مستفيدا للأدب، وترعرعَ محبّا للحديثِ على وجه الخُصوص لأنّه رضعهُ من عالمٍ شُغف بهذا العلم وأحبّه حُبّا جمّاً، وتمرُّ الأيّامُ وتزيدُ مكانةُ ابن دحية في بلاطِ الملك الكامل حتّى بلغ به الأمرُ أن يُسوِّيَ له المَدَاسَ كما ذكر ذلك المؤرِّخون، بل بنى له دارَ الحديث المشهورة بين القصرين وجعله شيخَها القائمَ بتدريس الحديث فيها، وفي القاهرة كتب ابنُ دحية أغلبَ مؤلّفاته وأهداها إلى وليِّ نعمته وأشاد فيها بفضله عليه، تلك المؤلّفاتُ التي تُعتبر مصدراً مُهمّا في دراسة حياة ابن دحية، ومَرْتَعاً خَصْباً لكتابةِ دراسةٍ دقيقةٍ عن هذا العَلَمِ الغريبِ رحمه الله رحمةً واسعةً.

يأتي بعد هذا المصدرِ المهمّ كتبُ التّراجم التي تناولت ابنَ دحية بالتّرجمة وهي كثيرةٌ جدّاً وإن كان في بعضها نقلٌ متكرِّرٌ ليس فيه نقدٌ أو تمحيصٌ، أو إضافةُ شيءٍ جديدٍ يتعلّقُ بالتّرجمة، كما أنّها متنوّعةٌ تنوّعَ مؤلِّفيها؛ فمنها مصادرُ مغربيّةٌ أندلسيّةٌ وأخرى مشرقيّةٌ.

إنّ أقدمَ مصدرٍ تناولَ ابنَ دحية بالتّرجمة يعودُ إلى القرن السّابع ـ عصر المؤلِّف ـ، إذ ترجمَ له ابنُ الدّبيثيّ[1] (٥٥٨ ـ ٦٣٧هـ) الذي التقى بابن دحية وعلّق عنه شيئاً لم يُفصح عنه، وتميّزتْ التّرجمةُ بالإيجاز وفيها ذَكَرَ ابنُ الدّبيثيّ اسمَ ابن دحية ونسبَه وهو عمرُ بن حسن بن عليّ بن محمّد بن فَرْحٍ الكلبيّ ابنُ دحية أبو الخطّاب سِبْطُ أبي عبد الله ابن أبي البَسَّامِ العَلَوِيِّ، كان يُسمِّي نفسَهُ ذا النّسبين بين دحية والحسين، وهذه التّسميةُ التي عَزاها ابنُ الدّبيثيّ له ظاهرةٌ جدّاً في مؤلّفاتِ ابن دحية لا تكادُ تخلو من عبارة: « قال ذو النّسبين »، وذلك إثر آيةٍ أو حديثٍ أو كلامٍ يُريدُ ابنُ دحية شرحَه أو التّعليقَ عليه، ثمّ ذكر ابنُ الدّبيثيّ أنّه من أهل سبتةَ وأنّه كان قاضياً بدانية إحدى مدن الأندلس الشّهيرة، لكنّه لم يجزم بالأخير بل أورده على سبيل الظّنّ، ثمّ أثنى على معرفة ابن دحية بعلم النّحو واللّغة وذلك ظاهرٌ جدّا في أسلوبه الأدبيّ بحيث أكثر من استعمال المحسِّنات البلاغية في تواليفه كالسّجع وغيره، ولعلّ ابنَ الدّبيثيّ عاين شخصياً هذه المعرفة بالنّحو واللّغة حين قُدِّر له الالتقاءُ بابن دحية وسماعُ كلامِه وشيءٍ مِن دُروسه، كما ذكرَ أنّ له بعلم الحديثِ أُنْساً إشارةً منه

---

(١) تصحّف في لسان الميزان ٤/٢٩٨ إلى : ابن النّرسي .

إلى تذوُّقِ ابن دحية لهذا العلم الذي كان جلّ تخصُّصِه فيه، ثمّ نقل ابنُ الدّبيثيّ عن ابن دحية قوله: إنّه حفظ صحيح مسلمٍ جميعَه وقرأه على بعض شيوخ المغرب مِن حفظِه، وكأنّ ابنَ الدّبيثيّ استبعدَ صحّةَ ذلك ولذا أردفَ قولَهُ بأنّ ابن دحية كان يدَّعي أشياءَ كثيرةً لكنّه لم يُفصح سوى عن قضيّة حفظه لصحيح مسلم، بعد هذا تطرّقَ إلى شيءٍ من رحلات ابن دحية وأنّه حجَّ ورحل إلى الشّام والعراق وأصبهان فسمع في الأخيرة مُعجم الطّبرانيّ من الصَّيدلانيّ، وبنَيسابُور صحيحَ مسلم من أصحاب الفُراويّ، وبواسط مسندَ الإمام أحمد من أبي الفتح المندائيّ، وهذه الكتبُ كان يَرويها ابنُ دحية بأسانيدَ له معلومةٍ أكثرَ من ذِكْرِهَا في مُؤلّفاته، ثمّ أخبرَ ابنُ الدّبيثيّ عن نفسِه أنّه علّقَ عن ابن دحية شيئاً، هكذا قال دون أن يُفصح لنا عن طبيعة هذا الذي علّقَهُ وكتبَهُ عن ابنِ دحية، وختمَ التّرجمةَ بصيرورة ابن دحيةَ إلى دمشق ثمّ إلى مصر ، والتحقَ في هذه بأمرائها ـ يقصدُ الأيّوبيّين ـ، ولم يكن الثّناءُ عليه جميلاً[1]، إشارةً منه إلى رأيه فيه رغم أنّه أخبر قبل ذلك بكونه علّق شيئاً عن ابن دحية، وهو ما فعل ذلك إلاّ لأنّه أهلٌ أن يُعلّق عنه.

إنّ هذه التّرجمة على وجازتها جمعتْ أصولَ التّرجمة من اسمٍ ونسبٍ وكنيةٍ ورحلاتٍ ومسموعاتٍ، وخلت كما هو ظاهرٌ عن ذِكْرِ مؤلّفات

(١) انظر المختصر المحتاجُ إليه من تاريخ الحافظ أبي عبد الله محمّد بن سعيد بن محمّد ابن الدّبيثيّ انتقاء الحافظ الذّهبي ٣/٩٩ ـ ١٠٠. وهو في تاريخ ابن الدّبيثيّ الكتاب الأصل ل١٩٤ ـ نسخة باريس رقم: ٥٩٢٢ كما ذكر ذلك محقّقُ سير أعلام النبلاء ٢٢/٣٨٩.

ابن دحية، رغم أنّ ابن الدّبيثيّ كتب تاريخَه هذا قبل سنة ٦٣٧هـ أو فيها على أبعدِ تقديرٍ، وابنُ دحية حينها قد مضى إلى ربِّه منذ أربع سنواتٍ وترك مؤلّفاتٍ كثيرةً لم يقف عليها فيما يظهرُ ابنُ الدّبيثيّ. ثمّ إنّ ابنَ الدّبيثيّ لم يُحدّد لنا المكان الذي التقى فيه بابن دحية ولا الزّمان الذي رآه فيه، وإخالُ اللّقاءَ كان في بغداد أو في واسط أثناء رحلة ابن دحية إليهما باعتبار أنّ تاريخَ ابنُ الدّبيثيّ هو ذيلٌ على التّاريخ المُذَيّل لابن السَّمْعَانيّ على تاريخ بغداد للخطيب البغداديّ.

بعد ابن الدّبيثيّ نجدُ عالِما آخر عاصر ابنَ دحية وهو الحافظُ أبو عبد الله محمّد بن محمود البغداديُّ المعروفُ بابن النّجّار (٥٧٨هـ ـ ٦٤٣هـ) الذي التقى بابن دحية وكتب عنه، وتميّزت التّرجمة بالطُّول نسبياً، وكان أسلوبُه فيها لاذِعاً ونقدُه حادّاً للغاية، استهلّها ببيان نسب ابن دحية مُضيفاً على ابن الدّبيثيّ بعد « ابن فَرْحٍ » : « ابن خَلَف بن قُومِس بن مَزْلَال[١] بن مَلال بن أحمد بن دِحية بن خَليفة الكلبيّ، من أهل مَنُورَقَة[٢] مِن بلاد الأندلس، ونقلَ عن ابن دحية أنّه يُسَمّى عبدُ الله وتُسمّى أمُّه أَمَة الرّحمن بنت أبي عبد الله محمّد بن أبي البَسّام ورفعَ النّسَبَ إلى عليّ بن أبي طالبٍ رضي الله عنه، ولهذا كان يكتبُ بخطِّه: ذو النَّسَبَيْنِ ابنُ دحيةَ والحُسَيْنِ، ثمّ ذكرَ ابنُ النّجّار قدومَه بغدادَ عليهم دون

(١) في الأصل : يزلال ، والتّصويبُ من مصادر التّرجمة الكثيرة .

(٢) كذا ضبطها ياقوت في معجم البلدان وأضاف أنّها جزيرةٌ عامرةٌ في شرقيّ الأندلس قرب مَيُورَقَة، وحتّى لا يقع الاشتباهُ بينهما بيّن أنّ الأولى بالنّون والأخرى بالياء.

أن يُحَدِّدَ لنا سنةَ قُدومِه، كما ذكرَ أنّه أملى مِن حفظه، وكتبُوا عنه، وأخبرهم ابنُ دحية أنّه سمع من ابن الجوزي(١)، ويُضيفُ مِن شيوخه أبا سعد ابن الصَّفّار ومنصوراً الفراويَّ والمُؤَيَّدَ الطُّوسيَّ في آخرين، وحصّلَ الأصول، وهو يُشيرُ بذلك إلى ما عُرِف به ابنُ دحية من نَهْمَةٍ في تحصيل الكتبِ والأجزاء، ثم ذكر سماعَهُ لكتاب الصِّلة من ابن بَشْكُوال ومن جماعةٍ أخرى بالأندلس، ثمّ بدأ ابنُ النّجّار يَرمي سهامَ النّقد اللاّذع فأخبر أنّه رأى النّاسَ مُجمعين على كذبه وضَعفه وادِّعائه لقاءَ مَن لم يلقَهُ وسماعَ ما لم يسمعه، دون أن يُحدِّد لنا ابنُ النّجّار أصحابَ هذا الإجماع المُدَّعى حتّى يُنظر هل إجماعُهم حجّةٌ في وَصْمِ الرّجل بالكذب والضَّعف وادِّعاء اللّقاء والسّماع ممّن لم يلقهُم أو يسمع منهم، ثمّ ذكر ابنُ النّجّار أنّ أماراتِ تلك التُّهم لائحةٌ على كلامِه بحيث كان القلبُ يأبى سماعَ كلامِه، ويشهدُ ببطلان قوله، ولسنا ندري طبيعةَ هذا القول الذي سمعُوه من ابن دحية حتّى يُعرض على ميزان النّقد والتّمحيص، ولعلَّ ابنَ دحية جلس عندهم في مجلس التّحديث وجعلَ يقول: أخبرنا فلان وفلان وفلان، وهو يقصدُ بالإخبارِ الإجازةَ شأنَ المغاربة والأندلسيّين في إطلاق ذا على ذا، فاتّهمُوه عندئذٍ بالكذب رغم أنّه مذهبٌ معروفٌ، وإخالهم صادفُوا من الرّجل اعتداداً بالنّفس فحسبوه تكبُّراً، ورأوا منه حِرْصاً على السَّماع من شيوخ الرّواية والتّلهّف على تحصيل الكتب والأجزاء ولم يروا منه كثيرَ عبادةٍ فحسبُوه تهاوناً في الدِّين، وسمعُوا كثرةَ كلامه في الجرح والتّعديل

---

(١) وابنُ النّجّار يُعدّ أيضا في تلاميذ ابن الجوزي .

فاعتبروه خُبثاً في اللّسان ووقيعةً في السّلف، وإن تعجبْ فاعجبْ لكلام ابن النّجار حيث يقول في وصف ابن دحية: « كان حافظاً ماهراً عالماً بقيُود الحديث، فصيحَ العبارة، تامَّ المعرفة بالنّحو واللّغة، وكان ظاهريَّ المذهب، كثيرَ الوقيعة في السّلف، خبيثَ اللّسان، أحمق شديدَ الكِبْرِ، قليلَ النّظر في الأمور الدّينيّة، متهاوناً في دينه »، فهم لا ينقمون عليه في علم بل يشهدُون له بحفظ الحديث ومعرفته والتّمهُّر فيه، مع الفصاحة والمعرفة التّامّة باللّغة والنّحو، وهذا ما يفسِّر لنا قولَ ابن النّجّار فيما سلف: « قدم علينا بغداد وأملى من حفظه، وكتبنا عنه »، لكن ينقمون عليه سوءاً في الأخلاقِ، وطيشاً في الكلام، واحتقاراً للمخالف، لم تصبر معه نفوسُهم، ولم تتحمّل منه ذلك، شأنَ كثيرٍ من العلماء آتاهم الله علماً ولم يُرزقُوا حُسناً في الأخلاق ولباقةً في التّعامل، وما أوجبَ ذلك طرحاً لهم في الرّواية، ولا وَصْماً لهم بالكذب، ولك أن تتخيّل عالماً كابن النّجّار لا يُقيم له ابنُ دحية وزناً ـ وكثيراً ما كان يفعلُ ذلك مع مَن لا يعرفُه ـ، كيف سيكون موقفُه من تلك المعاملة وهو عالمٌ له وزنُه، وناقدٌ له ثقلُه، ومؤلِّف له في بغداد مكانتُه، لا شكَّ أنّه سيطرحُ هذا الرّجلَ الغريبَ عليهم القادم من أقصى الدّنيا مِن ربوع الأندلس وهو يدّعي علوماً بين أقرانٍ لم يُقم لهم وزناً ولم يعترف لهم بفضلٍ، وعلى كلِّ حالٍ يبقى هذا رأيُ ابن النّجّار في ابن دحية وهو كلامُ قرينٍ في قرينه، شهدَ له بالعلم والحفظ من ناحية واتّهمه في الخُلق من ناحية، بل جاوز ذلك إلى اتِّهامه بالكذب، وأورد شاهداً على هذه التّهمة ما حكاهُ عن صديقه إبراهيم السَّنْهُوريّ المحدِّث صاحب الرّحلة إلى البلاد أنّه دخل بلادَ الأندلس، وذكرَ لمشايخها

وعلمائها أنّ ابنَ دحية يَدّعي أنّه قرأ على جماعةٍ من الشُّيوخ القُدماء، فأنكروا ذلك وأبطلوه وقالوا: لم يلق هؤلاء ولا أدركهم وإنّما اشتغل بالطّلب أخيراً، وليس نسبُه بصحيحٍ ودحيةُ لم يُعقب، فكتبَ السّنهوريُّ محضراً وأخذ خطوطَهم فيه بذلك، وقدم به ديارَ مصر، فعلم ابنُ دحية بذلك فاشتكاهُ إلى السُّلطان وقال: هذا يأخذُ عِرْضي ويُؤذيني، فأمر السّلطانُ بالقبض عليه، وضُرب وأُشهر على حمارٍ، وأُخرج من ديار مصر، وأخذ ابنُ دحية المحضرَ وخرقهُ.

إنّ صاحبَ هذه القصّة هو أبو إسحاق إبراهيم بن خلف بن منصورٍ الغَسَّانِيُّ السَّنْهُورِيُّ (٥٧٣ ــ ٦٢٠هـ) معاصرٌ لابن دحية، ويذكر ابنُ المُسْتَوْفِي أنّه كانت فيه جرأةٌ وسوءُ أخلاق[1]، وإخالُ هذه الجرأةَ حملتهُ على أن يتكلّف الاشتغال بأمر ابن دحية والاهتمام به والسّعي في كتابة محضر من علماء الأندلس كما يقول هو وإلاّ فلم يُسَمِّ واحداً منهم حتّى يَنظر فيه النّاظرون بعين الدقّة والتّمحيص، ثم إنّ في المحضر المزعوم أنّ ابن دحية اشتغل بالطّلب أخيراً، وما ذا في ذا؟ فكم من عالمٍ فتح الله عليه في أقصر مدّة وأوجز فترة، ورزقه فطنةً وذكاءً وحفظاً وبديهةً جعلته يستوعبُ العلمَ في زمنٍ يسيرٍ وأمدٍ قصيرٍ، ثمّ إنّ أرضَ الأندلس واسعةُ الأطراف شاسعةُ المساحة، والرّجلُ رُزق حبَّ الرّحلة والحرصَ على سماع العلم من أفواه الرّجال، وإلاّ فمِن أين له تلك الرّواياتُ التي يحدِّثُ بها عن شيوخه مع تحديد أسمائهم وتحليتهم بألقابٍ علمية تدلُّ على معرفةٍ صادقةٍ من ابن

(١) تاريخ إربل ١/٢٥٦ .

دحية لهم، بل إنّه يُضيف على ذلك تحديدَ زمنَ لقائه بهم ومكانَ حصول الأخذ عنهم، فما حيلتُنا في محدِّثٍ يقول مراراً: حدّثنا المحدِّثُ العَدْلُ أبو القاسم بن بَشْكُوَال قراءةً منّي عليه بمدينة قرطبة ....، أو يقول: حدّثني به ـ أي جامع ابن وهب ـ بالجامع الأعظم بقرطبة شيخُنا المحدِّثُ العَدْلُ مؤرِّخُ الأندلس أبو القاسم خَلَفُ بن عبد الملك بن بشكوال الأنصاريُّ في شهر صفرٍ سنةَ أربعٍ وسبعين وخمسمائة ...، أو يقول: حدّثني شيوخي بخُراسان مجدُ الدِّين مفتي الفِرَق أبو سعد بن الصَّفّار بمدرستِه بِشَاذِيَاخ والزّاهدُ أبو الحسن الشَّعْرِيُّ قراءةً منّي عليه بمسجد المطرّز بنيسابور والعَدْلُ تاجُ الدِّين أبو القاسم الفُرَاوِيُّ قراءةً منّي عليه أيضا، إنّه يحدِّد أسماءَ شيوخه بدقّةٍ متناهيةٍ، وزمنَ حدوثِ الرّواية ومكانَه، بألفاظٍ وصيغٍ فخمةٍ قد يستهولُها بعضُهم، أمّا قدماءُ الشّيوخِ المشارِ إليهم في قصّةِ السَّنْهُوريّ فمن المحتمل جدّا أن يكون ابنُ دحية روى عنهم إجازةً وأطلق على تلك الإجازة صيغةَ الإخبار التي تُوهم حدوثَ اللّقاء والسّماع؛ لذا اعتبر هذا بعضُ العلماء تدليساً كالحافظ الذّهبيّ وغيره. وقد نقل هذه القصّةَ أيضاً ابنُ المستوفي وشكّك في نقل السَّنْهُورِيّ له فقال: « وجرت بينه وبين ذي النّسبين أبي الخطّاب عمرَ بن الحسن حالةٌ أُخذ لها وشُهِّر؛ وضُرب بالدُّرَّةِ وأرانا موضعَ أثر الضَّرْبِ برأسه، وذلك أنّه ـ **فيما زعم** ـ أخذ محضراً من المغاربة أنّ ذا النّسبين كذّابٌ أو نحوُه، ثمّ ورد الإسكندريّةَ فعلم به ذو النّسبين، فأحال[1] عليه في

---

(١) كذا في المطبوع ، وإخاله : فاحتال .

أخذ المحضر منه ورفعه إلى سُلطانها، ففُعل به ما حدّثنا به »[١].

وذكر المقريزيُّ في ترجمته للسَّنْهُورِيّ أنّه « دخل إلى بلاد المشرق مراراً، وقدم بغدادَ ونيسابورَ وأصبهانَ وشيرازَ وحلب، وعبرَ إلى الأندلس فقدم إشبيليةَ سنةَ ثلاثٍ وستّمائة، وكان ينتحلُ مذهبَ الفقيه أبي محمّد عليّ بن أحمد بن حَزْمٍ، ولمّا نزل مصرَ تكلّمَ في الحافظ أبي الخطّاب عمر بن دحية، فشكاهُ إلى السُّلطان الملك الكامل محمّد بن العادل أبي بكر بن أيّوب، فضربه بالسّياط، وطوّف به على جملٍ وأخرجه من ديار مصر ».

ثم نقل عن ابن عساكر قولَه : « وكان يشتغلُ في كلِّ علمٍ والغالبُ عليه فسادُ الذِّهن لم ينجحْ طلبُه في شيءٍ من ذلك. وكان مُتَسَمِّحاً فيما يفعلُه ويرويه عمّن لقيهُ، وكان أوّل أمره حين قدمَ دمشقَ ذكرَ أنّه ينتسبُ إلى بني مازنٍ، ثمّ انتسبَ إلى غَسَّان، ووردت معه إجازةٌ أخذَها من بلاد المشرق مَنْ وقف عليها علمَ ما ذكرتُه عنه مِن التّخليط » .

ونقل عن أبي الحسن ابن القطّان قولَه : « ظهر في حديثه عن نفسه تجازفٌ واضطرابٌ وكذبٌ زَهَّدَ فيه » .

قال المقريزيُّ : « ولمّا ضُرب طِيفَ به إلى أن انتهى إلى منزل ابن دحية، فلمّا سمع ـ أي ابن دحية ـ النّداءَ عليه خرجَ إليه وألقى عليه ثوبَه وكلّم فيه السُّلطان، فخرج أمرُه بالخروج عن الدِّيار المصريّة، فتوجّه نحو العراق ثمّ دخل بلادَ العجم، وتوفّي هناك في حُدود عشرين وستّمائة

---

(١) تاريخ إربل ١/٢٥٨ .

على ما بلغني، **وأنا أبرأُ إلى الله من عُهدته، وما تجرّأ عليه من قبيح فعلتِه[١]، والحسدُ داءٌ لا دواءَ له**»[٢].

أمّا كونُ نسبه ليس صحيحاً وأنّ دحية بن خليفة الكلبيّ الصحابيّ لم يُعقب فهذا ردّه بعضُ العلماء وذهبُوا إلى صحّة نسبه وأنّ دحية الكلبيّ رضي الله عنه أعقب. وابنُ دحية رحمه الله كان مُصرّاً على انتسابه للحسين من جهة أمِّه ولدحية الكلبيّ من جهة أبيه فكان يكتبُ في كلِّ مُؤلَّفاته: ذو النّسبين، لا يتأخّرُ عن ذلك إطلاقاً، وفي ذلك إشارةٌ منه إلى اقتناعه التّامِّ بصحّة نسبه هذا الذي انتقده مَن انتقدَ.

ثمّ نقل ابنُ النّجّارِ عن أبي المحاسن محمّد بن نصرٍ المعروف بابن عُنين المتوفّى سنة ٦٣٠هـ - وكان هجّاءً قليلَ الدِّين[٣] - بيتين من الشِّعر يهجُو فيهما ابنَ دحية ويطعنُ في نسبه :

دحيةُ لم يُعقِبْ فَلِمْ تَعْتَزِي إليه بالبُهتان والإفْكِ
ما صحَّ عند النّاس شيءٌ سوَى أنّك مِن كَلْبٍ بلا شَكٍّ

ومن الزّيادات التي أضافها ابنُ النّجّار ما ذكره عن الحافظ أبي الحسن عليّ بن المفضّل المقدسيّ الإسكندرانيّ المالكيّ (٥٤٤ - ٦١١هـ) من قوله: « كنّا يوماً بحضرة السّلطان في مجلسٍ عامٍّ وهناك ابنُ دحية، فسألني السُّلطانُ عن حديثٍ فذكرتُه له، فقال لي: مَن رواهُ؟ فلم يحضُرني إسنادُه

(١) وهي كلامُه في ابن دحية واتّهامُه بالكذب وغير ذلك ممّا سبق.
(٢) المقفّى الكبير ١/١٤٩ - ١٥٠ للمقريزيّ .
(٣) انظر سير أعلام النبلاء ٢٢/٣٦٣ .

وانفصلنا، فاجتمع بي ابنُ دحية وقال لي: يا فقيه، لمّا سألك السُّلطانُ عن إسناد ذاك الحديث لِمَ لَمْ تذكُر له أيَّ إسنادٍ شئتَ؟ فإنّه ومَن حضر مجلسَهُ لا يعلمُون هل هو صحيحٌ أم لا ؟ وكنتَ قد ربحتَ قولَك: لا أعلَمُ، وعظُمْتَ في عينِه، قال : فعلمتُ أنّه جريءٌ على الكذب ».

وهذه إن صحّت فهي زلّةٌ كبيرةٌ من ابن دحية كيف يقترحُ هذا الاقتراحَ الباطلَ على ابن المفضّل من أجل التّقرُّب إلى ذاك السُّلطان، وكان الواجبُ أن يُثنيَ على تحفّظِه وقولِه: لا أعلم، إذ هي سمةُ العلماء الأتقياء إذا جهل أحدُهم شيئاً لم يأنفْ أن يقول: لا أدري، لكن كيف يستسيغُ ابنُ دحية ـ في منطق هذه القصّة ـ أن يُعطي مثلَ هذه الفرصةَ لأحد أقرانه ومُنافسيه فيخبرَهُ بهذه القارعةِ التي قد تفقدُه مكانتَه العلميّة فيما إذا بلغ الخبرُ السّلطان، خاصّةً وأنّ أعداءَهُ في مصر كثيرٌ والحاقدين عليه يتربّصُون به الدَّوائر، ويَرتقبُون أدنى فرصةٍ تقعُ لهم للحَطِّ عليه والتّشنيع، ثمّ ألا يحتملُ أنّ ابنَ دحية أرادَ أن يختبر صِدْقَ هذا العالِم وورعَه وتقواهُ فسأله سؤالَ مختبرٍ يبتغي تمييزَ حالِه. ثمّ إنّ السّلطان إنّما سأل ابنَ المفضّل عمّن رَوى ذاك الحديث ويعني بسؤاله مَن أخرجه من أئمّة الحديث أهو البخاريّ مثلاً أم مسلم أم غيرُهما رغبةً منه في الاطمئنان على صحّتِه وثبوتِه عن النّبيّ ﷺ، فكان الجوابُ ـ كما في سياق القصّة ـ ألاّ يحضر عليَّ بن المفضّل إسنادُ الحديثِ فيقترح عليه ابنُ دحية فيما بعدُ أن يذكر أيَّ إسنادٍ شاءَ، وهل طلبَ منهم الملكُ إسناداً ؟ وهم في عصرٍ انقطعت فيه الرّواية ودُوِّنت فيه المصنّفات، فغايةُ ما سأل عنه مخرِّجَ الحديث فقط، فأيُّ حديث هذا الذي خفي على ذَيْنِ الحافظين حتّى لم يستحضرا مَن أخرجه من أئمّة هذا

الشّأن. ثمّ إنّ ابـن دحيـة معـروفٌ بتشـدّده في روايـة الأحـاديث الضّعيفـة والموضوعة وكان ينأى باللائمة على كبـار العلمـاء كـابن عبـد الـبرّ وابـن العربي والسِّلفي في أحاديث رووها لم تصـحّ أو لم يبيّنـوا درجتَهـا، وكتبُـه خيرُ شاهدٍ على ما نقـول؛ فكـم حـذّر مـن مغبّـة الكـذب علـى النّبيّ ﷺ، وكثيراً ما يورد قولَه ﷺ: « من حدّث عنّي بحديـث يـرى أنّـه كـذبٌ فهـو أحدُ الكاذبين »، ثمّ يأتي بعد هذا ويقترحُ على عالمٍ حافظٍ تلـك القاصمـةَ التي أستبعدُ وقوعَها من ابن دحية رحمه الله، ثمّ أين جوابُ ابن المفضّل له؛ هلاّ انتهرهُ أو حذّرهُ أو بيّنَ له أنّ ما ذَكَرَ غيرُ جائزٍ شرعاً، فالقصّةُ تسكت عن ذا إطلاقاً وتكتفي فقط بذِكرِ نتيجةٍ خرج بها عليٌّ بن المفضّل إثرَ تلك المحاورة التي جرت بينهما وهي علمُه وتيقّنُه بجرأة ابن دحية علـى الكـذب! ثمّ ما بال السُّلطان وهو في مجلـسِ علـمٍ ضـمَّ بـين جنباتـه علمـاء وحفّاظـا يكتفي بسؤال ابن المفضّل فقط دون سائر العلمـاء رغـم أنّ المقـام يقتضـي طرحَ السُّؤال على الجميع ومعرفة رأي غير واحدٍ منهـم؛ فكـلُّ هـذا يجعـلُ الشّكَّ يحومُ حولَ ثبوتِ هذه القصّة وصحّتِها.

ثم رأيتُ ابنَ سيّد النّاس في « أجوبته » أورد القصّةَ مختصرةً وبسـياقٍ مختلفٍ قليلاً عمّا قبلُ وشكّك في صحّتها، والملفِـتُ للانتبـاه مـا ذكـره مـن ملابساتِ القصّة حيث إنّ صفيَّ الدِّين أبا محمّد عبد الله بن عليّ المعـروف بابن شكر الوزير (٥٤٨ ـ ٦٢٢هـ) وكانت بينه وبين ابن دحية عـداوةٌ لمّـا رآه مَحْظِيّا جدّا عند السُّلطان الكامل فكـان أن بنـى هـذا الوزيـرُ مدرسـةً للمالكيّة واستقدم لها عليَّ بن المفضّل المقدسيّ مزاحمةً لابن دحيـة ودَحْضـاً له عند الكامل ، وفي هذا كلِّه يقول ابنُ سيّد النّاس :

« كان أبو الخطّاب قد نال من الملك الكامل أرفعَ حَظْوَة، لا تكادُ تُحَلُّ لأبي الخطّاب إذا دخل عليه حَبْوَة، فبلغَ في دولته كلَّ الاقتراح، وامتزج كلٌّ منهما بالآخر امتزاجَ الماء بالرَّاح، حتّى خُصَّ أكابرُ دولته من ذلك بالدّاء الدَّوِيّ، وغصّ الصّفيُّ ابن شَكر بصفاء مورد ذلك الوُدِّ الرّوِيّ، فعالجَ كلَّ العلاجِ ليُفسدَ ذلك الامتزاج، فكان في سعيه ذلك أن بنى مدرسةً لمذهب مالكٍ واستقدم لها الحافظَ أبا الحسن ابن المقدسيّ ليُزاحم ابنَ دحية به، ويدحضه عند الملك الكامل في منصبه، فلم يتهيّأ ذلك له، ولا زحزحهُ عن تلك المنزلة، وكانت تقعُ في ذلك من ابن المقدسيّ فيه أمُور، ونفثاتُ مصدُور، يشيعُها من أصحاب أبي الحسن مَن يعرفُ ومَن لا يعرف، ويُذيعُها من تُنكرُ منهم ومن تَعرِف، وربّما زادَ فيها السّامعُ حين أدّى، وأتى من حيث لا يشعرُ شيئاً إدّا، وإنّما وصلت إليه مُرسلَة، ونُقلت إلينا مجملةً لا مفصَّلَة، لا يُعوَّلُ عليها في جَرْح، ولا يُستندُ إليها في قَدْح، وإخالُ من ذلك حديثُ المغربِ[1].

وذكرَ لي بعضُ شيوخنا أنّ ابن المقدسيّ قال لأبي الخطّاب: سألني اليومَ الملكُ الكاملُ عن حديثٍ لم أُقم إسنادَه فوجمتُ لذلك، فقال له: هلاّ قلتَ: رواهُ مالكٌ عن نافعٍ عن ابن عمر؛ فإنّ أحداً لا يعرفُ ما تقولُ.

وبعيدٌ جدّاً أن يَفُوه أحدٌ لُمناصبه، بما يقدحُ في مناصبه، أو أن يدُلَّ عن عورتِه، مَن تصدّى لتتبُّع عثرتِه .

(١) وذلك أنّ ابنَ أيبك سأل ابنَ سيّد النّاس عن حقيقة ما قيل من وضع ابن دحية حديثاً في قصر صلاة المغرب.

وقد أخبرني كمالُ الدِّين محمّدُ بن يحيى الهمدانيّ فيما قرأتُ عليه بجزءٍ من حديثه سمعه منه: ولم يكن أبو الخطّاب في أنفُس من أدركناهُ إلاّ كالمتروكِ خطابُه ، المنبوذِ خطؤُه وصوابُه.

وليس ذلك فيما أظنُّ إلاّ من بقيّة تلك الآثار، والله ينزلُ الجميعَ بعفوه في الإيراد والإصدار »[1] .

ومن الإضافات التي زادها ابنُ النّجّار دخولَ ابن دحية ديار مصر وسكَنَهُ بالقاهرة، ومصادفته قبولاً من السّلطان الملك الكامل، وقال: سمعتُ من يذكرُ أنّه كان يُسَوِّي له المَدَاسَ[2] حين يقومُ.

ثمّ ذكر أنّه تُوفّي بالقاهرة في ليلة رابع عشر ربيع الأوّل من سنة ثلاثٍ وثلاثين وستّمائة، وقد نيّف على الثّمانين، وكان يخضبُ بالسَّواد[3] قدّس الله روحَه[4].

والحاصلُ أنّ ترجمة ابن النجّار لابن دحية لم تخلُ من إضافاتٍ مهمّةٍ، وهي أوّلُ ترجمةٍ اشتدّ فيها الطّعنُ على ابن دحية والكلام فيه مع الاعتراف له في الوقت نفسه بالعلم والحفظ والفصاحة، وهي تمثّل وجهة نظر عالمٍ معاصرٍ لابن دحية.

---

(١) أجوبة ابن سيّد النّاس ص ٢٤٩ ـ ٢٥٠ .

(٢) في المطبوع : الملابس ، والصّواب المثبت كما في مصادر ترجمته الكثيرة.

(٣) الخضابُ بالسّواد ورد النّهيُ عنه في السّنة النّبويّة .

(٤) انظر المستفاد من ذيل تاريخ بغداد لابن النجّار ـ انتقاء ابن الدّمياطي ص ٢٠٥ ـ ٢٠٩، رقم : ١٦٠.

يلي ابنَ النّجّار ممّن عاصر ابنَ دحيـة الحـافظُ الكبيرُ أبـو بكـر محمّـد ابن عبد الغنيّ البغـداديّ الحنبليّ المعروفُ بـابن نقطـة (٥٧٩ ـ ٦٢٩هـ) فقد ترجـم لـه في كتابـه « تكملـة الإكمـال » و لم يُقَـدَّر لـه الالتقـاءُ بـه لا في بغداد ولا في مصر وقد صـرّح بهـذا فقـال: « وكـان ببغـداد و لم يُقَـدَّر لقاؤُه، ودخلتُ مصرَ وهو بهـا و لم ألقَـهُ في سـنة أربـع عشـرة »[١]، وهـذه السَّنَةُ كان ابنُ دحية بلغ فيها من العمر ثمانيـةً وستّين عامـاً وهـو في أَوْجِ نشاطه العلميّ وقد ذاع صيتُه في ديار مصر، وابنُ نقطة عمرُه آنذاك خمـسٌ وثلاثون عاماً.

والحاصلُ أنّ ابن نقطة أثنى عليه بالمعرفة والفضل وانتقد ادِّعاءَه أشياء لا حقيقة لها، وأورد تدليلاً على ذلك قصّةً فيهـا اختبـارٌ لحفـظ ابـن دحيـة ادّعى فيها المختبِرُ أنّه لم يعرف ابنُ دحية منها شيئاً.

يلي ابنَ نقطة العلاّمةُ ذو الفنون أبو عبد الله محمّد بن عليّ بن خضـر الغسّانيُّ المالقيُّ المالكيُّ المعروفُ بابن عَسْكَرٍ (٥٨٤ ـ ٦٣٦هـ) وهـو فيمـا يظهرُ أوّلُ مصـدرٍ أندلسـيٍّ تنـاول ابنَ دحيـة بالتّرجمـة ، وذلـك في كتابـه « أخبـار فُقهـاء مالَقـةَ وأدبـائهـم »[٢]، وذكـرَ أنّ ابـنَ دحيـة مشـهورٌ بـابن

(١) تكملة الإكمال ٦١/٢ لابن نقطة .

(٢) انظر أخبارُ فقهاء مالقة وأدبائهم ل ٨٧ ب لابن عسكرٍ .
والملاحظُ على طرّة نسخة الكتاب أنّ المؤلّف عاجلته المنيّة عن إكمال الكتاب فأكمله ابنُ أخته محمّدُ بن محمّد بن عليّ بن خميسٍ، لكن ليس في النّسخة ما يميِّزُ الموضعَ الـذي وصـل إليه ابن عسكرٍ وابتدأ منه ابن خميسٍ، وعليه يمكن أن تكون ترجمةُ ابـن دحيـة قـد دبّجهـا يراعُ ابن عسكرٍ أو ابن خميس؛ فاقتضى التّنبيهُ.

الجُمَيّل، وأنّه من أهل مَالَقَةَ وأخذَ عن أشياخِها، ثمّ انتقلَ إلى المشرق، وأخذ عمّن هنالك مِن الأشياخ، فعظُم قَدْرُه، واتّسعتْ روايتُه، وبعُد صيتُه، وسكن القاهرةَ واستوطنها في أيّام الملك الكامل وكان له عنده مِن الجاه والمحلّ ما لم يصل إليه غيرُه، ويحدِّدُ لنا ابنُ عَسْكَرٍ محلَّ استيطانه من القاهرة وهو حارةُ ابن خوانٍ، كما يُضيفُ أنّ أميرَ النُّحاةِ تاجَ الدِّين الكنديَّ نازع ابنَ دحية في نسبه فردّ عليه ابنُ دحية في جزءٍ سمّاهُ « المرهف الهنديّ في الرّدِّ على التّاج الكنديّ » وأثبتَ فيه أن دحية بن خليفة الكلبيَّ الصّحابيَّ قد أعقبَ وأنّه من ذرّيته، ثمّ يُلَخِّصُ ابنُ عسكرٍ رأيَه في ابن دحية فيقول: « كان رحمه الله أديباً بارعاً، وشاعراً مطبوعاً، إلاّ أنّه كان يُتّهمُ في الرّواية لأنّه كان مِكْثاراً ».

يلي ابنَ عسكرٍ سِبْطُ ابن الجوزيّ (٥٨١ ـ ٦٥٤هـ) إذ ترجم في كتابه « مرآة الزّمان »[١] ترجمةً فيها تحاملٌ كبيرٌ على ابن دحية لم يعترف له فيها بفضل ولم يذكره بعلم، وذكر بإسهابٍ القصّةَ التي وقعت لابن دحية مع تاج الدِّين الكندي النّحويّ الكبير. ومن المعلوم أن سبطَ ابن الجوزي حَظي بإقبال أولاد الملك العادل عليه[٢] كما حظي ابنُ دحية منهم بذلك، وإخالُ تحاسدَ الأقران وطعنَ بعضهم في بعضٍ لعب دوراً في موقف السِّبط من ابن دحية.

يلي سبطَ ابن الجوزيّ المؤرِّخُ الأديبُ المباركُ بن أحمد الموصليّ

---

(١) انظر مرآة الزّمان في تاريخ الأعيان ٤٨١/٨ .

(٢) انظر سير أعلام النبلاء ٢٩٧/٢٣ .

المعروف بـابن الشَّعَّار (٥٩٣ ـ ٦٥٤هـ) في كتابه « عقـود الجمـان »[١] حيث ترجم لابن دحية ترجمةً حافلةً أورد فيها معلوماتٍ مهمّةً تتعلّق بـابن دحية، وأهمّ شيءٍ فيها تلك القائمةُ النّادرةُ من مؤلّفات ابـن دحيـة الـتي لا نَرى لها أثراً عند غيره، كما اهتـمّ بجـانب رحلاتـه العلميّـة ودخولـه مدينـة إرْبِل ولقائه بملكها مظفّر الدِّين كُوكُبُورِي[٢] الذي بالغ في إكرام ابن دحية والإنعام عليه إنعاماً عظيماً، وقد أدرك أهمّيةَ تلك الإضافـات الـتي جـاءت عند ابن الشّعّار د. محمّد بن شريفة فقال: « وفي ترجمة ابن دحية عنـد ابـن الشَّعّار أيضاً نجدُ إضافاتٍ كثيرةً من أخباره وآثاره الشّـعريّة والنّثريّـة، فقـد أطنـبَ في وصـف رحلتـه في خُراسـان وزياراتـه لإرْبِـل واتّصالـه بملكهـا كُوكُبُري وتأليفه له كتاب « التّنوير في مولد السّـراج المنير »، وقـد انفـردَ ابنُ الشّعّار برواية كلامٍ طويلٍ قبيحٍ لأبي الرّوح التّـاكرنيّ في ابـن دحيـة لا يمكن ذِكْرُه، وهو يرجعُ إلى أثر المعاصرة، ويدلُّ على المنافسات والمنـافرات التي كانت تقعُ بين أولئك المغاربة في ديار الغربة »[٣].

وقد اعتبر ابنُ الشّعّار ابنَ دحية شافعيَّ المذهب خلاف ما ذهب إليـه ابنُ النّجّار من كونه ظاهـريّاً ، وأثنـى ابنُ الشّعّار علـى ابن دحيـة فقـال :

---

(١) انظر عقود الجُمان في شعراء هذا الزّمان ـ أو قلائدُ الجُمان في فرائـد شـعراء هـذا الزّمـان ٥/٣١٠ ـ ٣٣٥ لابن الشّعّار .

(٢) ضبطه ابنُ خلّكان بضمِّ الكافين بينهما واوٌ ساكنةٌ ثم باءٌ موحّدةٌ مضمومةٌ ثمّ واو ساكنةٌ وبعدها راءٌ، وهو اسمٌ تركيٌّ معناه بالعربيّ ذئبٌ أزرق، انظر وفيات الأعيان ٤/١٢١.

(٣) محمّد بن شريفة : تراجم مغربية من مصادر مشرقيّة ص ١٨ .

« محدِّثٌ حافظٌ إمامٌ فاضلٌ عارِفٌ بالقرآن واللُّغة وتفسير القرآن الكريم، فصيحٌ في إيرادِه ».

يلي ابنَ الشّعّارِ ثاني مصدرٍ أندلسيٍّ[١] تعرّض لابن دحية بالتّرجمة وهو « التّكملة »[٢] للحافظ أبي عبد الله محمّد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعيّ البلنسيّ المعروف بابن الأبّارِ (٥٩٥ ـ ٦٥٨هـ) الذي استجاز ابنَ دحية سنةَ ٦١٣هـ فتفضّل عليه وكتب لـه ولجماعةٍ مِن أصحابه بإجازة جميع ما رواه وصنّفه وفي هذا يقول ابنُ الأبّار: « كتبَ إليّ مع جماعةٍ من أصحابنا أهل بلنسيّة بإجازة جميع ما رواهُ وصنّفه في سنة ثلاث عشرة وستّمائة »[٣]، وواضحٌ حينئذٍ أنّ المجيزَ ابنَ دحية بلغ من العمر وقت إجازتهم سبعاً وستّين عاماً، والمجازَ ابنَ الأبّار تسعةَ عشر عاماً، فما زال في سنّ الطّلب والأخذ عن الشّيوخ واستجازة المسندين والرُّواة.

لقد اهتمّ ابنُ الأبّار في ترجمته لابن دحية بذِكْرِ مشيخته الأندلسيّة كابن بَشْكُوال وابن خيرٍ وابن الجَدِّ وابن زرقون وابن حُبيشٍ وغيرهم، كما اهتمّ ببيان الخطوط العريضة لرحلته من الأندلس إلى المشرق إلى أن استقرّ في مصر مع الحظوة عند ملوكها حظوةً بَعُدَ العهدُ بمثلها كما قال ابنُ الأبّار. كما أثنى على ابن دحية فقال: « كان بصيراً بالحديث، معتنياً

---

(١) كما ترجم له ابنُ مُسْدِي الأندلسيّ الغرناطيّ ت٦٦٣هـ في معجمه لكنّه مفقودٌ واحتفظ لنا بشذراتٍ من ترجمته لابن دحية الحافظُ ابنُ سيّد النّاس في أجوبته كما سيأتي قريباً.

(٢) انظر التّكملة لكتاب الصّلة ٣/١٦٤ ـ ١٦٥ .

(٣) المصدر نفسه .

بتقييده، مُكبّا على سماعِه، حسنَ الخطّ معروفاً بالضّبط، له حظٌّ وافرٌ من اللّغة ومشاركةٌ في العربيّة وسواها »(١).

يلي ابنَ الأبّارِ الحافظُ المؤرِّخُ شهابُ الدِّين أبو محمّدٍ عبدُ الرّحمن بن إسماعيل المعروفُ بأبي شامة المقدسيّ الدّمشقيّ (٥٩٩ ـ ٦٦٥هـ) إذ ترجمَ له في كتابه « الذّيل على الرّوضتين » ترجمةً مختصرةً جدّاً ليس فيها جديدٌ يُذكرُ إلا ما ذكر من أنّ له من ابن دحية إجازةً(٢).

والجديرُ بالذِّكْرِ أنّ أبا شامة حضر سنة ٦٢٨هـ مجلسَ قراءة « صحيح مسلم » على ابن دحية وحدثتْ له معه قصّةٌ، وعُمُرُ ابنِ دحية آنذاك اثنان وثمانون عاماً، وعُمُرُ أبي شامة تسعٌ وعشرون(٣).

يلي أبا شامة المقدسيَّ الحافظُ المؤرِّخُ منصورُ بن سليم الإسكندرانيُّ (٦٠٧ ـ ٦٧٣هـ) في كتابه « الذّيل على تكملة الإكمال »، وكانت ترجمتُه لابن دحية مختصرةً أيضاً، غير أنّه أثنى عليه فقال: « كان من العلماء الأعلام »(٤)، وفي موضعٍ آخر: « كان إماماً في الحديث واللُّغة، سمعَ بالمغرب ومصرَ والعراق وخُراسان، ثمّ استوطن مصرَ وانتهتْ إليه رئاسةُ الحديث بها ، وله تصانيفُ حسنةٌ »(٥).

---

(١) انظر التّكملة لكتاب الصّلة ٣/١٦٤ ـ ١٦٥ .

(٢) انظر الذّيل على الرّوضتين ص ١٦٣ ـ وفيات سنة ٦٣٣ هـ .

(٣) انظر القصّة في المقتفى في مبعث النّبيّ المصطفى ﷺ لأبي شامة ص ٣٠ ـ تحقيقي.

(٤) الذّيل على تكملة الإكمال رقم : ٣٤٩ .

(٥) المصدر نفسه رقم : ٨٨٩ .

ويليه أبو جعفر أحمدُ بن إبراهيم بن الزُّبير الثقفيُّ العاصميُّ الغَرنـاطيُّ (٦٢٨ ـ ٧٠٨هـ) وهو ثالثُ أندلسيٍّ يتناول ترجمةَ ابـن دحيـة، وذلـك في كتابه « صلة الصّلة »، والجديدُ فيها أنّ ابن الزّبير يذكرُ أنّ الذي عرّفه بحاله عالمان أندلسيان طالت صحبتُهما لابن دحية وأخيه عثمان، وخبراهما جملةً وتفصيلاً، إلاّ أنّهما ذكرا فيهما انحرافاً في الخُلُـقِ لكـن مـع الثّقـة والعدالـة، وفي هذا يقول: « كان معتنياً بالعلم، مشاركاً في فنونٍ منـه مجتهـداً، معتنيـاً بالأخذ عن الشُّيوخ، ذاكـراً للتّـاريخ والأسـانيد ورجـال الحديـث والجـرح والتّعديل، سُنِّيّاً مُجانباً لأهل البدع، سَرِيّاً فاضلاً، عرَّفني بحاله وحـال أخيـه أبي عمرو عثمان الشّيخان أبو الحسن الغـافقيُّ وأبـو الخطّـاب ابـن خليـلٍ، وكانا قد صحباهُما طويلاً، وخبراهُما جملةً وتفصيـلاً؛ إلاّ أنّهمـا ذكراهُمـا بانحرافٍ في الخُلُقِ وتقلُّـبٍ لم يشـنهُما غيرُه، ووصفاهُمـا مـع ذلـك بالثِّقـة والعدالة والسَّراوة والاعتناء التّامّ »(١).

ومن إضافاتـه الجديـدة ما نقلـه عـن كتـاب ابن فرتـون ت ٦٦٠هـ « الذّيل على الصِّلة » من كون ابن دحية استوطن مدينةَ قُـوص ودرّس بهـا العلم، وغير ذلك ممّا نقله عنه، ونكون حينئذٍ مدينين لابن الزّبير إذ احتفـظ لنا بمادّة ولو ضئيلةٍ من كتاب مفقودٍ ترجم صاحبُه فيه لأبـي الخطّـاب ابـن دحية.

يلـي ابـنَ الزُّبـيرِ الحـافظُ أبـو عبـد الله محمّـدُ بــن محمّـد بـن عبـد الملك الأنصاريُّ الأوسيُّ المرّاكشـيُّ (٦٣٤ ـ ٧٠٣هـ) في كتابـه « الذّيـل

(١) صلة الصِّلة ـ القسم الرّابع ص ٧٨ ـ ٧٩ .

والتّكملة »[١]، وهي ترجمة واسعةٌ تلي في الطُّول ترجمةَ ابـن الشَّعَّار، ومـن ميزتها أمورٌ مهمّةٌ منها وقوفُه على نسب ابن دحية بخطِّه ولا يخفى ما لهـذا من قيمةٍ في تحديد سلسلة نسبه، ومن ذلك مشيخةٌ واسعةٌ لابن دحية، كما احتفظَ لنا بشيءٍ من نَظْمِ ابن دحية الاصطلاحيّ، واهتمَّ أيضاً بذِكْرِ بعـضِ مُؤلَّفاته، وأبرز المكانةَ الكبيرةَ التي حظي بها عند السّلطان الكامل فقـال : « ولمّا عادَ إلى مصر مِن رحلته العراقية صار له بها عند الكامل جـاهٌ عظيـمٌ وحظوةٌ عليّةٌ ومكانةٌ كبيرةٌ بعُد العهدُ بمثلها، ونال بها دنيا عريضـةً، حتّـى لَيُذكر أنّه همّ بنصبه خليفـةً، وبعثـه رسـولاً إلى الخليفـة النّـاصر لديـن الله ببغداد، فتلقّاه النّاصرُ أحسنَ تلقٍّ، وقضـى مآربَه الـتي توجّـه رسـولاً إليـه بسببها، وأجلّ قدرَه، وأجزل صلتَه، وأنفذه رسولاً إلى بعض ملوك العجـم وراء النّهر، فنهض بذلك وأحسـن السّـفارةَ فيـه، وعـني هنـاك بلقـاء بقايـا شُيوخ العلم بتلك البلاد، وناظرهم وظهر شـفوفُه عندهـم وتـبريزُه، وبعـد صيتُه وبعد أمرُه واستفاض ذكرُه، وجمعَ من فوائد تلـك البـلاد ومصنّفـات علمائها ما لا عهدَ لأهل بغداد به »[٢]، إلى غير ذلك من إضافاتٍ مهمّـةٍ لا نكادُ نراها عند غير المرّاكشيّ، ومع مـا وصفـه بـه مـن شـدّة العنايـة بلقـاء المشايخ والاتّساع في الرّواية وإحكام التّقييد فقد تكلّم فيـه واتّهمـه ورمـاه بالكذب فيما يُحدِّثُ به فقال: « كان راويةً للحديث، شديدَ العنايـة بلقـاء المشايخ والأخذ عنهم، مُتَّسِع الرّوايـة، جيّـدَ الخـطِّ، محكـمَ التّقييـد، ذاكـراً

---

(١) انظر الذّيل والتّكملة لكتابي الموصول والصّلة ٨/٢١٥ ـ ٢٢٠ .

(٢) المصدر نفسه ٨/٢١٨ .

تواريخَ المحدثين وأخبارَهم، حافظاً للآداب، ذا حظٍّ صالحٍ من اللُّغة ومشاركةٍ في العربيّة، كثيرَ الشّذوذ في أحوالِه وملبسِه وشارتِه، مُتَّهماً في روايته، مرميّاً بالكذب فيما يُحدثُ به »[١].

هذا رأيُه في ابن دحية ولسنا ندري من أين استقى دعواه الشّذوذَ في أحواله وملبسه وشارته رغم أنّه لم يُدرك ابنَ دحية ولا رآه بل لمّا مات ابنُ دحية لم يكن المرّاكشيُّ شيئاً مذكوراً ولمّا يُولَدْ بعدُ إذ وُلد سنة ٦٣٤هـ وابنُ دحية إنّما مات سنة ٦٣٣هـ، فمن أين له ذاك الاتّهام وهلاّ ذكرَ من حدّثه به، وكذا الشّأنُ في اتّهامه في الرواية ورميه بالكذب لم يذكر مستندَهُ في ذلك.

يلي المرّاكشيَّ الحافظُ الأديبُ أبو الفتح اليعمريُّ المعروفُ بابن سيّد النّاس (٦٧١ - ٧٣٤هـ) في كتابه « الأجوبة على أسئلة ابن أيبك »[٢] إذ سُئل هل صحَّ أنّ أبا الخطّاب ابن دحية وضع حديثاً في قصر صلاة المغرب؟ وما سببُ انحراف الملك الكامل عليه؟ فأجاب وضمّن الجوابَ ترجمةً قيّمةً احتفظ لنا فيها بكلام أبي بكر محمّد بن يوسف الأندلسيّ الغرناطيّ المعروف بابن مُسْدِي المتوفّى ٦٦٣هـ في « معجمه » المفقود والذي ترجم فيه لمشايخه ومنهم الحافظُ ابنُ دحية، ويبدو أنّ ابن مسدي التقى به في مصر بعد أن خرج ـ أعني ابن مسدي ـ من غرناطة سنة ٦٢٠هـ فرحل إلى المشرق وسكن مصر، وكان عُمُرُ ابنِ دحية آنذاك أربعا

(١) الذّيل والتّكملة لكتابي الموصول والصّلة ٨/٢١٨ .

(٢) انظر أجوبة ابن سيّد النّاس ص ٢٤٦ - ٢٥٠ .

وسبعين عاماً، وينقلُ لنا ابنُ سيّد النّاس أنّ ابن مسدي سأل ابن دحية عن تاريخ ولادته، وهذا يعني حصول الالتقاء به، بل وحتّى بأخيه أبي عمرو عثمان الذي قال لابن مسدي: بيني وبين أخي في المولد سنتان[١].

ومن إضافات ابن مُسدي أنّه ذكر شيوخاً قدماءَ لابن دحية سمع عنهم ما بين سنة ٥٦٠هـ ـ ٥٧٠هـ كأبي بكر ابن خليلٍ وأبي الحسن اللّواتي وابن حنينٍ وغيرهم، وذكرَ أنّ هذا ليس يُنكر على ابن دحية[٢].

والحاصلُ أنّ ترجمة ابن سيّد النّاس وما أورده عن ابن مسدي لم تخلُ من إضافات لها قيمتُها العلمية، وهي تمثّل وجهةَ نظر عالمين أندلسيين عاشا في القاهرة كما عاش قبلهما مُترجَمُنا ابنُ دحية رحمةُ الله عليهم أجمعين .

يلي ابنَ سيّد النّاس عالمٌ بجائيٌّ هو أبو العبّاس أحمدُ بن أحمد بن عبد الله الغبرينيُّ (٦٤٤ ـ ٧١٤هـ) فقد ترجم لابن دحية في كتابه « عنوان الدّراية فيمن عُرف من العلماء في المائة السّابعة ببجاية »[٣]، وابنُ دحية وإن لم يكن بجائيّاً فقد مرّ على بجاية شأنَ أهل المغرب والأندلس في رحلاتهم إلى المشرق ومرورهم على حواضر العلم كتلمسان وبجاية وبُونَة، وهؤلاء داخلون في شرط الغبرينيّ إذ ضمَّ كتابُه أعلامَ بجاية ومن مرّ عليها من أهل العلم ولو كانوا مغاربةً أو أندلسيّين، وابنُ دحية من هؤلاء فقد

---

(١) انظر أجوبة ابن سيّد النّاس ص ٢٤٩ .

(٢) المصدر نفسه ص ٢٤٨ .

(٣) انظر عنوان الدّراية ص ٢٦٩ ـ ٢٧٨ .

دخل بجاية واستوطنها مدّةَ أبي عبد الله ابن يَرمُور، وروى بها وأسمعَ، وكان مُعتنى به فيها[١].

لقد امتازت التّرجمةُ بالطُّول نسبياً وغالبُ ذلك كان في آثار ابن دحية الشّعرية والنّثريّة، وخصوصاً ظاهرة حُوشيٍّ اللّغة عند ابن دحية، فقد أُولع به جدّا وأكثر من استعماله في رسائله ومخاطباته، ويذكر الغبرينيُّ أنّه رأى كثيراً من تلك الرّسائل والمخاطبات وكلُّها مغلقاتٌ مقفلاتٌ وأورد منها نموذجاً واحداً، وفي اعتناء ابن دحية بهذا النّوع من النّثر يقول الغبرينيُّ: « وكان من أحفظ أهل زمانه باللُّغة حتّى صار حُوشيُّ اللّغةِ عنده مُستعملاً غالباً عليه، ولا يحفظُ الإنسانُ من اللّغة حُوشيَّها إلاّ وذلك أضعافُ محفوظِه من مُستعمَلها، وكان قصدُه ـ والله أعلمُ ـ أن ينفردَ بنوعٍ يَشتهرُ به دون غيرِه من النّاس، كما فعلَ كثيرٌ من الأدباء حيث تركُوا طريقَ المعربِ وانفردُوا بالطّريق الآخر؛ لأنّهم انفردُوا به واشتهرُوا فيه، ولو سلكُوا طريقَ المعربِ لكانوا فيه كآحاد النّاس، وكذا الشّيخُ أبو الخطّاب ابنُ دحية الكلبيّ »[٢].

لقد كان الغبرينيُّ حسنَ الرّأيِ في ابن دحية واعتبره من كبار المحدّثين والحُفّاظ الثّقات وأثنى عليه قائلاً : « الشّيخُ الفقيهُ، الحافظُ المتقنُ، النّحويُّ اللُّغويُّ التّاريخيُّ، أبو الخطّاب عمرُ بن الحسن بن عليّ بن دحية الكلبيّ من كبار المحدِّثين، ومن الحُفّاظ الثِّقات الأثبات المحصِّلين »[٣].

---

(١) عنوان الدِّراية ص ٢٧٠ .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) المصدر نفسه ص ٢٦٩ - ٢٧٠ .

ومن إضافاته أيضاً ما ذكرهُ من وقوفه على تصنيفٍ لابن دحية في رجال الحديث لا بأس به، كما تحدّث عن علوِّ مكانته في دولة بني أيّوب « فرعَوا شأنَه، وقرّبوا مكانَه، وجمعوا له علماءَ الحديث، وحضروا له مجلساً أقرُّوا فيه بالتّقدّم، واعترفُوا له أنّه من أُولي الحفظِ والإتقان والتّفهُّم، وسمعتُ - والكلامُ للغبريني - أنهم ذكرُوا أحاديثَ بأسانيدَ حوّلوا متونَها، وأنّه أعادَ المتونَ المحوّلةَ وعرَّفَ عن تغييرها[1]، ثمّ ذكرَ الأحاديثَ على ما هي عليه من متونها الأصليّة »[2].

والحاصلُ أنّ ترجمة الغبرينيِّ لابن دحية امتازت بإضافاتٍ مهمّةٍ وأنصفت الرّجلَ إلى حدٍّ بعيدٍ، وأبانت عن مكانةٍ له في نفس الغبرينيِّ رحمة الله عليهما .

يلي الغبرينيَّ المؤرِّخُ الأديبُ أبو العبّاس أحمدُ بن محمّد بن إبراهيم بن أبي بكر البرمكيّ الإربليُّ المعروفُ بابن خَلِّكَان (٦٠٨ ـ ٦٨١هـ)، وقد ذكرَ ابنَ دحية في مواطن من كتابه « وَفيات الأعيان وأنباءِ أبناء الزَّمان » يهمُّنا منها موطنَ التّرجمة وإن كانت تلك المواطنُ المشارُ إليها ذاتَ قيمةٍ تاريخيةٍ تفيدُ الباحثَ في معرفةٍ أمورٍ هامّةٍ تتعلّق بابن دحية وبعض آثاره.

لقد ذكرَ ابنُ خَلِّكَان في ترجمته للأمير أبي يوسف يعقوب بن يوسف المغربيّ الظّاهريّ ما كان عليه من رفضٍ لفروع الفقه، وإلزام العلماء بعدم الفتوى إلاّ بالكتاب والسنّة النّبويّة، وعدم تقليد أحدٍ بل تكون أحكامُهم

(١) في المطبوع : تعبيرها ، والمثبتُ أولى .

(٢) عنوان الدّراية ص ٢٧٢ .

بما يُؤدِّي إليه احتهادُهم من استنباطهم القضايا من الكتاب والسنّة والإجماع والقياس، ثمّ قال: « **ولقد أدركنا** جماعةً من مشايخ المغرب **وصلُوا إلينا إلى البلاد** وهم على ذلك الطّريق مثل **أبي الخطّاب ابن دحية** وأخيه أبي عمرو[1] ...»[2]. وإخالُ ابنَ خلّكان لا يعني بقوله: « أدركنا » أنّه أدركه في مدينة إربل لأنّ ابنَ دحية ما دخل إربل إلاّ سنة ٦٠٤هـ كما ذكر ذلك ابنُ خلّكان نفسُه[3]، وهذا الأخيرُ ما ولد إلا سنة ٦٠٨هـ، فلعلّه يقصدُ إدراكَه في مصر لأنّ ابن خلّكان انتقل إليها وأقام فيها مُدّةً، وتولّى نيابةَ قضائها[4].

والحاصلُ أنّ ابنَ خلّكان أدرك عصر ابن دحية وكان عمرُه لّما توفّي ابنُ دحية خمساً وعشرين عاماً، لكنّه لم يُصرِّح برؤيته أو الالتقاء به وذلك ممكنٌ جدّاً، لكنّه جزماً أدرك ولدَه بل رآه وأخبره بتاريخ مولد أبيه، كما أدركَ ابنَ أخيه أبي عمرو وأخبر ابنَ خلّكان بتاريخ مولد عمِّه أيضاً.

إنّ ترجمةَ ابن خلّكان لابن دحية لم تخلُ هي الأخرى من إضافاتٍ جديدةٍ ومن ذلك ضبطُه لنسب ابن دحية بالحركات كما رآه هو بخطّ صاحبه، كما ذكر أنّ دالَ « دحية » فيها وجهان الكسرُ والفتحُ، وتحدّث عن قُدوم ابن دحية إلى إِرْبِل والتقائه بملكها وقصّة تأليف كتابه « التّنوير في مولد السِّراج المنير »، وكان ثناءُ ابن خلّكان على ابن دحية جميلاً حيث

---

(١) في المطبوع : أبي عمر ، وهو خطأٌ .

(٢) وفيات الأعيان ١١/٧ .

(٣) المصدر نفسه ٤٤٩/٣ .

(٤) انظر أعلام الزّركليّ ٢٢٠/١ .

قال: « كان أبو الخطّاب المذكورُ من أعيان العلماء، ومشاهير الفضلاء، مُتقناً لعلم الحديث النّبويّ وما يتعلّقُ به، عارفاً بالنّحو واللّغة وأيّام العرب وأشعارها »[1].

ومن إضافاته أيضاً ـ وإن كان في غير موضع التّرجمة ـ ما احتفظ لنا له من كلام ابن المستوفي الذي يبدُو أنّه ترجم لابن دحية في كتابه « تاريخ إربل » بل لقد التقى به وسأله عن معنى بيتٍ من تلك القصيدة التي اتّهم ابنُ دحية بسرقتها من الأسعد بن ممّاتي يمدحُ بها السُّلطانَ الأيُّوبيَّ الكاملَ، فأخذها ابنُ دحية وضمّنها في آخر كتابه « التّنوير في مولد السِّراج المنير » مادحاً بها مظفّر الدِّين كُوكُبُوري الذي ألّف ابنُ دحية الكتابَ من أجله، فقرأ ابنُ دحية الكتابَ والقصيدة على الملك المذكور، وأوّل تلك القصيدة:

لَوْلاَ الوُشَاةُ وَهُمُ أَعْداؤُنا ما وَهِمُوا

قال ابن خلّكان : « رأيتُ هذه القصيدةَ بعينها في مجموعةٍ منسوبةٍ إلى الأَسْعَد بن مَمَّاتي المذكور، فقلتُ: لعلّ النّاقلَ غلِطَ، ثمّ بعد ذلك رأيتُها في ديوان الأَسْعَدِ بكمالها، مدح بها السُّلطانَ الملكَ الكاملَ رحمه الله تعالى، فقوي الظّنُّ. ثمّ إنّي رأيتُ أبا البركات ابن المُسْتَوْفِي قد ذكرَ هذه القصيدةَ في تاريخ إربل عند ذِكْرِ ابن دحية وقال: سألتُه عن معنى قوله فيها :

يَفْدِيه من عَطا جُمَا دَى كَفِّه المُحَرَّمُ

فما أحارَ جواباً ، فقلتُ : لعلّه مثلُ قولِ بعضهم :

---

(١) وفيات الأعيان ٣/٤٤٩ .

تَسَمَّى بأسماءِ الشُّهورِ فكَفُّـهُ جُمادَى وما ضَمَّتْ عليه المُحَرَّمُ

قال : فتبسّمَ وقال : هذا أردتُ. فلمّا وقفتُ على هذا ترجّحَ عندي أنّ القصيدةَ للأسعدِ المذكورِ، فإنّها لو كانت لأبي الخطّاب لما توقّفَ في الجواب. وأيضاً فإنّ إنشادَ القصيدة لصاحب إربل كان في سنة ستٍّ وستّمائة، والأسعدُ المذكورُ تُوفِّي في هذه السّنة وهو مقيمٌ بحلب لا تعلُّق له بالدّولة العادليّة، وبالجملة فا للّه أعلم لمن هي منهما »[١] .

إنّ ابن دحية في هذه القصّة أخذ قصيدةً لشاعرٍ قالها في ملكٍ فادّعاها ابنُ دحية لنفسه وقالها في ملكٍ آخر، ويصعبُ القولُ بل يستحيلُ أن تتوافق الخواطرُ توافقاً كلّياً في قصيدة تامّةٍ بألفاظها ومعانيها، فلو التزم ابنُ دحية الصِّدقَ في هذا وقال لممدوحه: أقول فيك كما قال فلانٌ في ممدوحه، لسلِم من شبهة السّرقة والإغارة على أشعار الآخرين، وإن كان وقوفُنا على كتاب « التّنوير » يُعطينا تصوّراً أوضح للقضيّة وفيها إن شاء ا للّه يتجلّى إن كان ابنُ دحية عَزاها لنفسه، أو اكتفى بسَرْدِها سَرْداً مجرّداً من باب نقل الكلام دون عزوه إلى قائله كما يفعلُ ذلك كثيرٌ من العلماء والأدباء، ولا يمكننا بعد هذا أن نُبرِّىء ابنَ دحية ممّا اتُّهم به في هذه القصيدة، كما لا يسعُنا أن نُردِّد هنا مقالتَه في اتِّفاق الخواطر حيث يقول : « وكم من مظلومٍ نُسب باتِّفاق خاطره وخاطرِ غيره إلى التّلصُّص والإغارة »[٢]. على أنّ ابنَ خلّكان بعد ذلك احتفظَ بخطِّ الرَّجْعةِ وذكرَ أنّ

(١) وفيات الأعيان ١/٢١٢ .

(٢) المطرب من أشعار أهل المغرب ص ٦٩ لابن دحية .

إنشادَ ابن دحية للقصيدة كان سنةَ ٦٠٦هـ[١]، « والأسعدُ المذكورُ توفّي في هذه السّنة وهو مقيمٌ بحلب لا تعلُّقَ له بالدّولة العادليّة ـ يقصد الأيّوبيّة والملك الكامل بالخصوص ـ وبالجملة فا للهُ أعلمُ لمن هي منهما »[٢].

يلي ابنَ خلّكان الشّيخُ المؤرّخُ قطبُ الدّين أبو أحمد موسى بن محمّد اليُونينيُّ (٦٤٠ ـ ٧٢٦هـ) في كتابه « ذيل مرآة الزّمان »[٣] حيث ذكر ترجمتَه تبعاً لترجمة ولده محمّدٍ، وليس في التّرجمة جديدٌ يُذكرُ إلاّ رسالةٌ لطيفةٌ نادرةٌ من رسائل ابن دحية التي استعمل فيها حُوشيَّ اللّغة على عادته، وقد وقعت الرّسالةُ لليونينيّ فضمّنَها كلّها في التّرجمة، وشكٌّ في نسبتها لأبي الخطّاب أو أخيه أبي عمرو إذ كلاهما كان مشهوراً بهذا المسلك، وعلى كلٍّ سواءٌ كانت لهذا أو لذاك فهي لا تخرج عن دائرة آل دحية رحمهما ا للهُ تعالى.

يلي اليونينيَّ الحافظُ أبو عبد ا لله محمّدُ بن أحمد بن عبد الهادي الدّمشقيُّ الصّالحيُّ (٧٠٥ ـ ٧٤٤هـ) في كتابه « طبقات علماء الحديث » وليس فيه جديدٌ يذكرُ.

ويلي ابنَ عبد الهادي مؤرّخُ الإسلام الحافظُ أبو عبد ا لله محمّدُ بن أحمد شمسُ الدّين الذّهبيُّ الدّمشقيُّ (٦٧٣ ـ ٧٤٨هـ) الذي تحدّث عن ابن

---

(١) كذا قال والذي ذكره هو نفسُه في وفياته ٣ /٤٤٩ ـ ٤٥٠ أنّ ابن دحية قدمَ إربلَ سنة ٦٠٤هـ وهي السّنةُ التي ألّف فيها كتابَه التّنوير.

(٢) وفيات الأعيان ١/٢١٢ .

(٣) انظر ذيل مرآة الزّمان ٢/٤٢١ ـ ٤٢٨ .

دحية في كتبه « تذكرة الحُفّاظ »[١]، و« سير أعلام النبلاء»[٢]، و« تاريخ الإسلام »[٣]، و« العبر في خبر من غبر »[٤]، و« ميزان الاعتدال في نقد الرّجال »[٥]، و« المغني في الضّعفاء »[٦]، و« المشتبه »[٧].

وخلاصةُ رأي الحافظ الذّهبيّ في ابن دحية أنّه كان يراه شيخاً إماماً علاّمةً، محدِّثاً حافظاً كبيراً، رحّالةً متفنناً مُكثراً، صاحبَ فنونٍ وتوسُّعٍ ويدٍ في اللُّغة العربيّة، كثيرَ العلم والفضائل، ذا تصانيف، مع مجازفةٍ ودعاوى عريضةٍ مدحضةٍ، وعبارةٍ مقعّرةٍ مبغّضةٍ، وأنّ نسبه شيءٌ لا حقيقةَ له، وفي الحديث على ضَعْفٍ فيه حيثُ ضعّفه جماعةٌ وليس هو بالقويّ، وكان ممّن يترخّصُ في الإجازة ويطلقُ عليها « حدّثنا »، فعدّه بذلك الذّهبيُّ مدلِّساً، رغم أنّه مذهبٌ معروفٌ لمتأخّري المغاربة، كما اعتبر ما ذكره ابنُ دحية من قراءته لـ: « صحيح مسلمٍ » من حفظه على بعض شُيوخه دعوى وقال: « ولم تدخُل في الأذن دعواهُ »، ويضيف الذّهبيُّ أنّه لم يلقَ من يحدِّثه عن ابن دحية لكنّه سمع بإجازته من الحافظ شرف الدِّين الحنبليّ وابن خواجا إمام وغيرِهما.

---

(١) انظر تذكرة الحفاظ ٤/١٤٢٠ ـ ١٤٢٣ .

(٢) انظر سير أعلام النبلاء ٢٢/٣٨٩ ـ ٣٩٥ .

(٣) انظر تاريخ الإسلام ـ وفيات سنة ٦٣٣هـ ، ص ١٤١ ـ ١٤٦ .

(٤) انظر العبر في خبر من غبر ٣/٢١٧ .

(٥) انظر ميزان الاعتدال في نقد الرّجال ٣/١٨٦ ـ ١٨٩ .

(٦) انظر المغني في الضّعفاء ٢/٤٤٣٤ .

(٧) انظر المشتبه في الرِّجال أسمائهم وأنسابِهم ١/١٧٧.

ومن إضافاته أيضاً ما ذكره من كون ابن الصّلاح سمع من ابن دحية « موطّأ مالكٍ » سنةَ ٦٠٠هـ بأسانيد كثيرة جدّاً أقربُها ما حدّثه به أبو الحسن عليٌّ بن حنين الكنانيُّ وأبو عبد الله محمّد بن عبد الله بن خليل القيسيُّ، واستبعد الذّهبيُّ أن يكون ابنُ دحية قد سمعا من هاذين سماعاً وإنّما هو إجازةٌ منهما له؛ وعلّل ذلك ببعد المسافة بين ابن دحية وبينهما، وهو تعليلٌ غريبٌ من الحافظ الذّهبيّ إذ الشُّقة بين العُدوتين: عدوةِ الأندلس وعدوةِ المغرب ليست بالتي تُحيل سماعَ أندلسيّ من المغاربة أو مغربيٍّ من الأندلسيّين؛ فالرّحلة بين العدوتين كانت قائمةً على قدمٍ وساق لسماع الرُّواة وإدراك المشايخ والعلماء، وابنُ دحية كانت له رحلةٌ واسعةٌ في تلك المدن بحثاً عن الشّيوخ والمسندين، وقد تقدّم لنا قولُ ابن مسدي بأنّ سماعَ ابن دحية مِن قُدماء مشيخة الأندلس كأبي بكر ابن خليلٍ وأبي الحسن اللّواتي وابن حنينٍ وغيرهم ممّا لا يُنكر على ابن دحية[1].

إنّ تحديثَ ابنِ دحية بـ: « الموطّأ » وسماعَ ابن الصّلاح ذلك منه سنةَ ٦٠٠هـ كان وابنُ دحية قد بلغ من العمر في تلك السّنة أربعاً وخمسين عاماً، وابنُ الصّلاح في مقتبل عمره لم يُجاوز حينذاك ثلاثاً وعشرين عاماً، وهذا من فوائد تلك الإضافة التي زادها الحافظُ الذّهبيُّ.

أمّا سائرُ ما عنده فهي نقولٌ عمّن ترجم لابن دحية كابن الأبّار وابن نقطة وابن النّجّار وابن خلّكان وابن الدّبيثيّ وابن مسديّ، وقد سبق ذِكْرُ ذلك كلِّه، اللّهمّ إلاّ ما نقله عن الحافظ الضّياء الذي التقى بابن دحية و لم

---

(١) انظر أجوبة ابن سيّد النّاس ص ٢٤٨ .

يسمع منه شيئاً فقال: « لقيتُه بأصبهان ولم أسمع منه، ولم يُعجبني حالُه، كان كثيرَ الوقيعة في الأئمّة، وأخبرني إبراهيمُ السَّنْهُوريُّ بأصبهان أنّه دخل المغرب، وأنّ مشايخ المغرب كتبُوا له جَرحه وتضعيفَه(١)، وقد رأيتُ منه غيرَ شيءٍ ممّا يدلُّ على ذلك »، وكذا ما نقله عن ابن واصلٍ الحمويّ في قصّة تأليف ابن دحية « شرح أحاديث الشّهاب » بأمرٍ من الملك الكامل، وحصول التّناقض في الكتاب حين ادّعى الملكُ الكاملُ ضياعَ الكتاب منه، وسيأتي في مؤلّفات ابن دحية أنّ الذّهبيّ سقطت عليه كلمة « بلغني » كما في المصدر الأصل وهو « مفرّج الكروب » فبطلت القصّةُ من أصلها. وكذا ما نقله عن عبيدٍ الإسعرديّ حيث أثنى على ابن دحية فقال: « صاحبُ الفنون والرّحلة الواسعة، له المصنّفات الفائقة، والمعاني الرّائقة، كان مُعَظَّماً عند الخاصّ والعامّ ».

والحاصلُ أنّ ترجمة الحافظ الذّهبيّ لابن دحية حوتْ بعضَ الإضافات المهمّة، وهي تمثّل رأيَ حافظٍ مؤرِّخٍ ناقدٍ للرّجال متخصّصٍ في علم الحديث، وابنُ دحية إذا كان اتُّهم بالمجازفة في النّقل فهذه كتبُه أمامنا تشهدُ بخلاف ذلك فما من كلمةٍ ينقلها عن مؤلِّفٍ أو جملةٍ يُسطِّرُها عن عالمٍ إلاّ ونراها كذلك في المصادر المنقول عنها بلا زيادةٍ أو نقصانٍ.

أمّا الضّعفُ في الرّواية فالرّجلُ يروي بأسانيده إلى كتبٍ معروفةٍ مشهورةٍ، وأيُّ حديثٍ ينقلُه ويرويه بإسناده فهو مثبتٌ في الصّحاح أو

---

(١) تقدّم بيانُ ما في كلام السّنهوريّ من تحامل على ابن دحية وقول المقريزي: إنّ الحسدَ داءٌ لا دواءَ له.

السّنن أو المسانيد أو المعاجم أو غير ذلك، وهي كتبٌ أغنت شهرتُها عن الأسانيد إليها، لأنّها ثبتتْ بالوجادة ثُبوتاً صحيحاً لا شكّ فيه ولا مرية.

أمّا التّقعّرُ في العبارة فذاك يستعملُه أحياناً في مخاطباته ومراسلاته حيث يتعمّدُ إقحامَ حُوشيِّ اللّغة في كتابتها، أمّا غيرُ ذا فأسلوبُه في تواليفه معربٌ خالٍ من حُوشيِّ اللُّغة، سلسٌ لا يعتريه تكلُّف، ظاهرٌ ليس فيه خفاء، يفهمُه كلُّ قارىء، ويستعذبُه كلُّ من نظر فيه وتأمّل. نعم يعتدُّ بنفسه كثيراً، ويمدحُ تواليفه في كلِّ مناسبةٍ، ويبالغُ في تهويل شأن ما يذكرُه من فوائد ونوادر، ويصدِّرُ تعليقاته بعبارة رنّانةٍ فيقول: « قال ذو النّسبين »، أو : « قلتُ وأنا ذو النّسبين »، فتجد لها وقعاً في النّفس وصدى في الأذن تحسُّ من خلالها شيئاً من التّكلف ونوعاً من التّقعُّر، وإخالُ مثلَ هذه العبارات التي أكثر ابنُ دحية من استعمالها في تقرير أمورٍ سهلةٍ عند العلماء هي التي حملتهم على حكمهم عليه بالتّزيّد في الكلام والتّقعُّر في الأسلوب.

ثمّ يأتي بعد الذّهبيِّ العلاّمةُ المؤرِّخُ أحمدُ بن يحيى بن فضل الله القرشيُّ العدويُّ العُمَريُّ المعروفُ بابن فضل الله العُمَريّ (٧٠٠ — ٧٤٩هـ) في كتابه « مسالك الأبصار » حيث قال ـ مادحاً لابن دحية ـ : « وقفَ للاطِّلاعِ على كلِّ ثَنِيَّة، وهتفَ للاستطلاعِ بكلِّ قضيّة، وقادَ نافِرَ اللُّغةِ حتّى جعلَ الغريبَ قريبا، والحُوشِيَّ رَبيبا، وأَتى بها إلى الحاضرةِ قَسْراً من بادِيتِها، وقَهْراً لها في تأديتِها، فعادتْ إلى الحُسنى ورَقَّ كلامُها، ودقَّ حتّى خَفِيَ إلمامُها، وله رسائلُ حوشيّةٌ كتبَها لتدُلَّ على غزارة مادّتِه، وإنارة جادّتِه، وقد أضربتُ عن ذِكْرِها صفحاً، ولم أسمع لها صَدْحاً، لثقلِ

وطأتِها على الأسمَاع، وشدّةِ منافرتِها للطِّبَاع، كأنّها كلامُ النّائم، ونَقيق الضّفادِعِ في اللّيالي العَواتِم؛ تظنُّ أنّها ليست مركّبةً من الحرُوف، ولا دالّةً على معنى معرُوف، على أنّ له في أُخرَ ما يَخِفّ، ولكنَّهُ ممّا لا يَشِفّ، ولا يَندَى ورقُه ولا يرفّ، فلذلك ألغيتُها، وأعرضتُ عنها فما أردتُها ولا ابتغيتُها »[1].

ويلي العمريَّ المُؤرِّخُ صلاحُ الدِّين خليلُ بن أيبك الصَّفَدِيُّ (٦٩٦ ـ ٧٦٤هـ) في كتابه « الوافي بالوفيات » وقد وصفه بالحافظ العلاّمة وذكر أنّه كان بصيراً بالحديث مُعتنياً بتقييده، مُكبّاً على سماعه، حسنَ الخطّ، ذا حظٍّ وافرٍ من اللّغة ومشاركةٍ في العربيّة، وهي الصّفاتُ نفسُها التي حلاّها به ابنُ الأبّار كما سبق، وليس في ترجمة الصّفدي إضافةٌ تُذكر إذ نقل كلاماً سابقاً لابن النّجّار وابن خلّكان، اللّهمّ إلاّ ما ذكره من أنّ شخصاً من أدباء النّصارى كان يتعصّبُ لابن دحية ويَرى أن نسبَه صحيحٌ فقال تاجُ العُلاَ مُخاطباً النّصرانيَّ :

يا أيُّها العِيسِيُّ ماذا الذي ... تَرومُ أن تُثْبتَهُ في الصَّرِيحْ
إنّ أبا الخَطّابِ مِن دحيةٍ ... شبهُ الذي تَذْكُرُهُ في المسيحْ
ما فيه من كَلْبٍ سِوى أنّه ... ينبحُ طُولَ الدَّهْرِ لا يَستريحْ
أَخْرَقُ لا يُهْدَى إلى رُشْدِهِ ... كالنّارِ شَرّاً وكلامٌ كريحْ
فَرَدَّهُ اللهُ إلى غُربَةٍ ... أو هاهنا يَسْتُرُهُ في الضَّرِيحْ

(١) مسالك الأبصار في أخبار ملوك الأمصار لابن فضل الله العمري ـ نقلاً عن مقدّمة المطرب لإبراهيم الأبياريّ صفحة ض .

فقال ابنُ دحية مُجيباً :

يا ذا الذي يُعْزَى إلى هاشـم ذَمُّكَ عندي في البَرايا نُبيـحْ

ألستُ أعْلَى النّاسِ في حِفْظِ ما يُسْنَدُ عن جَدِّكُمْ في الصَّحِيحْ

يَكُونُ حَظِّي منكمُ طَعْنَكُـم في نسبٍ زاكٍ عَلِيٍّ صَرِيـحْ

وأعْجَبُ الأمرِ شَقائي بكُـم وأنّني أُحْمَى بقومِ المسيـحْ

وهنا علّقَ الصَّفدِيُّ منتصراً لابن دحية فقال :

« **والله إنّ ابنَ دحيةَ معذورٌ في هذا القول، ولكنّ حظّ الأفاضل من الزّمان هكذا ؛ سبحان من له الأمرُ** »[١].

ويلي الصّفدِيَّ المؤرِّخُ أبو محمّد عبدُ الله بن أسعد اليافعيُّ المكّيُّ (٦٩٨ - ٧٦٨هـ) في كتابه « مرآة الجنان وعبرة اليقظان »[٢]، ولا جديدَ يُذكرُ عنده إلاّ ما وصف به ابنَ دحية بالحافظ العلاّمة اللّغويّ، كما ذكرَ أنّ له تصانيفَ غرائب.

يأتي بعد اليافعيّ الحافظُ ابنُ كثيرٍ الدّمشقيّ (٧٠١ - ٧٧٤هـ) ويذكر في كتابه « البداية والنّهاية »[٣] عن ابن دحية أنّه شيخُ الدِّيار المصريّة في الحديث، وأوّلُ مَن باشر مشيخةَ دارِ الحديثِ الكامليّة بها، وينقلُ عن أبي شامةَ أنّ للشّيخِ السّخاويِّ فيه أبياتاً حسنةً، كما يذكرُ وقوفَه على كتاب ابن دحية « التّنوير في مولد السِّراج المنير » وكتبَ منه

---

(١) الوافي بالوفيات ٢٢/٤٥١ - ٤٥٥ .

(٢) انظر مرآة الجنان ٤/٨٤ .

(٣) انظر البداية والنّهاية ١٣/١٤٥ .

أشياءَ مفيدةً حسنةً، وختم التّرجمةَ بقوله: « وقد تكلّم النّاسُ فيه بأنواعٍ من الكلامِ ونسبهُ بعضُهم إلى وضع حديثٍ في قصر صلاة المغرب، وكنتُ أودُّ أن أقف على إسنادِه لنعلمَ كيفَ رجالُه، وقد أجمع العلماءُ كما ذكرهُ ابن المنذر وغيرُه على أنّ المغربَ لا يُقصر، والله سبحانه وتعالى يتجاوزُ عنّا وعنه بمنّه وكرمه ». أمّا سائرُ هذه فنقلان عن سبط ابن الجوزي وابن خلّكان وقد مرَّ ذلك.

يلي ابنَ كثيرٍ العلاّمةُ أبو الطّيب محمّد بن أحمد الحسني المكّيُّ الفاسيُّ (٧٧٥ ـ ٨٣٢هـ) ولا جديدَ عنده يُذكرُ إلاّ ما أورده من سند ابن دحية في رواية « صحيح مسلم »[١].

كما لا جديد عند أحمدَ بن عليّ بن عبد الله الدَّلْجِيّ[٢] المتوفّى سنة ٨٣٨هـ.

يلي الدَّلْجيَّ العلاّمةُ برهانُ الدِّين أبو إسحاق إبراهيمُ بن محمّد بن خليل الطّرابلسيُّ الحلبيُّ المشهورُ بسبط ابن العجميّ (٧٥٣ ــ ٨٤١هـ) في كتابه « الاغتباط بمعرفة من رُمي بالاختلاط »، ووصفه فيه بالإمام الحافظ، وأنّه مُتّهَمٌ في نقله مع أنّه كان من أوعية العلم، ثمّ نقل عن الحافظ الذّهبي أنّ ابن دحية حصلَ له تغيّرٌ ومبادىءُ اختلاطٍ؛ ولهذا السّبب عزله السُّلطانُ الكاملُ عن تدريس المدرسة الكامليّة. ثمّ يضيفُ سبطُ ابن العجميّ فائدةً نادرةً عن أبي حيّان الأندلسيّ الذي أنكرَ قولَ من ضعّفهُ يقول السِّبطُ :

---

(١) انظر ذيل التّقييد لمعرفة رواة السّنن والمسانيد ٣/٢١١ ـ ٢١٢ .

(٢) انظر الفلاكة والمفلوكون ص ١١٦ ـ ١١٧ .

« وقد رأيتُ شيخَ شيوخنا الإمام أبا حيّان[١] أنكرَ قولَ مَن ضعّفهُ في القَطْرِ الحَبِّي[٢] في أسئلة الذّهبيّ ، وا لله أعلم »[٣].

يلي سبطَ ابن العجميّ العلاّمةُ الحافظُ شمسُ الدِّين أبو عبد ا لله محمّـدُ بن عبد ا لله محمّد الحمويُّ الشّافعيُّ المشـهورُ بـابن نـاصر الدِّيـن الدِّمشـقيّ (٧٧٧ ـ ٨٤٢هـ) في كتابه « التِّبيان لشرح بديعة البيان » عند قوله :

وعمـرُ ابنُ دحية خبيـرُ   جَوّالُهـم ليِّنـهُ الكَثيـرُ[٤]

ثمّ وصفه في الشَّرح بالعالم العلاّمة الحافظ الخبير الجوّال الرَّحّـال في الطّلب، كما ذكرَ أنّه غيرُ مقبولٍ، لاتِّهامه بالمجازفة في المنقول، كمـا ذهـب إلى أنّه ظاهريُّ المذهبِ كثيرُ الوقيعةِ في الأئمّةِ بسيِّء المنقول[٥].

كما ذكره ابنُ ناصر الدِّين في كتابه الآخر « توضيح المشتبه » وليـس فيه إضافةٌ إلاّ ما ذهب إليه من كون المُلَقَّبَ بالجُمَيِّل هو جـدُّ ابـن دحيـة لا

---

(١) الإمامُ اللّغويُّ النّحويُّ المفسرُ أثيرُ الدين أبو حيّان محمّد بن يوسف بن عليّ بن يوسف بن حيّان الغرناطيّ الأندلسيّ الجيّاني (٦٥٤ ـ ٧٤٥هـ)، رحل من الأندلس واتّجه إلى المشرق واستقرّ في القاهرة كما حدث لابن دحية، وكان ظاهرياً ويقول: محالٌ أن يرجع عن مذهب الظّاهر من علقَ بذهنه، انظر ترجمته مفصَّلةً في الدّرر الكامنة في أعيان المائة الثّامنة ٤/٣٠٢ ـ ٣١٠.

(٢) ذكره أبو حيّان ومن خطِّه نقله ابن حجر كما في الدّرر الكامنة، وأشار المحقّقُ أنّه في نسخةٍ : الجنيّ ، وإخال ذلك تصحيفاً .

(٣) الاغتباط بمعرفة من رمي بالاختلاط ص ١٩ .

(٤) في المخطوط : الكبيرُ ، والصّوابُ المثبتُ . ثمّ رأيتُه كذلك في نسخةٍ للمتن طُبعت قريباً.

(٥) انظر التِّبيان لشرح بديعة البيان ل ١٤٤ ب .

والدُ جدِّه، كما أضاف أنّ الجُمَيِّلَ مصغَّرٌ على اللّغة المغربية، ولم يعرف المحقِّقُ كيفَ ذلك، وإخالُ ابنَ ناصر الدِّين يعني فتحَ الياءِ من الجُمَيَّل كما هو مسلكُ أهل المغرب اليومَ في التّصغير؛ فيقولون مثلاً في تصغير طِفلٍ طُفَيَّل، وفي كَلْبٍ كُلَيَّب، وكذا في جَمَلٍ جُمَيَّل، وهكذا.

يلي ابنَ ناصر الدِّين الإمامُ الحافظُ شهابُ الدِّين أميرُ المؤمنين في الحديثِ أبو الفضل أحمدُ بن عليّ بن حَجَرٍ العسقلانيُّ (٧٧٣ ـ ٨٥٢هـ) في كتابه « لسان الميزان » وقد ذكرَ ما في « ميزان الاعتدال » للذّهبيّ مع إضافة آراء أعلامٍ آخرين تقدّمت أقوالُهم. لكن هذا لم يمنع الحافظَ ابنَ حجرٍ أن يُضيفَ شيئاً في التّرجمة ومن ذلك ما نقله عن العلاّمة أبي حيّان الأندلسيّ ـ كما وجده بخطّه ـ حيث قال: « اشتهر بهذه البلادِ في أفواه شُبّان المحدِّثين أنّه تُكُلِّمَ فيه، ولا يبعدُ سماعُه من ابن زرقون فقد سمعَ من تلك الحلبةَ كالسُّهيليّ وغيرِه، وقد وجدتُ سماعَه بالأندلس على هذه الطّبقة التي فيها ابنُ زرقون، **ورأيُ المغاربة في أبي الخطّاب غيرُ رأي أهل ديار مصر** »[1].

ثمّ نقلَ الحافظُ ابنُ حجرٍ قولَ ابن الأبّار وابن الزّبير وابن عسكر[2] المتقدِّم ثمّ قال: « فهذا مغربيٌّ وافق المصريّين، ووافق المصريّين أيضاً من تقدّم ذِكْرُه من أهل الشّام والعراق، وممّن وافقَ إلى الطّعْنِ فيه ابنُ عبد الملك

(١) لسان الميزان ٢٩٧/٤ .

(٢) تحرّف في المطبوع إلى : ابن عساكر ، ولم ينتبه لذلك الأستاذُ الأبياريُّ في مقدّمة تحقيقه للمطرب صفحة م ، ن .

في الصِّلَـة - في قصّةٍ وقعتْ لـه مع شيخه ابن مضّاءٍ يأتـي ذِكْرُهـا في مؤلّفاتـه - »[1].

ويبدُو أنّ الحافظَ ابن حجرٍ رحمـه الله تـأثّر بـأقوال الطّاعنين في ابـن دحية رغم أنّهم أثنوا عليـه كثيراً في حفظـه وعلمـه، ولعـلّ الحـافظَ راعـى جانبَ الرّواية وضعفَ ابن دحية فيه رغم أنّ ابن دحية يروي بأسـانيده إلى كتبٍ تناقلها العلماءُ وجادةً فأغنتْ شهرتُها عن البحـث في تلـك الأسـانيد كما تقدّم بيانُه.

يلي الحافظَ ابنَ حجرٍ العلاّمةُ بدرُ الدِّين أبـو محمّدٍ محمـودُ بـن أحمـد العينيُّ (٧٦٢ - ٨٥٥هـ) في كتابـه « كشـفُ القنـاع المُرَنـى »[2] إذ ترجـم لابن دحية ترجمـةً مختصـرةً ذكـرَ فيهـا أنّـه مـن أعيـان العلمـاء في الحديـث والنّحو واللّغة، وسمّى له كتاب التّنوير، ثمّ ذكر وفاتـه، دون أن تكـون لـه إضافةٌ تُذكر في التّرجمة.

وكذا الشّأنُ مع أبي المحاسن يوسف بن تَغْرِي بَرْدِي الأتابكيّ (٨١٣ - ٨٧٤هـ) في كتابه « النّجوم الزّاهرة »[3] الذي اكتفـى بكـلامِ سـبط ابـن الجوزيّ المتقدِّم، ثمّ نقل عن الحافظ الذّهبيّ جملةً من الأعلام الذي تُوفّوا في سنة ٦٣٣هـ وذكر منهم ابنَ دحية وحَلاّه بالعلاّمة.

يلي ابنَ تغري بردي الحافظُ جلالُ الدِّين السّيوطيُّ (٨٤٩ - ٩١١هـ)

---

(١) لسان الميزان ٤/٢٩٧ - ٢٩٨ .

(٢) انظر كشف القناع المُرَنى عن مهمّات الأسامي والكُنى ص ١٨٧.

(٣) انظر النّجوم الزّاهرة في ملوك مصر والقاهرة ٦/٢٩٥ - ٢٩٦ .

الذي يبدو أنّه وقف على شيءٍ من مؤلّفات ابن دحيـة كـ: « التّنوير » و« مرج البحرين » و« المستوفى » وغير ذلك، وقد عدّهُ من الحُفّاظ فأورده في كتابه « طبقات الحُفّاظ » ووصفه فيه بالإمام العلاّمة الحافظ الكبير[١]، كما ترجم له في كتابه « بغية الوُعاة »[٢] وصفه فيه بأنّه من أعيان العلماء، ومشاهير الفضلاء، وكان مُتقناً لعلم الحديث وما يتعلّقُ بـه، عارفاً بالنّحو واللّغة وأيّام العرب وأشْعارِها »، كما ترجم له في « حسن المحاضرة »[٣] دون إضافةٍ تذكرُ.

يلي السّيوطيَّ بدرُ الدِّين محمّدُ بن يحيى القَرافيُّ (٩٣٩ ـ ١٠٠٨هـ) في « توشيح الدِّيباج »[٤] الذي اعتمد اعتماداً كلّيا على ما ذكره الغبرينيُّ في « عنوان الدِّراية » دون إضافةٍ تذكرُ.

يلي القرافيَّ العلاّمةُ الأديبُ أحمدُ بن محمّد المقّريُّ التّلمسانيُّ المتوفّى سنة ١٠٤١هـ في كتابه « نفح الطِّيب » واهتمّ بإيراد شيءٍ من نظمه ونثره ومؤلّفاته، لكن اعتمد في ذلك كلِّه على من سبق دون إضافةٍ منه في التّرجمة، إلاّ ما جاء من قوله: « تكلّم فيه جماعةٌ فيما ذكره ابنُ النّجّار، وقَدْرُه أجلُّ ممّا ذَكرُوه »[٥].

(١) انظر طبقات الحُفّاظ ص ٤٩٧ ـ ٤٩٨ .
(٢) انظر بغية الوعاة في طبقات اللّغويّين والنُّحاة ٢/٢١٨ .
(٣) انظر حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ١/٣٥٥ .
(٤) انظر توشيحُ الدِّيباج وحلية الابتهاج ص ١٥٧ ـ ١٥٨ .
(٥) نفح الطِّيب عن غصن الأندلس الرّطيب ٢/١٠٣.

يلي المقّريَّ الأديبُ الحنبليُّ أبو الفلاح عبدُ الحيِّ بن أحمد المعروفُ بابن العماد (١٠٣٢ ـ ١٠٨٩هـ) في كتابه « شذرات الذّهب » وقد وصفه بالعلاّمة الحافظ اللّغويّ الظّاهريّ المذهب، واحتفظ لنا بكلام ابن شهبة في « تاريخه » حيث أثنى على ابن دحية ووصفه بأنّه كان من أعيان العلماء، ومشاهير الفضلاء، متفنّناً في الحديث والنّحو واللّغة وأيّام العرب وأشعارها، حصّل ما لا حصّلَ غيرُه من العلم[١]، وإخالُ هذا الثّناء من ابن شهبة أخذه من ابن خلّكان فقد تقدّم نحوُ هذا الكلام عنده، وما سوى هذا الوصف فنقلٌ عن الذّهبيّ وابن شهبة.

يلي ابنَ العمادِ إسماعيلُ باشا البغداديُّ ت ١٣٣٩هـ في « هديّة العارفين » دون أن تكون له في التّرجمة إضافةٌ[٢].

هذا وقد ترجم لابن دحية بعضُ المعاصرين منهم محمّد مخلوف في « شجرة النّور الزّكيّة في طبقات المالكيّة » دون إضافةٍ تُذكرُ، وإدخالُه في هذا الكتاب مُؤذنٌ بمالكية ابن دحية في نظر مخلوف، ولم أر فيما وقفتُ عليه من مؤلّفات ابن دحية انتسابَه لمالكٍ أو للمالكيّة بل ألفيتُه ردَّ على مالكٍ والمالكيّةِ في مسائلَ عدّةٍ، نعم بعضُ من ترجم لابن دحية اعتبره شافعيّاً كابن الشّعّار، وبعضُهم ظاهرياً كابن النّجّار وابن ناصر الدّين كما تقدّم ذلك كلُّه.

وممّن ترجم له أيضاً الشّيخُ محمّد الفاسيّ في مقالٍ مفردٍ ضمن

---

(١) انظر شذرات الذهب ٥/١٦٠ .

(٢) انظر هديّة العارفين ١/٧٨٦ .

دراساتٍ وأبحاثٍ حول العصر المُوَحدي الثّالث ، وقد استهلّه قائلاً : « يُلاحَظُ في تاريخ الأدب المغربيّ أنّ كثيراً من مشاهير الكُتّاب والشّعراء والعلماء ينزحون عن وطنهم، ويقصدون بلادَ المشرق أو غيرها من البلاد الإسلاميّة طلباً للشُّهرة لأنّهم يحسّون أن مواطنيهم يبخسون حقّهم ...، ومن جملة هؤلاء النّازحين من المغرب شخصيّةٌ فَذّةٌ غريبةُ الأطوارِ أريد أن أكتب عنها اليومَ[1] وأعني بها الحافظَ الشّهيرَ أبا الخطّاب عمرَ بن دحية الكلبيَّ، وإنّنا لم نحشُره في هذا العصر الموحّدي الثّالث إلاّ لكونه تُوفّي أثناءه وإلاّ فإنّه عُمرَ عُمُراً طويلاً وعاشَ أيّامَ العصور المُوحديّة كلّها »[2].

ثمّ تطرّق الفاسيُّ إلى أصل ابن دحية وبرهن فيه أنّه مغربيٌّ سبتيٌّ نشأ ودرس بسبتة وتثقّف بها، ثمّ دخل الأندلس وولي قضاءَ دانية، ومع ذلك فإنّ أصلَ عائلة ابن دحية من الأندلس ومن دانية بالضّبط « ولكن هذا لا يهمُّنا لأنّ الأصل وإن كان له تأثيرٌ لا شكَّ فيه على عقليّة الكاتب وتفكيره فإنّه يُعَدُّ طفيفاً بالنّسبة لتأثير البيئة والنّشأة والتّثقيف، وأبو الخطّاب نشأ ودرس بسبتة وتثقّف بها قبل خُروجه من بلده لتتميم دراسته، وليس هو الكاتبُ الوحيدُ الذي يرجعُ أصلُه إلى الأندلس أو غيرها من البلاد، ولو كُنّا نعتبرُ في دراسة التّاريخ الأدبيّ الأصلَ الأوّلَ لأرجعنا كثيراً من مشاهير الأندلس والبلادِ المغربيّة كلّها ومصر والشّام للبلاد الحجازيّة إذ إليها يرجعُ أصلُ كل مَن كان ينتسبُ نسباً صحيحاً لعرب الجزيرة »[3].

---

(١) كان ذلك عام ١٣٦٧هـ - ١٩٤٨م .

(٢) ابن دحية الكلبيّ - مجلّة رسالة المغرب ، العدد ١٥ ، السّنة العاشرة ، ص ٥٣٦.

(٣) المصدر نفسه ، ص ٥٣٨ .

ثمّ تطرّق إلى أخبار ابن دحية ولاحظَ أنّه لم يحظ بمن يُعطيه حقّه من البحثِ والدَّرْسِ مع أنّ مثلَ هذه الدِّراسة المستفيضة لا تتأتّى إلاّ بعد نشرِ ما بقي من آثاره وتآليفه المبعثرة هنا وهناك(١).

ثمّ حاولَ جمعَ أسماء مؤلّفات ابن دحية وقد بلغت عنده اثنا عشر كتاباً. والحاصلُ أنّ ترجمة محمّد الفاسيّ حوت ـ على اختصارها ـ فوائدَ مهمّةً خاصّةً ما يتعلّقُ بأصل ابن دحية كما تقدّم.

كما ترجمَ له المحامي عبّاس العزّاويُّ في مقدّمة تحقيقه لكتاب ابن دحية « النّبراس في تاريخ خلفاء بني العبّاس » وهي ترجمةٌ موجزةٌ اهتمّ فيها ببيان التّاريخ في نظر ابن دحية ، كما أشاد بموسوعيته في العلوم فقال : « اشتهر المترجَمُ في ثقافاتٍ مُتعـدِّدَةٍ، عُرف بالتّاريخ، كما ذاعَ صِيتُه في الحديث، وهو من النّوابغ في الآداب والعلوم »(٢).

وعن أقوال المؤرِّخين في ابن دحية يُلَخِّص لنا المحقِّقُ رأيه فيقول: « لا أجدُ حاجةً للتّوغُّل في تاريخ ابن دحية مِن جميع الوجوه، وقد علمنا تلقِّياته للتّاريخ، ولا ريبَ أنّ أثرَه هذا يُنبيءُ عن قدرته العلميّة، وفيه تعرّض لبيان أسماء بعض مؤلّفاته خلالَ المباحث. والتّحليلُ النّفسيُّ يسُوقنا قطعاً إلى أنّه كان مِن فحول العلم والأدب، وكفى أن نُعَيِّن ما قالهُ بعضُ المؤرِّخين فيه لنتبيّن ما أحدثهُ من نفسياتٍ متعاكسةٍ **إلاّ أنّه إذا لم يكن أعظمَ من ناقديه فلا يقلُّ عنهم مكانةً** »(٣) ثمّ ذكر أقوال المؤرِّخين المتقدّمة .

---

(١) ابن دحية الكلبيّ ـ مجلّة رسالة المغرب ، العدد ١٥ ، السّنة العاشرة ، ص ٥٣٩.

(٢) النبراس في تاريخ خلفاء بني العبّاس ـ مقدّمة التّحقيق صفحة ز .

(٣) المرجع نفسه صفحة ح .

وعن قيمة النّقد الموجَّهِ إليه يقول : « لا نُريدُ أن نزكّي أو نُدافع وإنّما نُشاهدُ غالبَ النّقدِ الموجَّهِ عليه شخصياً ومجرّداً، والسّندُ في الحديث اليومَ بل في عصر المترجم زالت قيمتُه بما دُوِّنَ من كتب الحديث المتداولة، والرّجوعُ إليها سهلٌ، وفي متناول كلِّ أحدٍ، كما أنّ نقدَ الرّجال ثابتٌ في آثارٍ عديدةٍ من المتيسّر الحصولُ عليها، وإنّ الحافظةَ يطرأُ عليها بعضُ الضّعفِ من تراكم المعلومات والاضطراب في التّذكُّرِ، وهذا عيبٌ محدودٌ لا يُؤاخذُ عليه بهذه القَسْوَةِ، والنّقدُ له ميزانٌ في الجرح والتّعديل، والأمرُ ـ كما يظهرُ ـ ناشىءٌ من منافسةٍ دنيويةٍ أو اختلافٍ في الاتّجاه، وكان بعضُ أندادِه من المعاصرين يُراعون التّحزُّبَ والتّعصُّبَ بكلِّ شدّةٍ، هذا في حين أنّ صاحبَ نفح الطِّيب يذكرُ حادثَ اختبارِه وظهور قدرته العلميّة في الحديث.

والمؤرِّخون مجمعون على أنّه رجلٌ عظيمٌ، يُعَدُّ بين أكابر رجال العلم، وأعاظمِ المؤلّفين، ومشاهير الأدباء والمحدِّثين، وقد مضى الزّمنُ الذي يُقبل فيه القولُ من كلِّ قائلٍ، بل يجبُ أن يُنبَّه على جهات الغلط والنّقص، ومن راجع تاريخَ الرّجل ـ وهو موضوع بحثنا ـ علم أنّه لم يعدِل في تاريخه عن بيان النّصّ، وإيراد مرجعه في مواطن تضطربُ فيها الأوهامُ أو تلتبسُ الظُّنون، والأمورُ النّقليّة لا يُطلبُ منها أكثر من تصحيح النّقل »[1].

وممّن ترجم لابن دحية أيضاً من المعاصرين الأستاذُ مصطفى غازي أثناء مقالةٍ مُطوّلةٍ حول كتابه « المطرب في أشعار أهل المغرب »[2]، وفي

(١) النبراس في تاريخ خلفاء بني العبّاس ـ مقدّمة التّحقيق صفحة ك .

(٢) نُشرتْ في مجلّة المعهد المصري للدراسات الإسلاميّة، العدد الأوّل، السّنة الأولى، ١٣٧٢هـ ـ ١٩٥٣م، ص ١٦١ ـ ١٧٤.

أثناء ذلك ذكرَ ترجمةً مختصرةً ليس فيها جديدٌ يُذكرُ، غير أنّه تحدّث عن « المطرب » بكلامٍ نفيسٍ، وأبرز ظاهرةً مُلفتةً للانتباه عند ابن دحية وهي تنديدُه بالمشارقة ـ وبخاصّة أهل العراق ـ حين يتنقّصون من أقدار أدباء المغرب والأندلس. كما بيّن أن كتاب « المطرب » يُصوِّرُ نشاطَ ابن دحية في طلب العلم بالمغرب قبل أن توجُّهه إلى المشرق، فهو دائبُ التّنقُّل بين بلدان الأندلس وشمال إفريقية، كثير الصِّلات بالأدباء والعلماء هناك، يعنى بالرّواية والتّقييد والضّبط، ويُشارك في الحركة العلميّة بالأندلس والمغرب في النّصف الثّاني من القرن السّادس للهجرة.

كما ترجم له الأستاذُ إبراهيم الأبياريّ في مقدّمة تحقيقه كتاب « المطرب » ترجمةً رائقةً بأسلوبٍ أدبيٍّ رفيع، ومنهجٍ علميٍّ رصين، وأبرزُ شيءٍ فيها ما ذَكَرَهُ من تحليلٍ لأقوال من تكلّم فيه جرحاً وتعديلاً، قدحاً ومدحاً، كما تحدّث عن مؤلّفاته فبلغت عنده ثلاثاً وعشرين كتاباً.

وشبيهٌ بترجمة الأبياريّ ترجمةُ الأستاذ مصطفى عوض الكريم الذي حقّق هو أيضاً كتاب ابن دحية « المطرب »، لكن دون إضافاتٍ علميّة تُذكرُ.

كما ترجم له أيضاً الشّيخُ عبدُ الله كنُّون[1]، والزّركليّ[2]، وعمر

---

(١) في النّبوغ المغربي في الأدب العربيّ ١/١٦٢ ـ ١٦٣، كما ذكر شيئاً من مؤلّفاته في مواطن من كتابه هذا نبّهتُ عليها في مؤلّفات ابن دحية.

(٢) في الأعلام ٥/٤٤ .

رضا كحّالة[١]، ومحمّد ظفر الله عطاء الله[٢]، ومحمّد سليمان الفوزان[٣]، ود. رفعت فوزي عبد المطّلب[٤]، و الشّيخ محمّد زهير الشّاويش[٥]، ومن المستشرقين كارل بروكلمان[٦].

كما ترجم له د. محمّد أمحزون في تحقيقه كتاب ابن دحية « أعلام النّصر المبين في المفاضلة بين أهلي صفّين »[٧]، وردَّ في المقدّمة على من انتقدَ ابنَ دحية كابن النّجّار وغيرِه، كما حظي الكتاب بمقدّمةٍ لطيفةٍ كتبها د. سامي الصّقّار وفيها يُشيرُ إلى علاقةٍ قديمةٍ كانت تربطُه بشخصية ابن دحية أثناء أطروحته في الدّكتوراه في جامعة كمبردج ببريطانيا وكان موضوعُها « إمارة إربل في العصر العبّاسي ومؤرِّخها ابن المستوفي »، فنشأت بينه وبين إربل مودّةٌ لا تقلُّ عمّا كان منها بين ابن دحية وملك إربل، ومن هنا نشأ التّعاطفُ بينه وبين ابن دحية الكلبيّ[٨]. كما يذكرُ د.

---

(١) في معجم المؤلّفين ٧/٢٨٠ ـ ٢٨١.

(٢) في تحقيقه كتاب ابن دحية وهج الجمر في تحريم الخمر. وهي رسالته في الماجستير ـ قسم الحديث بكليّة أصول الدِّين في جامعة الإمام محمّد بن سعود الإسلامية.

(٣) في تحقيقه كتاب ابن دحية أداء ما وجب من بيان وضع الوضّاعين في رجب. وهي رسالته في الماجستير ـ قسم السنّة وعلومها بكليّة أصول الدِّين في جامعة الإمام.

(٤) في تحقيقه كتاب ابن دحية الابتهاج في أحاديث المعراج. وقد طبع في مكتبة الخانجي.

(٥) في تحقيقه كتاب ابن دحية أداء ما وجب من بيان وضع الوضّاعين في رجب. وهي نشرةٌ طبعتْ مؤخّرا في المكتب الإسلامي.

(٦) في تاريخ الأدب العربي ٥/٣٥٩ ـ ٣٦١.

(٧) طبع مؤخّرا عن دار الغرب الإسلامي ببيروت .

(٨) انظر أعلام النّصر المبين ـ المقدّمة ص ٦ ـ ٧ .

سامي الصّقّار أنّه قبل مطالعة كتاب ابن دحية « أعلام النّصر المبين » كان « يشكُّ بعضَ الشّيءِ في مصداقية ابن دحية متأثِّراً بما قاله بعضُ المؤرِّخين المسلمين، ولا سيما بعد أن اتّهمهُ المؤرِّخُ الكبيرُ ابنُ خلّكان بأنّه انتحلَ لنفسه قصيدةً هي لغيره. أمّا بعد قراءتي لهذا الكتاب الذي وجدتُ فيه أبا الخطّاب وكأنّه يغترفُ بحرّيةٍ واضحةٍ من بحار العلم حديثاً وأدباً وتاريخاً ولغةً، ويتصرّفُ بها تصرّفَ المالكِ لزمام الموقف بدون تهيُّبٍ أو تردُّدٍ أو تعثُّرٍ، أقول: إنّي بعد هذا اقتنعتُ بعلوِّ شأن أبي الخطّاب واستحقاقه للمشيخة والتّقدّم، وصرتُ أعتقدُ أنّ الملكَ الكاملَ الأيّوبيّ كان على صوابٍ يومَ بنى لابن دحية دارَ الحديث الكامليّة، وأسندَ إليه مشيختَها »[1].



(١) انظر أعلام النّصر المبين ـ المقدّمة ص ٨ .

ثانياً

تراثُ الحافظِ
ابنِ دِحية الكَلْــبيّ

(مُؤَلَّفَاتُه)

مَدْخَلٌ :

لقد اهتمّ الحافظُ ابنُ دحية بالتّصنيف، فترك مؤلفاتٍ قيّمةً دلّت على سعةِ اطّلاعِه وحفظه، وتنوّعِ معارفه العلميّة، وظهر ذلك جليّاً في مسلك الاستطراد الذي غلب على تصانيفه، بحيث يجمعُ في الكتاب الواحد فوائدَ كثيرةً في علومٍ شتّى من تفسيرٍ وحديثٍ وتراجمَ وتاريخٍ وفقهٍ ولغةٍ، إلى غير ذلك من أمورٍ لها صلةٌ وثيقةٌ بحياته العلميّة، كالحديث عن شُيوخه ورحلاته ومرويّاته وما يملكُه مِن كتبٍ مع وصفٍ دقيقٍ لمجلّداتها وأجزائها، ولم يُخْلِ ذلك من الحديث عن المِلكِ الكامل الذي يُمكننا القولُ أن ابنَ دحية كتبَ أغلبَ مُؤلّفاتِه إجابةً لرغبةِ هذا المِلك الشّغُوفِ بالعلم وأهلِه، ومما يدلُّ على هذه الرّغبة حرصُه على سماع مؤلّفات ابن دحية، فقد ذكرَ ابنُ النّجّار المعاصرُ لابن دحية أنّه كان يقرأُ على السُّلطان شيئاً مِن مؤلّفاته فقال : « حضرتُ معه مجلسَ السُّلطان مِراراً، وكان يحضر في كل جُمعةٍ فيصلّي عند السُّلطان، ويقرأ عليه شيئاً من مجموعاتِه »[1].

---

(١) نقله ابن حجر في لسان الميزان ٤/٢٩٥.

إنّ ظاهرةَ استطراد ابن دحية في الحديث عمّا له صلةٌ به ساعدَ كثيراً في استجلاء جوانبَ مهمّةٍ من حياته العلميّة كانت تخفى لولا حديثُه عنها، وهي جوانبُ لها قيمتُها العلميّةُ لكونها صدرتْ عن المؤلِّف نفسِه.

لقد جاوزتْ تصانيفُ ابن دحية الثّلاثين كتاباً عالج فيها موضوعاتٍ شتّى، حظي الغالبُ منها بالحديث عن المصطفى ﷺ: مولدِه، ونسبِه، وأسمائِه، وخصائصِه، ومُعجزاتِه، ومِعراجه، وعصمتِه، وشرفِ أعضائه، وحوضِه، وشرحِ بعضِ حديثِه، وفضلِ مَن تمسّكَ بسُنّته، والتّحذيرِ ممّا وُضع وكُذب عليه، والقسمُ الآخر تناولَ فيه موضوعاتٍ شتّى عالج فيها بعضَ القضايا العقديّة والشّرعية والعلميّة واللُّغويّة والأدبيّة والأخلاقية والتّاريخية والسّياسية ونحو ذلك؛ ممّا يؤكّدُ بشكلٍ ظاهرٍ الموسوعيّةَ التي كان يتّصفُ بها الحافظُ ابن دحية، وهي موسوعيّةٌ لم تقتصر على المادّة العلميّة المتنوّعة في كتابٍ واحدٍ، لكنّها تعدّت حتّى شملتْ عناوينَ كتبهِ الكثيرة.



ثناءُ العلماء على تصانيف ابنِ دحية

لقد أثنى العلماءُ على تصانيف الحافظ ابن دحية :

قال ابن النّجّار : « له كتبٌ نفيسةٌ »(١).

وقال عُبيد الإسْعَرْدِي: « له المصنفات الفائقة، والمعاني الرّائقة »(٢).

وقال منصورُ بن سليم الإسكندرانيّ: « له تصانيفُ حسنةٌ »(٣).

وقال ابن سيد النّاس اليعمري : « وله تواليفُ تشهد باستطلاعِه، وكثرة اطّلاعِه »(٤).

وقال الذّهبيّ : « وله تواليف تشهد باطّلاعِه »(٥).

ولّما ذكر ابنُ الملقّن مصادرَه في كتابه « البدر المنير » عَدَّ منها خمسةً لابن دحية ثمّ قال : « وغيرها مِن مؤلّفاته المفيدة »(٦).

---

(١) التاريخ المجدّد لابن النّجّار مخطوط باريس ٢١٣١ و٩٧ فيما نقله د. مصطفى جواد في حاشية المختصر المحتاج إليه من تاريخ الحافظ ابن الدّبيثيّ ٩٩/٣، وانظر كلامَ ابن النّجّار أيضا في لسان الميزان ٢٩٦/٤ لابن حجر.

(٢) نقله الذهبي في السير ٣٩٤/٢٢، وتاريخ الإسلام وفيات ٦٣٣هـ، ص١٤٥.

(٣) الذّيل على تكملة الإكمال رقم : ٣٤٩، ٨٨٩ لمنصور بن سليم الإسكندرانيّ.

(٤) أجوبة ابن سيّد النّاس عن أسئلة ابن أيبك ص ٢٤٩.

(٥) ميزان الاعتدال ١٨٨/٣.

(٦) البدر المنير ٣٨٦/١.

وقال المقّريُّ : « صنّف كتباً كثيرةً مفيدةً جدّاً »[١].

وقال أحمد بن عليّ الدَّلجيُّ : « كان له التّصانيف الفائقة »[٢].

وقال عبد الله كنّون : « ولأبي الخطّاب تآليفُ مفيدةٌ »[٣].

وقد كانت هذه المؤلّفاتُ محلَّ اهتمام أهل العلم، فطلبَ إجازةَ روايتِها جماعةٌ من أهل « بَلَنْسِيَةَ » قال ابنُ الأبّار ـ في ترجمة ابن دحية ـ : « وله تواليف... كتب إليّ مع جماعةٍ مِن أصحابنا أهلِ بَلَنْسِيَةَ بإجازة جميعِ ما رواه وصنّفه »[٤].

ومع هذا الثّناء الطّيّب على تصانيف ابن دحية نَرى الحافظَين الذّهبيَّ والسّخاويَّ يُشيران إلى أشياءَ تُنقم عليه فيها فيقولان : « وفي تواليفه أشياءُ تُنْقَمُ عليه من تصحيحٍ وتضعيفٍ »[٥]، وهما بهذا يُلمحان إلى ظاهرةٍ بارزةٍ في تآليف ابن دحية وهي الكلامُ في الأحاديثِ تصحيحاً وتضعيفاً، والرّجالِ تعديلاً وتجريحاً، وذاك شيءٌ كان ابنُ دحية حريصاً عليه أشدَّ الحرص، حتّى إنّه كان ينحي باللاّئمة على من يُهمل بيانَ الصّحيح من الضّعيف كما في قولِه : « وحديثُ الهُدْهُدِ ذكره القصّاصُ ومَن لا ينظرُ في صحيحٍ ولا سقيمٍ، ولا يفرق بين نَسْرٍ وظَلِيم »[٦].

---

(١) نفح الطّيب ٢ / ١٠٤ للمقّري .

(٢) الفلاكة والمفلوكون ص ١١٦ للدّلجيّ .

(٣) النّبوغ المغربي ص ١٦٣ لعبد الله كنّون .

(٤) التّكملة لكتاب الصّلة ٣ / ١٦٥ لابن الأبّار .

(٥) ميزان الاعتدال ٣ / ١٨٨ للذهبي، والأجوبة المرضيّة ل ٨٠ / أ للسّخاويّ.

(٦) العلم المشهور ١٥٠ / ب لابن دحية ، والظّليمُ : ذَكَرُ النّعَامِ.

وهـذا الـذي انتقـده الذّهـبيُّ والسّـخاويُّ علـى ابـن دحيـة شـيءٌ لا يُستغرب مع العلماء المكثرين من التّصنيف، وهذا ابنُ دحية نفسُه ينتقد ابنَ عبد البرّ بمثل ما انتقد به الذهبيُّ والسّخاويُّ ابنَ دحيةَ فقـال : « وكـم لـه على تواليفه ـ على جلالة قـدره ـ مِن أحاديثَ حكم بصحّتها وهـي أوهـى مِن نسج العنكبوت »[1]، كما اشتدّ نكيرُه على الحافظ الفقيه أبي بكر بـن العربي المالكيّ حين عَزا حديثاً لمسلمٍ وليس فيه فقـال : « انتهـى مـا قـال، والله يغفرُ له على هذا المقَال، فإنه نسبَ إلى صحيـح مسـلمٍ مـا ليـس فيـه أصلا ، كأنّـه مـا قـرأ صحيـحَ مسـلم ولا طالعَـهُ ولا روَاه ، والله يُسـامحنا وإيّـاه »[2].

ومما يحسنُ ذكرُه هنا أيضا ما وصف به اليـافعيُّ تصـانيفَ ابـن دحيـة حيث قال : « وله تصانيف غرائـب »[3]، ولم يُسـعِفنا بتفسـير الغَرابـة الـتي لاحظها على تصانيفه، ولعلّهُ يشير بهـا إلى ظـاهرة الاسـتطراد الـتي غلبـت على تصانيف ابن دحية غلبةً تجعلُ القارئَ يشعرُ أحيانـا بقلقٍ واضطـرابٍ بسبب الانتقال المفاجئ من قضيّـةٍ إلى أخـرى دون رابـطٍ قـويٍّ ضـروريٍّ يصلُها بسابقتها، لكنّه استطرادٌ لم يخلُ ـ كما سبق ـ مِن فائدةٍ.

---

(١) العلم المشهور ١٥٦ / أ.

(٢) المصدر نفسه ل ٧٨ / ب.

(٣) مرآة الجنان ٤ / ٨٤ لليافعيّ .

المصادرُ التي اهتمّتْ بإحصاءِ مُؤلّفاتِ ابن دحية

إنّ الحديث عن تآليف ابن دحية يَستوجبُ بيانَ المصادر التي اهتمت بإحصائها ، وهي في الجملة أربعةٌ :

الأوّل : ما يذكره ابنُ دحية نفسُه في مؤلّفاته حيث يحيل - إذا أوجز الكلامَ على مسألةٍ - إلى مؤلّفٍ له فيها أفردَ فيه بحثَها، أو تناولَها عَرَضاً في مؤلّفٍ آخر، مع مُلاحظة أنّ ابنَ دحية كان يُشيرُ أحياناً إشارةً مُجْمَلَةً إلى مُؤلّفاتِه دون التّصريحِ بأسمائِها كقولِه: « وقد كان تقدّمَ لي في التّأريخ **تواليفُ كثيرَة**، ومصنّفاتٌ مأثورةٌ وأثيرَة »[1]، وقوله: « أمّا بعدُ فإنّ الواجبَ الاشتغالُ بكتاب الله المُنْزَل، وبما صحّ من سنّة النّبيّ المُرْسَل؛ فإنّهما الأصلان اللّذان يُقرِّبان إلى الله تعالى بالقول والعمَل، وقد **ألّفتُ في ذلك كتباً عديدَة**، قطعتُ لها من العُمُر مُدّةً مديدَة »[2].

ولا يخفى ما لهذا المصدر من أهميّةٍ علميّةٍ خُصوصاً ما يتعلّق بتحديد عناوين كتبه تحديداً يَقضي على كلِّ خلافٍ في التّسميّة بين المترجمين، ذلك أنّ المؤلّف أدرى بعنوان كتابه خاصّةً إذا أحال عليه ذاكراً في الوقتِ نفسِه أنّه سمّاه كذا وكذا.

---

(١) النّبراس في تاريخ خلفاء بني العبّاس ص ٣.

(٢) الآيات البيّنات ل ١ / ب .

ويزيدُ هذا المصدرَ أهمّيةً كونُـه ينفـرد بذكـر أسمـاء مؤلفـاتٍ يُغفلها المترجمون الذيـن يهتمّـون في الغـالب بذكـر أهـمِّ المؤلّفـات وأشـهرها دون الاستقصاء لجميع مؤلفات صـاحب التّرجمـة؛ رغـم أهميّـة ذلـك في إعطـاء صورة واضحةٍ لتراث المؤلِّف.

الثّاني : الكتب التي ترجمت لابن دحية.

الثّالث : ثَبَتٌ قَيِّمٌ حَوى عدداً من أسمـاء مؤلفـات ابـن دحيـة ذكـره ناسخُ كتاب ابن دحية « نهاية السُّول في خصائص الرّسول » مُلْحَقاً بـآخر نصِّ الكتاب.

الرّابع : مصادرُ أخـرى استفادَ أصحابُها مباشـرةً أو بواسـطةٍ مـن تآليف ابن دحية مع التّصريح بأسمائها.



ذِكْرُ مُؤَلَّفَاتِ
الحافظِ ابن دحية الكَلْبِيّ

ذِكْرُ مؤلَّفاتِ
الحافظِ ابن دِحية الكَلْبيّ

وإليك أخي القارئ أسماءَ ما تيسّرتْ معرفتُه مِن مؤلفات الحافظ ابن دحية رحمه الله ، مراعيا في ذلك ترتيبَها ترتيبَ حُروفِ المعجم :

١ ـ الابتهاج في أحاديث المعراج :

خلت المقدّمةُ عن تَسمية الكتاب كما جرت به عادةُ المؤلِّفين، غير أنّ ابنَ دحية سمّاهُ هكذا في كتابيه « العلم المشهور »[١] ، و« أداء ما وجب »[٢] ، وأشار إليه الزّركشيُّ في « النّكت »[٣] ، و السَّخاويُّ في

---

(١) العلم المشهور ل ٨٠ / ب .

(٢) أداء ما وجب من بيان وضع الوضّاعين في رجب ص ٨١، وعنه أبو شامة المقدسي في كتابه الباعث على إنكار البدع والحوادث ص ٢٣٣.

(٣) انظر النّكت على مقدّمة ابن الصّلاح ١/٣٦٦ ونصّه: « وقد ذكر ابن دحية في كلامِه على أحاديث المعراج أنّ فيه ـ أي مسند أحمد ـ أربعين ألفاً بزيادات ابنِه عبد الله »، وعلّق محقّقُ الكتاب د. زين العابدين بن محمّد بلافريج حفظه الله على كلام ابن دحية الذي نقله الزّركشيّ فقال: « لعلّ كلامَه ـ أي ابن دحية ـ هذا في كتابه خصائص الرّسول ﷺ ومنه نسخةٌ في دار الكتب المصرية »، فأقول: بل كلام ابن دحية هذا مذكورٌ في كتابِه الابتهاج في أحاديث المعراج ص ٤٢.

« الإعلان بالتّوبيخ »[١]، وقد اختصر صاحبُ الثَّبَت اسمَ الكتاب فقال : « الابتهاج في المعراج »[٢]، ولا شكَّ أنّ ابنَ دحية قد أعطى عُنوانا محدَّداً لكتابه فتكون تسميتُه السّابقةُ أولى ولا عبرةَ بما خالفها.

ويحدّثنا ابنُ دحية في المقدّمة أنّه أسفر به عن وجه الحقائِق، وكشف عن قناع الدّقائِق، وامتدحَهُ كما جرت عادتُه في كتبه بأنه لم يُجاره في ميدانه مُجارٍ، ولا باراه في مِضماره مُبارٍ، كما بيّنَ أنّ المعراج كان بالرُّوح والجسد، واستغرق في تأليفه مُدّةً يسيرةً رغم كثرة فوائده، وهو يُشير بذلك إلى قدرةٍ في التأليف، وتمكّنٍ في خوض مشكلات المسائل، فقال رحمه الله تعالى :

« أمّا بعدُ ؛ حمداً لله على نعمه التي لا تُحصرُ ولا تُحصَى، وصلواتُه على عَلَمِ هدايته محمّدٍ وآلِه الذي أمرَ باتّباعه وطاعته ونهى عن أن يُخالف ويُعصَى، ودلَّ على شرف منزلته بقوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ المَسْجِدِ الحَرَامِ إِلَى المَسْجِدِ الأَقْصَا﴾، ورضوانُه على أهل بيته وأصحابه الذين مناقبُهم أكثرُ مِن أن تُستقصَى.

فإنّ هذا الكتاب يُسْفِرُ عن وجوه الحقائِق، ويَكشف عن قناع الدّقائِق، ويُوضحُ مستقيمَ المنهاج، في أحاديث المعراج، على نحوٍ ما جاراني في ميدانه مُجار، ولا بَاراني في مِضماره مُبار، فرّقتُ فيه بين الصّحيح

(١) انظر الإعلان بالتّوبيخ لمن ذمّ التّاريخ ص ١٦٧.

(٢) انظر نهاية السّول في خصائص الرّسول ﷺ ص ٥٠٣.

والسّقيم، وسلكتُ منهاجاً هو في صفة المستقيم، وحَلَلْتُ عُقدَ المشكِلات، ورددتُ بالبراهين على الشُّبهات، وبيّنتُ أن ذلك كان بالرُّوح والجسد، وكشفتُ حقيقةَ الأمر في غاية المدى ويسير الأمَد، وهو على ذلك كبيرُ الفوائد والمَدَد، كثيرُ الإفادات في يسير المُدَد، وأحسنتُ الكلامَ في مذهب المحقِّين، وأحسبتُ[١] في الرّدّ على المبطلين »[٢].

وبيّن ابنُ دحية في آخر الكتاب أنه ألفه تلبيةً لرغبة مَن أُلِّف باسمه ورُفع برَسْمِه، وهو يشيرُ بذلك إلى الملك الكامل الذي جرت عادةُ ابن دحية بمثل هذا المدح والثّناء على هذا الملك في أوائل كتبه وأواخرها، ولم ينسَ ابنُ دحية أن يضمَّ إلى مدحِ الملكِ مدحَ كتابه مُبَيِّناً أنه لا يُغني عنه في فنِّه كتابٌ آخرُ فقال رحمه الله تعالى :

« جاء هذا الكتابُ ـ بسعادة مَن أُلِّفَ باسمِه، ورُفع برَسْمِه ـ بديعاً في معناه، لا يُغني كتابٌ في فنِّه مغناه ».

ثمّ أورد ابن دحية ثمانيةَ أبياتٍ شعرية يقولُ في السّادس منها :

فخُذهُ يا عزَّ مُلوكِ الوَرَى　　　بديع معنىً لفظه جوهرُ[٣]

والكتاب له ـ فيما علمتُ ـ نسختان اثنتان :

---

(١) أَحْسَبْتُ : أي كفيتُ، يقال: أعطاني فأحسبني، أي كفاني (هامش المخطوط) كما نقله محقّقُ الكتاب.

(٢) الابتهاج في أحاديث المعراج ص ٥.

(٣) المصدر نفسه ص ١٥٢.

الأولى : في مكتبة الأوقاف بالسّليمانيّة ٩٩/١ [ت ٢٨٩]، تقع في ٨٢ لوحة، نسخت عام ٦٦٦هـ.

الثّانية : في كوبرلي ١٢٥/١ [٢٣٢]، في ٦٦ لوحة، نسخت عام ٧٢١هـ[١].

وقد حقّق الكتاب وخرّج أحاديثَه الدّكتورُ رفعت فوزي عبد المطّلب[٢]، واعتمد في تحقيق نصّ الكتاب وخدمة الحياة فيه على نسخة كوبريلي بتركيا التي نسخت عام ٧٢١هـ، رغم وجود نسخة السّليمانية الأقدم نسخاً إذ كُتبت بعد وفاة المصنّف بثلاثٍ وثلاثين سنةً.

٢ ـ أداءُ ما وجب من بيان وضع الوضّاعين في رجب :

هكذا وردت تسميتُه في نسختين خطّيتين إحداهما عليها سماعٌ وقراءةٌ على المؤلِّف، وكذا سمّاه أبو شامة المقدسيُّ في « الباعث »[٣]، وقريبٌ جدّاً من هذه التّسميةِ ما ذكره ابنُ الشَّعّارِ حيث قال: « أداء ما وجب في بيان وضع ما ورد في رجب »[٤].

---

(١) انظر فهرس الحديث ـ مؤسّسة آل البيت ١٦/١، رقم : ١٨. مع ملاحظة أن اسم الكتاب في الفهرس هو: الابتهاج في حديث المعراج، ونبّهُوا أنّه في نسخة كوبريلي: المنهاج، وأحالوا على فهرسها.

(٢) نشرته مكتبة الخانجي، ط الأولى ١٤١٧ هـ = ١٩٩٦م.

(٣) انظر الباعث على إنكار البدع والحوادث ص ١٦٧، واختصر تسميةَ الكتاب في ص٢٣٤ ونقل منه نصّاً مطوّلاً.

(٤) انظر عقود الجمان في شعراء هذا الزّمان نقلا عن تراجم مغربية من مصادر مشرقية ص٧٨ للدّكتور محمّد بن شريفة، غير أنّه تحرف فيه قوله : « أداء » إلى « آداب ».

وقد حقّق الكتابَ محمّدُ بن سليمان الفوزان[١] ، واعتمد في تحقيقه على ثلاثِ نُسخٍ خطّيّةٍ اثنتان مُستقلّتان وفيهما ديباجةُ المؤلِّف، والثّالثةُ تقعُ ضمن كتابه الكبير « العلم المشهور » لكنّها خاليةٌ مِن الدِّيباجة، فلعلّ ابنَ دحية كَتبَ أوّلاً « العلم المشهور » ثم استلّ منه ـــ مع إضافات أخرى ـ كتابه « أداء ما وجب »، أو كتب هذا الأخيرَ أوّلا ثمّ ضمّنهُ في « العلم المشهور »، ويظهرُ أنّ الاحتمال الثّاني أقوى بدليل التّسميةِ المحدَّدَةِ التي ذكرها أبو شامة[٢] وابنُ الشّعّار[٣] للكتاب، ممّا يَعني أنّه كتابٌ مستقلٌّ بذاتِه.

إنّ أقدمَ نُسخِ الكتابِ النّسخةُ المحفوظةُ بمكتبة الشّيخ سليمان بن صالح البسّام الخاصّة بعنيزة[٤]، وهي نفيسةٌ للغاية، كُتبت في عهد المؤلّف سنة ٦٢٥هـ[٥]، وعليها سماعٌ وقراءةٌ وإجازةٌ وفيما يلي نصٌّ ذلك كلِّه :

---

(١) في رسالته الماجستير بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلّيّة أصول الدّين، قسم السُّنة وعلومها ، وذلك في عام ١٤٠٤هـ ـ ١٤٠٥هـ.

(٢) حيث قال : « وذكر أبو الخطّاب في كتابه أداء ما وجب... » ففيه تصريحٌ بعزو الكتاب لابن دحية ممّا يعني أنّه كتابٌ مستقلٌّ.

(٣) انظر عقود الجمان في شعراء هذا الزّمان نقلا عن تراجم مغربية من مصادر مشرقية ص٧٨ للدّكتور محمّد بن شريفة.

(٤) ومنها صورة في جامعة الإمام محمّد بن سعود الإسلاميّة بالرّياض.

(٥) يمكن إذاً القولُ أنّ ابن دحية ألّف هذا الكتاب قبل سنة ٦٢٥هـ أو فيها على أبعدِ تقديرٍ، وحينئذٍ يكون قد بلغَ من العُمُرِ تسعاً وسبعين عاماً على اعتبار أنّ ولادتَه كانت سنة ٥٤٦هـ رحمه الله رحمةً واسعةً.

« سَمِعَ جميعَهُ على مُؤلِّفِه الإمامِ الحافظِ السّيّدِ الشّريفِ، سلطانِ العلماء، عالمِ الخافقين، مجدِ الدين، ناصرِ حديث رسول رب العالمين، قامعِ البدعة، ومحيي السُّنّةِ، حَكَمِ الرُّواة، أقضى القضاةِ، ذي النّسبين الطّاهِرَين، فريدِ وقتـه، ووحيدِ عصره، نسيبِ أمير المؤمنين أدام ا للهُ أيّامَه، الفقيهُ الأجلُّ، العالِمُ المفتي جمالُ الدينِ تاجُ المتفقّهين أبو الفضل الحسنُ بن القاضي الأجل المرتضى العَدْلِ الأمينِ وجيهِ الدين أبي عبد ا لله محمّدِ بن أبي عمروٍ، وقرأ بعضَه، وأجاز له أن يَرويهُ عنه بحق هذا السّماعِ الشّاملِ لجميعه وقراءة بعضِه، نفعه ا للهُ وإيّانا في دُنياه ويومَ عَرْضِه.

وأجاز له مع ذلك روايةَ جميعِ ما يرويه على اختلاف الروايات، وجميع ما له مِن المصنّفات، وما جمعتْهُ رِحلتاه شرقاً وغرباً، وعجماً وعرباً، مِن العلومِ وفنونِه، وأخبارِه وعيونِه، إجازةً عامّةً شاملَة، مُنسحبةً على ذلك كاملَة؛ أمتعَ ا للهُ المجيزَ ونفع المُستجيز، إنّه القويُّ العزيز.

وكتب في تاسع من رمضان سنة خمسٍ وعشرين وستمائة عن إذن المُجيز، لا زالت كبارُ العلماءِ تلامذتَه، وأعيانُ الفقهاءِ مُقتبسين فائدتَه، والحمدُ لله وحده.

الأمرُ على ما ذُكِرَ، وكتبَ أصغرُ عَبيدِ ا لله ذو النّسبين بخطِّه في تاريخه، حامداً ا لله حقَّ حمدِه، ومُصلّياً ومُسَلّماً على سيد ولدِ آدمَ محمّدٍ رسولِه وعبدِه، وعلى آله وصحبه مِن بعدِه »[١].

---

(١) أداء ما وجب ـ الدّراسة ص ٣٩ ـ ٤١.

أمّا النّسخةُ الثّانيةُ المستقلّةُ فهي منقولةٌ عن نسخةٍ منقولةٍ عن نسخةِ المؤلِّفِ وذلك بتاريخ ٥ رجب ١٢٨٢هـ وفي ذلك يقول النّاسخُ: « نقلتُه مِن خطِّ ذي النّسبين رحمه الله تعالى حرفاً بحرفٍ، وأنا الفقيرُ إلى الله سبحانه أحمد بن إبراهيم بن عيسى... »(١).

موضوعُ الكتابِ وسببُ تأليفِه :

تكفّل ابنُ دحية ببيان ذلك حيثُ قال في أوّله :

« الحمدُ لله الذي رفعَ لحديثِ محمّدٍ المصطفى عبدِه ورسولِه لواءً مَنشُورا، وأطلعَ على الأبصارِ والبصائرِ مِن مُعجزاتِه أهلّةً مُشْرِقةً وبُدُورا، وجعلَ عاقبةَ أهلِ الصِّدقِ علوّاً دائماً وظُهُورا، وعمر بتصانيفهم عيناً قريرةً وقلباً مسروراً، ووضعَ لهم في رقابِ الكذّابين سيفاً في ذات الله ناصراً منصوراً، وأبانَ بشِفَارِ الدِّين قوماً كانوا بالضّلالةِ بُورا، ورَدَّ ناكِصاً على عَقبيه مَن سوّلَ له الشّيطانُ الكذبَ عليه بما يعدُه وما يعِدُه الشّيطانُ إلاّ غرورا. والصّلاةُ على سيِّدِ ولدِ آدم محمّدٍ رسولِه الكريم، ذي الخُلُق والشّرفِ الصَّمِيم، الذي غدا به دَمُ الشِّركِ مَهدُورا، ودابرُه مَقطُوعاً مبتُورا، فهدم مِن الباطلِ سقفاً مرفُوعا، وبيتاً معمُورا، وعلى آلِه وأصحابه الذين غَدا بهم حزبُ الشّريعةِ موفُورا، وجَمْعُ الشِّركِ مغلوباً مقهورا، فهُم خيرُ النّاس وخيرُ القرون، وكِلا الخيرين لهم خيرٌ مقرُون.

(١) أداء ما وجب ـ الدّراسة ص ٤٢. وذكر المحقِّقُ أنّ هذه النّسخة محفوظة في مكتبة جامعة الملك سعود تحت رقم : ١٦٦٥ .

قارعوا دون رسول الله ﷺ البُهَم، وبايعوه على الموتِ الأَحْمَرِ فصدَقوا البيعَ ووفّوا الذِّمَم، و لم يقُولوا: اذهب أنتَ وربُّك فقاتلا كما قال مَن تقدّم، فكانوا خلفاءَ الخَلْق، وفَتَحةَ الغربِ والشَّرْق، وقد نطقَ بفضلهم القرآن، وقام الدّليلُ القاطعُ على عَدالتهم والبُرهان، وهم الذين أمرهم بالتّبليغِ عنه ففعلُوا ذلك مُحتسبين ناصحين، حتّى كمُل بما نقلوه الدين، وثبتتْ حجّةُ الله على جميع المسلمين.

وقد أخبرَ الله جلّ جلالُه أنّه رضي عنهم، وأنزلَ السّكينةَ عليهم، فقد صحّتْ لهم العصمةُ مِن تعمُّدِ الفسوقِ على رغم كل رافضيٍّ مُعانِد، إذ لا تجتمعُ السّكينةُ والفسقُ في قلبٍ واحِد.

ولّما كثُر اختلافُ النّاسِ في هذا الشّهرِ المُسمّى برجَب، وقلّ العارفُ به المُتكلِّمُ فيه بما وجَب، حتّى قال بعضُهم في نهارِه بفضيلةِ صيامِه، ونزعَ بعضُهم في ليله إلى الاعتناءِ بقيامِه، وجعله مَن لا يَدري مُفضَّلاً على الشُّهور، وزاده فضيلةً على الأربعةِ الحُرُمِ في المذكُور.

ولّما كثُر الخَبْطُ في ذلك بين العَوَام، و لم يكن مِن الخواصّ مَن يعرفُ ما فيه مِن الكلام، تعيّن في شرعِ الله عليَّ، مِن جهةِ ما أُلقيَ زِمامُه مِن العلم إليّ، أن أخصَّ هذا الشَّهْرَ بما فيه، وأتكلّمُ على جملةِ معانيه، بما يَجمعُ بين الشّرحِ والتّفسِير، وذِكْرِ ما صحَّ عن البشير النّذِير، رفعاً للكذب عن رسول الله عليه الصّلاةُ والسّلام، وعملاً بمقتضى ما اقتضاهُ الكَلام.

ثمّ جعلتُه لخدمةِ المقامِ السّلطانيّ المَلَكِيّ النّاصريّ سلطان الإسلام والمسلمين، سيد الملوك والسّلاطين، مُحيي سُنّة سيّد المرسلين، ومُظهر

العَدْلِ في العالمين، ناصر الدّنيا والدين، مولانا الملك الكامل خليل أمير المؤمنين، أدامَ الله أيّامَه وأعلا مقامَه مخصُوصا، وبالدُّعاءِ لدولتِه ناصّاً وبالثّناءِ عليه منصُوصا؛ لأنّه أشرفُ الملوكِ قَدْرا، وأكملُهم في سماء المعارفِ بَدْرا، وأقومُهم بشعائر الدين، وأفضلُهم جَرْياً على سنن المهتدين، أدام الله به للدين انتصارَه، وضاعفَ له على ملوكِ الأرضِ اقتدارَه، وأخدمَه أقدارَه[1] »[2].

وبعد كتابة ما تقدّم وقفتُ على طبعةٍ حديثةٍ للكتاب بتحقيق الشّيخ محمّد زهير الشّاويش[3]، وخرّجَ أحاديثَها العَلاّمةُ المحدثُ الشّيخُ محمّد ناصر

(١) هذا الأخيرُ من الغلوّ في الدّعاء وقد علّقَ العلاّمةُ الألبانيُّ هنا تعليقاً مفيداً فقال ص ١٦: « لا تخلُو هذه التّزكيةُ من شيءٍ فإنّ هذا الطّلبَ الأخيرَ مع أنّه من طلب ما لا يكونُ وذلك من الاعتداء في الدُّعاء وهو مذمومٌ فيما صحّ عنه ﷺ من قوله: سيكونُ في أمّتي أقوامٌ يعتدون في الدّعاء والطّهور، فإنّه مع ذلك فيه طلبُ الاستعلاءِ على القَدَرِ وجعلَ الملكِ مخدوماً له، وهذا أمرٌ ظاهرٌ بطلانُه. وإنّما أوقع المؤلّفُ ـ غفر الله لنا وله ـ في هذه الخطيئة غلوُّه في مدحِ ملكِه والإطراء عليه، وصدقَ رسولُ الله ﷺ في قوله: المدحُ هو القَزَعُ ».

(٢) أداء ما وجب ص ١ ـ ٤.

(٣) طبع المكتب الإسلاميّ، ط الأولى ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م. وقد ذكر محمّد زهير ص١٦٠ أنّه بدأ بمراجعة الكتاب في مدينة رام الله بجوار القدس سنة ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م، ثمّ سلّمها للشّيخ العلاّمة الألباني الذي علّق عليها بما عنده جزاهُ الله خيراً، ثمّ أعاد النّظر فيها الشّاويشُ في بيروت سنة ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

الدِّين الألبانيُّ[١] الذي كانت له تعليقاتٌ نادرةٌ وتعقّباتٌ مليحــةٌ علـى ابـن دحية في مواطن مهمّةٍ.

وقد اعتمدَ الشّيخُ محمّد زهير الشّاويش في تحقيقه على النّسخة الثّانيـة التي تقدّم ذِكْرُها، ويبدُو أنّه لم ينتبه إلى وجود نسختين أخريين للكتاب.

جاء في أوّل هذه النّسخة ما يلي :

« كتابُ أداء ما وجب من بيــان وضـع الوضّـاعين في رجـب؛ **أمـلاهُ** للمقام العالي المولويّ السّيّديّ السُّلطانيّ المَلِكِيّ الكـامليّ النّـاصريّ سـلطانُ الإسلامِ والمسلمين، سيّد الملوك والسّـلاطين، مُحيـي سـنّة سـيّد المرسـلين، مُظهر العَدْلِ في العالمين، مولانا الملكِ الكاملِ ناصرُ الدّنيا والدِّين، خَلِيــل[٢]

(١) فرغَ العلاّمة الألبانيّ من التّعليق علـى الكتـاب سنة ١٣٨٦هـ وفي هـذا يقـول كمـا في ص١٦٠: « انتهى تعليقُه ظهرَ الأربعاء ٢٨ شوّال سنة ١٣٨٦ هجرية، وصلّـى الله على محمّدٍ وآله وصحبه وسلّم ».

(٢) في عود الضّمير هنا احتمالان :

أحدُهما : عودُه على ابن دحية وقد كان حقاً خليلاً للملك الكـامل بـل هـو الـذي أدّبه وعلّمه وحبّب إليه الحديث النّبويّ، وبنى له الكامل مدرسة الحديث الكاملية.

الثّاني : عودُه على السّلطان الكامل ويكون المـرادُ بأمـير المؤمنـين في السّـياق هـو خليفـة المسلمين آنذاك وهو النّاصرُ لدين الله، وكانت العلاقةُ بينهما حميمةً، وقد بعث السُّـلطانُ الكاملُ ابنَ دحية رسولاً إلى بغداد مقـر الخلافـة فتلقّـاهُ النّـاصرُ لديـن الله أحسـنَ تلـقٍّ، وقضى مآربَه التي توجّه رسولاً إليه بسببها، وأجلّ قدرَه، وأجـزل صلتَـه، وأنفـذه رسـولاً إلى بعض ملوك العجم وراء النّهر، فنهض بذلك وأحسن السّفارةَ فيه كما تقدّم ص٣٣.

=

أمير المؤمنين خلّد الله أيّامَه، ونصر أعلامَه، وأطال عُمُرَه للبريّة يَغمُرُها إحسانُه وامتنانُه، وللبسيطة يَعمرُها عدلُه وأمانُه.

أصغرُ عبيدِ الله ذو النّسبين بين[1] دحية والحسين رضي الله عنهما وأبقاهُ أبو الخطّابِ ابنُ الشّيخِ الإمامِ الفاضل ذي الحسبين والنّسبين أبي عليٍّ حسن بن عليّ سِبْطِ الإمام أبي البَسَّام الفاطميّ الحُسينيّ الكوفيّ، أمتعَ الله الأمّةَ بطُول بقائِه، وزادَ في حِراسةِ مجدِه وكَبْتِ أعدائِه ».

وعن قيمة الكتاب يقولُ ناشرُه :

« يسّر الله لي مخطوطةَ هذا الكتابِ أداء ما وجَب مِن بيان وضع الوضّاعين في رجَب، فنظرتُ فيه ووجدتُّه - بالجملة - مِن الكُتب النّافِعة في توضيح السُّنة المطهّرة لنوعٍ من العبادة المبتدعة اشتهرتْ في زماننا، كما كانت مُشتهِرةً في زمن المؤلِّف، وهي صيامُ جميع شهر رجب، وأحياناً متابعتُه بشهر شعبان المعظّم في الصِّيام، ووصلُهما مع الشّهر المفروض صيامُه؛ رمضان المبارك ... والكتابُ وإن كان مُختصاً بأمرٍ متعلّقٍ بعبادةٍ مبتدعةٍ، كان يَكفي لردِّها صفحاتٌ قليلةٌ تُقنعُ الذي يُريدُ اتِّباعَ السُّنةِ

أمّا ما ذكرهُ الشّيخُ محمّد زهير الشّاويش من أنّ المرادَ بالسّلطان المُهدى إليه الكتابُ هو السّلطان خليلُ بن قلاوون الصّالحيّ (٦٦٦ ـ ٦٩٣هـ) فهو وهمٌ شديدٌ إذ لا علاقةَ لخليل بن قلاوون بابن دحية إطلاقاً فقد وُلد سنة ٦٦٦هـ أي بعد وفاة ابن دحية بثلاثٍ وثلاثين سنةً فكيف يُهدي له الكتابَ ؟!

(١) في المطبوع : بن ، وهو تصحيفٌ ؛ إذ هذه عبارةٌ مشهورةٌ عن ابن دحية درج عليها في مؤلّفاته حيث يكتبُ : « ذو النّسبين بين دحية والحسين ».

المطهّرة الواردة عن رسول ا لله ﷺ، غير أنّ المصنِّفَ رحمه ا لله توسّعَ فيه بإيراد الكثير مِن علوم السّنة المطهّرة لأدنى مناسبةٍ تجمعُ بينها، فجعلهُ كتابَ علمٍ نادرٍ في أبحاثِه، فنجدُه ينتقلُ من بحثٍ إلى غيره، ولا نكادُ نَرى أنّ هناك رابطاً واضحاً بينهما، ولكن عندما تمرُّ بأبحاث الكتابِ تَراهُ يربطُ بينها برباطٍ دقيقٍ متقنٍ، وعلمٍ يدلُّ على توسُّعه وإحاطته الشّاملة، فجعلَ الكتابَ يلزمُ القارىءَ بما قدّمهُ إليه من علمٍ نافعٍ ...

وفي الكتاب أبحاثٌ كثيرةٌ مِن علوم الحديثِ وروايته، وحُكْمِ الإجازات، وأكثرُها ممّن رَوى عنهم مباشرةً مِن عُلماء زمانه، وبعضُ أسانيدِه وجدتُّها ـ بعد المقارنة على ما عندنا ـ عزيزةً نادرةً، وأضافَ إليها العديدَ مِن إجازات العلماء له خاصّةً بكتبٍ لا نكادُ نَرى لها اتِّصالاً فيما لدينا عن هذه الكتب، ممّا حفظَ لنا الكثيرَ مِن اتِّصال أسانيد هذه الكتبِ بمؤلِّفيها »[1].

٣ ـ الارْتِقَا إلى أفضلِ الرُّقَى :

انفرد بذِكْرِه ابنُ الشَّعّار في كتابه « عقود الجُمان »[2].

٤ ـ الإرشادُ في الحض على طلبِ الروايةِ والإسنادِ :

ذكره ابن دحية في كتابه « العلم المشهور » حين تحدّث عن الإجازة العامّة، وبيّن مَن أجازها مِن العلماء كابن أبي زيدٍ القيرواني وابن خَيرون

---

(١) أداء ما وجب ـ مقدّمة محمّد زهير الشّاويش ص ٤ ـ ٦ .

(٢) انظر عقود الجمان في شعراء هذا الزّمان نقلا عن تراجم مغربية من مصادر مشرقية ص٧٨ للدكتور محمد بن شريفة.

والخطيب البغدادي وأبي العلاء الهمذاني وأبي الوليد ابن رشدٍ وأبي طـاهر السِّلَفِيّ ثم قال: « وقد صنّفتُ في ذلك كتاباً سمّيتُه **الإرشاد في الحضّ على طلب الرِّواية والإسناد** »[١].

٥ ـ استيفاءُ المطلوب في تَدبير الحُروب :

انفرد بذِكْرِهِ صاحبُ « الثّبَت »[٢].

٦ ـ أَعْلامُ النّصْرِ المُبين في المفاضَلَةِ بين أَهْلَيْ صِفّين :

كذا ورد في طُرّة نسخة الأسكوريال[٣]، وهي التّسميةُ المذكورة عند المرّاكشيّ[٤]، ومخلوف[٥]، وعبدِ الله كنّون[٦].

۞۞۞

---

(١) انظر العلم المشهور في فضائل الأيّام والشّهور ل ٢ / ب.

(٢) نهاية السّول في خصائص الرّسول ﷺ ص ٥٠٤. ومثلُ هذا السّجع في العنوان استعمله ابنُ دحية في كتابه « أعلام النصر المبين » فقال ص١٠٥ ـ بعد أن ذكر وصيّة عليٍّ رضي الله عنه في صفّين ـ: «... هـذه وصيّـةٌ عظيمـةٌ نافعـةٌ لأهـل الحـروب، جامعـة لاستيفاء المطلوب...» .

(٣) تحت رقم : ١٦٩٣ cod كما في تاريخ الأدب العربي ٥ / ٣٦٠ لبروكلمان، وأعلام النّصر المبين ـ مقدّمة التّحقيق ص ٣٦، لكن وقع في الأوّل : « إعلام » بدل « أعلام »، وهو خطأٌ ظاهرٌ.

(٤) الذيل والتّكملة ٨ / ٢١٩.

(٥) شجرة النّور الزكيّة ص١٨٠، غير أن عنده : « أهل » بدل « أهلي ».

(٦) النبوغ المغربي ١ / ١٧٠، غير أن عنده : « أهل » بدل « أهلي ».

وسمّاه كذلك ابنُ الأبّار وبروكلمان والزّركليّ، غير أنّ الأوّل ورد عنده : « النّصّ » بدل كلمة: « النّصر »[١]، والثّاني : « علم » بدل قوله : « أعلام »[٢]، والثّالث : « إعلام »[٣]، و لم يُسبق الأخيران إلى ذلك.

وسمّاه صاحبُ الثّبت : « التّبيين في التّفاضل بين أهل صفّين »[٤].

أمّا المقّريُّ فقال: « الإعلام المبين في المفاضلة بين أهل صفّين »[٥].

فهذه تسمياتٌ عدّةٌ للكتاب وفيها تقاربٌ، و لم يسمِّه ابنُ دحية في ديباجته كما جرت به عادتُه، و لم يَرِد لهُ ذِكْرٌ في كتبه الأخرى حتى نعلم التّسميةَ المحدَّدَةَ التي سَمّى بها كتابَه هذا، وإن كانت الأُولى هي الأشهر والأظهر.

وقد طُبع الكتابُ مؤخّراً بتحقيق د. محمّد أمحزون، واعتمدَ في تحقيقه وخدمة الحياة فيه على نُسخة الإسكوريال الوحيدة، وفي وصفها يقول

---

(١) التّكملة لكتاب الصّلة ٣ / ١٦٥. أما الذّهبيُّ في سير أعلام النبلاء ٢٢/ ٣٩٠ فيُسمّيه نقلا عن ابن الأبّار نفسه : « إعلام النّصّ المبين في المفاصلة بين أهل صفّين » ، هكذا « المفاصلة » بصاد مهملة لا الضاد المعجمة، ويظهر أنّه تصحيفٌ في النّقل بدليل أنّه في تاريخ الإسلام وفيات ٦٣٣هـ ص١٤٢ للذهبي بالضّاد، ثمّ إنّ الصّفديّ نقله عن ابن الأبّار بالضّاد، ومع هذا فالمفاضلة والمفاصلة كلمتان متقاربتان في المعنى.

(٢) الأعلام ٥ / ٢٠٢.

(٣) تاريخ الأدب العربي ٥ / ٣٦٠.

(٤) نهاية السّول في خصائص الرّسول ﷺ ص ٥٠٣.

(٥) نفح الطّيب ٢ / ١٠٤.

المحقّقُ : « تقعُ هذه المخطوطةُ في نسخةٍ وحيدةٍ لا يعرفُ غيرُها، تحتفظُ بها مكتبة الإسكوريال تحت رقم ١٦٩٣ cod ...، مقياس الصّفحة منها ٢٧ سم طُولاً، و١٨ سم عرضاً، عدد ورقاتها ١٧ ورقةً، وفي كلِّ صفحةٍ ٢٥ سطراً، بمقدار ١٥ كلمةً في السّطر تقريباً، وهي مكتوبةٌ بخطٍّ مشرقيٍّ حسن، حبرُها أسود، وورقُها جيّدٌ، وبهوامشها بعضُ التّصحيحات يبدُو منها أنّ هذه النّسخة قُوبلت على الأصل، لكن رغم ذلك فإنّها لم تخلُ من التّصحيف والتّحريف لأسماء الأعلام والأماكن والألفاظ، ومِن السّقط والبتر في بعض الصّفحات، وقد تمّ الانتهاءُ من نسخها في العشرين من شهر صفر الأغرّ سنةَ ٨٥٠هـ، أمّا النّاسخُ فلم يُعرف إذ لم يرد ذِكْرُه لا في أوّل الكتاب ولا في آخره »(١).

موضوعُ الكتابِ وسببُ تأليفِه :

يلاحظُ النّاظرُ في مقدِّمة الكتاب أنّه جاء تلبيةً لرغبة راغبٍ في معرفة أخبار حرب صفِّين، وما جَرى فيها مِن اقتتال بين المسلمين، مع بيان فضل عليٍّ رضي الله عنه بالخُصوص، وقد اعتبر ابنُ دحية إجابةَ السّائل عن سؤاله أمراً واجباً، مع الحرص على حُسن تَبيين المسألة، ولم يُسمّ لنا مع الأسف هذا السّائل، غير أنّه دعا له في المقدِّمة أن يُعزَّ الله نصرَه، ويشرحَ

(١) أعلام النّصر المبين ـ مقدّمة التّحقيق ص ٣٦ ـ ٣٧. وهذه النّشرةُ صدرتْ عن دار الغرب الإسلامي، ط الأولى عام ١٩٩٨م، وتقعُ في ١٩٤ صفحة، بتقديم د. سامي الصّقّار ومراجعة د. محمود محمّد الطّناحي، ومع ذلك وقعت بعضُ الأوهام في قراءة النّص.

للهداية صدرَه، ويجعل للعبرة نظرَه، وللآخرة فِكرَه، والدّعاءُ بالإعزاز والنّصر عادةً ما يكون مع خليفةٍ أو سلطانٍ أو أميرٍ، ولعلّ ابنَ دحية يشيرُ إلى وليّ نعمته الملك الكامل، لكنّه لم تجر عادتُه معه في مؤلّفاته أن يكتفي بالإشارة والتّلميح، بل يُصرّح نثراً ونظماً بمدحه والثّناء عليه والدّعاء له ما استطاع إلى ذلك سبيلا، مع بيان أن الكتاب أُلِّف برسمه وطلبه، ممّا يجعلُ الباحثَ في شكٍّ مِن إرادة ابن دحية بتلميحه السّابقِ الملكَ الكاملَ.

قال ابن دحية رحمه الله :

« أمّا بعدُ ؛ حمداً للّهِ مُقدِّرِ الحياةِ والآجال، ومخترمِ[1] الأنفس بما شاء من إمهالٍ وإعجَال، وجاعلِ الدُّنيا دارَ قتالٍ وأوجَال، والصّلاةُ على سيِّد ولد آدم محمّدٍ المبتعثِ بما عجزت الجنُّ والإنسُ أن يأتُوا له بمثَال، وعلى آله وعترته الدّاعين إلى الهُدى والنّجاة مِن الضّلال، وعلى آله التّابعين أُولي[2] الدِّين والمُؤْثَرِين على الأنفسِ والأموالِ. فإنّك سألتني أعزّ الله نصرَك، وشرح للهداية صدرَك، وجعل للعبرة نظرَك، وللآخرة فِكرَك، عن أخبار حربِ صِفِّين، وما جَرى فيه بين المسلمين المختلفين، وفضل عليٍّ على التّعيين، فوجب أن أبيّن ذلك أحسنَ تبيين... »[3].

---

(١) في المطبوع : ومحترم ، وهو تصحيفٌ .

(٢) في المخطوط : إلي ، وكتبها المحقّقُ « إلى » وزادَ بعدها كلمة « يوم »، ولا حاجةَ إلى ذلك كلِّه؛ فالمصنّفُ هنا يصفُ آل الرّسول ﷺ التّابعين آثارَه المقتفين سنّتَه، فيصفُهم بأنّهم أولوا الدِّين والمُؤثَرُون على الأنفس والأموال.

(٣) أعلام النّصر المبين في المفاضة بين أهلي صفّين ص ٤٥ .

ثمّ تطرّق ابنُ دحية بعد المقدِّمة إلى تحديد تاريخ حرب صفّين، وبيان موقعها، وأخبارٍ عدّة وقعتْ هناك بين الجيشين.

قيمةُ الكتابِ :

عن هذا الموضوع يقول المحقِّقُ :

« تميّز ابنُ دحية عن السّابقين ـ الذين كتبُوا في حرب صفّين ـ بأن عقدَ مقارنةً بين عليٍّ ومعاوية رضي الله عنهما، مُبرزاً فيها جملةً من الحجج والأدلّة التي تُرجِّحُ عليّا على معاوية في الفضل والسّابقة والأحقّية بخلافة المسلمين، ومن هنا جاءت تسميةُ الكتابِ: أعلام النّصر المبين في المفاضلة بين أهلي صفّين.

وتبدُو قيمةُ هذا المصنّف بأنّه اشتملَ على مجموعةٍ مِن النُّكت والفوائد ليس في ميدان التّاريخ فحسبُ، بل في مجالاتٍ أخرى كالحديث واللُّغة، فمن يطّلعُ على سيرة أبي الخطّاب ابن دحية الكلبيّ يلحَظُ شغفَهُ بالعلم حيث انطلقَ مِن موطنه بالأندلس يضربُ في الأرضِ طلباً للعلم ورغبةً في الاستزادة منه، فأتاحتْ له رحلتُه القراءةَ على كثيرٍ من علماء عصره في المغرب والمشرق، وأخذ عنهم فأصبحَ حجّةً في ميدان تخصُّصه: علم الحديث النّبويّ، كما كان له إسهاماتٌ فعّالةٌ في علم التّاريخ وعلم اللّغة العربيّة.

وتبدُو قيمةُ هذا المصنّف التّاريخيّ أيضاً في أنّ مؤلِّفَهُ قد نقلَ لنا أخباراً تُدعمُها الأسانيدُ ممّا يُسهِّلُ فحصَ هذه الأخبار ومعرفة درجتها من الصحّة.

ويُميزُه كذلك أنّ أبا الخطّاب استَقى أخبارَ هذه المعركةِ مِن مصادر قريبةٍ مِن الأحداث ذكرَ المحدثُ ابنُ ديزيل[١] أسماءَهُم في أسانيده من كتاب صفّين، فحفظَ لنا بذلك صُوراً أصيلةً لأنباء تلك المعركة، كما يُعَدُّ مصدراً بديلاً لما فُقدَ وهو كتابُ ابن ديزيل المذكور »[٢].

ملاحظةٌ على الكتاب :

ثمّ إنّ قارئَ الكتابِ يلاحظُ شيئاً من المبالغة إذا كان الكلامُ حول عليٍّ رضي الله عنه وأصحابه، وبالمقابل يَرى شدّةً إذا كان الكلامُ حول معاوية رضي الله عنه، كما تشبّث ببعض الرّوايات الضّعيفة حول القصّة وقد انتبه إلى هذا محقّقُ الكتاب فذكرَ أنّه لاحظَ تحيُّزَ أبي الخطّاب لطرفٍ دون آخر مِن خلال رواياتٍ ضعيفةٍ دافعَ عنها وتعصّبَ لها، وهي تُخالِفُ الأخبارَ الصّحيحةَ التي رواها المحدثُون الثّقاتُ في كُتبهم، ثمّ ذكرَ أنّ سببَ ذلك راجعٌ إلى تشيُّعه[٣]، ولا إخالُ الأمرَ كذلك إذ لم أرَ مَن رمى ابنَ دحية بالتّشيُّع، غايةُ الأمرِ أنّه تأثّر برواياتٍ وردت في حرب صفّين صوّرت طرفاً شديداً على آل البيت وفي مقدّمتهم عليٌّ رضي الله عنه، ثمّ إنّ ابنَ دحية ينتسبُ إلى آل بيت النّبوّة ولا يخفى ما في هذا الانتساب من أثرٍ في اتّخاذ موقفٍ معيّن في قضيّة شائكةٍ كقضيّة حرب صفّين. وممّا يبعدُ القولَ بتشيُّع ابن دحية ما ذكره في آخر الكتاب مِن ثناءٍ طيّبٍ على أصحاب

---

(١) أبو إسحاق إبراهيم بن الحسن الكسائيّ الهمدانيّ المعروف بابن ديزيل .

(٢) أعلام النّصر المبين ـ مقدّمة التّحقيق ص ١٥ ـ ١٦ .

(٣) المصدر نفسه ص ١٦ .

رسول الله ﷺ فقال : « وبعد هذا فتوقيرُ الصّحابة رضي الله عنهم واجبٌ على كلِّ مسلمٍ، غير أنّه لا يستوي منهم المتأخِّرُ في فضله مع ذي الفضلِ[١] المتقدّم، واعلمُوا رحمكم اللهُ أنّ سبّهُم أو سبَّ أحدهم مِن أكبر الذّنُوب، وإذا سُبَّ أصحابُ السُّلطان فهو في نفسه المسبُوب[٢]، فكيف بنبيّ الرّحمة عليه من الله صلاتُه وسلامُه[٣] ما هبّتْ ريحُ الشَّمْأَل[٤] والجَنُوب.

وقد أسندَ مسلمٌ في صحيحه مِن كتاب الزُّهد والرّقائق وهو آخرُ الصّحيح عن هشام بن عروة، عن أبيه قال: قالت لي عائشةُ: يابن أختي، أُمروا أن يستغفرُوا لأصحاب النّبيّ ﷺ فسبُّوهم.

قال ذو النّسبين أيّدهُ الله :

نعوذُ بالله من الإخْلال، ونسألُه تسهيلَ المطلوب، وأن يُبلِّغنا مِن الكونِ مع النّبيّ ﷺ وأصحابه كلَّ مرغُوب، إنّه الوهّابُ لكلِّ موهُوب، ونحنُ نقولُ كما أمرنا اللهُ العظيمُ :

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلاَ تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ »[٥].

---

(١) في المطبوع : فضل ، والصّوابُ المثبتُ كما هو في المخطوط .

(٢) قراءةٌ محتملةٌ إذ في الأصل : غير المنسوب !

(٣) قرأها المحقّقُ: صلاة وسلام، وإخالُ النّاسخَ أضافَ هاءً في كلِّ كلمةٍ كما هو ظاهرٌ من المخطوط.

(٤) كتبها المحقّقُ : الشّمال ، والصّواب المثبتُ إذ الشَّمْأَلُ نوعٌ معروفٌ من أنواع الرِّياح.

(٥) أعلام النّصر المبين ص ١٥٥ ـ ١٥٦. ولابن دحية كتابٌ في الدّفاع عن الصّحابة سمّاه: مَنْ أُلْقِمَ الحجر إذ كذبَ وفجر وأسقطَ عدالةَ من قال من الصّحابة ما له أهجر.

٨ ـ أنوارُ المشرِقَيْن في تنقيح الصّحيحين المُشْرَقَيْن :

كذا سمّاه صاحبُ « الثّبَت »[١]، وكذلك عبدُ الله كَنُّون[٢]، غير أنّه قال: « المُشَرَّفَيْن » بدل « المُشْرَقَيْن » ؛ فالله أعلمُ أيُّهما أصوبُ.

٩ ـ الآياتُ البيِّنات فيما في أعضاء رسول الله ﷺ من المعجِزات :

وهو كتابُنا هذا ويأتي الكلامُ عليه إن شاء الله تعالى مُفصّلاً .

١٠ ـ تأليفٌ في بلاغاتِ مالكٍ :

ذكره ابنُ دحية في كتابه « العلم المشهور » فقال: « ومِن أصل مذهب مالكٍ رحمه الله والذي عليه جماعةُ المالكيين أنّ مُرْسَلَ الثّقةِ تجبُ به الحجّةُ ويلزمُ به العملُ كما يجب بالمسنَد سواء.

وقال أبو حنيفة وأصحابُه: المرسل حجّةٌ ولا يردُّونه إلاّ ما يردّون به المسندَ مِن أقاويل الاختلاف على أصولهم في ذلك، وكذلك أحمد بن حنبل. ويجب على طلبة الحديث أن يتحققوا من قول الحاكم أبي عبد الله فإنّه كثيرُ الغلط بيّن السّقط، قد قال على مالكٍ وأهلِ المدينة في كتاب المدخل إلى معرفة كتاب الإكليل ما لا علمَ له به. وكذلك البلاغ عند مالكٍ وأصحابه وهو الذي ذكر في موطئه، **وقد أفردتُ في ذلك تأليفا بعينه نفعنا الله به** »[٣].

---

(١) نهاية السّول في خصائص الرّسول ﷺ ص ٥٠٣.

(٢) النّبوغ المغربي في الأدب العربي ١/١٥٩.

(٣) العلم المشهور ل ٣٤ / أ.

١١ ـ تاريخ الأُمم في أنساب العرب والعجم :

ذكره صاحب « الثَّبَت »[١] ، و عبدُ ا لله كَنُّون[٢].

١٢ ـ التّحقيقُ في مناقب أبي بكر الصّدِّيق :

ذكره إسماعيل باشا[٣] ، وعبدُ ا لله كَنُّون[٤].

١٣ ـ تنبيهُ البصائر في أسماء أمِّ الكبائر :

هكذا وردَ اسمُه على غلاف النّسخة الخطّيّة الموجودة في مكتبة ليدن بهولندا[٥]، وكذا سمّاهُ حاجّي خليفة الذي وقف ـ فيما يبدُو ـ على نسخةٍ من الكتاب ولعلّها هي هذه فقد ذكرَ مقدّمةَ الكتاب فقال :

« هو مختصرٌ على الحُروف أوّلُه : الحمدُ لله الذي رضي دينَ الإسلام لعبادِه المسلمين إلخ »[٦].

---

(١) نهاية السّول في خصائص الرّسول ﷺ ص ٥٠٤.

(٢) النبوغ المغربي ١ / ١٧٠.

(٣) هديّة العارفين ٥ / ٧٨٦.

(٤) النبوغ المغربي ١ / ١٧٠.

(٥) تحت رقم: ٧٩ كما ذكر ذلك بروكلمان في تاريخ التّراث العربي ٥/٣٦٠، ولها صورة في مكتبة مخطوطات مركز البحث العلمي وإحياء التّراث الإسلاميّ في جامعة أمّ القرى تحت رقم: ٧١٤/١ مجاميع. قال بروكلمان: « وفيه هجومٌ حادٌّ على اشتقاق أسمائها من معانٍ مرضية أو حسنة » وأحال على : (goldziher, zahir. ١٧٧).

(٦) كشف الظّنون ٤٨٦/١ .

وقد ذكرَ الكتابَ دون تسميته ابنُ دحية في كتابه الآخر « وهج الجَمْرِ » فقال: « وقد أملينا مجلّداً في أسمائها ونُعوتِها على حُروف المعجم فيه مائةٌ وتسعون اسماً »[1].

أمّا وصفُ النّسخة فقد جاء في غلافها ما يلي :

« كتابُ تنبيه البصائر في أسماء أمِّ الكبائر؛ تصنيف السيِّد الإمام العالِم الأوحد، مَلِكِ الحُفَّاظ، سُلطان المحدِّثين، عالِم الخافِقَيْن، مُفتي الفِرَق، أقضى القُضاة، ذي النَّسبين الطّاهرين، ما بين دحيةَ والحُسين، رضي الله عنهما مجد الدِّين نسيب أمير المؤمنين أبي الخطّاب ابن الشّيخ الإمام الفاضل أبي عليّ حسن بن عليّ سبطِ الإمام جَمالِ آلِ رسول الله أبي البسَّام موسى ابن عبد الله الفاطميّ الحُسينيّ الكُوفيّ رضي الله عنهم أجمعين ».

وقد أُثبت بعد هذا سماعٌ للكتاب بحضُور الفُقهاء والعُلماء والأُمراء وبقراءة ولد ابن دحية شرف الدِّين أبي جعفر محمّدٍ، في سنة ٦٣٠هـ، يعني قبل وفاة ابن دحية بثلاث سنواتٍ وقد بلغ مِن العُمُرِ أربعاً وثمانين عاماً، وهذا نصُّ السَّماع :

« سَمِعَ جميعَ هذا المجلَّدِ في أسماءِ الخَمْرِ جماعةٌ كثيرةٌ منهم الأميرُ الأجلُّ الزّاهدُ العابدُ افتخارُ الدِّين ياقوت الجَمَاليُّ، والأميرُ الأجلُّ الكبيرُ العالمُ الفاضلُ مجدُ الدّين عمرُ أخو الفقيه عيسى، إلى جماعةٍ كثيرةٍ من الفقهاء والعلماء والأمراء يضيقُ الموضعُ عن ذِكْرِهم، ويكثرُ تَعدادُهُم، ويدخلُ في حدِّ الإكثار عَدَدُهُم.

---

(١) وهج الجمر في تحريم الخمر ص ١٦٧ .

وذلك بقراءة ولده الفقيه الأجلّ الإمام العالم الحافظ المحدث شرف الدّين أبي جعفر محمّدٍ، وذلك في مجالسَ آخرُها يوم الإثنين مُستهلّ صفر سنةَ ثلاثين وستِّمائة ، والحمدُ لله وحدَهُ ».

والظّاهرُ من هذا السّماع أنّه كان على المصنِّف خاصّةً وأنّ القارئَ ولدُه، في وقتٍ كان ابنُ دحية فيه حيّاً، وبحضور الفقهاء والعلماء والأمراء، فمن المستبعد أن يكون المجلسُ وفيه هؤلاء خالياً مِن حضور مؤلِّف الكتاب.

والنّسخةُ نفيسةٌ كُتبت بخطٍّ نسخيٍّ جميل مشكُولٍ، لم يُثبت فيها اسمُ النّاسخ ولا تاريخُ النّسخ، ولا ريبَ أنّ سماعَ النّسخة السّابق يفيدُ بشكلٍ جليٍّ أنّها كُتبت قبل سنةَ ٦٣٠هـ أو فيها على أبعدِ تقديرٍ.

تقعُ النّسخةُ في ثمانٍ وسبعين ورقةً، كلُّ ورقةٍ تحتوي على خمسة عشر سطراً، كلُّ سطرٍ فيه عشرُ كلماتٍ تقريباً.

وفي النّسخة ثلاثُ تملّكاتٍ :

الأوّل : جاء في أوّل الكتاب قبل العنوان بورقتين ، و نصُّه ما يلي : « من ودائع الدَّهرِ في سِلْكِ العبد الحقير يوسف بن بدر الدين الغَزي الحنفيّ عفا عنه وغفرَ له ».

الثّاني : جاء في ثاني لوحةٍ من الكتاب وقبل العنوان بورقةٍ، ونصُّه ما يلي : « من ودائع الدَّهرِ العاري عن الوفاء[1] عند العبد الفقير محمّد بن المولى يحيى الحسينيّ غفرَ الله وَبالَهُما، ولَمَّ حالَهُما وبَالَهُما ».

---

(١) صحّ عنه ﷺ أنّه قال : « لا تسبُّوا الدّهْرَ » .

الثّالث : وجاء تحت السّابق مباشرةً ، ونصُّه ما يلي: « استصحبَهُ العبدُ الفقيرُ محمّد صلاح المُدرِّس اليكهميري سنة ١٠٧١ ».

تاريخُ تأليفِ الكتاب :

لقد ألّف ابنُ دحية كتابَه « وهج الجمر » سنة ٦٠٦هـ كما ذكرَ ذلك في مقدِّمته، وإذا علمنا أنّه في هذا الكتاب أحال على كتابه الآخر « تنبيه البصائر » علمنا حينئذٍ أنّ تأليف هذا الأخير كان قبل سنة ٦٠٦هـ ولّما يُجاوز ابنُ دحية بعدُ السِّتّين عاماً .

موضوعُ الكتابِ وسببُ تأليفه :

ألّف ابنُ دحية هذا الكتاب لوليّ نعمته الملك الكامل بن العادل، أحصى فيه ـ على غير الاستيعاب ـ مائةً وتسعين اسماً من أسماء الخَمْرِ مُرتّبةً على حُروف المعجم، بحيث « أظهر في هذا الكتاب مقدرته اللُّغوية، وهو مفيدٌ أيضا حيث ذكر الاشتقاقاتِ لكلِّ الكلمات التي أوردها »[1]، فلا جرم أن نَراهُ يمدحُ الكتابَ مدحاً شديداً فيقول : « فهو كتابٌ إذا قرأه الغريبُ نسي وطنَه، ومدَّ في اقتناص العلوم شَطَنَه، وطَفِقَ يخصِفُ مِن ورق العربيَّة، ويغترفُ من البحار العذبة الأدبيَّة ».

وفي هذا كلِّه يقولُ :

« الحمدُ لله الذي رضي دينَ الإسلام لعباده المسلمين، وأبى غيرةً له أن يقبل غيرَه من القومِ الظّالمين، فقال ـ وهو أصدق القائلين ـ: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ

(١) محمّد الفاسي : ابن دحية الكلبيّ ـ مجلة رسالة المغرب ص ٥٤٤.

غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الخَاسِرِينَ﴾، فهدَى إلى سبيلِه، وحرّمَ ما يجبُ مِن تحريمه، وحلّلَ ما يجبُ مِن تحليله، فأفلحَ المؤمنُون، وخسِرَ هنالك المبطلُون، وكان ممّا حرَّمهُ النَّصُّ مِن الواردِ والأَمْرِ، تناولُ أمِّ الخبائث التي هي الخَمْرُ، فقال في كتابه المبين: ﴿يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الخَمْرُ وَالمَيْسِرُ وَالأَنْصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُم العَدَاوَةَ وَالبَغْضَاءَ فِي الخَمْرِ وَالمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَعَنِ الصَّلاَةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾، فاجتنبنا وانتهينا ذلك مِن فضلِ الله علينا وعلى النّاس ولكنّ أكثر النّاس لا يشكرُون، فانقطع بتحريمها النِّزَاع، وانعقد على ذلك الإجمَاع، عند علماء المؤمنين، وأحلَّها في الآخرة لعباده المتَّقين، وهُم على سُرُرٍ مُتقابلين، يُطافُ عليهم بكأسٍ من مَعين، بيضاءَ لذّةٍ للشّاربين، لا فيها غَوْلٌ ولا هُم عنها يَنزفون، فمنع جلّ جلالُه ممّا يزيلُ في الدُّنيا صحّةَ العقُول، وحرَّض على اكتساب المعقُول، وأوجب العملَ بكتابه الكريم المتواتر النّقُول، وبما صحّ عن رسول الله ﷺ من المنقُول.

أحمدُه حمدَ معترفٍ بوجوب حمدِه، مستغفرٍ مِن جميع سَهْوِه وعَمْدِه، وأسأله الصّلاةَ على سيِّد ولد آدم محمّد الذي وضح به للشّريعة منارُها، وتضمّخت بِذِكْرِهِ الطَّيِّب أرجاءُ الأرضِ وأقطارُها، وجَرى مِن علُومه في الأوّلين والآخرين تيّارُها، وظهر من الحكم الإلهية به أسرارُها، وقضى ببعثه هلاكُ الأوثان وبَوارُها، واستقرَّ من الشّرائع الإسلاميّة قرارُها، وظهر دينُه على الأديان كلِّها فطلعَ بَدْرُه ودامَ سَرَارُها، ولولاه لم تخلق شمسُ الدّنيا ولا

نهارُها[1]، صلّى الله عليه ما طافَ بالكعبة زُوَّارُها، وكَحَلَ عُيونَ الحُجَّاجِ غبارُها ، وعلى آله الأكابر الأماجد الذين جعلُوا مضاجعَهُم بيوتَ المساجد - إلى أن قال - :

وإنّي وقفتُ على ورقةٍ جمعَها نحويُّ المصريِّين أبو محمّد عبد الله بن برّيّ[2] في أسماء الخَمْر، دُوَيْنَ المائة في القَدْر، فرأيتُها مُهمَلةً من التّقييد والضبط، مُسْتَجَلّةً مِن غير شرحٍ ولا شكلٍ ولا نقطٍ، وقد ألّف النّاسُ قبله فيها كتباً كثيرةَ العَدَد، قد قطع مؤلِّفوها فيها طَويلَ المُدَد، وكنتُ وقفتُ فيها على ما لم يقف غيري عليه، ورتّبْتُ مِن أسمائها ما لم تبلغ الإشارةُ إليه، فرأيتُ كلَّ كتابٍ منها كاسمٍ بغير مُسمّى، ولفظٍ ليس له مَعنى، فحَداني ذلك على جَمْعِ هذا الكتَاب، الجامعِ مِن أسماء الخمر كلَّ باب، وذكرتُ اشتقاقَ كلٍّ ما يُقدر على اشتقاقِه، من كتاب الله وسُنّة رسولِه، واللّغةِ التي أنزل بها محكمَ تنزيله، أو نقلها الثّقاتُ مِن اللُّغويين والنّحويين والشّعراء المجيدين، فجاءت مائةً وتسعين اسماً ظاهرَ التّعيين، صحيحَ النّقل واضح التّبيين، فهو كتابٌ إذا قرأه الغريبُ نسي وطنَه، ومدَّ في اقتناص العلوم شَطَنَه، وطَفِقَ يَخْصِفُ مِن ورق العربيَّة، ويغترفُ مِن البحار العَذْبَة الأدبيّة، ولم أقصد بذكرها على جهة الاستيعاب، إلاّ ليشملها رداء الذّامِّ لها

(١) في هذا غلوٌّ لا يخفى والحديثُ القدسيُّ القائلُ: «لولاك لم تخلق الأفلاك» موضوع مكذوبٌ على رسول الله ﷺ .

(٢) أبو محمّد عبدُ الله بن بَري المقدسيُّ ثمّ المصريُّ النّحويُّ الشّافعيُّ، توفي سنة ٥٨٢هـ، انظر سير أعلام النبلاء ٢١/١٣٦ - ١٣٧.

والعاب، ويَدخلَها بجميع أسمائها حكمُ التّحريم، وتُعرف بجميع نُعوتها بصفة المبعَدِ عن الجنّة والمدنيِّ إلى الجحيم، وأنّ أسماءها وإن اختلفت فهي في جميعها المعروفة الخمر المحرّمَة، وأنّ ارتكابَها كبيرةٌ في الشّريعة المعظّمَة.

وشرّفتُه باسم مقام مولانا سُلطان الإسلام، غِياث الأنام، عِماد الملّة، كهف الأمّة، ناصر الشّريعة، محيي السُّنّة، السّيِّد الأجلّ العالم العامل، السُّلطان الملك الكامل، ناصر الدُّنيا والدِّين، عزّ الملُوك والسَّلاطين، ظهير أمير المؤمنين، أدام الله على قواعد السِّيادة في مصاعد الزّيادة عُلاه، وأبّد في ارتفاع اليَفاع وذروة الاصطفاء والاصطناع بقَاه، وخلَّد بتوضُّح سَنا السَّناء وتضوُّع أَرَجِ الرَّجاء نعمَاه، وأجرى على مجاراة الأفلاك ومباراة الأملاك سموَّه وارتقاه »[1].

ثم ذكر قصيدةً مُطوّلَةً في مدح الملك الكامل مَدْحاً فيه مبالغةٌ ظاهرةٌ عهِدناها دائماً من ابن دحية في مفتتح مصنّفاته ومختتماتها، وختم الكتابَ بقوله :

« قد أتينا على الغرض المطلُوب، وعلى الله تعالى إنجازُ المرغُوب، من الإجابة إلى غفران الذُّنُوب، والزُّلفى عنده يومَ يكونُ تفريجُ الكُرُوب، ويُصبح النّاسُ في أنواعٍ مِن الغمِّ وضُرُوب، في يومٍ كان مقدارُه خمسين ألفَ سنةٍ لحاسبٍ ومحسُوب، نفعنا الله بما علّمنا، وعلَّمنا ما ينفعُنا، وجعلَ الدّولةَ المولويّةَ السُّلطانيّةَ الملكيّةَ الكامليّةَ النّاصريّةَ غُرَّةً في جبهة الدَّهر، ودُرّةً في جِيد الفَخْر، وشِهاباً في سماء السّعادَة، وواسطةً في عِقْدِ السِّيادَة،

---

(١) تنبيه البصائر في أسماء أمّ الكبائر ل ١ ـ ٣.

تخضعُ لها رقابُ الملُوك وتوضحُ مِن سبيل الرّشاد كلَّ مَسلُوك، ما لاحَ نجمٌ وأَفَل ، ووصلَ رَكْبٌ وقَفَل »[١].

ـ التّنويرُ في مولدِ السِّراج المُنير :

ذكرهُ ابنُ دحية في كتابه « نهاية السُّول » فقال :

« وقد كان له ﷺ خيلٌ وبغالٌ وحميرٌ ، لها أسماءٌ وأعلام ، فقد ذكرتُ ذلك في غزوة بدرٍ مِن كتاب **التّنوير في مولد السِّراج المنير** »[٢].

وعزا أيضاً هذه التّسميةَ لابن دحيةَ ابنُ خلّكان[٣] ، وابنُ الشّعّار[٤] ، وهي المذكورةُ عند ابنِ كثير[٥] ، وابنِ الملقِّن[٦] ، والعيني[٧] ، والمقّريّ[٨] ، وصاحبِ « الثَّبَت »[٩] ، و حاجّي خليفة[١٠] ، و عبد الله كنّون[١١] .

---

(١) تنبيه البصائر في أسماء أمّ الكبائر ل ٧٩ / أ ـ ب.

(٢) نهاية السّول في خصائص الرّسول ص ٤٠٢ ـ ٤٠٣.

(٣) انظر وفيات الأعيان ٣ / ٤٤٨. وذكره في ١/٢١٢ وقال: إنّ ابنَ دحية سمّاهُ التّنوير في مدح السِّراج المنير !

(٤) عقود الجمان في شعراء هذا الزّمان نقلا عن تراجم مغربية من مصادر مشرقية ص ٧٦ للدكتور محمّد بن شريفة.

(٥) انظر تفسير القرآن العظيم ٥/٤٢ (ط ـ دار الشّعب).

(٦) البدر المنير ١/٣٨٦.

(٧) كشف القناع المرنى عن مهمّات الأسامي والكنى ص ١٨٧ .

(٨) نفح الطّيب ٢ / ١٠٤ .

(٩) نهاية السُّول في خصائص الرّسول ﷺ ص ٥٠٣ .

(١٠) كشف الظّنون ١/٥٠٢ .

(١١) النّبوغ المغربي في الأدب العربيّ ١/١٧٠.

وسمّاه الذّهبيُّ وابنُ الملقّن « المولد »[١]، وهو اختصارٌ في التّسمية رُوعي فيها موضوعُ الكتاب، و اختصر التّسميةَ ابنُ حجر[٢] والسّيوطيُّ[٣] فقالا : « التّنوير » .

أمّا الكتابُ فلم أعثر له على نسخةٍ، وكان عبّاس العزّاوي يمتلكُ منه نسخةً فقد قال : « كانت عندي نسخةٌ منه في مجموعةٍ فلم يتيسّر لي العثورُ عليها عند كتابة هذه الكلمة »[٤].

كما أشار صلاحُ الدّين المنجّد إلى أنّ الكتابَ له نسخةٌ خطّية في برلين تحت رقم : ٩٥٤٧/١، وبالرُّجوع إلى فهرس مخطوطات برلين تبيّن أنّ الأمرَ لا يعدُو أن يكون مجرّدَ سَرْدٍ لمؤلّفاتٍ كُتبتْ في موضُوع مولد النّبي ﷺ ، لا أنّها مخطوطاتٌ موجودةٌ حقيقةً في المكتبة[٥].

---

(١) سير أعلام النبلاء ٣٣٦/٢٢، و المقنع في علوم الحديث ٥٤٣/٢.

(٢) فتح الباري ٢٩٥/٦.

(٣) المزهر في علوم اللّغة وأنواعها ٣٤٦/١، ٤٨٣، وعنه فيما يظهرُ صدّيق حسن خان في العَلَم الخَفّاق في علم الاشتقاق ص ٩٣ - ٩٤.

(٤) ابن دحية الكلبي وتاريخ الدّولة العبّاسية ص ٢٣٦، ومقدّمة النّبراس في تاريخ خلفاء بني العبّاس صفحة ش .

(٥) درج واضعُ فهرس هذه المكتبة أحياناً على ذِكْرِ مؤلّفاتٍ نادرةٍ يجمعُها موضوعٌ واحدٌ، وذلك بعد وصف أحد المخطوطات التي تناولت ذلك الموضوع، فظنّ بعضُ الباحثين أنّها مؤلفات حقيقية لها وجودٌ في المكتبة، وعزوا إليها بعضَ مؤلفات مَن ترجمُوا لهم، والواقعُ أنها مجرّد قوائم لمؤلفاتٍ فُقدت من تراثنا الإسلامي ، بقيت في الكتب أسماؤها، وضاعت في الواقع رسُومها.

وكذا ما ذكره الأبياري[١] وتبعه عليه محقِّقُ « أداء ما وجب »[٢] مِن وجود نسختين للكتاب في المكتبة الأهليّة بباريس برقمي: ١٤٧٦، ٣١٤١، فيبدُو أنّهما تبعا في ذلك المستشرق بروكلمان حيثُ ذَكَرَ من مؤلفاتِ ابن دحية « قصيدة في الرّسول ﷺ، وهي القصيدةُ التي ختم بها كتابَه : التّنوير في مولد السّراج المنير كشف الظّنون ٢٠٧٢: باريس ١٤٧٦؛ ٣١٤١ رقم : ٢ »[٣]، ففهم الأبياريُّ ومحقِّقُ « أداء ما وجب » أنّ كلامَ بروكلمان منصبٌّ على كتاب التّنوير الذي ختمه ابنُ دحية بالقصيدة المذكورة، والذي يظهرُ لي أنّ كلامَه منصبٌّ على القصيدة لا الكتاب، وقد راجعتُ فهرسَ مكتبة باريس الوطنية فلم أجد أثراً للكتاب، أمّا القصيدةُ فهي مذكورةٌ فعلاً في فهرس المكتبةِ.

ثمّ إنّ ابنَ دحية ـ فيما يبدُو ـ ضمّنه على عادته في الاستطراد فوائدَ كثيرةً حسنةً ، وقد وقف الحافظُ ابن كثيرٍ على نسخةٍ منه، ونقل بعضَ تلك الفوائد فقال : « وقد وقفتُ على هذا الكتاب وكتبتُ منه أشياءَ حسنةً مفيدةً »[٤]. وممّن نقل منه واستفاد الحفّاظُ ابنُ الملقّن[٥]، وابنُ

---

(١) المطرب من أشعار أهل المغرب ـ مقدمة التحقيق ص و.

(٢) أداء ما وجب من بيان وضع الوضّاعين في رجب ـ مقدمة التحقيق ص ٢٨.

(٣) تاريخ الأدب العربي ٥/٣٦٠، رقم : ٤.

(٤) البداية والنّهاية ١٣ / ١٤٥. وانظر نقلا عنه في تفسيره ٥/٤٢.

(٥) انظر المقنع في علوم الحديث ٢/٥٤٣.

حجر[١] ، و السّيوطي[٢] ، وغيرهم .

۞ ۞ ۞

موضوعُ الكتابِ وسببُ تأليفِه :

يُحدِّثنا عن هذا معاصرُه ابنُ خلِّكان الذي وقفَ على الكتاب وسمعه على ملكِ إرْبِل الذي ألّف له ابنُ دحية الكتابَ فيقولُ : « قدم - يعني ابنَ دحية - مدينةَ إرْبِل في سنة أربعٍ وستّمائة[٣] ، وهو متوجِّهٌ إلى خُراسان ، فرأى صاحبَها الملكَ المعظَّم مُظفَّرَ الدِّين بن زين الدِّين[٤] رحمه الله تعالى

(١) انظر التلخيص الحبير ١/٢٩٦.
(٢) انظر المزهر في علوم اللّغة وأنواعها ١/٣٤٦ (الاشتقاق)، ١/٤٨٣ - ٤٨٤ (النّحت).
(٣) يستفادُ من هذا أنّ ابنَ دحية ألّف كتابه التّنوير في مولد السّراج المنير سنة ٦٠٤ هـ، وقد بلغ من العمر ٥٨ عاماً. وواضحٌ أنّ مظفّر الدِّين كان يقيمُ هذا الاحتفالَ في شهر ربيع الأوّل من كلِّ عامٍ وهو ما صرّح به المقّريُّ في نفح الطِّيب ٢/١٠٤ حيث قال: « رأى ملك إربل مظفّر الدّين معتنياً بعمل المولد النّبوي في شهر ربيع الأول كلّ عام »، وعليه يمكنُ القولُ أنّ ابن دحية ألّف كتابه التّنوير في شهر ربيع الأوّل من عام ٦٠٤ هـ.
(٤) مظفّر الدِّين أبو سعيد كُوكُبُري بن عليّ التُّركمانيّ توفي سنة ٦٣٠هـ، انظر أخباره في وفيات الأعيان ٤/١٢١، وسير أعلام النبلاء ٢٢/٣٣٤ - ٣٣٧ وغيرهما. وكُوكُبُوري: بضمِّ الكافين بينهما واو ساكنة ثمّ باء موحّدة مضمومة، ثم واو ساكنة وبعدها راء، وهو اسمٌ تركيٌّ معناه بالعربيِّ ذئبٌ أزرق، قاله ابن خلّكان في وفيات الأعيان ٤/١٢١.

مُولَعاً بعمل مولد النبيّ ﷺ، عظيمَ الاحتفال به[١]، فعَمِلَ له[٢] كتاباً سمّاه كتاب التّنوير في مولد السِّراج المنير[٣]، وقرأه عليه بنفسه، وسمعناه على

۞ ۞ ۞

---

(١) هذا الولوعُ بالمولد والاحتفال به شيءٌ لا أصل له في السُّنّة، بل هو من البدع المحدثة، ولم يُعلم البتّة عن السّلف الصالح من الصّحابة الكرام والتّابعين الأعلام وأتباعهم أئمّة الدِّين احتفالٌ بمولده ﷺ، رغم حبِّهم الشّديد له ﷺ وحرصهم الأكيد على فعل الخيرات وعمل الصّالحات، ولو كان في هذا الاحتفال خيرٌ وصلاحٌ لسبقونا إليه، والخيرُ كلّ الخير في الاتّباع، والشّرُّ كلّ الشّرّ في الابتداع.

(٢) قال محمد الفاسي : « وهذا الكتاب من أول التآليف الموضوعة في هذا النّوع » انظر ابن دحية الكلبيّ - مجلة رسالة المغرب ص ٥٤٣.

(٣) كان مِن واجب ابنِ دحية - وهو العالِمُ الحافظُ - أن يُرشدَ هذا الملكَ إلى ترك هذا الاحتفال المبتدَع، والاشتغال بما يعود عليه وعلى الرّعيّة بالنّفع والصّلاح، لا أن يؤلّف له كتاباً في المولد يزيده اعتقاداً في صحّةِ ما هو عليه من ولوع بالمولد وعظمٍ في الاحتفال به. ويؤكّد لك ضرر بدعة الاحتفال بالمولد ما ذكره ابنُ الشّعّار في عقود الجمان من أنّ الملكَ مظفّرَ الدِّين انفردَ بشيءٍ ما سبقهُ أحدٌ إليه مِن الملوكِ الماضين والخُلفاء المتقدّمين واختصّ به دونهم؛ فإنّه كان يَأمرُ بنصبِ القِباب مِن الخشب مُتّصلةً منتظمةً مِن الخانقاهِ التي تقربُ مِن دار السّلطنةِ بالمدينة منذ مستهلِّ شهر صفر، وتُزَيَّنُ في العشرين منه بآلات الثّياب وأنواع السِّلاحِ والأقمشة الفاخرة، ويُعلّقُ فيها التّعاليقُ، ويغنّي فيها المغنّون وأربابُ الطّرب، ويَقصدُها النّاسُ للتّفرّجِ مِن أقطار البلدان، فهل رأيتَ أعجبَ من هذا، أهل الغناء وأرباب الطّرب يحيون تلك اللّيلة بمزامير الشّيطان، احتفالاً بمولده ﷺ زعموا، وهكذا شأنُ البدع تصرف أصحابها عن هدي السّلف الصّالح من الصّحابة والتّابعين لهم بإحسان، وتوقعهم في ضلالاتٍ وشطحات يندى لها الجبينُ. وانظر كلام ابن الشّعّار

=

الملك المعظّم في ستّ مجالس في جمادى الآخرة سنة خمسٍ وعشرين وستّمائة[1]، وكان الحافظُ أبو الخطّاب المذكورُ قد ختم هذا الكتابَ بقصيدةٍ طويلةٍ أوّلُها :

لولا الوُشاةُ وهُمُ   أعداؤُنا ما وهِمُوا

وقد ذكرتُ فيما تقدم في ترجمة الأسعد بن مَمَّاتي في حرف الهمزة[2] حديثَ هذه القصيدة فليُتأمّل هناك، ولمّا عمل هذا الكتابَ دفع له الملكُ المعظَّمُ المذكورُ ألفَ دينارٍ »[3].

وقال ابنُ الشّعّار :

« قدمَ ـ أي ابن دحية ـ بعد عودةٍ مِن البلادِ الخُراسانيّة مدينةَ إربل، واتّصلَ بسُلطانِها الملكِ العظيمِ مظفّرِ الدينِ أبي سعيدٍ كُوكُبُوري بن عليّ بن بَكْتَكِينَ، فبالغَ في إكرامِه، وأنعم عليه إنعاماً عظيماً، وصنّف له كتاباً سمّاه: كتاب التّنوير في مولد السّراج المنير، ويتضمّنُ ذِكْرَ ولادة النبي ﷺ حين رآه مُغرى بمولد النبي ﷺ وشدّة شغفِه بذلك وإصغائِه إليه ...

المشار إليه في عقود الجمان في شعراء هذا الزّمان نقلا عن تراجم مغربية من مصادر مشرقية ص ٧٦ ـ ٧٧ للدكتور محمّد بن شريفة.

(١) أي في حياة مؤلّفه ابن دحية الذي بلغ عمره في هذه السنة ٧٩ عاماً. مع ملاحظة أنّ ابنَ خلّكان ذكر في وفيات الأعيان ٢١٢/١ سماعهم للكتاب على مظفّر الدين سنة ٦٢٦هـ، ولعلّ ذلك كان في آخر سنة ٦٢٥هـ وأول سنة ٦٢٦هـ .

(٢) وفيات الأعيان ١ / ٢١٠، ٢١١ ـ ٢١٢ .

(٣) المصدر نفسه ٣ /٤٤٩ ـ ٤٥٠ .

وهذا كتابُ التّنوير كنتُ أحدَ مَن سمعه على الملك المعظّمِ مظفّـر الدِّيـن في جُمادى الآخرة سنةَ خمسٍ وعشرين وستٍّ مائة برباط الصُّوفية[1] المعروف برباط المناظرة قريباً مِن القلعة المنصورة، بحقِّ روايتِه عن مصنِّفِه الإمـامِ أبـي الخطّاب، وفي مقدّمته هذه الأبياتُ يمدحُ بها الملكَ المعظَّم :

مَلِكٌ يَلُوحُ عليه مِن شمس الضُّحـى
سِيمَا ومِن بدرِ التَّمامِ مَخايـلُ

لا يَقتني غيرَ الثّنا ذُخْـراً ولا
يُفـني لديـهِ المالَ إلاّ النّائـلُ

انظُرْ لإِرْبِلَ - صَاحِ - قد لَبِسَتْ بـه
ظِلاًّ كما وَشَت الرِّياضَ خَمائـلُ

لو تستطيعُ لصافَحَتْهُ يمينُهـا
لَمّا أتاها منه مُـزْنٌ هامِـلُ

فأفاضَ فيها العَدْلَ ثَرّاً سَلْسَـلاً
تَرْوَى المُنى فيه وهُنَّ هَواطِـلُ

بُشْرى لها فلقد تَقلّدَ مُلْكَـها
مَلِكٌ حُلاهُ مكارمٌ وفواضِـلُ

ومواهبٌ وسلاهِبٌ ورغـائبٌ
ومقانِبٌ وكتائبٌ وجَحافِـلُ

---

(١) اصطلاحٌ حادثٌ لا عهدَ للسّلف الصّالح به، والخيرُ كلُّه في اتِّباع السُّنة والابتعاد عمّا أحدثه المتأخِّرُون من اصطلاحاتٍ صوفيّة ورسومٍ طرقيّة ورموزٍ موهمةٍ.

يا وَيْحَ أرضِ الرُّومِ سوف يَزُورُها
مِن نَجْلِ زين الدِّين هولٌ هائِلُ
وتَضَلُّ دارُ الشِّركِ حَصْراً أَهْيَفاً
فيه وِشاحٌ للكتائبِ جائِلُ
ويُطيفُ فيها للإسَارِ وللحِصَارِ
دَمالِجٌ وأساورٌ وخلاخِلُ
لا زالَ كالشّمسِ المنيرةِ في الضّحى
وعِداه في الهَيْجاءِ ظِلٌّ زائلُ

وبعد كتابة هذا كلّه يسّر الله تعالى بفضله وكرمه العُثورَ على نسخةٍ نفيسةٍ للغاية من هذا الكتاب لم أرَ من ذكرَها من المهتمّين بشؤون المخطوطات كبروكلمان وسزكين وغيرهما، وهي من مخطوطات المكتبة الأحمدية بحلب، وقفتُ عليها أثناء تجريد بعض فهارس المخطوطات بالجامعة الإسلاميّة بالمدينة النبويّة، وفي صباح يومٍ مَنَّ الكريمُ سبحانهُ بالتّوجُّه مباشرةً إلى فهارس المكتبة الأحمديّة وتقعُ في مجلّداتٍ كثيرةٍ ومعها في رفٍّ واحدٍ مجليدٌ أسودُ اختصر به صاحبُه فهرسَ المكتبة الكبير، واقتصر على أسماء الكتب وأرقامها في الفهرس المذكُور، وبدأتُ تجريدَ الكتاب، وبعد لحظاتٍ معدوداتٍ فُوجئتُ باسم كتاب ابن دحية « التّنوير في مولد السِّراج المنير »، وكدتُ أن لا أصدِّق ما أرى، فرجعتُ إلى الفهرس الكبير فإذا الخُبْرُ يُوافقُ الخَبَرَ، وألفيتُ ثَمَّ وصفاً دقيقاً للكتاب، لا يدعُ مجالاً للشّكِّ، بل يجزمُ الواقفُ عليه أنّه حقيقةً أمامَ « تنوير ابن دحية »، وقد كان شيخُنا حمّادُ بن محمّد الأنصاريُّ رحمه الله رحمةً واسعةً كثيرَ السُّؤال

عن هذا الكتاب، شديدَ الحرص عظيمَ الأمل في الحُصول على نسخةٍ منه، خاصّةً بعد أن جاءه استفسارٌ ـ فيما حدّثنا مراراً ـ مِن سماحة الشّيخ العلاّمة عبد العزيز بن عبد الله بن باز عن كتاب ابن دحية هذا.

وهذا ما جاء في فهرس المكتبة الأحمديّة من وصفٍ مفصّلٍ للكتاب[1]:

- الرّقم العام : ٢٩٣ .
- الرّقم الخاص : ٢٨٢ .
- اسم الكتاب : التّنوير في مولد السِّراج المنير .
- المؤلِّف : أبو الخطّاب عمر بن الحسن بن عليّ .
- المكتبة : الأحمديّة .
- النّاسخ : بخطِّ أبي المجدِ إبراهيم بن الحسن بن عليّ الإربليّ بمدينة إربل سنةَ ٦٠٥هـ .
- الأجزاء : واحدٌ تامٌّ .
- الصّفحات : ٤٣٤ صحيفة .
- العلم : الحديث ، السِّيرة النّبويّة .
- اللّغة : العربيّة .
- ملاحظة : تامٌّ ومجلّدٌ بجلدٍ قديمٍ وله غلافٌ، وكلُّه بمدادٍ أسود.



(١) ستكون لي ـ إن شاء الله ـ دراسة أوسع عن هذا الكتاب بعد الحصول على نسخةٍ منه.

١٥ ـ جزءٌ في أحاديثِ الحَوْضِ :

ذكره ابنُ دحية في كتابه « نهاية السّول » فقال :

« وقد ذكرنا أحاديث الحَوْضِ وحَكينا ما بلغ إلينا من الرِّوايات الثّابتة فيه في **جزء مفرد** »(١).

١٦ ـ جزءٌ في النّظر إلى الله جلَّ جلالُه :

ذكره ابنُ دحية في كتابه « الابتهاج في أحاديث المعراج » فقال :

« وأمّا النّظرُ إلى الله جلّ جلالُه فحقٌّ لأهل الجنّة، ثابتٌ بنصِّ كتاب الله، وبنقل العُدُول عن العُدُول عن رسول الله ﷺ، أخرجاه في الصحيحين وغيرهما.

وقد أفردتُ جُزءا في ذلك فيه خمسةٌ وعشرون صحابيّاً منهم أبو بكرة وعليٌّ وعمّارٌ وزيدُ بن ثابت وعبدُ الله بن مسعودٍ وأبيُّ بن كعبٍ وابنُ عمر وابنُ عبّاسٍ وأبو سعيدٍ الخُدريُّ وحذيفةُ وأبو موسى الأشعريُّ وأبو هريرة وصهيبٌ وأبو رزين العقيليُّ وأنسٌ وكعبُ بن عجرة وجابرُ بن عبد الله وفَضالةُ بن عُبيدٍ وأبو بَرزة الأسلميُّ وعديُّ بن حاتم و جريرُ بن عبد الله البجليّ رضي الله عنهم ، و هذا حديثٌ متواترٌ »(٢).

۞ ۞ ۞

---

(١) نهاية السّول في خصائص الرّسول صلى الله عليه وسلم ص ١٦٥ .

(٢) الابتهاج بأحاديث المعراج ص ٧٧.

١٧ ـ جميعُ العلُوم الكُلِّيّات في قولةِ الأعمال بالنّيّات :

ذكرهُ ابنُ الشّعّار في كتابه « عقود الجُمان »[١]، ويظهرُ من العنوان أنّه شرحٌ لقوله ﷺ : « إنّما الأعمالُ بالنّيّات » .

١٨ ـ خُطَبٌ بَليغَةٌ :

ذكرها عبد الله كنّون فقال: « مجموعةُ خُطَبٍ بليغةٍ له »[٢].

١٩ ـ دَليلُ المُتحَيِّرين :

ذكره في كتاب « الابتهاج » فقال :

« وقد ذكرنَا عصمةَ الأنبياء مِن الكبائر والصّغائر صلّى الله عليهم أجمعين في **كتابِ دَليل المُتحيِّرين** »[٣]، وسمّاهُ صاحبُ « الثَّبَت » : « عصمة الأنبياء »[٤].

٢٠ ـ الرّدُّ على اللاّغِي في تفضيل الباغِي :

ذكره ابنُ دحية في كتابه « العلم المشهور » فقال :

« قال أبو المعالي أيضا في آخر فصلٍ ختمَ به كتاب الإرشاد: عليٌّ عليه السلام كان إماما حقّاً في توليته، ومُقاتلوه بغاةٌ، وحسنُ الظّنّ بهم يقتضي أن يُظنّ بهم قصدُ الخير وإن أخطؤُوه[٥].

---

(١) انظر عقود الجمان في شعراء هذا الزّمان نقلا عن تراجم مغربية من مصادر مشرقية ص ٨٠ ـ ٨١ للدكتور محمد بن شريفة.

(٢) النّبوغ المغربي ١ / ١٧٠.

(٣) الابتهاج في أحاديث المعراج ص ٩٦.

(٤) نهاية السّول في خصائص الرّسول ﷺ ص ٥٠٣.

(٥) الإرشاد إلى قواطع الأدلّة ص ٣٦٥ للجويني .

وقال الإمام أبو منصور التميميّ البغداديُّ في كتاب الفرق مِن تأليفه في بيان عقيدة أهل السُّنّة عند ذِكْرِ الفرقة النّاجيّة ما هذا نصُّه :

وأجمعُوا على أنّ عليّاً كان مُصيباً في قتال أهل الجَمَلِ أعني طلحةَ والزّبيرَ وعائشةَ بالبصرة، وأهلَ صفِّين أعني معاويةَ وعسكرَهُ[١].

قلتُ : وقد ألّفنا كتاباً سمّيناهُ كتاب **الرّدِّ على اللاّغِي في تفضيل الباغي** بيّنّا فيه المطلُوب »[٢].

٢١ ـ رسائلُ ومخاطباتٌ :

قال الغبرينيُّ : « رأيتُ من كلامه كثيراً في رسائل ومخاطباتٍ، كلُّها مُغلقاتٌ مُقفلاتٌ »[٣].

وقال اليونينيُّ : « له رسائل استعمل فيها حُوشيَّ اللّغة »[٤].

٢٢ ـ سِلْسِلَةُ الذَّهَب في نسبِ سيِّد العَجَم والعَرَب :

كذا سمّاه ابنُ دحية في كتابه « النّبراس » فقال :

---

(١) انظر الفَرْق بين الفِرَق ص ٣٥٠ ـ ٣٥١ .

(٢) العلم المشهور ل ٧٣ / ب .

(٣) عنوان الدّراية ص ٢٧٠، ومثله في توشيح الدّيباج وحلية الابتهاج ص ١٥٧ لبدر الدّين القرافي ، ونفح الطّيب ٢ / ٩٩ للمقّري ، وذكر الغبرينيُّ واحدةً مِن تلك الرّسائل الغريبة.

(٤) ذيل مرآة الزّمان ٢ / ٤٢٢. وقد ذكر اليونينيُّ رسالةً وقعت له لكن تردّد في منشئها هل أبو الخطاب أو أخوه أبو عمرو. ولتلك الرّسالةِ نفسِها نسخةٌ أخرى في مكتبة عارف حكمت ضمن مكتبة الملك عبد العزيز العامّة بالمدينة النّبويّة وعليها شرحٌ للعلائيّ رحمه الله تعالى، وهي ضمن مجموعٍ رقمه ١٥٦ / ٨٠ (٤٤ ب ـ ٤٧ ب) .

«... وباقي هذا النّسب، ذكرتُه في كتاب **سلسلةِ الذّهب في نسب سيّد العجم والعرب**»[١]، وكذا سمّاه عبدُ الله كَنُّون[٢].

٢٣ ـ شرحُ مسندِ الشّهاب للقُضاعيّ[٣]:

ذكر ابنُ واصل الحمويُّ[٤] أنّ الملكَ الكاملَ أمرَ ابن دحية بتأليف كتابٍ على شهاب القضاعيّ، فعلّق كتاباً تكلّم فيه على أحاديثه وأسانيده، وقد انفرد ابنُ واصلٍ بنقل قصّة تأليف الكتاب، وما وقع لابن دحية مع الملك الكامل من اختبارٍ وتمحيصٍ حيث طلب منه تأليفَه مرّةً أخرى بعد أن ادَّعى ضياعَه، وهنا يقع التّناقضُ بين التّأليفين، ويضيفُ ابنُ واصلٍ صاحبُ القصّة أن الملكَ الكاملَ ظهر له حينئذ صحّةُ ما يُقال له من مُجازفات ابنِ دحية في النّقل، وهذا نصُّ ما ذكره ابنُ واصلٍ الحمويّ :

---

(١) النّبراس في تاريخ خلفاء بني العبّاس ص ١٩.

(٢) النبوغ المغربي ١ / ١٧١.

(٣) أبو عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر بن عليٍّ المصري الشّافعيّ المتوفى سنة ٤٥٤هـ. انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ١٨/٩٢ ـ ٩٣. وغيره. واسمُ كتاب القضاعي: شهاب الأخبار في الحكم والأمثال والآداب من الأحاديث النّبويّة، حذف فيها الأسانيد، لكنّه جمعه في كتابه الآخر: مسند الشّهاب (مطبوع بتحقيق الشّيخ حمدي عبد المجيد السّلفيّ).

(٤) هو محمّد بن سالم بن نصر الله بن سالم بن واصل جمال الدِّين الشّافعيّ الحمويّ، مؤلِّف كتاب مفرِّج الكروب في دولة بني أيّوب، توفي سنة ٦٩٧هـ، انظر نكت الهميان في نكت العميان ٢٥٠ ـ ٢٥٢ للصّفديّ، والوافي بالوفيات ٣/٨٥، وأعلام الزّركليّ ٦/١٣٣.

« كان مجدُ الدين أبـو الخطّاب عمـر بـن دحيـة ـ مـع فـرط معرفتِـه بالحديث وحفظه الكثيرَ لـه ـ يُتّهـم بالمجازفـة في النّقـل، وبلـغ ذلـك الملـكَ الكاملَ ـ **على ما بلغـني**[١] ـ فـأمره أن يُعلّقَ شـيئاً علـى كتـاب الشّـهاب المنسوب إلى القضاعيّ، فعلّق عليه كتاباً طعن على بعضِ الأحـاديث الـتي فيه، وصحّح البعض، وتكلّم على الأسانيد[٢]، ولمّا وقف الملكُ الكاملُ على ذلك قال له بعده: قد ضاع منّي ذلك الكتابُ فعلّق لي مثلَـه، ففعـل ـ و لم يكن عنده مسوّدةُ الكتاب الأوّل[٣]، فجـاء في الكتـاب الثّـاني مناقضـة لمـا

(١) جملة « على ما بلغني » لم ترد عند الذّهبي في كتبه الثّلاثة السّير وتاريخ الإسلام والمـيزان، ولا عند من نقل عنه كالصّفدي وابن عبد الهادي والدّلجي وابن حجر، اعتمادا منهم على نقل الذّهبيّ، رغم وجودها في الأصل الذي نقل منه الذهبي وهـو مفـرّج الكـروب، وهـي من الأهمّيّة بمكان، حيث تفيد أنّ ابن واصلٍ وقعت له القصّةُ بلاغاً، وهذا يعني انقطاعَهـا وعدم اتّصالها. ثمّ إنّ ابن واصلٍ دخل مصر سنة ٦٩٠هـ فيمـا ذكـر الصفـديُّ في نكـت الهميان ص٢٥٢ أي بعد وفاة ابن دحية بسبع وخمسين عاما، ممّا يقـوّي الشـكّ في صحّة القصّة.

(٢) هذا دليلٌ على أنّ ابـن دحيـة كتـب الشّـرح على مسـند الشّـهاب الـذي حـوى المتون بأسانيدها، لذا قلتُ في عنوان كتابه: شرح مسند الشّهاب، وقريبٌ من هذا قولُ عبد الله كنّون رحمـه الله تعـالى في النبـوغ المغربـي ١ / ١٦٩: شـرح أحـاديث الشّـهاب، وقـول إسماعيل باشا الغدادي في هديّة العارفين ٧٨٦/٥: تعليق على شهاب الأخبار للقضاعي.

(٣) يستبعد أن يعيد ابنُ دحية تأليف نفـس الكتـاب دون النظـر إلى مسـوّدته الأولى، والملـكُ الكامل ـ فيما تذكر القصة ـ ادّعى فقدان المبيضة بعد أيام قليلة مـن تأليفـه، فـإن لم تكـن عند ابن دحية مسودة الكتاب فلا أقـلّ مـن أن يـتريث قليـلا حتـى يجدهـا إن ضـاعت في مكتبته، أو يرتجعها إن كان أعارها لمن بيّضها له.

ذكر في الكتاب الأوّل، فعلم الملكُ الكاملُ صحّةَ ما نُقل عنه، فنزلت مرتبتُه في عينه، وكان ولاّه مشيخةَ دار الحديث الذي بين القصرين، فعزلهُ عنها في آخر وقتِه، وولاّها لأخيه الحافظ أبي عمرو عثمان بن الحسن بن دحية، وكان أسنَّ من أبي الخطّاب »[1].

نسخةُ الكتابِ :

لا أعلمُ عن وجود نسخةٍ للكتاب ، لكن عزا له المستشرقُ بروكلمان[2] « مختصر من كتاب الشهابَ » وذكرَ أن نسختَهُ الخطّيةَ تُوجد في بنكيبور ٥ / ٢، ٢٨٢.

وبالرُّجوع إلى فهرس المخطوطات العربية في مكتبة خدابخش ص١١٢ من المجلد الثاني ـ قسم الحديث نراه يذكرُ تحت رقم : ٣٨٢، ٢٥ لوحة، ٩ أسطر، المقاس : ٩ X ٥ ؛ ٦ X ٣.

المنتخبُ من الشّهاب؛ أولُّه : الحمدُ لله ربِّ العالمين كما حمدَ نفسَه، وصلّى الله على خير خَلْقِهِ محمّدٍ رسولِه الذي أنار به الدِّين وأطلعَ شمسَه،

---

(١) مفرّج الكروب في أخبار بني أيّوب ١٦٧/٥ لابن واصل، ونقله عن ابن واصلٍ بتصرّفٍ وحذفٍ الذّهبيُّ في السّير ٣٩٢/٢٢، وتاريخ الإسلام وفيات ٦٣٣ ص ١٦٦، وميزان الاعتدال ١٨٧/٣. وعن الذهبي ابن عبد الهادي في طبقات علماء الحديث ٢٠٤/٤، والدّلجي في الفلاكة والمفلوكون ص١١٦، والصّفدي في الوافي بالوفيات ٤٥٣/٢٢، وابن حجر في لسان الميزان ٢٩٣/٤.

(٢) تاريخ الأدب العربي ٥ / ٣٦١، وعنه محمّد الفاسيّ في مؤلّفات ابن دحية ــ مجلّة رسالة المغرب ص ٥٤٥.

وسلّم تسليماً، أمّا بعدُ؛ فقد استخرتُ الله سبحانه وتعالى في جمع هذا الكتاب المنير مِن كلام سيد المرسلين.

وذلك أنّي لمّا تأمّلتُ كتابَ الشهاب القضاعيّ رحمةُ الله عليه فوجدتُ خطَّ سيدنا الفقيه الإمام العارف **ذو النّسبين**[1] رحمة الله عليه مكتوباً مُنَكِّتاً على كل ما يحتوي عليه كتابُ الشهاب مِن الأخبار الصّحيحة والضّعيفة والباطلة والموضوعة والمنكرة ... حسبَ ما صحّحهُ سيّدُنا العارِفُ **ذو النّسبين** الخ ».

فلعلَّ هذا المؤلِّفَ جرّدَ في كتابِه هذا مِن مسند الشهاب الأحاديثَ التي حكمَ ابنُ دحية بصحّتها وأفردها في جزءٍ خاصّ، وريثما نقفُ إن شاء الله تعالى على هذه النُّسخة يتجلّى لنا الأمرُ بشكلٍ أوضحَ.

٢٤ ـ الصَّارِمُ الهِنْدِيّ في الرَّد على الكِنْدِيّ[2] :

كذا سمّاه الصّفديُّ[3]، وإسماعيل باشا البغداديُّ[4]، وعبدُ الله كنّون[5]، وخالف في هذه التّسميةِ ابنُ عسكرٍ والمرّاكشيُّ فقالا : « المرهفُ

(١) يعني ابنَ دحية .

(٢) المقصودُ بالكندي الذي ردّ عليه ابنُ دحية بتأليفه المذكور هو تاجُ الدين أبو اليمن زيد ابن الحسن الكنديُّ البغداديُّ المقرئُ النّحويُّ اللّغويُّ الحنفيُّ، توفي سنة ٦١٣هـ، انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ٢٢/٣٤ ـ ٤١. وبالنّظر إلى تاريخ وفاته يمكن القولُ أنّ ابن دحية ألّف كتابَه هذا قبل هذه السّنة.

(٣) الوافي بالوفيات ١٥ / ٥٣.

(٤) هديّة العارفين ٥/٧٨٦.

(٥) النبوغ المغربي ١ / ١٧١. وقال: في مسألة من علم العربية.

الهندي في الرّد على التّاج الكنديّ »[١]، وبهاءُ الدين أبو محمّـد الحسـنُ بـن إبراهيم بن الخشّاب فقال: « الهنديّ إلى ضلال الكنديّ »[٢].

سببُ تأليفِ الكتابِ :

أمّا سببُ تأليفِ الكتاب فقد اختلفت المصادرُ في ذلك؛ فينقل لنا ابنُ الخشّاب ـ وهو أقدمُ مَن ذكر الكتـاب ـ أنّ سـببَ تأليفـه مُهـاتَرَةٌ وسِبابٌ وقع بين ابن دحية وتاجِ الدين الكنـديّ، يقـول ابـنُ الشّـعّار : « حدّثـني القاضي الإمامُ بهاءُ الدين أبو محمّدٍ الحسنُ بن إبراهيم بن الخَشَّـاب أسعدهُ الله تعالى قال: جمعَ أبا اليُمْنِ الكِنديّ وأبا الخَطّاب ابن دحية مجلسٌ، وكان بينهما عدواةٌ فتهاتَرا فيه، فقال له ابنُ دحية: أنتَ ممّن يُزَنُّ بالهَنـاتِ، فقـال له أبو اليُمن مُجاوباً: اخسَأْ، أنـتَ نُسبتَ إلى كلـبٍ فنبحـتَ، فعمـل ابـنُ دحية كتاباً وسَمَهُ بالهنديّ إلى ضلال الكنديّ[٣].

أمّا المرّاكشيُّ (٦٣٤هـ ـ ٧٠٣هـ) فيذكرُ أن تأليفـه كـان بسـبب مـا وقع بين ابن دحية وتاج الدين أبي اليُمن زيد بن الحسن الكنديّ في قضيّة انتساب ابن دحية إلى الصّحـابيّ دحيـة بـن خليفـة الكلبيّ رضـي الله عنـه حيث اتّهمه الكنديُّ بالكذب في هذه النِّسبة، ممّـا أثار حفيظـة ابـن دحيـة فألّف كتابَه المذكور لإثبات صحّة ذلك النَّسب، وفي هذا يقول المرّاكشي:

---

(١) أدباء مالقة ل ٨٥ ب ، و الذّيل والتّكملة ٢١٦/٨.

(٢) نقله عن ابنِ الخشّاب ابنُ الشّعّار في عقود الجُمـان في شـعراء هـذا الزّمـان، انظر تراجم مغربية من مصادر مشرقية ص ٧٨ للدكتور محمّد بن شريفة.

(٣) المصدر نفسه .

« لقد قال فيه ـ أي ابن دحية ـ تاجُ الدين رئيسُ النُّحاةِ بدمشق أبو اليمن زيدُ بن الحسن الكنديُّ: إنّه كاذبٌ فيما ادَّعاهُ مِن ذلك ــ يعني الانتساب إلى الصّحابيّ دحية الكلبيّ ـ وذكر أنّ دحيةَ رضي الله عنه لم يعقب، فردّ عليه ابنُ دحية هذا بكتابٍ سمّاهُ المرهف الهندي في الرّد على التّاج الكنديّ، وأثبتَ فيه أنّ دحيةَ رضي الله عنه قد أعقب وأنّه من ذُريته »[1].

أمّا سبطُ ابن الجوزي (٥٨١هـ ــ ٦٥٤هـ) الذي استوطن دمشق وتُوفّي فيها وعاصر الشّيخين فلم يَذكر الكتاب واكتفى بسرد قصّة اجتماع ابن دحية مع تاج الدين الكنديّ، وجرى بينهما البحثُ في قضيّة نحويةٍ أدّى بهما إلى السّب والشّتمِ، وفي ذلك يقولُ :

« وكان ـ أي ابن دحية ـ قدم دمشقَ وسألَ الوزيرَ ابن شُكْر[2] أن يجمع بينه وبين شيخِنا تاج الدين، فاجتمعا وتناظرا، وجَرى بينهما البحثُ في قول العرب: لقيتُه مِن وراء وراء. فقال ابنُ دحية : لا يقالُ بالرَّفعِ بل بالنّصبِ. فقال تاجُ الدين : أخطأتَ بل الصّحيحُ وراءُ بالرّفعِ. فسفه على شيخنا تاج الدين فقال له: يا مُدَّعي[3]، أنت تكتب: وكتب ابنُ دحية، ودحيةُ بإجماعِ المُحدثين ما أعقبَ، فقد كذبتَ في نسبك »[4].

---

(١) الذيل والتكملة ٨/٢١٥ ـ ٢١٦.

(٢) هو صفيُّ الدِّين عبد الله بن عليّ بن حسين الشَّيْبيُّ الدَّميريُّ المالكيُّ، ابنُ شُكْرٍ، توفي سنة ٦٢٢هـ، انظر سير أعلام النبلاء ٢٢/٢٩٤ ـ ٢٩٥.

(٣) هذه العبارة : يا مُدّعي، وغيرها نحو: كذبتَ في نسبك، أنا عندي كتبٌ جلودُها تساوي رقبتِك، هو مِن كلبٍ قبيحٍ، نَتْفُ اللِّحيَة مِن ابن دِحْيَة، كلُّها عباراتٌ لتاج الدِّين الكندي صدرت في حقِّ ابن دحية الكلبيّ، ممّا يؤكّد ما ذُكر في ترجمة الكنديّ من أنّه « إذا نُوظر =

(٤) مرآة الزّمان في تاريخ الأعيان ٨/٦٩٨.

ويضيف اليونينيُّ (٦٤٠هـ - ٧٢٦هـ) بعد هذا الذي أورده سبطُ ابن الجوزي شيئاً ممّا وقع بين ابن دحية والكندي فيقول: « وحُكيَ[1] لي أنّه - أي ابن دحية - قال للشّيخ تاج الدِّين في محاورته: أنا عندي كتبٌ تسوى بغداد، فقال الشّيخُ تاجُ الدِّين: هذا محالٌ، ما في الدّنيا كتبٌ تسوى بغداد، وإنّما أنا عندي كتبٌ جلودُها تُساوي رقبتِك، فخجِل واستحسن الحاضرُون هذا الجوابَ مِن الكندي ».

أمّا الصّفديُّ (٦٩٦هـ - ٧٦٤هـ) فيحدّد تاريخَ وقوعِ المناظرة بين الشّيخين وهو ١٣ رجب من عام ٦٠٥هـ، ويُضيف شيئاً من التّفاصيل لم ترد عند المرّاكشيّ وسبط ابن الجوزي واليونيني فيقول :

« ولمّا كان ثالثُ عشر شهر رجب سنة خمسٍ وستِّمائة كان الشّيخُ تاجُ الدِّين جالساً عند الوزير إلى جانبه، فجاء ابنُ دحية المحدِّثُ، فأجلسه في الجانب الآخَرِ، فأورد ابنُ دحية حديثَ الشَّفاعة، فلمّا وصل إلى قول إبراهيم الخليل صلواتُ اللهِ وسلامُه عليه، وقوله: إنّما كنتُ خليلاً مِن وراءَ وراءَ، ففتحَ ابنُ دحيةَ الهمزتين، فقال الكنديُّ: وراءُ وراءُ، بضمّ الهمزتين، فعزَّ ذلك على ابن دحية وقال للوزير: مَن ذا الشّيخُ؟ فقال له: هذا تاجُ الدِّين الكنديّ، فتسمّح ابنُ دحية في حقِّه بكلماتٍ، فلم يسمع

جَبَهَ بالقبيح »، « كان مُعجباً بنفسه، مُؤذيا لجليسه » انظر سير أعلام النبلاء ٢٢/٣٨ - ٣٩، رحمه الله رحمةً واسعةً.

(١) يُلاحظ أنّها صيغةُ تمريضٍ تدلّ على جهالة مَن حكى القصّة لسبط ابن الجوزي، ممّا يوقع الشّكّ في صحّة ما ذكره من هذه المحاورة، التي يترفع عنها وعن أمثالها العلماءُ.

من الكنديّ إلا قوله: هو مِن كلبٍ قبيحٍ[١]، وصنّف ابنُ دحيةَ كتاباً في هذه المسألة وسمّاهُ : الصّارمُ الهنديّ في الرّدِّ على الكنديّ، وبلغ ذلك الكنديَّ فعمل مصنّفاً سمّاهُ : نَتْفُ اللِّحْيَة مِن ابن دِحْيَة »[٢].

وفي كلام الصّفدي إشارةٌ إلى أنّ أصل المناظرة كان في قضيةٍ نحويةٍ، وجرّ الكلامُ فيها إلى قضيّةٍ نَسَبيَّةٍ، احتدّ فيها الخصامُ بين الشّيخين، وحمل كلَّ واحدٍ منهما على جمعِ تأليفٍ في المسألة .

يقول عبّاس العزّاوي : « والموضوع لغويٌّ، ولم يكن الواجبُ أن يتجاوز حدودَ ما ورد في اللُّغة، والاستدلال بالنُّصوص، ولكن النّفسيّات في تهيُّجها وحرصها قد تشذُّ عن الغرض »[٣].

٢٥ ـ الصّحيحُ المنتخَبُ :

ذكره ابن دحية في كتابه « وهج الجمر » فقال: « وقد ذكرتُ نسبَ أبيه ـ يعني عبد الله بن عمرو بن العاص ـ وما فيه من اختلاف الأنساب والإعراب في **كتابي المُسَمَّى بالصَّحِيحِ المُنْتَخَب** »[٤].

---

(١) نقل بعد هذا الصّفديُّ عن شهاب الدّين أبي شامة قوله: « رأيتُ في أمالي أحمد بن يحيى ثعلب جوازَ الأمرين ». ثم قال: « قال الأخفشُ: يُقال: لقيتُه مِن وراءُ، فترفعه على الغاية إذا كان غيرَ مضافٍ تجعله اسماً، وهو غيرُ متمكّنٍ كقولك: مِن قبلُ ومِن بعدُ، وأنشد :
إذا أنا لم أُومن عليك ولم يكن لقاؤُك إلاّ مِن وراءُ وراءُ ». وانظر مرآة الزمان ٦٩٨/٨ لسبط ابن الجوزي فقد مال إلى تصحيح قول تاج الدِّين الكنديّ.

(٢) الوافي بالوفيات ٥٣/١٥. وانظر كشف الظّنون ١٠٧٠/٢.

(٣) ابن دحية الكلبي وتاريخ الدّولة العبّاسيّة ص ٢٢٧.

(٤) وهج الجمر في تحريم الخمر ل ٤ / أ.

٢٦ ـ العَلَمُ المَشْهُورُ في فَوائد فضائل الأيّام والشُّهور :

كذا سمّاه ابنُ دحية في بعض كتبه فقال في « المطرب » بعد أن ذكر حديثَ النّبي ﷺ في حظّ ابن آدم من الزّنا :

« وقد تكلّمنا عليه في المجلّدة الخامسة من كتاب **العلم المشهور في فوائد فضل الأيّام والشّهور** »[1].

وقال في « النّبراس » بعد أن ذكر لفظة « الدّجّال » :

« وقد تكلّمنا على هذه اللّفظةِ في المجلّد السّادس مِن كتاب **العَلَمِ المشهُور في فوائد فَضْلِ الأيّام والشّهور** »[2] ، وكذلك سمّاه في كتابه « المستوفى »[3].

وعزا هذه التّسميةَ لابن دحية ابنُ الشَّعَّارِ في كتابه « عِقد الجُمان » فقال : « وصنّف كتابا سمّاه **العلم المشهور في فوائد فضل الأيّام والشّهور**»[4].

وقد وقف ابنُ الشّعّار على هذا الكتاب ونقل منه نصّاً مُطوَّلاً أوردهُ ابنُ دحية في آخر الكتاب.

وثمّة تسمياتٌ أخرى للكتاب قريبةٌ ممّا سبق مثل :

---

(١) المطرب من أشعار أهل المغرب ص ٢٢٣.

(٢) النّبراس في تاريخ خلفاء بني العبّاس ص ١٠٤.

(٣) انظر المستوفى في أسماء المصطفى ل ٨٢ / ب.

(٤) عقود الجمان في شعراء هذا الزّمان نقلا عن تراجم مغربية من مصادر مشرقية ص ٨٠ – ٨١ للدكتور محمد بن شريفة.

أ ـ العَلَمُ المشهُور في فضائل الأيّام والشّهُور :

وهي التّسميةُ التي وردت في طُرّة النسخة الخطّية مِن الكتاب، وذكرها كذلك المرّاكشيّ[١]، وابن الملقّن[٢]، والمقّري[٣]، وعبد الله كنّون[٤].

ب ـ العَلَمُ المشهُور في فَضْلِ الأيّام والشّهُور :

ورد هكذا في الثَّبَت الذي في آخر كتاب « نهاية السّول » لابن دحية[٥].

ج ـ العَلَمُ المشهُور في فوائد الأيّام والشّهُور :

كذا سمّاه ابنُ دحية في كتابه « النّبراس » فقال: « وذكرنا اشتقاقَ قرمط ونكتاً مِن أخبارِه المسترذَلَة، وآثارِه القبيحة المستفْحَلَة، في فضل المحرّم في كتاب **العَلَم المشهُور في فوائدِ الأيّام والشّهُور** عند ذِكْرِ مكّة شرّفها الله تعالى »[٦]، وكذا سمّاه ابنُ الشّعّار في « عقود الجمان »[٧].

---

(١) الذيل والتّكملة ٨ / ٢١٩.

(٢) البدر المنير ١/٣٨٦.

(٣) نفح الطّيب ٢ / ١٠٤، ٥/١١٧.

(٤) النبوغ المغربي ١ / ١٦٩.

(٥) نهاية السّول في خصائص الرّسول ص ٥٠٣.

(٦) النّبراس في تاريخ خلفاء بني العبّاس ص ١٢٤.

(٧) عقود الجمان في شعراء هذا الزمان ـ نقلا عن تراجم مغربية ص ٧٧ لمحمّد بن شريفة.

د ـ العَلَمُ المشهُور :

وهي تسميةٌ مختصرةٌ للكتاب وعليها كان يُحيل ابن دحية في كتبه غالبا[١]، وكذا فعل النّاقلُون عن الكتاب بعد ابن دحية[٢].

مقدمةُ الكتاب و سببُ تأليفهِ :

يتّضح ذلك جليّاً من خلال مقدمة المؤلِّف التي استعمل فيها كثيراً من المحسنات البديعية، وقد بيّن في المقدّمةِ أنّه ألّف الكتاب للملك الكامل الذي أكثر من مدحه في هذا الكتاب نثراً ونظماً، وهذا نصٌّ ما قال :

« الحمد للهِ مجدّدِ كل نعمَة، ومفرجِ كل شِدَّة، وحاسِمِ مادّةِ كل نقمَة، ومُحصي كل مُدّة، الذي هدَى من الضّلالة، وأتى بُنيانَ الباطلِ من القواعدِ فهدَّه، وشيّد بتأييدِه عَنانَ الحق وشدَّه، وشرّف بطاعتِه المطيعين وجعلَ الطّاعاتِ ليوم لقائِه عُدَّة، وفضّل بعضَ الأيّام على بعضٍ وجعل الشّهورَ عِدَّة، وخصَّ منها الأربعةَ الحُرُمَ بمزيدِ الحُرْمةِ ومزيّةِ الفضلِ الذي عدَّه للمتّقين وأعدَّه، أحمدُه حمدَ مُوحدٍ بَخعَ[٣] بالعبوديّة وخلعَ من عَنَدَ وعبدَ ضدَّه، وأبى له إباءُ التنزيه أن يجعل شيئاً ممّا دخل في الوهم وندَّ عن

---

(١) انظر مثلا : تنبيه البصائر في أسماء أم الكبائر ل ١٣ / ب، ل ٢٨ / ب، ل ٣٣ / أ ـ ب، أعلام النصر المبين في المفاضلة بين أهلي صفّين ص ٤، والمستوفى في أسماء المصطفى ل٧٤/ب لابن دحية، ونقل المقّري في نفح الطّيب ١١٧/٥ عن ابن دحية خطبة مطوّلة وفيها يحيل ابنُ دحية على كتابه العلم المشهور.

(٢) انظر المجموع ٤٨٥/٢٧ لابن تيمية، والنّكت ٣١٠/١ للزّركشي، وتنبيه المعلم ص ٢١٠ لسبط ابن العجمي، والفتح ٣٧٩/٢ لابن حجر، والأجوبة المرضيّة ل ٨٠ / أ للسّخاويّ.

(٣) أي أقرّ .

الفهم نِدَّه، وأشهد أن لا إلهَ إلاّ الله شهادةً لتبييضِ وجوه الصّادقين مُعَدَّة، يومَ تَرى الذين كذبوا على الله وجوههُم مسودَّة، وأشهدُ أنّ محمّداً عبدُه ورسولُه الذي أيّده يومَ بدرٍ بجنود الملائكة وأمدَّه، وأسعدَ بتوفيقِه جَدَّه[1]، وأرهق بآياتِه البيناتِ خَدَّه[2]، صلّى الله عليه وعلى آل بيتِه وأصحابه الذين قَطع بهديهم دابرَ الكفرِ وقَدَّه، ورَتَقَ بسدادِهم ثَلْمَ الشرك وسَدَّه، وأَرْدَى بسيوفهم حزبَ الشّيطان وردَّه.

أمّا بعد :

فإنّ السّلطانَ السّيّدَ الأجلَّ المَلِكَ الكاملَ العالِمَ العامِلَ، عِزَّ الملوكِ والسّلاطين، سلطانَ الإسلامِ والمسلمين، ناصرَ الدّنيا والدين، ظهيرَ أميرِ المؤمنين، أبا المظفّرِ محمّدَ بنَ عظيمِ الملوكِ والسّلاطين، مُحيي العَدْلِ في العالمين، ذخر الإسلام والمسلمين، الملك الأجلّ العادل العالم، سيف الدّنيا والدين، أبي محمّد ابن أيّوب، خليل أمير المؤمنين، الذي ربّتْهُ المملكةُ في حَجْرِها[3]، وغذّته الفصاحةُ بدَرِها، فحاز المدى وأحرَز، ووَشَّحَ ثوبَ...[4] وطَرَّز، وأظهر مَكْنونَ الأفضال وأَبْرَز، فشأى على مُلوك الأرض وبَرَز، أكمل بني أيّوب فعلاً وقولاً، وأطولهم يداً في الفضل وطَوْلاً، مِن قومٍ لا يقُوم لبأسهم ولا يفوتهم المستأنس الوجد :

---

(١) أي حظّه.

(٢) إشارة إلى قيام اللّيل.

(٣) أي في كنفها وحمايتها.

(٤) كلمةٌ مطموسةٌ في الأصل لم يبق منها إلاّ « ال » التّعريفيّة.

قومٌ إذا استحرَّ القَنا جعلُوا القلوبَ لها مســـسالكْ
اللاّبسين قلوبَهم فـــوق الـــدُّروع لدَفْـــع ذلكْ

فتحُوا المدائنَ والأمصَار، وضاهوا في فضلهم المهاجرين والأنصَار، لـو شاءُوا لقالُوا : ما رمينا غرضاً إلاّ أصبناه، ولا أردنا مُلْكـاً إلا نهبنَـاه، فكـم رفعنا مِن عَمَد، ومِن حَجَرٍ دُونه ووَتَد، وأحرزنا فيه من غايةٍ وأَمَد.

..... [1] ضربٌ وطعـــنٌ وارتقاءٌ لمنبرٍ وسريـــرِ
فلنا الجودُ والمديحُ جميعـــاً ولنا كلُّ موقفٍ مشهُورِ
قَدّر اللهُ أن يَرى كلُّ رائي مُلْكَنا باقياً بقاءَ الدُّهُورِ

وإذا تكنّنت الكتائبُ في صُحـف الميـادين، وتلمَّظـت القِسِـيُّ بـأيدي الكُماةِ تَلَمُّظَ الثّعابين، وصار مَساءُ العَجاجِ بلَمْعِ السُّيوف صَباحا، وهبّـت أنفاسُ الجياد بركْضِ الطِّرادِ رِياحا، أبصرتَ مولانا السُّلطانَ الملـكَ الكـاملَ في مَأْزِقِ الكَر طَوْداً لا تُزَعْزِعُه الريـاح، ولا تهولُـه إذا لمعـت بهـامِ الكُمـاةِ السّيوفُ والرماح، أمامَ الكتيبةِ تَزْهَى به مكانَ السنان مِن العامِلِ، تخيره الله مِـن آدمَ وسمّـاه بـالملكِ الكـامِلِ، في موكـبٍ النُّجـومُ معـدودةٌ مِـن أسِـنّتِه، والأقدارُ تَجري بأحكام أَعِنَّتِه، والفتحُ معقـودٌ بذوائـبِ ألويتِـه، والسُّـلطانُ الملكُ الكاملُ قد مَلَكَ مِن كل ظَفَرٍ مَعاقِدَ أَزِمَّتِه :

وهو في موكبِهِ مُرْتَقِـــبٌ حَمْلَةً [2] منه كسَيْلٍ مُنْحَـــدِرْ
فوقَهُ ألويةُ النّصرِ الـــتي تفتحُ الأرضَ وأعلامُ الظَّفَـــرْ

---

(١) طمسٌ قدر كلمةٍ.
(٢) في الأصل : حملةٌ، ولعلّ المثبت أقربُ.

وبنُو أيّوبَ طُرّاً حَـــوْلَهُ كالنُّجومِ الزُّهْرِ حَفَّتْ بالقَمَـرْ

برَكةُ الأعصارِ والدُّهُور، وحسنةُ الأيـامِ والشُّـهُور، لا زالـت قلـوبُ أعدائِه خافقةً كخَفَقَان أعلامِـه، ولا بَرِحَـتْ أرزاقُ أوليائِـه جاريـةً بجريـان أقلامِه، ودماءُ المظالمِ بسيف العَدْلِ مَطْلُولَةً في أيّامِه، وشهادةُ الجرحِ مقبولـةً في تزكيةِ حُسامِه، [فرأيتُ][1] أن أُخرجَ لمقامِه العـالي أبقـاهُ ا للهُ وأَعْـلاه، وأطلعَ كواكبَ السّعاداتِ في سماءِ عُلاه، ما صحَّ عن سيد الأنام، في فضـلِ الشُّهورِ والأيّام، و لم يزل يُجَرِدُ سيفَ قصدِه إليه، ويُكررُ طلبَهُ إليه وتَعْويلَـهُ عليه، رغبةً في العلمِ الذي رَفَع بعد خفضِ مَنارِه، واطَّلَع بعد أُفـول أنـوارِه، وفاقَ في تحصيله على ملُوك الإسلام، وشـيّدَ منـه رُكنـاً واجـبَ الاسـتلام، ودحضَ الباطلَ الذي قَدَّهُ بسيفِ نظـرِه وحَـدِّه، وتلاقـى الحَـزْمُ والعَـزْمُ في ذلك أباه وجَدِّه، فاهتززتُ لإيثارِه اهتزازَ الغُصنِ الرَّطيب، وقلتُ : يا مَدارَ ذلك القُطْبِ ونفحةَ ذلك الطِّيب، وجمعتُ كتابـا يفـي بـالمقصُود، ويحسـنُ إليه تجريدُ القُصُود، وأرشَـدتُ جميـعَ مَـن يقـرأُه إرشـادَ مُجَـرب، وشـددتُه تشـديدَ مُشَـرقٍ في الرَّحْـلِ ومُغَـرب، فـإنّي قيّـدتُ العلـمَ مَـدى الدُّهـورِ والأعصَار، ورحلتُ له إلى المدائنِ والأمصَار، وحـالقْتُ الأسْيادَ والأمـراء، وتحدّيتُ المذاهبَ والآراء، فلم أعلَم كتابـاً في جرْمِـه يقـومُ مَقامَـه، فإنّـه لم يترك مائلاً إلاّ أقامَه، والرَّبُّ يَنْجُدُ ويُعين، إنه هو القويُّ المُعين »[2].

---

(١) طمسٌ في الأصل، ولعلّ المُثبتَ أقربُ.

(٢) العلم المشهور ل ١ / أ ـ ب.

تحليلٌ مختصرٌ لمضمُون الكتاب :

الفكرةُ التي يدور عليها الكتابُ هي الحديثُ عن أشهُرِ العام الاثني عشر، شهراً شهراً، مع بيان الاشتقاق اللُّغوي لكلِّ شهرٍ، وذِكْرِ ما ورد فيه من فضائل من الكتاب والسّنة، و لم يُخلِه كعادتِه من فوائد كثيرة متنوّعة، حديثيّة وفقهيّة ولغوية وغير ذلك، وقد علّل ابنُ دحية هذا الاستطرادَ بأنّ فيه تنشيطاً لقارئِه حيثُ ينتقل أثناء قراءته من فنٍّ إلى فنٍّ فقال :

« فأودعتُه مِن العلومِ ما ينتفعُ به صاحبُ كلِّ شان، مِن حديثٍ وفقهٍ ولغةٍ ونحوٍ وأصولٍ وتاريخٍ وشِعْرٍ وحسابٍ وبيان، وقصدنا تأليفَ كتابٍ في معنىً فجئنا بمعان، حتّى نُنشِّطَ قارئَهُ بخروجه مِن لونٍ إلى ألوان، وينوبَ له عن كلِّ حديقةٍ وبُستان »[١].

بعد مقدِّمة ابن دحية ذكر هذا العنوان : « ذِكْرُ ما جاء في القرآن العزيز مِن ذِكْرِ الشّهور، وما نُقل عن النبي ﷺ في ذلك مِن الحديث الصّحيح عند الجمهور »[٢].

بعد هذا تطرّق بإسهابٍ[٣] إلى تفسير قوله تعالى : ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْراً فِي كِتَابِ اللهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ القَيِّمُ فَلا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ﴾[٤].

---

(١) العلم المشهور نقلاً عن عقود الجمان في شعراء هذا الزّمان كما في تراجم مغربية من مصادر مشرقية ص ٨٠ ـ ٨١ للدكتور محمّد بن شريفة.

(٢) المصدر نفسه ل ١ / ب.

(٣) المصدر نفسه ل ٥ أ ـ ل ١٥ ب.

(٤) التّوبة : ٣٦.

ثمّ بدأ الحديث عن الأشهر الاثني عشر على النّحو الآتي :

١ - شهر المحرّم ل ٧ ب - ٢٥ أ.

٢ - شهر صفر وصدّره بقوله : باب ذِكْر صفر، وما جاء فيه مِن اللّغة وصحيح الأثر ل ٢٥ ب - ٢٨ أ.

٣ - شهر ربيع الأوّل وصدّره بقوله : باب فضل ربيع الأوّل، وما في مولد رسول الله ﷺ مِن أقاويل الصّدر الأول ل ٢٨ أ - ٥٩ ب.

٤ - شهر ربيع الثّاني ل ٥٩ ب - ٦٣ أ.

٥ - شهر جمادى الأولى ل ٦٣ أ - ٧١ أ.

٦ - شهر جمادى الآخِر ل ٧١ أ - ٧٥ أ.

٧ - شهر رجب ل ٧٥ أ - ٩٤ ب. والملاحظ أنّه استهلّ هذا الشّهرَ بمقدّمةٍ خاصّةٍ، وقد تقدّم لنا أنّه نفسُ كتاب « أداء ما وجب مِن بيان وضع الوضّاعين في رجب ».

٨ - شهر شعبان ل ٩٤ ب - ٩٨ أ. واستهلّه هو الآخر بمقدّمة خاصّةٍ.

٩ - شهر رمضان ل ٩٨ أ - ١٢٨ ب. وفي آخره قصيدةٌ من تسع أبياتٍ شعريةٍ يمدحُ فيها كتابَه هذا ويمدحُ فيها أيضا الملك الكامل.

١٠ - شهر شوّال ل ١٢٨ ب - ١٣١ ب. وقد صدّره بقوله : باب بركة شهر شوّال، وما يُستحبُّ فيه مِن التّرويح للتّيمّن والإقبال.

١١ - شهر ذي القعدة ل ١٣١ ب - ١٣٢ ب.

١٢ - شهر ذي الحجّة ل ١٣٢ ب - إلى ١٦٠ أ .

ثناءُ ابن دحية على كتابه « العلم المشهور » :

لقد أثنى ابنُ دحية كثيرا على كتابه هذا في مواطن منه نثراً ونظماً، ولم يكتف بذلك في أوّل الكتاب كما جرت به عادةُ بعضِ المصنّفين، بل عاد إلى المدح أثناءَ الكتاب وآخرَه، وهو في ذلك كلِّه يجعل القارئَ في دهشةٍ مِن هذا المدح الشديد، الذي حرص عليه كلّما سنحت له فرصةٌ.

قال رحمه الله في مقدمته :

«... فما أعلمُ كتاباً في جرْمِهِ يقومُ مَقامه »[١].

وقال أيضا :

« وهذا الكتابُ قد جعلتُه للمحدثين غياثا؛ لأنّ الله جلّت قدرتُه قد جعل لي الحديثَ حقّاً وميراثا، فيجبُ لفضله أن تَركُض الطّلاّبُ إليه على نَجائبهم حثاثا، ويَقتسموا فوائدَه الصّحيحةَ مِن ألفاظِهِ الصّريحةِ بين السّندِ والمتنِ والمعنى أثلاثا »[٢].

وقال أيضا مخاطبا الملك الكامل الذي ألّف من أجله الكتاب :

هذا كتابٌ ليس تُبْصِرُ مثلَه ... بمثقّفٍ مِن لفظِه ومُقيَّدِ

ألّفتُه لك مِن فؤادٍ أنتَ في ... أثناءِ أضلُعِه تَروحُ وتَغتدي[٣]

---

(١) العلم المشهور ل ١ / ب.

(٢) المصدر نفسه ل ٩٤ / أ. مع ملاحظة ورود هذا المدح في كلامه عن شهر رجب، وقد مرّ أنّه كتابٌ مستقلٌّ ألّفه ابنُ دحية، ثمّ ضمّنه في كتابه « العلم المشهور »، والمقصودُ أنّ هذا الثّناء ينسحبُ على الكتابين: « العلم المشهور » و « أداء ما وجب ».

(٣) المصدر نفسه ١٦٠ / أ.

وقال في آخر هذا الكتابِ :

« وقد ألّفتُ هذا الكتابَ مُحتسباً للأجْر، ومُستسقياً[١] بـه للسُّلطان الملكِ الكاملِ أَحْمَدَ الذِّكْر، فأودعتُه مِن العلومِ ما ينتفعُ بـه صـاحبُ كـلِّ شَان، مِن حديثٍ وفقهٍ ولغةٍ ونحوٍ وأصولٍ وتاريخٍ وشِعْرٍ وحسابٍ وبيَـان، وقصدنا تأليفَ كتابٍ في معنىً فجئنا بمعَان، حتّى نُنَشِّطَ قارئَهُ بخُروجه مِـن لونٍ إلى ألوَان، وينوبَ لـه عـن كـلِّ حديقـةٍ وبُستَان، ففيـه تذكـرةٌ لأهـل الإيمَان، وفقهٌ لأهلِ اللُّبِّ والرُّجحَان، ممّا يعزُّ وجودُ نظمِه في تأليفٍ واحِـد، أو[٢] توجدُ فنونُه في تصنيفٍ واحِد، وإنّما ذلك بعونِ الله الكريمِ وطَوْلِـه، وبسعادةِ مَن أُلِّف مِن أجلِه، وأمعنتُ في الشّرحِ والتّفسير، ولم أرْضَ باللَّمْحِ اليسير »[٣].

وقال مُخاطبا أيضا الملك الكامل :

فخُـذْهُ كتـاباً يا سَمِيَّ محمّـدٍ
تَجِدْهُ على كلِّ الأمورِ مُحَمَّـدا

تَعالى على كلِّ التّصانيفِ قَـدْرُهُ
وأينَ من الأرضِ الذي جاز فَرْقَدا

---

(١) في عقود الجمان لابن الشّعّار : ومستبقيا .

(٢) في المصدر نفسه : و .

(٣) العلم المشهور ل ١٥٩ ب ـ ١٦٠ أ، وعنه ابن الشّعّار في عقـود الجمـان في شـعراء هـذا الزّمان كما في تراجـم مغربيـة مـن مصـادر مشـرقية ص ٨٠ ـ ٨١ للدكتـور محمّـد بـن شريفة.

إلى أن قال :

فَخُذْهُ كتاباً في التّصانيفِ أوحداً
كما أنتَ قد أصبحتَ في المُلك أوحدَا[1]

وهذه الظاهرة - أعني مدح المؤلف لكتابه - نادرةُ الحدوث عند المؤلِّفين، وإن وقع منها شيءٌ فليس هو بهذا الإطراء الذي قد يصلُ إلى حدِّ المبالغة، وشأنُ الأئمةِ والعلماءِ التّرفّعُ عن مثل هذا، والاكتفاءُ بإفادة القرّاء دون الحرصِ على مدح ما يقرؤون، ولعلّ ابنَ دحية رحمه الله فعل ذلك تحدّثاً بنعمة الله تعالى، وشحذاً لهمم الطّلاّب والقارئين.

ويبدُو أنّ الكتاب قد حظي بشهرةٍ واسعةٍ ومع ذلك لم يسلم من نقدٍ لمؤلّفه فقد قال الحافظُ السّخاويُّ :

« العلمُ المشهورُ وإن كان مشهوراً ففي مصنّفه وهو الإمام أبو الخطّاب ابن دحية مع كونه موصوفاً بالمعرفةِ وسعةِ العلم مقالٌ، وفي تواليفه أشياء تُنقم عليه مِن تصحيحٍ وتضعيفٍ عفا الله عنّا وعنه »[2].

نسختا الكتاب :

الكتاب له نسختان :

الأولى : في مكتبة الإمام يحيى بصنعاء اليمن تحت رقم ٢١٤ - أدب، ولها صورة ورقيّة في مكتبة شيخنا العلاّمة حمّاد بن محمّد الأنصاريّ شفاه

---

(١) العلم المشهور ل ١٢٨ / ب.

(٢) الأجوبة المرضيّة ل ٨٠ / أ.

الله تعالى[١] تحت رقم : ٩٩٦، وعن مكتبة الشيخ صوّرته الجامعةُ الإسلامية، وهو في قسم المخطوطات في نسخة فلمية تحت رقم : ٦٠١٦.

تحتوي هذه النّسخةُ على ١٦٠ ورقة، في كلِّ ورقةٍ ٢٩ سطراً، في كلِّ سطرٍ ١٣ كلمةً تقريباً.

كتبت فيها العناوينُ بالمداد الأحمر[٢]، بخطٍّ نسخيٍّ مشرقيٍّ واضحٍ، ولم يُثبت فيها اسمُ النّاسخ ولا تاريخُ النّسخ، غير أنّه فيما يظهرُ مِن خطوط القرن السّابع[٣]، وعلى غلاف هذه النّسخة عدّةُ تملّكاتٍ.

وكتب فيها عنوان الكتاب كما يلي :

« كتابُ العَلَمِ المشهُور المشهور في فَضائلِ الأيّام والشُّهُور تأليف الشّيخ السيّد الإمام ملكِ الحُفّاظ، فارسِ المعاني والألفاظ، ذي النِّسبتين مجدِ الدِّين أبي الخَطّاب عمر بن حسن بن عليّ بن دحية الكلبيّ سبط أبي البسّام رضي الله عنه » .

---

(١) بعد هذا تُوفِّي شيخُنا حمّاد بن محمّد الأنصاريُّ رحمه الله تعالى رحمةً واسعةً وأسكنه فسيح جنّاته ضحى الأربعاء الثّاني والعشرين من شهر جمادى الآخرة من سنة ١٤١٨هـ، وصُلِّي عليه في مسجد رسول الله ﷺ، ثم دُفن في بقيع الغرقد، وحضر دفنه والصّلاة عليه جمعٌ غفيرٌ من المشايخ والطّلبة، نسألُ الله تعالى أن يغفر له ويرحمه ويُدخله الفردوس الأعلى مع النّبيّين والصّدّيقين والشّهداء والصّالحين وحسن أولئك رفيقا.

(٢) ذكر لونَ المدادِ محقّقُ أداءِ ما وجب ص ٤٣ ـ مقدّمة التّحقيق، ولعلّه عاين النّسخة الأصلية في صنعاء اليمن.

(٣) ذكر فؤاد السيّد رحمه الله ـ وهو الخبير بالمخطوطات وتواريخ كتابتها ـ في رحلته إلى اليمن هذه النّسخةَ ووصف خطّها قائلاً : « بخطٍّ قديمٍ قريبٍ مِن عهدِ المؤلّف ».

وهي نسخةٌ كاملةٌ تنقصها الورقةُ الأخيرةُ، إلاّ أنّ هـذا النّقـصَ يمكـنُ استدراكُه مِن كتاب ابنِ الشّعّـار « عقـود الجُمـان »[١] فقـد احتفـظ لنـا بنصٍّ مُطوّلٍ مِن آخرِ كتابِ ابن دحية « العلم المشهور ».

ثمّ عثرتُ ـ بحمد الله تعالى ـ على الورقةِ النّاقصـةِ حيـث وُضعـت في غير محلِّها من الكتاب، وتقـعُ بـالضبط بعـد الورقـة ١٠٧، وبذلـك يتّصـلُ الكلام بينها وبين الورقة التي قبلها من الكتاب.

الثّانية : وهي محفوظـةٌ في المكتبـة الغربيّـة بجـامع صنعـاء برقـم : ٦٢ تصوّف منقولةٌ عن النّسخةِ السّابقة، وتقع في ١٣٨ لوحة في كل ورقةٍ ٤٢ سطراً، وهي متأخّرةُ النّسخ إذ كتبت سنة ١٣٤٥ هـ[٢].

٢٧ ـ مَرَجُ البَحْرَيْن في فوائد المَشْرِقَيْنِ والمَغْرِبَيْن :

كذا سمّاه ابنُ دحية في كتابه « العلم المشهور »، وأفاد أنّـه في مجلّديـن فقال: « وقـد أفردنـا الكـلامَ مُسـتقصى في نـبي الله عيسـى بـن مريـم وفي المسيح الدّجّال، وذكرنا ما يتعلّـقُ بهذيـن اللّفظين مـن الأقـوال في كتـاب الإنذارات وهو في **مجلّديـن، وسمّيناهُ بمـرج البحريـن في فوائـد المشـرقين والمغربين** »[٣].

---

(١) انظر عقود الجمان في شعراء هذا الزّمـان نقـلا عـن تراجـم مغربيـة مـن مصـادر مشـرقية ص٨٠ ـ ٨٢ للدكتور محمد بن شريفة.

(٢) ذكر وصف هذه النّسخة محقّقُ أداء ما وجب ـ مقدّمة التّحقيق ص ٤٣، ولعلّه عاين هذه النّسخة في صنعاء اليمن.

(٣) العلم المشهور في فضـائل الأيّـام والشـهور ل ١٥٧ / ب ـ ١٥٨ أ. وكـذا حـدّد حجـمَ الكتابِ في مجلّدين ابنُ الشّـعّار، كمـا ذكـر أنّ كتـابَ الإنـذارات سمّـاه ابـنُ دحيـة مـرج =

وقد سمّاه بهذه التّسمية أيضاً ابنُ الشّعّار[١]، والقرطبيُّ[٢]، وابنُ الملقّن[٣]، و ابنُ هشام النّحوي[٤]، وبدرُ الدِّين العينيُّ[٥]، ومؤلِّفان مجهولان[٦].

واقتصر على جملة « مرج البحرين » العلاّمةُ الزّركشيُّ في كتابه « النّكت »[٧]، وسمّاهُ الفيروزاباديُّ « مجمع البحرين في فوائد المشرقين والمغربين »[٨].

البحرين في فوائد المشرقين والمغربين. انظر عقود الجمان في شعراء هذا الزّمان نقلا عن تراجم مغربية من مصادر مشرقية ص ٧٧ للدكتور محمّد بن شريفة.

(١) عقود الجمان في شعراء هذا الزّمان نقلا عن تراجم مغربية من مصادر مشرقية ص ٧٦ للدكتور محمّد بن شريفة.

(٢) التّذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة ص ٦٦٧، ٧٤٥. وانظر نقولاً عنه ص ٧٦٦ ـ ٧٦٩، ٧٩١ ـ ٧٩٢.

(٣) البدر المنير ١/٣٨٦.

(٤) تخليص الشّواهد وتلخيص الفوائد ص ٢١٧. وقد نقل منه حكايةً مُطوّلةً لابن حزم الظاهريّ قال في آخرها : « نقلتُ هذه الحكايةَ مِن كتاب مرج البحرين وفوائد المشرقين والمغربين لابن دحية ذي النّسبين، واختصرتُ منها أبياتا » .

(٥) انظر شرح الشّواهد ١/٥٧٣. إلاّ أنّ فيه « وفوائد » بدل « في فوائد ».

(٦) أحدهما في مجموع رقم : ٩٠٣ في مكتبة ليدن ، ل ٣٣ ب ــ ٤٢ ب، والثّاني في دفتر منوعات للشيخ الطاهر الجزائري مؤسس دار الكتب الظاهرية، انظر فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية ـ التاريخ وملحقات ٢/٢٦٨ لخالد الرّيّان.

(٧) النّكت على مقدّمة ابن الصّلاح ١/١٦٧، ٣/٤٣٦.

(٨) بصائر ذوي التّمييز في لطائف الكتاب العزيز ص ١٣٧ ـ ١٣٨ .

وذكره ابنُ دحية في موطنٍ آخر مِن كتابه « العَلَم المشهُور » حين أورد حديثَ عرض جبريل عليه السّلام القرآن على النّبي ﷺ فقال: « وقد ذكرناه بكماله وطرقه في **كتاب الإنذارات من تأليفنا** »[1].

كما ذكره في كتابه « المستوفى » وبيّن أنّ ما ضمّنه فيه من فوائد رحل من أجلها إلى المشرقين والمغربين فقال: « **وقد أفردنا للبشارات والإنذارات كتاباً في مجلّدين**، رحلنا في طلب ما ضمّنّاه فيهما إلى المشرقين والمغربين، **وسمّيناهُ بمرج البحرين** »[2].

وفي موطن آخر قال : « وكذلك كان لعائشة رضي الله عنها جملٌ اسمه عسكر وهو الذي ركبته يومَ الجمل، وقد ذكرنا خبره ومن اشتراه لها بمائتي دينارٍ ويُقال: بثمانين دينارا **في كتاب الإنذارات التي أنذر بها ﷺ في حياته فوُجدت كما قال بعد مماته** »[3].

أفادت هذه النّصوصُ أنّ « البشارات والإنذارات » أو « الإنذارات » هو عينُه كتاب « مَرَج البحرين في فَوائد المشْرقَين والمغْربَين »، ويُسمِّيه المرّاكشيُّ « البِشارات والإنذارات المتلقّاة مِن أصْدَقِ البَرِيّات[4] »[5].

---

(١) العلم المشهور في فضائل الأيّام والشّهور ل ١١٨ / ب.

(٢) المستوفى في أسماء المصطفى ل ١٠٤ ب ـ ١٠٥ أ.

(٣) المصدر نفسه ل ١٣١ / ب.

(٤) في المطبوع : البراءات، وهو تحريفٌ ظاهرٌ.

(٥) الذيل والتّكملة ٨ / ٢١٩، وأفاد أنّه في ثلاث مجلّدات.

وواضحٌ مِن هذه النُّقول أنّ موضوعَ الكتاب هو البِشاراتُ والإنذاراتُ التي أخبر بها الصّادقُ المصدوقُ ﷺ أنّها كائنةٌ في المستقبل، فوقعت بعد وفاتِه كما أخبرَ بها في حياتِه، وهو من مُعجزاتِه العظيمة التي أيّدهُ بها ربُّ العالمين، ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الهَوَى إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى﴾.

ويبدُو أنّ ابن دحية استقرأ إلى حدٍّ ما الأحاديثَ النّبويّةَ الواردةَ في هذا الموضوع لذا اعتبر ابنُ الشّعّارِ موضوعَ الكتابَ في الحديث فقال :

« رحلَ في طلبِ الحديثِ إلى الشّام والعراقِ وخُراسان وغيرِها مِن البلادِ، وصنّف كتاباً سمّاهُ : مرجُ البحريْن فيما يتعلّقُ بالحديثِ للملكِ الكاملِ ناصرِ الدِّينِ أبي المعالي محمّد بن أبي بكر بن أيّوب »[1].

فهو حديثيٌّ باعتبار سَرْدِ الأحاديث النّبوية الواردة في موضوع البشارات والإنذارات، وعَقَدِيٌّ باعتبار تعلُّقه بإحدى معجزاتِه ﷺ التي أُيِّد بها وهي الإخبارُ بمغيّباتٍ وقعت تماماً كما أخبر بها في حياتِه ﷺ.

نسخةُ الكتابِ :

لا أعلمُ للكتاب نسخةً غير أنّ في دار الكتب الظاهريّة « قطعة من كتاب في الحديث وشرحه ينقلُ فيه عن كتاب مرج البحرين في فوائد

---

(١) عقود الجمان في شعراء هذا الزّمان نقلا عن تراجم مغربية من مصادر مشرقية ص ٧٦ للدكتور محمّد بن شريفة. وفي هذا النّقل إشارةٌ واضحةٌ إلى أنّ تأليف الكتاب كان بعد سنة ٦١٥هـ أو فيها على أقلِّ تقديرٍ، وهي السّنةُ التي بُويع فيها للكامل بالملك.

المشرقين والمغربين للحافظ أبي الخطّاب بن دحية »[١]. وقد وقفتُ على هذه القطعة والنّقلُ فيها عن كتاب ابن دحية لم يُجاوز الورقتين.

كما أنّ في مكتبة جامعة ليدن كتاباً لمؤلِّفٍ مجهولٍ يكثرُ النَّقْلَ عن كتاب « مرج البحرين » ، ورقمُه في المكتبة هو ٩٠٣[٢].

وقد وصلتني منه نسخةٌ وهو في واقع الأمر كنّاشٌ مُتنوِّعٌ جمعَ فيه صاحبُه فوائدَ كثيرةً أغلبُها في اللُّغة والشّعر والأدب، واحتفظ لنا بنصوصٍ من بعض الكتب، بل ضمّن كنّاشَهُ هذا رسائلَ كاملةً .

٢٨ ـ المُسْتَوْفَى في أسماء المُصْطَفى :

كذا سمّاه المرّاكشيُّ[٣]، والخيضريُّ[٤]، وابنُ أبي الوفاء القرشيُّ الحنفيُّ[٥]، وتقيُّ الدِّين المقريزيُّ[٦]، وعبدُ الرّؤوف المناويُّ[٧]، وصاحب

---

(١) كما في دفتر منوعات للشيخ الطاهر الجزائري مؤسس دار الكتب الظاهرية، انظر فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية ـ التاريخ وملحقات ٢٦٨/٢ لخالد الرّيّان.

(٢) انظر تاريخ الأدب العربي ٥ / ٣٦٠ لبروكلمان، وفهرس مكتبة جامعة ليدن ص ١٩٣.

(٣) الذيل والتّكملة ٨ / ٢١٨، وأفاد أنّه في مجلّد.

(٤) انظر اللّفظ المكرّم بخصائص النّبيّ صلى الله عليه وسلّم ٨٨/٢.

(٥) الجواهر المضيّة في طبقات الحنفيّة ١ / ٣٣. ونقل عنه نصّين ١ / ٣٣، ٣٧ ـ ٣٨.

(٦) إمتاع الأسماع بما للرّسول ﷺ من الأبناء والأحوال والحفدة والمتاع للمقريزي ونقل عنه نصّا واحداً .

(٧) نقل المناوي عن ابن دحية أنّه أوصلها بالاستقصاء والتّتبع إلى ثلاثمائة اسم ، ثمّ قال : «وذكر أماكنَها من القرآن والأخبار والآثار، وضبط ألفاظها، وشرح معانيها » انظر:

=

الثَّبَت[١]، وشارحٌ مجهول لكتاب « الشّفا » للقاضي عياض[٢]، وحاجي خليفة[٣]، وإسماعيل باشا البغداديّ[٤]، وعبد الله كنّون[٥].

وسمّاه الحافظُ ابنُ حجر[٦] « الأسماء النّبويّة »، والمقّريُّ[٧] « شرح أسماء النّبيّ ﷺ »، ولعلّهما راعى في ذلك موضوعَ الكتاب .

وانفرد ابنُ الشّعّار فقال : « المستوفى في شرف المصطفى »[٨].

أما عبّاس العزّاويّ وإبراهيم الأبياري فاعتبرا « المستوفى » و « شرح أسماء النّبيّ ﷺ » كتابين مستقلّين[٩]، وليس الأمرُ كذلك إذ هما كتابٌ

شرح ألفيّة العراقي في السّيرة للمناوي، نسخة مخطوطة أصليّة أوقفها العلاّمة محمّد المنوني ـ حفظه المولى و أطال في عمره ـ على مكتبة المسجد النّبويّ.

(١) نهاية السّول في خصائص الرّسول ﷺ ص ٥٠٣.

(٢) انظر شرح الشّفا لمؤلف مجهول ل ٢٤٩ / أ في مكتبة الملك عبد العزيز، وأفاد أنّ عدّة الأسماء الواردة في الكتاب فوق الثّلاثمائة اسم.

(٣) كشف الظّنون ١٦٧٥/٢.

(٤) هدية العارفين ٥ / ٧٨٦.

(٥) النبوغ المغربي ١ / ١٧١.

(٦) فتح الباري ٥٥٨/٦.

(٧) نفح الطّيب ١٠٤/٢.

(٨) انظر عقود الجمان في شعراء هذا الزّمان نقلا عن تراجم مغربية من مصادر مشرقية ص٧٨ للدكتور محمّد بن شريفة.

(٩) ابن دحية الكلبيّ وتاريخ الدّولة العبّاسيّة ص ٢٣٧، والنّبراس في تاريخ خلفاء بني العبّاس ـ مقدّمة التّحقيق صفحة ت ، والمطرب من أشعار أهل المغرب ـ المقدمة رقم: ١٢، ١٧، وكذا فعل محقّقُ « أداء ما وجب » .

واحدٌ، يدلُّ عليه أنّه في « المستوفى » شرح فعلاً أسماء النبي ﷺ وبيّن اشتقاقها في اللُّغة العربيّة.

لقد جمع ابنُ دحية في هذا الكتاب أسماء النّبيّ ﷺ من مصادر شتّى مع شرحها شرحاً ينبىء عن سعةٍ في الاطّلاع، ولذا اهتمّ به جمعٌ من العلماء فنقل منه ابنُ القيّم في كتابه « زاد المعاد »[1] دون التّصريح بالكتاب، كما استفاد منه كثيرا الصّالحيُّ في « سبل الهدى والرّشاد » ، وكذا السُّيوطيُّ في كتابه « الرّياض الأنيقة في أسماء خير الخليقة » ويظهرُ أنّه كان يمتلكُ من الكتاب نسخةً كاملةً بدليل النُّقول الكثيرة عنه في كتابه المذكور.

أمّا السّخاويُّ فعدَّ ابنَ دحية في جملة من ألّف في أسماء النّبي[2]، وأعطانا لمحةً عن الكتاب رغم أنه لم يقف عليه ووقف على مختصر له فقال في مبحث أسماء النبي ﷺ :

« قال ابن دحية في تصنيف له مفرد في الأسماء النّبويّة : قال بعضهم: أسماء النبي ﷺ عدد أسماء الله الحسنى تسعةٌ وتسعون اسماً، قال: ولو بَحث عنها باحثٌ لبلغت ثلاثمائة اسم. وأفاد مُغلطاي أنّ عدّة ما في الكتاب المذكور[3] قريبٌ من ثلاثمائة اسم، وعيّن ابنُ دحية في التّصنيف المشار إليه أماكنَها من القرآن والأخبار، وضبط ألفاظَها، وشرح معانيها، واستطرد

---

(١) انظر زاد المعاد في هدي خير العباد ٨٨/١.

(٢) الإعلان بالتّوبيخ لمن ذمّ التّاريخ ص ١٦٦.

(٣) يعني كتاب ابن دحية.

كعادتِه إلى فوائد كثيرة، وغالبُ الأسماء التي ذكرها وُصف بها ﷺ ولم يرد الكثيرُ منها على سبيل التّسميّة ... ».

ثمّ أورد السّخاويُّ ما يزيد على أربعمائة اسم ثمّ قال :

« فهذه تزيدُ على الأربع مائة بنحو الثّلاثين مع أنّي لم أر مصنّف ابن دحية في ذلك، ولا وقفتُ على مَن سبقني لجمعها وترتيبها، وقد كتبها عنّي جماعةٌ، وهي جديرةٌ بأن تُشرح ألفاظُها في جزء يسّر ا للهُ ذلك بمنّه... ثمّ وقفتُ على كرّاسةٍ للقاضي ناصر الدّين ابن الميلق[1] لخّص فيها كتابَ ابن دحية المذكور، فألحقتُ منها ما وجدتُه من زائدٍ حتّى بلغت عدّتُها القَدْرَ المذكور، وأكثرُها اشتقّهُ من أفعال نُسبت إليه ﷺ، وأفاد أنّ لابن فارس في ذلك تصنيفاً سمّاه المنبي في أسماء النّبيّ »[2].

نسخةُ الكتابِ :

الكتابُ له نسخةٌ ناقصةٌ من آخرها، أصلُها موجودٌ في المكتبة النّاصريّة في لكنو بالهند، ولها صورةٌ على الميكروفلم في مخطوطات الجامعة الإسلامية تحت رقم: ٣٥٨٦[3]. ويبدو أنّ هذا النّقص كثيرٌ جدّاً لأنّ آخر حرفٍ وصلت إليه النّسخةُ هو السينُ عند اسمه ﷺ « سيد النّاسِ » .

---

(١) المتوفّى سنة ٧٩٧هـ، انظر ترجمته في الدّرر الكامنة ٣/٤٩٤، أعلام الزّركليّ ٦/١٨٨ ـ ١٨٩. وقد تصحّف اسمُه في كشف الظّنون ٢/١٦٧٥ إلى : ابن المبلّق.

(٢) القول البديع في الصّلاة على الحبيب الشّفيع ص١١١، ١١٥ ـ ١١٦.

(٣) كما في فهرس كتب السّيرة النّبويّة والصّحابة ص ١٥٥. وما جاء في فهرس مخطوطات برلين ـ ألمانيا تحت رقم : ٩٥١٦ فهو مجرّد اسم الكتاب فقط لا أنّه موجودٌ في المكتبة مخطوطا كما توهّم صلاح الدّين المنجّد في معجم ما أُلّف عن رسول ا لله ﷺ ص ٣٩.

تقع هذه النّسخةُ في ١٦٨ ورقة، كلُّ ورقةٍ تحتوي ٢١ سطراً، وخطُّها مشرقيٌّ نسخيٌّ جميلٌ، وبسبب نقص النُّسخة لم نعرف اسمَ النّاسخ ولا تاريخ النّسخ، ويظهرُ أنّ خطَّها من خطوط القرن السّابع.

وقد تأثّرت هذه النّسخةُ بعامل الرُّطوبة ممّا أدّى إلى طمس كثير من الكلمات والجُمَل خاصّة في مقدّمة الكتاب.

أمّا منهجُ ابن دحية في الكتاب فإنّه قسّمه إلى أبواب مرتّبةٍ على حروف المعجم، ويورد تحت كلِّ باب الأسماء النّبويّة، مع شرحها وتفصيل الكلام عنها، وتخلّل ذلك فوائد عدّة عهدناها من ابن دحية في سائر مؤلّفاته.

٢٩ ـ المسائلُ المفيدةُ :

عزاه لابن دحية الزّركشيُّ في « النّكت »[١]، و ابنُ ناصر الدّين في « إتحاف السّالك »[٢].

٣٠ ـ المسائلُ الموصليّةُ :

ذكره الصّفديُّ في ترجمة الأشرف بن الأعزّ فقال :

« الأشرف بن الأعزّ[٣] بن هاشم المعروف بتاج العُلى العلويُّ الحسنيُّ الرّافضيُّ الرّمليُّ، كان بآمِد، وتُوفّي بحلب سنة عشرٍ وستّمائة، اجتمع هو

(١) انظر النّكت على مقدّمة ابن الصّلاح ١/٢٥٠، والنّقل عنه في نقض الإجماع في كون كلِّ ما في البخاري صحيحٌ .

(٢) انظر إتحاف السّالك برواة الموطأ عن الإمام مالك ص ٨١ .

(٣) انظر ترجمته في لسان الميزان ١/٤٤٩، وأعلام الزركلي ١/٣٣٢ .

وابنُ دحيــة فقــال لــه: إنّ دحيــة لم يُعقــب، فتكلّــم فيــه ابــنُ دحيــة ورمــاهُ بالكذب في **مسائله الموصليّة** »[١].

٣١ ـ مصنَّفٌ في رجال الحديث :

انفرد بذِكْرِه الغبرينيُّ، وقد وقف عليه واستحسنه فقال: « قــد رأيتُ له تصنيفاً في رجال الحديث لا بأسَ به »[٢].

٣٢ ـ المُطْرِب مِن أشْعار أهل المغْرِب :

كــذا سمّــاهُ ابــنُ خلِّكــان[٣]، وابــنُ الفُوَطــيّ[٤]، وصــاحبُ الثّبَــت[٥]، والمقّريُّ[٦]، وعبدُ الله كنّون[٧].

وللكتاب نسخةٌ نفيسةٌ كُتبت عام ٦٤٩هـ[٨] أي بعد وفاة ابن دحيــة بستة عشر عاما، وهي النّسخةُ التي اعتمد عليهــا في نَشْرِ الكتــابِ إبراهيــم

---

(١) نكت الهميان ص ١١٩ ـ ١٢٠.

(٢) عنوان الدّراية فيمن عرف من العلماء ببجاية ص ٢٧٢، وانظــر النّبــوغ المغربــي ١/١٦٨ لعبد الله كنّون.

(٣) انظر وفيات الأعيان ٤/٢٤، ٤٣٤، ٦/٣٠٣.

(٤) انظر تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب رقم : ٤٩.

(٥) انظر نهاية السّول في خصائص الرّسول ﷺ ص ٥٠٤. وقد وقع تصحيف في المطبوع إذ جاء فيه : « المعرب في أشعار أهل العرب ».

(٦) انظــر نفــح الطّيــب ٢/٢٤٧، ٢٥٧، ٣/٣٧١، ٤٣٢، ٤٨٨، ٥٠٥، ٤/١٦٩، ١٧٢، ٢٠٣، ٢٩١، ٧/٣٤.

(٧) انظر النبوغ المغربي ١ / ١٧٠.

(٨) أي بعد وفاة ابن دحية بستّة عشر عاماً .

الأبياري وحامد عبد المجيد وأحمد أحمد بدوي[١]. كما نشره أيضا الأستاذُ مصطفى عوض الكريم واعتمد النّسخة نفسها[٢].

تاريخُ تأليفِ الكتاب :

ألّف ابنُ دحية هذا الكتابَ بعد سنة ٦١٥ هـ أو فيها على أقل تقدير وهي السّنةُ التي بُويع فيها للكامل بالمُلك، وابنُ دحية كتب له الكتابَ وقد تولّى الملك أي بعد سنة ٦١٥هـ.

موضوعُ الكتابِ وسببُ تأليفه :

يظهرُ ذلك جليّاً من مقدّمة المؤلّف حيث قال رحمه الله :

« الحمدُ لله الذي شرّفنا باللّسان العربيّ، وجعلنا من أمّة سيّد ولد آدم محمّد النّبيّ الأمّيّ، الدّاعي إلى الطّريق الواضح الجليّ، صلّى الله عليه وعلى آله المتسنّمين من الفضل صهوةَ المنصب العليّ، ما ولّى الأرضَ بعدَ وسم الوسميّ سلطانُ الوَليّ، ونَمَّ بأسرار الرّياض نسيمُ شذاها الذّكيّ.

أمّا بعد :

فإنّ مولانا سلطانَ العرب والعجَم، عِزَّ الملوك العصريّة؛ ومالكَ فضيلتي السّيف والقلَم، وملكَ اليمن والشّام والدّيار المصريّة؛ أبا المعالي أبا المظفّر محمّداً الكاملَ الكاملَ الأوصاف، لا برحت ببقائه الممالكُ مهتزّةَ الأعطاف، معتزّةَ الأطراف، تقدّم إليَّ أمرُه المطاع، الواجبُ عليّ من الجهد غايةُ ما يستطاع، أن أجمع له ما اجتمع عندي من الأناشيد، التي رويتُها

(١) نشرته المطبعة الأميرية بالقاهرة سنة ١٩٥٤م .

(٢) نشرته مطبعة مصر بالخرطوم سنة ١٩٥٤م أيضاً .

عن شعراء الأندلس وسائر المغرب بأقرب الأسانيد، فجمعتُ منها لخدمةِ مقامه العالي ما يُؤكل بالضَمير ويُشرب، ويُهتزُّ عند سماعه ويُطرَب، في الغَزل والنّسيب، والوصف والتّشبيب؛ إلى غير ذلك من مستطرفات التّشبيهات المستعذبة، ومبتكرات بدائع بدائه الخواطر المستغربة، ولُمَح سير ملوك المغرب ومُلَحِ أخبار أدبائه، ورقيق معاني كتّابه، وجَزْل ألفاظ خطبائه.

وبالجملة فقد نَثَلْتُ في هذا المجموع كنانةَ محفوظاتي في المعارف الأدبيّة، و لم أُخْلِهِ مِن أخاير ذخائر ما التقطتُه مِن أفواه مشايخي مِن مشكل علمي الغريب والعربيّة، إلاّ أنّي لم أقصد جمع ذلك على التّرتيب، ولا سلكتُ فيه مسلكي المعهود في التّبويب والتّهذيب، بل استرسلتُ فيه مع الخاطر على ما يجود به ويسمح، ويَعِنُّ له ويسنح، فالنّاظرُ فيه يسرحُ في بساتين ، ويمرحُ في ميادين ، ويخرج مِن فنٍّ إلى فُنون ، و الحديثُ ذو شُجُون »[1].

وفي آخر الكتاب يذكرُ أنّ تأليفه ارتجله عن عَجَل، بعيداً عن بلده وكتبه التي هجم عليها العدوُّ في البحر، وفي هذا يقول :

« انتهى ما أمللتُه من كلامٍ مرتجَل، وبَديهٍ على عجَل، ولولا الاستنامةُ إلى الإغضاء، وأنّ المُبادرةَ إلى امتثال أمر السُّلطان أقربُ إلى الإرضاء؛ لما أَرْعَفْتُ لليَراعِ أَنْفا، ولا حَمَّلْتُ الرَّوِيَّةَ على الكتاب عُنْفا، لبُعد المملوك عن بلادِه، وكَلَبِ العدوِّ في البحر على كُتبه وطارِفِه وتِلادِه. فإن وافق

(١) المطرب من أشعار أهل المغرب ص ١ ـ ٢.

اجتهداي أملَه، ووقفتُ على الغرض الذي سـألَه، فذلـك نُكتـةٌ مـن فضلـه عُرضت عليه، وبضاعتُه رُدَّت إليه؛ ضاعفَ الله له وعنـده مـوادَّ الإسـعاد، وأخدمهُ النّصرَ في كل مُبدإٍ وختمَ له بالظَّفَر في كل مَعـاد، وأهلـك أعاديـه وأبعدهم إبعادَ ثمود وعاد، وصلّى الله على سيد ولد آدم وأمينه على وحيـه الذي بعثهُ في أشرف زمان، وجعله من عصمته في ذِمَّةٍ وأمان، فجدَّ في علو كلمة الله غيرَ مقصرٍ ولا وَان، وعلـى آلـه وأصحابـه الذيـن جـاهدُوا أهـلَ الزَّيغ والعُدوان »[١].

٣٣ ـ المعجم في أسماء من لقي من أهل العلم :

ذكره محقق « المطرب »[٢] مصطفى عوض الكريم ولا أدري مسـتندَهُ في ذلك .

٣٤ ـ معجمُ شيوخِ ابن مضاء[٣] :

ذكره المرّاكشيُّ في كتابه « الذيل »[٤].

وفي ترجمة ابن مضّاء يذكرُ المرّاكشيُّ إنكارَ ابن مضّاء على ابن دحيـة ما زاده في نسبه فقال : « نسبه أبو الخطّاب ابنُ الجُمَيلِ في معجـم شيوخه

(١) المطرب من أشعار أهل المغرب ص ٢٤٢ .

(٢) انظر مقدمة المطرب صفحة ل .

(٣) أبو جعفر أحمد بن عبد الرّحمن بن محمد بـن سـعيد بـن حريـث ٥١١ ــ ٥٩٢هـ، انظر ترجمته في الذيل والتكملـة ٢/٢١٢، رقـم: ٢٩١، وفيهـا كـلام عـن كتـاب ابـن دحيـة، وتكملة المنذري رقم: ٣٣٨.

(٤) انظر الذيل والتّكملة لكتابي الموصول والصّلة ١/٢١٢.

الذي جمعه أبو الخطّاب فزاد بعد حديث فقال: ابن عاصم بن مضّاء بن مهنّد بن عمير اللّخميّ، فوافقه عليه إلاّ في ذِكْرِ مهنّد بن عمير فإنّه أنكرهما، فقال له أبو الخطّاب: يا سيّدي، هما جدّاك ذكرهما فلان، فتوقّف الشّيخُ. قال ابن الملك: وهذا السّندُ منقطع لبعد عصر أحمد مِن عصر حريث فقد ذكر بعضُ من صنّف للنّاصر بن المطرّف بن عبد الرّحمن ابن محمّد صاحب الأندلس في سنة ثلاثين وثلاثمائة أخبار المراديين ومن دخل معهم الأندلس جماعةً من اللّخميين منهم النّجاشيّ ابن عاصم بن حريث بن عاصم بن مضّاء بن مهنّد، فلو صحّ هذا لكان النّجاشيُّ عمَّ جدِّ صاحب التّرجمة، وهو مقطوعٌ ببطلانه في العادة، فلعلّ ذلك من تركيبات أبي الخطّاب ، ولذلك أنكره أحمد بن عبد الرّحمن »[1].

٣٥ ـ مَنْ أُلْقِمَ الحَجَر إِذْ كَذَبَ وَفَجَر وَأَسْقَطَ عَدَالَةَ مَنْ قَالَ مِنَ الصَّحَابَةِ : مَا لَهُ أَهْجَر :

كذا ورد في طرّة نسخة الكتاب المحفوظة بمكتبة الأسكوريال تحت رقم: ١١٩٠، وقد انفردَ ـ فيما وقفتُ عليه ـ ابنُ الشَّعَّار بذِكْرِ الكتاب ونقل منه نصّاً قال فيه : « قال ابن دحية عقيب كتابٍ صنّفهُ للمَلِكِ الكامل صاحب الدِّيار المصريّة وختم آخرَهُ بقوله :

واسمُ الكتاب : مَنْ أُلْقِمَ الحَجَر إِذْ كَذَبَ وَفَجَر وَأَسْقَطَ عَدَالَةَ عَدَدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ فَمَا لَهُ أَهْجَر[2] : ـ ثمّ قال بعد كلامٍ طويل ـ : هذه مسألةٌ بديعةُ النّظام، مستوفيةٌ شروطَ الكمال والتّمام، قد أشرقت شمسُ الفصاحة

---

(١) نقله عن المرّاكشيّ ابنُ حجر في لسان الميزان ٤/٢٩٧ ـ ٢٩٨، وانظر الذيل والتكملة.

(٢) كذا سمّاه ابنُ الشّعّار، ويظهرُ أنّ ما في نسخة الكتاب أولى وأوضح.

في أرجائها، وفاقت في أفق البلاغة بما تضمّنته من الذّبِّ عن الصّحابة على أكفائها ، فهي روضةٌ تتنزّه مُقَلُ الخواطرِ في أنحائها ... »[1].

نسخةُ الكتابِ وموضوعُه :

للكتاب نسخةٌ في مكتبة الأسكوريال تحت رقم: ١١٩٠، في ١٦ لوحةً، كتبت بخطٍّ أندلسيٍّ جميل، وهي نسخةٌ مضبوطةٌ متقنةٌ، كتبها تلميذُ المؤلِّف محمّدُ بن محمّد بن يحيى السّبتي، وقد سمع هذا الكتاب على مؤلّفه مراراً عديدةً، كما قرأهُ عليه بمنزله بالقاهرة في شهر رجب من عام ٦٢٨هـ أي قبل وفاة ابن دحية بخمس سنواتٍ[2].

وقد تفضّل عليّ بجلب نسخةٍ منه الأخُ الفاضلُ عبدُ اللّطيف الجيلاني عن نسخة مصوّرة لدى الأستاذ الكريم عبد العزيز السّاوريّ. وقد سجّل مؤخّراً هذا الكتابَ بعضُ إخواننا المغاربة في رسالةٍ علميّةٍ في المغرب الشّقيق. أمّا موضوعُ الكتاب فقد أفصح عنه ابنُ دحية في المقدّمة حيث ذكر أنّ الملك الكاملَ سألهُ عن قول بعض الصّحابة رضي الله عنهم في مرض رسول الله ﷺ : « ما له أَهْجَرَ » وذلك حين قال ﷺ لهم: « هَلُمَّ أكتُب لكم كتاباً لن تضلُوا بعده أبداً » فقال عمرُ: إنّ النّبيّ ﷺ غلبهُ الوجعُ وحسبُنا كتابُ الله »، وقال بعضُهم: « ما له أهجر »، فاستغلَّ الرّوافضُ هذه الكلمات وقدحوا في أصحاب رسول الله ﷺ، فألّف ابنُ دحية هذا الكتاب دفاعاً عنهم، ووجّه ببيانٍ كاف شافٍ هذه العبارات والجمل.

---

(١) عقود الجمان في شعراء هذا الزّمان نقلا عن تراجم مغربية من مصادر مشرقية ص٧٩ – ٨٠ للدكتور محمد بن شريفة.

(٢) انظر طرّة نسخة الكتاب .

٣٦ ـ المُنْتَخَبُ مِن مُعْجَم الطَّبرانيّ الكبير :

قال ابنُ دحية : « حدّثني غيرُ واحدٍ مِن شيوخي بجزيرة الأندلس، ثمّ رحلتُ إلى المشرق ودخلتُ مدينةَ أصبهان، وقرأتُ بميورد منها على الشّيخ المُسنّ الصّالح الثّقة أبي جعفر محمّد بن أحمد بن نصر بن أبي الفتح سبط حسين بن مندة جميعَ المعجم الكبير، وهو أكبرُ مسانيد الدّنيا، فيه ستُّون ألفَ حديثٍ في أصل الطّبرانيّ على أبي جعفر المذكور في أصل سماعه، ثمّ انتخبتُ منه أيضاً على الحُرّة السّتّيرة فارس بانوية بنت محمّد يُعرف بالبنّاء وفيه سماعُها لجميعه سنة ثماني عشرة وخمسمائة وسماع شيخنا سنة عشرين... »[1].

فابنُ دحية هنا انتخب مجموعةً من أحاديث معجم الطبراني الكبير وقرأها على الشّيخة المذكورة، لذا يمكن جعلُ هذا الانتخاب إحدى آثار ابن دحية، والنّاظرُ في كتب التّراجم يلاحظُ كثيراً صنيعَ أصحابها حيث يعدُّون من مؤلّفات المترجَم لهم منتخباتِهم من كتب السّنّة وغيرها.

٣٧ ـ النّبراس في ذِكْر خلفاء بني العبّاس :

عنوانُ الكتاب :

خلت المقدّمةُ مِن تسمية الكتاب لكن سمّاه ابنُ دحية في كتابه الآخر « العلم المشهور » عند ذِكْرِه لمناقب الصّحابيّ الجليل عبد الله بن عبّاس رضي الله عنهما فقال : « وقد ذكرنا مناقبَه في كتابنا المُسمّى بالنّبراس في

---

(١) النّبراس في تاريخ خلفاء بني العبّاس ص ١٢.

ذِكْر خُلفاء بني العبّاس »[١]، ونحو هذه التّسميةِ عند المقّري وعبد الله كنّون وعمر رضا كحّالة[٢]، وطُبع الكتابُ بعنوان : « النّبراس في تاريخ خُلفاء بني العبّاس » تبعاً لما جاءَ في غلاف النّسخة الخطّية، وهي التّسميةُ المذكورة عند ابن خلّكان الذي وقف على نسخةٍ من الكتاب ونبّه على غلطةٍ وقعت لابن دحية فيه فقال : « رأيتُ في كتابِ النّبراس في تاريخ خلفاء بني العبّاس تأليف أبي الخطّاب ابن دحية غَلْطَةً أحببتُ التّنبيهَ عليها في هذا الكتاب[٣] كي لا يقف عليها أحدٌ فيظنّه مصيباً فيما ذكره »، ثمّ ذكر الغلطةَ وبيّن وجه الصّواب وقال : « ومثلُ ابنِ دحية لا يُعذر فقد كانَ حافظاً ومطّلعاً على أمور النّاس، وهذا الأمرُ واضحٌ لكن الخطأ موكّلٌ بالإنسان »[٤].

نسخةُ الكتاب ونشرتُه :

طُبع الكتابُ قديماً بتصحيح وتعليق المُحامي عبّاس العزّاوي في مطبعة المعارف[٥] ببغداد سنة ١٣٦٥هـ ـ ١٩٤٦م، واعتمد في تحقيقه وخدمة نصوصِه على نسخةٍ يتيمةٍ موجودةٍ بتركيا في مكتبة نور عثمانية تحت رقم:

---

(١) العلم المشهور في فضائل الأيّام والشّهور ل ١١٥ / أ.

(٢) يعني كتابه وفيات الأعيان .

(٣) انظر نفح الطّيب ٢/ ١٠٤، ١١٨/٥، والنبوغ المغربي ١/ ١٧٠، ومعجم المؤلفين ٢٨١/٧ .

(٤) وفيات الأعيان ٢٤٢/٦ - ٢٤٣.

(٥) وجاء في ٢٠٥ صفحةً مع الفهارس، خلا المقدّمة التي جاءت في ٢٣ صفحةً.

٣١١٦، وهي نسخةٌ نفيسةٌ للغاية فقد قُرئت على المؤلِّف نفسِه سنةَ ٦١٣هـ[١] أي قبل وفاتِه بعشرين سنةً وعمرُه آنذاك ٧٧ عاما.

كُتبت النّسخةُ بخطٍّ نسخيٍّ جميلٍ للغاية شبيهٍ إلى حدٍّ كبيرٍ بخطوط الخزائن الملوكيّة، كتبهُ محمّدُ بن عليّ بن محمّد الأنصاريّ، وهو كاتبُ الأصل والسّماع والقارئُ على المؤلّف، وقد جاء في غلاف النّسخة ما يلي : « كتابُ النّبراس في تاريخ خلفاء بني العبّاس للحافظِ ابن دحية رحمه الله، إملاء السيّدِ الإمامِ العالِم الأوحدِ، ملكِ الحُفّاظِ، شرفِ الرّواةِ، الشَّريفِ الحسيبِ النّسيبِ، مُفتيِ الفرقِ، قاضي القضاةِ، ذي النّسبين الطّاهرين، بين دحية والحُسين رضي الله عنهما، مجدِ الدّين أبي الخطّاب ابنِ الشّيخِ الإمامِ العالمِ أبي عليّ حسن بن عليّ سبطِ الإمامِ أبي البَسّامِ الفاطميّ الحسني رضي الله عنه، عددُ أوراقِه مائةٌ وسبعونَ ورقةً بتفصيلٍ واحدٍ، والحمدُ لله وحده »[٢].

وممّا يزيدُ مِن قيمة النّسخة وجودُ سماعاتٍ نادرةٍ هي :

أوّلاً : سماعٌ بتاريخ ٦١٤هـ[٣] جاء على غلاف النّسخة الخطّية وهذا نصُّه : « سمعَ جميعَ هذا المجلّدَ المشتملَ على تاريخِ خُلفاءِ بني العبّاس على

---

(١) تاريخ الأدب العربي ٥/٣٦٠ لبروكلمان، وفهرس المخطوطات المصوّرة ٢/٢٧٢ إعداد د. لطفي عبد البديع.

(٢) انظر النّموذج المُصوّر الذي عرضه العزّاويُّ في صفحة خ من مقدّمة التّحقيق .

(٣) أي قبل وفاتِه بتسعة عشر سنةً وعمرُه آنذاك ٧٨ عاما.

مُمليه(١) رضي ا لله عنه وأرضاه السّادةُ العلماءُ منهم :

الفقيهُ الأجَلُّ الشّريفُ العالِمُ قوامُ الدِّينِ أبو عبدِ ا لله محمّدُ بن عبدِ ا لله بن محمود بن محمّد الحُسينيُّ الإسكندريُّ، والأميرُ الأجَلُّ الاسفهسلار ضياءُ الإسلامِ بهاءُ الدِّين الحسيبُ أبو الفوارسِ ابن الأميرِ الأجَلِّ العالِمِ الأكملِ الاسفهسلار عضدِ الدِّين أبي الحمائلِ مرهفِ بن أسامةَ بنِ مُرشد بن عليّ بن مُنقذ الكلبيّ، والفقيهُ الأجَلُّ العالِمُ سراجُ الدِّينِ أبو محمّدٍ عبدُ الوهّابِ ابنُ الفقيهِ الأجَلِّ القاضي أبي سليمانَ داودَ بن أميرِ النّاسِ الصّنهاجيّ، والفقيهُ الأجَلُّ العَدْلُ شهابُ الدِّينِ شبلُ بن أسدٍ الشّافعيّ، والشّيخُ الأجَلُّ مُعينُ الدِّين أبو المَعاليّ موسى ابن الشّيخِ الفقيهِ الزّاهدِ المُقرىءِ النّحويّ أبي الحسن عليّ بن عمّار الأنصاريّ رحمه ا لله، وجماعةٌ آخرون ـ منهم مَن سمعَ كلَّه، ومنهم مَن سمع بعضَه ـ مذكورون في غيرِ هذا الموضعِ، وذلك بقراءةِ كاتبِ الأصلِ والسّماعِ العبدِ الفقيرِ إلى عفوِ ا لله ورحمتِه محمّدِ بن عليّ بن محمّد الأنصاريّ، وأغفل ذِكْر الحافظِ العالِمِ النّحويِّ الأصوليِّ شمسِ الدِّينِ أبي محمّدٍ عبدِ ا لله ابن الشّيخِ أبي الحجّاجِ يوسفَ بن عبدِ ا لله الجذاميّ، ويُعرف بابن اللّمط قريبِ السيّدِ الإمامِ العالِمِ الحسيبِ النّسيبِ ذي النّسبين الطّاهرين بين(٢) دحية والحسين رضي ا لله

---

(١) يبدو أنّ ابن دحية بعد أن فرغ من تأليف الكتاب أملاه على طلبتِه في مجالس دروسِه كما جرت به عادةُ العلماءِ قديماً.

(٢) قرأها العزّاويُّ : ابن، والصّوابُ المثبت أعلاه، كما هو ظاهرٌ من النموذج المعروض، ولأنّه الأسلوب المعلوم المتكرّر في المصادر المترجمة لابن دحية، بل هو الذي درج عليه ابنُ دحية نفسُه في كثيرٍ من مؤلّفاتِه.

عنهما؛ فإنّه جمعه كلّه بقراءتي مِراراً منها غرّةَ جُمادى الآخرة سنةَ ثلاث عشرةَ وستّمائة، وهذه القراءةُ الأخيرةُ كانت لاثنتي عشرة ليلةً خلت مِن شهر ربيع الأوّل عامَ أربعة عشر وستّمائة، والحمدُ لله وحده، وصلاتُه على محمّدٍ »[١].

الثّاني : سماعٌ بنفس التّاريخ أعني سنة ٦١٤هـ جاء في آخر الكتاب وهذا نصُّه : « قرأتُ جميعَه على مؤلّفِه الشّيخِ الإمامِ الحافظِ، ملكِ الحُفّاظ، شرفِ المُحدثين، سلطانِ العلماء، ذي النّسبين الطّاهرين بين[٢] دحية والحسين رضي الله عنهما وأبقاه، مراراً وآخرُها في العشر الأوّل من جمادى الآخرة مِن سنة ثلاث عشرة وستّمائة.

وكتب محمّد بن عبد الله بن محمود بن محمّد الحُسيني بعد حمدِ الله والصّلاة على محمّدٍ نبيه وآلِه والسّلام.

وسمعهُ بقراءتي الشّريفُ الأجَلُّ جمالُ الدين أبي عبدِ الله محمّد بن عبد العزيزِ الإدريسيّ في المرّة الأخيرة، وسمعهُ أيضاً الفقيهُ الحافظُ العالِمُ شمسُ الدين أبو محمّد عبد الله بن الشّيخ أبي الحجّاج يوسف الجذاميّ قريب المؤلّف في التّاريخ[٣]، والحمدُ لله وحده »[٤].

---

(١) انظر النّموذج المُصوّر الذي عرضه العزّاويُّ في صفحة خ من مقدّمة التّحقيق، وانظر أيضا صفحة : ق، ر.

(٢) قرأها العزّاويُّ : ابن، والصّوابُ المثبت أعلاه، وقد تقدّم التعليق على هذا قريباً.

(٣) أي التاريخ المذكور في السّماع وهو سنة ٦١٤ هـ.

(٤) انظر النّموذج المُصوّر الذي عرضه العزّاويُّ في صفحة ث من مقدّمة التّحقيق، وانظر أيضا صفحة : ر.

الثّالث : سماعٌ بتاريخ ٦٣٠هـ[١] جاء في آخر الكتاب وهذا نصُّه :

« قرأَ جميعَ هذه المجلّدةَ من لفظِه على مُصنِّفه السيّدِ الإمامِ العالِمِ الحافظِ، ملكِ الحُفّاظِ، سلطانِ المُحدِّثين، شيخِ شيوخِ الإسلامِ، قدوةِ العلماءِ الأعلامِ، بقيّةِ السّلفِ وقُدوة الخلفِ، مجدِ الدِّين ذي النّسبين ما بين دحية والحسين، أبي الخطّاب عمر ابن الشّيخ الفاضل أبي عليٍّ الحسن بن عليّ الفاطميّ الحُسينيّ رضي الله عنه :

ولدُه السيّدُ الشّريفُ العالِمُ الحافظُ الفاضل شرفُ الدِّينِ أبو جعفر محمّد، أمتعهُ الله بالعلم، وزيّنه بالحِلم، في مجالس عدّة آخرُها يوم الجمعةِ العاشر مِن ربيع الآخر سنة ثلاثين وستّمائة... [٢] كلام المصنّف بالقاهرة المحروسة »[٣].

الرّابع : سماعٌ بتاريخ ٦٥٩هـ[٤] جاء فوق عنوان الكتابِ وهذا نصُّه: « بلغهُ قراءةً على سيّدي والدي بسماعِه مِن السيّد والدِه رضي الله عنه وعنّا في مجالسَ آخرُها مِن شهر جُمادى الآخرة سنةَ تسع وخمسين وستّمائة، وكتبَ محمّدُ بن محمّد بن دحية عفا الله عنه ».

---

(١) أي قبل وفاة المؤلّف بثلاث سنواتٍ وعمرُه آنذاك ٨٤ عاماً رحمه الله تعالى.

(٢) كلمةٌ غير واضحةٍ في الأصل.

(٣) انظر النّموذج المُصوّر الذي عرضه الترّاويُّ في صفحة ث من مقدّمة التّحقيق، وانظر أيضا صفحة : ر، ش.

(٤) أي بعد وفاة المؤلّف بستٍّ وعشرين سنةً.

ثناءُ ابن دحية على الكتاب :

أثنى ابنُ دحية على هذا الكتاب كما جرت بذلك عادتُه فقال :

« فأتيتُ بالخبر مِن فَصه، وبالحديثِ على نصه، أنظمُ تارةً وأنثُر، وأمرُّ هوناً في حديثِهم ولا أعثُر »(١).

موضوعُ الكتاب وسببُ تأليفه :

يحدثنا عن هذا ابنُ دحية في مقدّمة الكتاب فيقول :

« الحمدُ لله مالك المُلك ومُؤتيه، ومنتزعه ممّن يشاء ومفنيه، ومعزّ مَن يشاءُ مِن عبادِه ومُدنيه، ومُذل مَن يشاءُ منهم ومُقصيه، الملك الحقّ في الدّنيا والآخرة يوم تخشاه الملوكُ وترتجيه، المنفرد برداء الكبريا الذي يقصمُ مَن نازعه رداءَه أو يدّعيه، المخصوص بالعظمة التي هي فوق كل عظمةٍ على ما يقتضيه ربُّ العِزَّةِ التي حسامُ سلطانِها سابقُ مَن ينتضيه، ذي الجلالِ والإكرام الذي أجرى المالكَ والمملوكَ على ما يُقدرُه فيهما ويقضيه، والصّلاة على سيّد ولد آدم محمّد أمينِه على وحيه ومُؤديه، المنتهض بأمر الله العظيم ومُوفيه، والقائم بما يُظهر به الدين القيّمَ ويُعليه، الذي آتاه الله الكتابَ والحكمةَ والملكَ العظيمَ وارثاً جدَّه إبراهيم إذ هو سيّدُ بنيه، وجعل الخلافةَ في أهل بيتِه وهم خلائفُ الأرض فيما ينصر الدينَ ويَحميه، صاحب المقامِ المحمود يومَ يكون كلُّ أحدٍ مرتَهناً بما فيه، وصاحب الحوضِ الموردِ يومَ تُدنى الشّمسُ مِن الخلقِ ومنهم مَن يُلجمه العرقُ إلجاماً وأشار رسول الله ﷺ بيدِه إلى فيه، صلّى الله عليه صلاةً

(١) النّبراس في تاريخ خلفاء بني العبّاس ص ٤.

تثيسّر المزيدَ لصاحبِها وتُسنيه، وعلى آلِه وصحبِه السّارعين إلى ما يُؤثره ويُرضيه.

أمّا بعد :

فإنّ المقامَ المولويَّ الأجليَّ السُّلطانيَّ المَلَكيَّ الكامِليَّ سلطانَ الإسلامِ والمسلمين، ناصرَ الدّنيا والدِّين، عِزَّ الملوكِ والسّلاطين، وليَّ العهدِ الذي لم تزل مخايلُ المُلْكِ لائحةً بين عينيه مُذْ كان في المهدِ ظهيرَ أمير المؤمنين، السّامي الجناب، الهامي الرّباب، المتبلّجة صفحاتُ مجدِه، المتأرّجة نفحاتُ حمدِه، المتجاوزِ مناطَ الجوزاء، المجرّر على المجرّة أذيال السّموّ والعلاء، أبا المظفّر محمّد ابن مولانا السّلطان الأعظم الذي خضعت لعظمتِه الأملاك، وكان به القوامُ والملاك، الملك العادل، المُحامي عن الدّين والمُناضل، المجاهد المرابط سيف الدّنيا والدِّين، خليل أمير المؤمنين أبي بكر محمّد ابن الصيّد الأجلّ ملك الأمراء، وأبي الملوك العظماء، نجم الدِّين ذي المروءة المرضيّة، والسيرة الرّضيّة، أبي منصور أيّوب ابن شاذي خلّد الله سلطانَه، وأوضح بين الملوك برهانَه، وخفض شانيه ورفع شأنَه، ومكّنه في الأرض وأسمى في السّماء مكانَه، سألني إملاءَ كتابٍ في التّأريخِ يصغرُ جرْمُه، ويكثر علمُه، إذ بالتّاريخ تعرفُ المناقبُ والمفاخر، ويدرك العلم الأوّل والآخر، فكلُّ علمٍ من التّاريخ يُستنبط، وحسبه ذا الفخر فقط، إذ أوّلُه بدءُ المخلوقات، وخلقُ الأرَضين والسّموات، ومعرفةُ السّابق منهما واللاّحق، وتقديرُ الأقوات للنّاطق وغير النّاطق، ومعرفةُ عدد الأيّام التي تختصُّ منهما بكلِّ مخلوق، والأزمان المخصوصة بالسّابق في الخَلْقِ والمسبوق، فلولا التّأريخُ ما عُرف أنّ الأرضَ قبل السّماء مخلوقة، ولا أنّ الأرضَ في بدءِ الخَلْقِ سابقةً والسّماء

مسبوقة، ولا عُرف أنّ خَلقَهما كان في ستّة أيّام، وخلق فيها مبادىء موجوداتِ سائر الأنام، وأنّ هذه الأيّام بينهما في الخَلق متوزّعة، وعلى تقدير المخلوقاتِ والأقواتِ متنوّعة، فاختصّت الأرضُ في الخَلْقِ والدّحوّ وإخراجِ المرعى وإرساء الجبال بأربعة أيّام والسّماء بيومين، على ما فسّره ابنُ عبّاسٍ للكتاب العزيز بلا ريبٍ فيه ولا مَيْن.

وكذلك لولاه ما عُرفت أوقاتُ الرّسل وأزمانُهم، ومواضعُهم التي دعَوا فيها إلى الله تعالى وأوطانُهم، وشرائعُهم المخصوصةُ بكلٍّ منهم وأديانُهم، والعقوباتُ الحالّةُ بمن خالفهم مِن الطّغاة، والسّاعاتُ التي حَلَّ فيها العذابُ بالعصاة، وفيه مِن التّبحّرِ في علم الحديثِ والرّسوخ، ومعرفة النّاسخ فيه من المنسوخ، والتّعديل والتّجريح، والحديث المُعلّ والصّحيح، والمواليد والوفيات، والمحيا والممات.

ثمّ الفقهُ من في الاتّفاق والاختلاف يُستشار، والفصاحةُ فيه مِن الألسنة تُستثار، وأصحابُ القياسِ عليه ينون، وأصحاب المقالاتِ به يحتجّون، وثِمارُ معرفةِ النّاسِ منه تُخترط، ودررُ أمثالِ الحكماءِ منه تُلتقط، ومكارمُ الأخلاق ومعاليها منه تُقتبس، وأدبُ سياسةِ الملوكِ وحيلِ الحروبِ منه تُلتمس، وكلُّ غريبةٍ منه تُعرف، ومِن بحره تُغرف، وكلُّ أُعجوبةٍ منه تُستطرف.

وهو علمٌ يستمتعُ بسماعِه العالمُ والجاهل، ويَستعذبُ موقعَه العاقلُ والغافل، ويأنسُ الخاصيُّ والعاميُّ بموردِه مِن مكانِه، ويرتعُ العربيُّ والعَجَمِيُّ في رياضِ بيانِه، وبه يُستدلُّ على فعلِ الله جلّ وعزّ بالأممِ

السّوالف، ويجري بذلك اعتبارُ الخالف بالسّالف، ويُوصل به كلُّ كلام، ويُتجمّلُ به في كل محفلٍ وناد، وحاضرٍ وباد.

ففضيلتُه في العلومِ صحيحةٌ بينة، وله على فضلِه شهود بينة، وكفاهُ أنّه أُسُّ معرفةِ أخبار رسول الله ﷺ وقاعدةُ أصلِها، وما لايَكادُ مُحَدثٌ يَستغني عنه في بعضِ علومِه بل في كلِّها.

وقد كان تقدّم لي في التّأريخِ تواليفُ كثيرَة، ومصنّفاتٌ مأثورةٌ وأثيرَة، فاقتصرتُ الآن على تأريخ خلفاء بني العبّاس، أُولي الأصلِ الشّامخِ الفرعِ الثّابتِ الأساس، ففيها كفاية، وهي اللُّبابُ وغيرُها نفاية، فذِكْرُها أجدى مِن كل مطلوب، وأندى على النّفوس والقلوب، مِن قومٍ ينتمون إلى أكرم المناصب والمناسِب، يُحَيّون بالرّيحان يومَ السّباسب... »[1].

قيمةُ الكتابِ :

إنّ كتابَ ابن دحية « النّبراس في تاريخ خلفاء بني العبّاس » أثرٌ تاريخيٌّ « أبقته الأيّامُ فخراً لمصر والعراق، دفعه إلى تحريره أسفارُه إلى بغداد وإلى الأقطار الإسلامية الأخرى، فكشف عن صفحةٍ مِن تاريخ قطرنا ـ العراق ـ، ودلّ على العلاقةِ المكينة »[2]، « ولو لم يكن في هذا التّاريخ إلاّ أنّ مؤلّفَه أكّد به الصلات بين الخلافة العبّاسيّة والدّولة الأيّوبية تقويةً

---

(١) النّبراس في تاريخ خلفاء بني العبّاس ص ١ ـ ٤.

(٢) العزّاويّ : مقدمة تحقيق النّبراس في تاريخ خلفاء بني العبّاس صفحة ز.

لأواصرِ الألفة في حينها لكفى »(١)، و« لا ريبَ أنّ أثرَه هذا يُنبىءُ عن قدرتِه العلميّة »(٢).

أسلوبه في الكتاب :

يُلخِّص لنا ذلك بأوجز عبارةٍ مصطفى جواد حيث يقول :

« هو نثرٌ مسجَّعٌ على طريقة العِماد الأصفهاني في تاريخه، ولكن سَجعُه أخفُّ مِن ذاك »(٣).

تاريخُ تأليف الكتاب :

ألّف ابنُ دحية هذا الكتاب بمصرَ وكان قد عادَ إليها بعد جولاتٍ كثيرةٍ في مختلف الأقطار(٤)، كتبهُ بطلبٍ من الكامل أيّامَ ولايته للعهدِ، ذكر ذلك ابنُ دحية في المقدّمة فقال : « إنّ المقامَ المولويَّ ... وليَّ العهدِ ... سألني إملاءَ كتابٍ في التّاريخِ يصغرُ جرْمُه ، و يكثرُ علمُه »(٥)، وهذا يدلُّ على أنّ تأليفه كان قبل سنة ٦١٥هـ، والكاملُ إنّما بُويع له بالملكِ سنة ٦١٥هـ، ويعضدُ هذا أيضاً تاريخُ سماع الكتاب إذ سُمع على ابن دحية سنة ٦١٤ هـ، بل يمكن القولُ أنّ ابن دحية ألّف الكتابَ قبل سنة

(١) العزّاويّ : مقدمة تحقيق النّبراس في تاريخ خلفاء بني العبّاس صفحة ز.

(٢) المصدر نفسه صفحة ح.

(٣) حاشية المختصر المحتاج إليه من تاريخ الدّبيثي ـ انتقاء الذهبي ٣ / ٩٩.

(٤) انظر النّبراس في تاريخ خلفاء بني العبّاس ـ مقدّمة التّحقيق صفحة ح.

(٥) النّبراس في تاريخ خلفاء بني العبّاس ص ١ ـ ٢ .

٦١٣هـ أو فيها على أبعدِ تقديرٍ حيث قرأ عليه الكتابَ كلّه أحدُ أقاربه وهو ابنُ اللّمط سنةَ ٦١٣هـ كما جاء في أحد سماعات الكتاب[١].

مصادرُه في الكتاب :

تحدّث العزّاويُّ عن مصادر ابن دحية في كتابه « النّبراس في تاريخ خلفاء بني العبّاس » فقال: « رجع المؤلِّفُ في كتابه النَّبراس إلى كتبٍ تاريخيّةٍ عديدةٍ ومهمّةٍ، منها المتداوَلُ المعروفُ مثل المعارف لابن قتيبة وكتاب ابن واضحٍ والمسعوديّ، إلاّ أنّ التّواريخَ الأخرى لا تزالُ في طيِّ الخفاء، أو مطمورةً في زوايا الإهمال، وبينها ما نحنُ في حاجةٍ ماسّةٍ إليه، والاطِّلاعِ على نصوصِه للاستفادةِ منه والاستقاءِ مِن معينِه، وإذا كُنّا عرفنا أنّ هذه الآثارَ لأكابر المؤرِّخين، ونوابغِ المُؤلِّفين في عصور النّهضةِ العربيّة وأيّام التّكامل الإسلاميّ علمنا أنّها تَستحقُّ كلَّ عنايةٍ ورعايةٍ، بل تَستدعي البحثَ الصّحيحَ والتّحريّ الصّادق في الاهتمام بشأنِها وإحيائِها »[٢].

وإليك أخي القارىء ما تيسّر جمعُه من هذه المصادر مرتّبةً على حروف المعجم :

١ ـ الإرشاد لأبي المعالي.

٢ ـ إصلاح المنطق.

---

(١) انظر النّموذج المُصوّر الذي عرضه العزّاويُّ في صفحة خ من مقدّمة التّحقيق، وانظر أيضا صفحة : ق، ر.

(٢) النّبراس في تاريخ خلفاء بني العبّاس ـ مقدّمة التّحقيق صفحة س. ثمّ ذكر العزّاويُّ ستّةَ عشر مصدراً.

٣ ـ الأفعال لابن القوطيّة.

٤ ـ بيان الفرقة النّاجية للحافظ موفّق الدين أبي نصر أحمد بن محمّد بن الحسين الطّرقيّ[١].

٥ ـ تاريخ البصرة لأبي إسحاق إبراهيم بن حبيب المسمّى لوامع الأمور وحوادث الدّهور.

٦ ـ تاريخ الشّريف أبي محمّد هارون بن العبّاس بن المأمون.

٧ ـ التّاريخ الكبير لهلال بن الحسن الصّابيء.

٨ ـ تاريخ أحمد بن أبي يعقوب بن وهب بن واضح الكاتب المشهور بتاريخ اليعقوبي[٢].

٩ ـ تاريخ ابن أبي خيثمة زهير بن حربٍ : ويبدو أنّه كان يمتلكُ منه نسخةً بدليل النّقول الكثيرة عنه، وذكرَ مرّةً أنّه نقل من أوّله.

١٠ ـ تاريخ عبّاس بن محمّد الدُّوريّ.

١١ ـ تاريخ أبي الفضل محمّد بن يوسف الغزنويّ، قال ابنُ دحية: « وأنا بريءٌ مِن عُهدتِه »[٣].

١٢ ـ تاريخ ابن أبي مريم.

١٣ ـ تاريخ الهيثم بن عديّ.

---

(١) للطرقي ترجمة في لسان الميزان ١/١٤٣ وفي مقدمة هذا الكتاب، قاله العزاوي حاشية ص٢٥ من النبراس.

(٢) طبع في أوربا وفي النّجف كذا في حاشية النّبراس ص ٣٠ حاشية ٣ للعزّاوي.

(٣) النّبراس في تاريخ خلفاء بني العبّاس ص ١٠٩.

١٤ ـ جامع التّرمذي.

١٥ ـ جذوة المقتبس للحميدي.

١٦ ـ حلية الأولياء لأبي نعيم.

١٧ ـ دلائل النّبوّة لأبي نعيم.

١٨ ـ سير السّلف للحافظ الإمام عالم أصبهان أبي القاسم إسماعيل بن الفضل الأصبهاني.

١٩ ـ شرح أبيات الإصلاح لأبي محمّد يوسف بن الحسن السّيرافي.

٢٠ ـ شرح أبيات الجمل لأبي محمّد بن السّيد.

٢١ ـ شعر امرىء القيس.

٢٢ ـ عنوان السّير لمحمّد بن عبد الملك الهمذانيّ.

٢٣ ـ الفاضل لأبي الطّيّب محمّد بن إسحاق بن يحيى بن الأعرابيّ.

٢٤ ـ كتابٌ للصولي : ذكره ابنُ دحية في ترجمة المقتدر بالله أبي الفضل جعفر بن المعتضد فقال: « وهو أوّلُ مَن ولي مِن بني العبّاس وهو غيرُ بالغٍ، وتكلّم الفقهاءُ في ذلك والمحدِّثون، فاحتجّ مَن أجازه بأنّ الله تعالى بعث يحيى بن زكريا نبيّاً وهو غيرُ بالغٍ بقوله تعالى: ﴿وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾، ولا يُقال فيمن بلغ : صبيٌّ، وقد ألّف الصّوليُّ في ذلك كتاباً »(١).

٢٥ ـ المعارف لابن قتيبة.

٢٦ ـ معجم الطّبراني الكبير ـ نسخة أبي نُعيم المازني.

٢٧ ـ المعقّبين مِن ولد أبي طالب لابن خداع.

---

(١) النّبراس في تاريخ خلفاء بني العبّاس ص ٩٥.

٢٨ ـ الملل والنّحل لابن حزم.
٢٩ ـ الموطّأ لمالك بن أنس.
٣٠ ـ نقط العروس في غريب التّواريخ والحكايات والأخبار لابن حزم.
٣١ ـ الهدايا والتّحف للخالديّين أبي بكر محمّد وأبي عثمان أحمد ابني هاشم.

ورغم قيمة الكتاب العلمية وندرة بعض المصادر التي استعملها فلم يحظ الكتابُ باهتمام المؤلِّفين بحيث يندر أن تَرى نقلاً عنه أو عزوا إليه[١] « والظّاهرُ أنّه لم يقع لهم، أو وقع ولم نعثر لهم على نقلٍ منه أو إيراد نصٍّ من نصوصِه إلاّ في وقتٍ متأخرٍ، فبقي مطموراً في زوايا الإهمال مدّةً »[٢].

٣٨ ـ نثرُ الدُّرَر في فضل مَن تمسَّك بسُنّة سيِّد البَشَر :

انفرد بذِكْرِه ابنُ الشَّعّار في كتابه « عقود الجُمان »[٣].

٣٩ ـ نهايةُ السُّول في خصائص الرّسُول ﷺ :

كذا سمّاه عبد الله كنُّون[٤] ، وسمّاه ابنُ الملقِّن « خصائص أعضاء رسول الله ﷺ »[٥] ، وابنُ حجر « الخصائص »[٦]، وهو العنوانُ الذي جاء

(١) ومن هذا النّادر نصٌّ نقله مغلطاي في كتابه الإشارة إلة سيرة المصطفى وتاريخ من بعده من الخلفاء ص ٥١٧ وهو موجودٌ في كتابه النّبراس ص ٨٥.
(٢) العزّاويّ : مقدمة تحقيق النّبراس في تاريخ خلفاء بني العبّاس صفحة ز ـ ح.
(٣) انظر عقود الجمان في شعراء هذا الزّمان نقلا عن تراجم مغربية من مصادر مشرقية ص٧٨ للدكتور محمد بن شريفة.
(٤) النبوغ المغربي ١ / ١٦٩.
(٥) البدر المنير ١/٣٨٦.
(٦) فتح الباري ٦/٢٠٩، ٧/١٢.

على غلاف النّسخ الخطّيّة.

وقد أشار إلى هذا الكتابِ ابنُ دحية نفسُه في كتابه « المستوفى » وأنّه يقع في مجلّدين فقال : « وكذلك خصَّ محمّداً بأشياء لم يخصّ بها أحداً من العالمين، **وقد جمعنا ذلك في مجلّدين** »[١].

وفي موطن آخر قال :

« وقد ثبت عن رسول الله ﷺ [أنّه قال]: اللّهمّ اغفر لأمّتي، اللّهمّ اغفر لأمّتي، وأخّرتُ الثّالثة ليومٍ يرغبُ إليّ فيه الخلقُ كلّهم حتّى إبراهيم، وهو سيّدُ النّاس يومَ القيامة، وقد ذكرنا ذلك بالأسانيد المجمعِ على صحّتها **في كتابنا الذي جمعنا فيه خصائصَ رسول الله ﷺ** »[٢].

وذكره في كتابه « الابتهاج » عند كلامه على المقام المحمود فقال :

« وقد تكلّمنا على ذلك في خصائص رسول الله ﷺ عند ذكر الشّفاعة، **فلينظر في المجلّد**[٣] **الذي فيه الخصائصُ** إن شاء الله تعالى »[٤].

ثناءُ ابن دحية على الكتاب :

قال رحمه الله :

« فليفخرْ بهذا الكتابِ مَن يأخذه عنّي، إذ لا أعلمُ الآن أحداً أعلمَ بالصّحيح والسّقيم منّي، فهو بحرُ علمٍ تلتطمُ بالكتاب والسُّنّة أمواجُه،

---

(١) المستوفى في أسماء المصطفى ل ١١٧ / أ.

(٢) المصدر نفسه ل ١١٨ / أ.

(٣) انظر نهاية السّول في خصائص الرّسول ﷺ ص ٢١٦ ـ ٢٢٣ .

(٤) الابتهاج بأحاديث المعراج ص ١٤٢.

وتتقاذفُ بدرر الآداب والإعراب والأنساب أثباجُه، تنقلُ منه الآثارُ الصّحيحةُ وتُرْوَى، وتسقى من حياضه النّيّرة الشفاه الظّامئةُ فتَروى، فتتنافس فيه البلدان، وتتعاطاه خراسان وبغدان[١]، وتصغى إليه القلوب وتستمع إليه الآذان، وتردده الألسن استطابةً كأنّه الأذان »[٢].

نسخُ الكتابِ :

الكتاب حسب علمي له أربعُ نسخ :

الأولى : في مكتبة برلين بألمانيا تحت رقم : ٢٥٦٧[٣].

وقد ذكر الشّيخُ نظام يعقوبي أنّ هذه النّسخة يوجدُ منها المجلّد الأوّل فقط، وهي نسخةٌ نفيسةٌ جدّا، مكتوبةٌ بخطٍّ نسخي متقنٍ يشبهُ خطَّ المصاحف المتقنة، آيةٌ في الجمال والرَّوعة، وهو كتابٌ نفيسٌ علّقَ منه الشّيخُ بعضَ الفوائد[٤].

الثانية : في دار الكتب المصرية بالقاهرة تحت رقم : ٦٦٤١ .

الثالثة : أيضا في دار الكتب المصرية تحت رقم : ١٩٥٠٧ ب .

---

(١) لغة في بغداد.

(٢) نهاية السّول في خصائص الرّسول ص ٣٦ ـ ٣٧. والجديرُ بالذِكْرِ هنا أنّ ابن دحية ضمّن في كتابه النّبراس في تاريخ خلفاء بني العبّاس ص ٥٤ ـ ٦١ رسالةً مُطوّلةً في موضوع خصائصه ﷺ وفضائله.

(٣) انظر وصفاً مطوّلاً لهذه النّسخة في فهرس ألمانيا ٢/٦٠٥ ـ ٦٠٦ .

(٤) من خطاب خاص أرسله إليّ الشّيخُ نظام يعقوبي، وقد زار هذه المكتبة قبل عدّة سنواتٍ.

الرّابعة : أيضا في نفس الدّار تحت رقم : ٢١٤٩٤ ب[1] .

وقد صدر الكتابُ عام ١٤١٦هـ عن مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر، بتحقيق د/ عبد الله عبد القادر الشيخ محمّد نور الفادني رحمه الله تعالى، وهي رسالتُه الدّكتوراه، وقد تُوفي رحمه الله بعد المناقشة « بفترة وجيزة فلم يتهيّأ له أن يُراجع الكتابَ قبل طباعته على حسب ما يبدُو »[2].

واعتمد في التحقيق على ثلاث نسخٍ: واحدة برقم: ٦٦٤١، والثانية والثالثة نسختان حديثتان، والكلُّ بدار الكتب المصرية، وفاته المجلّدُ الأوّل من الكتاب الموجود بألمانيا .

موضوعُ الكتاب وسببُ تأليفه :

يحدثُنا عن هذا ابنُ دحية في مقدّمة الكتاب فيقول :

« الحمدُ لله الذي تنزّهتْ عن درك الإحاطةِ ذاتُه، وتمّتْ صدقاً وعَدْلاً كلماتُه، والصّلاةُ والسّلامُ على محمّدٍ نبيه وأمينِه على وحيه الذي خصّهُ بخصائصَ ارتفعتْ به درجاتُه، فبهرتْ معجزاتُه ووضحت آياتُه، وعلى آله وأصحابه الذين ثبتَ سمتُهم في التّوراة والإنجيل كما ثبت فيها اسمُه وصفاتُه.

---

(١) انظر وصف هذه النّسخ في فهرست مخطوطات دار الكتب المصريّة ٣/١٧٩ إعداد فؤاد سيّد رحمه الله، ومقدّمة نهاية السُّول ص ١٣ - ١٤.

(٢) انظر مقدمة الكتاب ص ٦. وقد لاحظتُ ذلك أيضا ممّا يستدعي ضرورة إعادة نشر الكتاب خاصّة بعد الحصول على المجلّد الأوّل من نسخة ألمانيا .

أمّا بعدُ :

فإنّي ذاكرٌ في هذا الكتاب بإذن الله الذي لا تسقطُ ورقةٌ إلاّ بعلمِه، ولا يُلفظُ بكلمةٍ إلاّ بإذنه وحُكْمِه، ما يُسِّر لي حفظُه وعلمُه، وقُدِّر لي شرحُه وفهمُه، من خصائص رسول الله ﷺ التي لم تجتمع قبلُ في مخلوق، وما أوجبَ الله عزّ وجلّ له على جميع خَلْقِه مِن الحُقُوق، وإن كانت خصائصُه ﷺ أكثرَ من أن تُحْصَى، بل تزيدُ عَدّاً على مجموع الحَصَى[1]، فقد مدحهُ الله عزّ وجلّ في غير موضعٍ من محكم كتابه، ووصفهُ في الكتب المتقدِّمة بأسمائه الأعلام وصرّح بأنسابه، وأنزل في قبيلته قرآناً يُتلى على مرِّ الدَّهْرِ وتعاقُب أحْقابه، وقدّمهُ قبل جَدِّه نوحٍ عند أَخْذِ الميثاق وعَقْدِ أسبابه، ثمّ أخذَ العهدَ على سائر الأنبياء بالإيمان به ونصره حين أوصى به وزكّى جوارحَهُ المطهّرةَ من ذامِّ القولِ وعابه، وأثنى على خُلُقِه وآدابه، ورفعَ له ذِكْرَهُ وهو لا يُخلفُ وعداً حَقّقهُ في خِطابه، وأفضلَ على من آمن به وصدّق واتّبعَ صَوْبَ صوابه، بأن جعلَ لهم من النّعيم ما لا عينٌ رأتْ ولا أذنٌ سمعتْ مع أحبّتِه وأحبابه، ويطوفُ عليهم ولدانٌ مخلَّدون كأنّهم اللّؤلؤُ المكنونُ وكلُّ واحدٍ آمِنٌ في غرفتِه ومحرابه، وقطعَ دابرَ عدوِّه وجعلَ غلظَ ضِرْسِ الكافرِ مثلَ أُحدٍ أو نابه، ومسيرة ما بين منكبيه ثلاثة أيّامٍ للرّاكب المُسرعِ في ذهابه، هو آخِرُ المرسلين وخاتمهُم وأوّلهُم في محتدِ القدر ونصابه، صلّى الله عليه وعلى آله الطّيّبين الطّاهرين من دنس الرّجس وأوصابه، ورضي الله عن المهاجرين والأنصار والتّابعين من أصحابه، ثمّ

---

(١) فيه مبالغةٌ لا تخفى .

التّابعين لهم بإحسانٍ إلى يوم مآبِهم ومآبِه، ما طلعتْ شمسٌ نهاراً أو طلعَ نجمٌ ليلاً بضوء شهابِه، فليفخرْ بهذا الكتابِ مَن يأخذه عنّي، إذ لا أعلمُ الآن أحداً أعلمَ بالصّحيح والسّقيم منّي، فهو بحرُ علمٍ تلتطمُ بالكتاب والسُّنّة أمواجُه، وتتقاذفُ بدرر الآداب والإعراب والأنساب أثباجُه، تنقلُ منه الآثارُ الصّحيحةُ وتُروَى، وتُسقى من حياضه النّيرة الشفاهُ الظّامئةُ فتَروى، فتتنافس فيه البلدَان، وتتعاطاه خُراسان وبغدَان، وتصغى إليه القلوب وتستمع إليه الآذان، وتُردّدُه الألسنُ استطابةً كأنّه الأذان »[١].

٤٠ ـ الوفيات :

كذا سمّاهُ ابنُ ناصر الدين الدمشقي الذي نقل عنه كثيراً في كتابه « توضيح المشتبه »[٢]، ويبدوُ من خلال النّصوص التي نقلها أنّه وقف على نسخةٍ منه.

ثمّ إنّ تلك النّصوص تُعطينا لمحةً عامّة عن منهج ابن دحية في كتابه هذا فهو مرتّبٌ على الوفيات بحيث يذكرُ تحت كل سنةٍ الأعلامَ الذين كانت وفاتُهم فيها فيقول: ذِكْرُ مَن تُوفّي سنة كذا، ويذكُرهم عَلَماً علماً مع تحليتهم بما عُرفوا به من حفظٍ أوتحديثٍ أو روايةٍ أو نحو ذلك، على ما جرت به عادةُ كتب تراجم الرجال، وهذا يُقوي الظنّ من كون هذا

---

(١) نهاية السُّول في خصائص الرّسُول ﷺ ص ٣٦ ـ ٣٧ .

(٢) انظر توضيح المشتبه ٣٧١/١، ٦٧٠، ٦٨٣، ٦٠/٢، ٢٢١، ٣٠٠، ٥/ ٢١، ٤١/٦، ٢٦١/٧، ٢٥٤/٩.

الكتاب هو المقصودُ بالذِّكْرِ عند الغُبرينيّ الذي قال: « قد رأيتُ له تصنيفاً في رجال الحديث لا بأسَ به »[١].

٤١ ـ وهجُ الجَمْرِ في تحريم الخَمْرِ :

كذا سمّاه ابن دحية في ديباجته[٢]، وفي « تنبيه البصائر »[٣]، و« العَلَم المشهُور »[٤]، و« المُطْرِب »[٥]، وهي التّسميّةُ التي ذكرها ابنُ الشّعّار[٦] وعبدُ الله كنّون[٧].

نُسختا الكتابِ :

للكتاب نسختان :

الأولى : نسخة المكتبة المحمودية في المدينة المنورة (هي الآن ضمن مكتبة الملك عبد العزيز)، تقع في ٤٥ لوحة، مضبوطة بالشّكْلِ غالبا،

(١) عنوان الدّراية فيمن عرف من العلماء ببجاية ص ٢٧٢، وانظر النّبوغ المغربي ١/١٦٨ لعبد الله كنّون.

(٢) وهج الجمر في تحريم الخمر ص ٣٦.

(٣) تنبيه البصائر في أسماء أم الكبائر ل ٢٠/ أ، ٣٩/ ب، ٤١/ أ، ٥٢ / أ، ٥٧/ ب، ٦٤/ ب ـ ٦٥/ أ، ٧٧/ أ .

(٤) انظر العلم المشهور ل ١١٣ / ب، ١٥٧ / أ.

(٥) انظر المطرب في أشعار أهل المغرب ص ٢١٩، ٢٢١.

(٦) انظر عقود الجمان في شعراء هذا الزّمان نقلا عن تراجم مغربية من مصادر مشرقية ص ٧٨ للدكتور محمّد بن شريفة.

(٧) النبوغ المغربي ١ / ١٦٩.

نسخت سنة ٧٥٢هـ، رقمها ٢١٨ حديث(١).

كتبها بقلم نسخي يونس بن أحمد بن يونس عام ٧٥٢هـ، ذات مقاس ١٦ x ٢٢ سم، مسطرتها ٢٣ سطرا.

الثانية : نسخة مكتبة الكتّانيّ في الخزانة العامّة بالرّباط بالمغرب، برقم: ٥٨٧، قسم الحديث، لها صورة في الجامعة الإسلامية برقم: ٢٦٨٠ مصوّرات، وهي في ٣٠ لوحة، بخطٍّ مشرقيٍّ جيّد، وليس عليها اسمُ النّاسخ ولا تاريخ النّسخ، وقد نُسبت في الغلاف خطأً إلى السُّيوطي.

تحقيقُ الكتابِ :

حقّق الكتابَ محمّد ظفر الله عطاء الله في رسالته الماجستير بجامعة الإمام محمّد بن سعود الإسلاميّة بالرّياض، كلّيّة أصول الدّين، قسم الحديث، وقد اعتمد الباحثُ في تحقيقه على نسخة المدينة والرباط.

موضوعُ الكتابِ :

يتّضحُ ذلك جليّاً من خلال مقدّمة الكتاب التي ذكر فيها ابنُ دحية وليَّ العهد آنذاك الكامل بن العادل الذي بالغ في مدحه مبالغةً ظاهرةً، وذكرَ أنّ تأليف الكتاب كان سنة ٦٠٦هـ، وفي هذا كلّه يقول :

« نحمدُ الله حمداً يقتضي كمالَ النّعمة وتمامَها، ويستسقي سحائبَ الرّحمة وغمامَها، ونستوهبُه موالاة الخيرات ودوامَها، ونُصلّي على سيد ولد آدم محمّدٍ الذي صدع عن أوجه الأيّام ظلامَها، وروّى بصفاء شرعته غلّةَ القلوب وهُيامَها، وبيّن حلالَها وحرامَها، وأطفأ لهيبَ الفتنة وضِرامَها،

(١) انظر المنتخب من مخطوطات المدينة المنورة ص ١٣٩ - ١٤٠ لعمر رضا كحالة.

وجمع على كلمة الحقِّ التيامَ الأهواء وانتظامَها، وعلى آله وأصحابه صلاةً تلازم لياليَها المشرقةَ وأيّامَها.

وبعد :

فإنّي لمّا جمعتُ بين رحلتي المشارق والمغارب، وقيّدتُ فيها جميعَ المذاهب، ورُزقتُ المُنى، ووُقيتُ المَنا، ويُسِّر لي الطّريق، وبُشِّر بي المعشرُ والفريق، إلى أن جئتُ مصر بُعَيْدَ مدَّة، وقد أنجيتُ من نصبٍ وشدَّة، فجعلتُ ألاحظُ الأهْرَام، وأُعاينُ الأشخاصَ منها والأجْرَام، فأقول: أين مَن شيَّد وأطَال، وملكَ فاستطَال، وكفر وتمرَّد، ونكب عن السّبيل وعَرَّد، أين فرعونُ ذو الأوتاد، وكنعانُ أخُو العُدَدِ والعَتَاد، أين منه العصيانُ والعِنَاد، بل أين الحَشَمُ والأجنَاد، مَرُّوا كأمْسِ الدَّابر، وانصدع الشَّمْلُ فهل مِن جَابر؟ هذه الآثارُ والرُّسُوم، فأين الأجسادُ والجُسُوم؟ تمرُّون على القبور والأجداث، ولا تُفكِّرون في النّوائب والأحدَاث.

فيا عجباً للاهٍ عنها مُعْرِض، وهو مِن الحُتوف في ميدانٍ ومَعْرِض، لقد غفل الغافِل، وشُغل بأهله الآيبُ والقافِل.

فقال لي قائلٌ : شرّفها الله بمَلِكٍ رفعه في العلم مكاناً عليّا، وآتاه المُلْكَ والشّجاعةَ صبيّا، من مَلِكٍ غَمْرِ الرِّدَاء، سَكْبِ الأنْدَاء، وافي الخِلال، صَافي الجَلال، ذي الأيادي الغُرّ، والحَسَبِ الحُرّ، حكم وما استحكم، وأجادَ وما حمل النّجاد، يفترعُ المعاني افتراعا، ويدعُو القوافي فتُجيبه سِراعا، يسيرُ بالسَّرِيَّة، ويحكمُ بالسَّويَّة، ويعدِلُ في القَضِيَّة، ذي الفضل الشّامِل، والبيان الفاضِل، مولانا السُّلطان الكامِل، ابن مولى الملوك السّلطان الملك العادِل، الذي تثلج بذِكْره الصّدُور، وتعجزُ عن وصفه

الأعْجَازُ والصُّدُور، رفَّتْ عليه الزَّعامةُ والرياسَة، وشفَّتْ لديه الحَزامةُ والسياسَة، تفرقُ من بأسه الخُطُوبُ والنُّوَب، ويُستعادُ بذِكْره الألْحَانُ والنُّوَب، الجَوادُ إذا ضَنَّ الأجْوَاد، والماجدُ الذي أقرّت له بالفَضْلِ الأمْجَاد، مع التّواضع المشهُور، والعبادةِ التي شاعت عند الخاصّة والجمهُور، إذا لَفَحَ الهَجيرُ توسّدَ أَبْردَيْه، وإذا هبَّ النّذيرُ لَفَّ على التُّقى والورع بُرْدَيْه، ومتى هجع النِّيام، وأظلّتْ أربابَها الخيَام، مدَّ يدَ الضَّراعةِ لمولاَه، باخعاً له بالشّكر على ما أولاَه، فما أَحْرَاه بتفديته بالمُهَجِ وما أولاَه، وإذا ركضَ اليَعْبُوبُ، ونَفَضَ الحَبُوب، والطَّرْفُ يسبقُ الريحَ فَوْتا، ويُرَددُ نغمةً وصوتا، وقد نادى الحُسام، أنا بيدِ مَلِكٍ لا يُضام ولا يُسام، يُصارِعُ الأقرانَ صِراعا، ويُوسعهم مُصاعا وقِراعا، حتّى يُعَفِّرَهُم بالتُّراب، ويُغادرَهُم مع الأل والسَّراب، ثمّ يتبوَّأُ القَصْرَ المشِيد، أو يَخْلُفُ المأمونَ أو الرَّشيد، إلى مآثر ومفاخِر، وأوائل وأواخِر، لا يأخذُها حصرٌ ولا عَدّ، ولا يقومُ لمثلها يَعْرُبَ ولا مَعَدّ.

غير أنّي تشاغلتُ ببعض النّوافل عن أداء فرضه الحافِل، وأحجمتُ بالكُلِّيَّة، عن لقاء مرتبته العليَّة، فبعث إليَّ أجلَّ أصحابه، وأجزلَ وزرائه وحُجَّابه، وقال: مولانا السُّلطان يقولُ لك: إمّا أن يصل إليك أو تصل إليْه، فقلتُ: بل الواجبُ مُثولي بين يديْه، فوجدتُه يَرُوقُ في كل معنى، ويفوقُ الملوكَ في كلّ مَنَابٍ ومَغْنى، ما شئتَ من سجع تتابع فاتّسَق، وبديع نَظْمٍ كاللالىء في نَسَق، فحدّثتُه بسُنَنٍ في طَيها أَسْحَار، يَمْرَحُ فيها الذِّهْنُ أو يَحَار، وقلتُ: صوابُ الرّأي كوني بأرضِه، وأن أتقصّى فيه لازمَ فرضِه.

فو الله ما أدري وإنّي لشاعـــــــــرٌ
إلى أيّ معنىً مِن مديحك أقصِدُ
وإن قيل مَن للعلم والحلم والعُـــــلا
ومَن لقِراع الخيل قيل محمَّـــــدُ
وعَدْلُك في الدُّنيا بسيطٌ لأهلـــــها
على أهلها منه رواق ممـــــدَّدُ

والله تعالى يُديمُ بـه نُصرةَ الإسلام، ونَضْرَة الأيّام، ويُبقيه في نعمٍ ضافيةِ البُرُود، صافيةِ البَرُود، مُطْنِبَة الأَطْناب على كبد السَّماء، متجاوزةٍ مناطَ الجَوْزَاء، ما تأرّجَ بنفسجُ الفجر وتضرّجَ وَرْدُ الشَّفَق، وما عَنْبَرَ الظّلامَ كافورُ الفَلَق.

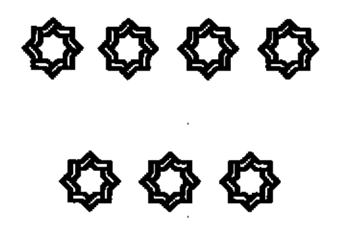
ولمّا كان في العشر الأوّل مِن ذي القعدة عام ستّةٍ وستّمائة[1] جَرى ببعض أندية محاضرته المثمرة بأنواع الفوائد، المُقِرَّة بالخصب عَيْنَ الرّائِد، ذِكْرُ الخمرِ وما ورد فيها مِن الآثار الصحاح الزّاجرة عنها بالسّنن الوعيد الفصاح، ودخول كل مُسكرٍ تحت اسمها بما يقتضيه الاشتقَاق، وما وقع بين فقهاء الأمصار في ذلك من الاتّفاق والافترَاق.

فأمليتُ في ذلك برسم مجلسه الكريم ما يُعْرِبُ عن المراد ويُفْصِح، ويَكشفُ المعنى المطلوب ويُوضِح.

---

(١) ألّف ابنُ دحية هذا الكتاب أيّام كان الكاملُ وليّاً للعهدِ، وفي آخر الكتاب صرّح بشيءٍ من هذا ، انظر وهج الجمر ص ٣١٨ .

وسمّيتُ هذا الكتابَ بوهج الجَمْر في تحريم الخَمْر، وإلى الله أرغبُ في العصمة مِن الخطأ والخَطَل، والزَّيْغ عن الحق والزَّلَل، إنّه على ما يشاءُ قدير، وبالإجابة جدير »(١).



(١) وهج الجمر في تحريم الخمر ص ٣٠ - ٣٦.

مدخل

لكتاب « الآيات البينات »

مدخلٌ
لكتاب « الآيات البيِّنات »

وفيه مباحث :

المبحث الأوّل : عنوان الكتاب

لم يذكر الحافظُ ابن دحية في مقدّمة الكتابِ اسماً محدّداً له كما فعل في غيره، كما أنّه لم يُحل عليه في كتبه الأخرى، والسّببُ فيما يظهرُ أنّه مِن آخرِ ما ألّف، وقد أشار إلى هذا في مقدّمة الكتاب، فتعذّر حينئذ أن يحيلَ عليه، غيرَ أنّ الصالحيَّ ذكرَ أنّ ابن دحيةَ سَمّى الكتاب : « الآيات البيّنات فيما في أعضاء رسول الله ﷺ من المعجزات » فقال : « أفرد الحافظُ أبو الخطاب ابن دحية كتابا سمّاه الآيات البيّنات فيما في أعضاء رسول الله ﷺ من المعجزات »[1]، وهذا يعني أنّ تسميةً محدّدةً وضعها ابنُ دحية للكتاب، وهي تسميةٌ نراها عادةً في المقدِّمة وقد خلت من ذلك كما سبق، فلعلّه اكتفى بالعنوان الذي أثبته في طُرّة الكتاب دون أن يتطرّق لبيان ذلك في المقدّمة، ويكون الصّالحيُّ حينئذ وقف على نسخةٍ في غلافها

(١) سبل الهدى والرّشاد ٢/٣ .

العنوانُ المذكورُ، وعلى هذا تكونُ هذه التّسميةُ أولى بالاعتبار لكونها عُزيت للمؤلّف من طرف الصّالحيّ الذي وقف فيما يظهر على نسخةٍ كاملةٍ من الكتاب واعتمد عليه في باب المعجزات النّبوية مُلخِّصاً لكلامه ومُضيفاً زوائدَ أخرى من عنده فقال: «... وسأذكرُ خلاصتَه[1] في المعجزات مع زوائدَ كثيرةٍ، والمقصودُ منه هنا بيانُ صفة جسده الشّريف ﷺ فقط، وقد أذكرُ شيئاً من الآيات لزيادة الفائدة »[2]. ولعلّ ما يؤكّدُ أنّ هذه التّسمية لها أصلٌ عند ابن دحية قولُه : « وقد جعل الله في كلّ **عضوٍ منه آية**، وذلك دليلٌ على مكانه عند ربِّه وأنّ له به عناية »[3].

وثمّة عناوينُ أخرى مقاربةٌ إلى حدٍّ كبيرٍ لتلك التّسمية، والذي وقفتُ عليه من ذلك ما يلي :

أوّلا : الآياتُ البينات في ذِكْرِ ما في أعضاءِ رسول الله ﷺ من المعجزات .

كذا سمّاه المرّاكشيُّ[4]، والمقّريُّ[5]، وإسماعيل باشا البغدادي[6] ، وعبدُ الله كنّون[7].

---

(١) يعني كتاب ابن دحية الآيات البيِّنات .

(٢) سبل الهدى والرّشاد ٢/٣.

(٣) النّبراس في تاريخ خلفاء بني العبّاس ص ٥٦ .

(٤) الذيل والتّكملة ٨ / ٢١٨، وأفاد أنّه في مجلّد .

(٥) نفح الطّيب ٢/١٠٤.

(٦) هديّة العارفين ١/٧٨٦.

(٧) النّبوغ المغربي ١ / ١٦٩.

ثانيا : الآياتُ البيِّنات في شرف أعضاءِ النّبيِّ صاحبِ المعجزات.

كذا سمّاه صاحب الثَّبَت(١).

ثالثا : الآياتُ البيِّنات فيما خصّ الله تعالى به أعضاءَ نبيّه من المعجزات.

كذا سمّاه ابنُ الشّعّار(٢).

وهذا التّقاربُ في التّسمية يدلُّ على أنّ لها أصلاً، ويجدرُ التّنبيهُ هنا أنّ بعضهم اختصر العنوان مقتصراً على الجزء الأوّل منه فقط وهو : « الآيات البيّنات » ، كما فعل ابنُ الملقّن(٣) وحاجّي خليفة(٤).

رابعا : خصائصُ أعضاءِ رسول الله ﷺ.

وهي التّسميةُ التي وردت على غلاف نسخة الكتاب، وهي تسميةٌ رُوعي فيها موضوعُ الكتاب(٥).

---

(١) نهاية السّول في خصائص الرّسول ص ٥٠٣ ـ ٥٠٤.

(٢) انظر عقود الجمان كما في تراجم مغربيّة ص ٧٨ .

(٣) انظر تذكرة الأخيار بما في الوسيط من الأخبار ل ٧ / أ ـ ب، والبدر المنير ١/٣٨٦، ٢/٢٣٠ وقال في الموضع الأوّل من البدر المنير : الآيات البيّنات في أعضائه عليه السّلام.

(٤) انظر كشف الظنون ١/٢٠٤. مع ملاحظة وقوع خطأ في عزو الكتاب حيث عزاه لولده محمّد بن عمر بن دحية، وبعدها مباشرة جاء على الصّواب غير أنّه قال: عمر بن الحسين، والصواب: عمر بن الحسن.

(٥) أمّا ما ورد عند ابن الملقن في البدر المنير ١/٣٨٦ من قوله : خصائص الأعضاء، فلا أشكُّ أنه يعني به كتابَه الآخر : نهاية السّول في خصائص الرّسول ﷺ، وأبدى محقّقُ البدر

=

المبحث الثّاني : توثيقُ نسبة الكتاب إلى ابن دحية

لستُ أشكُّ إطلاقاً في صحّة نسبة هذا الكتاب لابن دحية رحمه الله لأمورٍ قويّةٍ تجعلُ الباحثَ يجزمُ بنسبة الكتاب له هي :

أوّلا : أسلوب ابن دحية ظاهرٌ جدّا في الكتاب حيث يصدِّرُ فقراته بجملة : « قال ذو النّسبين »، وهي عبارةٌ درج عليها ابنُ دحية في سائر كتبه، يضافُ إلى هذا مسلكُ الاستطراد الذي عُرف به في التّأليف وهو كثيرٌ جدّاً في هذا الكتاب.

ثانيا : يروي في الكتاب بأسانيده المعروفة عن شيوخِهِ كأبي بكر عبد الرّحمن بن محمّد بن مغاور، وأبي القاسم عبد الرّحمن بن محمّد المَرْوِيّ، ومجد الدِّين أبي سعد بن الصَّفّار، وأبي الحسن الشّعري، وتاج الدِّين أبي القاسم الفَرَاوِيّ، وموفّق الدِّين أبي جعفر محمّد بن أحمد سبط حسين بن مندة، وأبي القاسم خَلَف بن عبد الملك بن بَشْكُوال الأنصاريّ، وغيرهم من شيوخه الذين أكثر الحافظُ ابنُ دحية الرّواية عنهم في هذا الكتاب.

ثالثا : أحال ابنُ دحية على كتابه « الابتهاج في أحاديث المعراج »، وهو من مؤلفاته المعروفة التي ذكرها المترجمون له.

رابعا : ثبوتُ اسمه على نسخة الكتاب.

المنير جمال محمّد السيّد احتمال إرادتِه الآيات البيّنات، وهذا بعيدٌ لأنّ الآيات البيّنات هو في أوّل القائمة التي ذكرها ابنُ الملقّن، ثمّ عطف عليها مؤلّفات أخرى لابن دحية ومنها كتابه هذا: خصائص الأعضاء، ومن المعلوم أنّ العطف يقتضي المغايرة، فيبعدُ أن يكرّر ابنُ الملقّن ذِكْرَ كتابٍ واحدٍ بعنوانين مختلفين.

خامسا : نقلَ بعضُ العلماء[1] نصوصاً عن « الآيات البيّنات » ونسبُوها لابن دحية، وهي موجودةٌ في هذه النّسخة.

سادساً : أشار ابنُ دحية نفسُه إلى هذا الكتاب في « نهاية السُّول في خصائص الرّسول ﷺ » فقال: « وقد أفردنا كتاباً يحتوي على مجلّدين لجميع ما خصّ الله به أعضاءَهُ »[2] .

المبحث الثّالث : زمنُ تأليف الكتاب

لم يرد في نسخة الكتاب ما يدلُّ صراحةً على زمن فراغ ابن دحية من تأليفه، لكنّه أشار إشارةً صريحةً أنّه خاتمة مؤلفاتِه كتبه بعد مؤلّفاته التي ارتبطت موضوعاتُها بالقرآن الكريم والسّنة النّبويّة، وهي مؤلفاتٌ أخذت من عمره زمناً طويلا، فرأى رحمه الله أن تكون خاتمةُ إنتاجه العلميّ كتابا يذكرُ فيه ما خصّ الله به أعضاءَ رسولِه، وما مدحها به في محكمِ تنزيلِه، وما ظهر لها من المعجزات المسندةِ الطُّرُقِ والرّوايات، وهذا يعني بشكل واضحٍ أنّ كتاب « الآيات البيّنات » هو آخرُ ما دبّجه يراعُ الحافظِ ابن دحية، ولعلّ هذا ما يفسرُ لنا عدمَ وجود إحالةٍ على كتابه هذا في سائر مؤلّفاته الأخرى التي وصلت إلينا.

ثمّ إنّ ابن دحية أحال في « الآيات البيّنات » و « تنبيه البصائر في أسماء أمّ الكبائر » و « العلم المشهور في فضائل الأيّام والشّهور » على كتابه « الابتهاج في أحاديث المعراج »، و هذا يعني أنّ الكتب الثّلاثة أُلّفت بعد

(١) كابن الملقّن في تذكرة الأخيار والبدر المنير، والصّالحيُّ في سبل الهدى والرّشاد.

(٢) نهاية السُّول ص ١٨٩ .

هذا الأخير، و في « تنبيه البصائر » يحيل على « العلم المشهور »، وإذا استحضرنا أنّ كتابَه « تنبيه البصائر » سُمع عليه سنة ٦٣٠ هـ وهي غالبا ما تكونُ سنةَ تأليف الكتاب، خرجنا بنتيجة هامّة وهي أن « الآيات البيّنات » كتبه ابنُ دحية ما بين سنة ٦٣٠ هـ و سنة ٦٣٣هـ، وعليه يمكن ترتيب المؤلّفات الأربعة زمنيا كما يلي :

أوّلا : الابتهاج.

ثانيا : العلم المشهور.

ثالثا : تنبيه البصائر.

رابعا : الآيات البيّنات.

أمّا مكانُ تأليف الكتاب فلستُ أشكُّ أنّه ألّفه في مصر إذ مات ابنُ دحية فيها والكتاب ما ألّفه إلاّ في آخر حياتِه وقد جاوز حينئذٍ أربعاً وثمانين عاماً[1]، وذلك في عهدِ وليّ نعمتِه الملكِ الكاملِ، غير أنّ ثمّة أمرٌ يلفتُ النّظر وهو أنّه لم يَرِدْ للملك الكامل ذِكْرٌ في كتاب « الآيات البيّنات » لا في أوّله ولا في آخره، كما جرت بذلك عادةُ ابن دحية في سائر تواليفه، فقد يكونُ هذا الإغفالُ منه دليلا لما ذكره بعضُ المؤرّخين مِن الوحشة والتّباعد الذي حصل بين ابن دحية والملك الكامل في آخر الأمر، بحيث جعل ابنَ دحية لا يستسيغُ الآن مَدْحاً لوليّ نعمته السّابق بعد الذي حصل، خاصّةً وهو الآن قد جاوز الثّمانين عاماً، وقديما قال زهير :

---

(١) إذ كانت ولادته سنة ٥٤٦ هـ، وقد تبيّن قبلُ أنّ تأليف الكتاب كان بعد سنة ٦٣٠ هـ.

سئمتُ تكاليفَ الحياةِ ومن يَعِشْ
ثمانين حَـوْلاً لا أبا لكَ يسأمِ

بحيث أحسّ ابنُ دحية بدنوّ أجله ولقائه بربه، فلا معنى حينئـذ لمـدح أو ثناءٍ لا يعودُ عليه بالثّواب عند الله عزّ وجلّ.

المبحث الرّابع : بواعثُ تأليف الكتاب

تكفّل الحافظُ ابن دحيـة ببيـان ذلـك في مقدّمـة الكتـاب بيانـاً شـافياً بأسلوب أدبيٍّ رفيع، استعمل فيه المحسّنات اللّفظيـة، والتّراكيب البلاغيـة، فقال رحمه الله رحمةً واسعةً :

« نحمدُ الله حمداً نستعجلُ به مزيـدَ قَبُولـه ورضوانِـه، ونسـتقبلُ بـه جديدَ رَوْحِه ورَيْحانِه، ونتوكّلُ على سعة رحمتِه وغُفرانِه، ونبذل الوُسْعَ في خدمة النّبيّ الأمّيّ الـذي أعلمنـا برفـعِ شـانِه، ونستعملُ ألسنتَنا في مدحِـه الدّال على حبه الذي هو أحدُ واجبات المرءِ في إيمانِه، وندخل بعظيم بركتِه ويمنِ منقبتِه في أمنِ الله وأمانِه، ونحصلُ في الدُّنيـا في رضـاه وفي الآخـرة في غُرُفَاتِ جنانِه، ونجعلُ خاتمةَ عُمُرنا في ذِكْر خاتم النّبيّين وسيد المرسـلين بمـا يُطابق مِن سر الذّكْر وإعلانِه، صلّى الله عليه وعلى آلِه صـلاةً تُمكّنُـه مـن درجة الوسيلة في رفيع مكانِه.

أمّا بعدُ :

فإنّ الواجبَ الاشتغالُ بكتاب الله المُنْزَل، وبمـا صـحَّ مِـن سُنّة النّبيّ المُرْسَل؛ فإنّهما الأصلان اللّذان يُقَربان إلى الله تعالى بالقَوْلِ والعَمَـل، وقـد ألّفتُ في ذلك كتباً عديدَة، قطعتُ لها من العُمُر مُدّةً مديدَة، رجـوتُ فيهـا ثوابَ الله تعالى في الأخرى وما يقرب منه يومَ الزُّلْفَى، وقد رأيـتُ الآنَ أن

أختِمَ ذلك بما خصّ الله به أعضاءَ رسولِه، وما مدحها به في محكمِ تنزيلِه، وما ظهر لها من المعجزات المسندةِ الطُرُق والروايات ممّا استفدتُه شرقاً وغرباً مِن ذوي الدرايات، لينفعني الله به والقارئين له في المحيا والممات...»[١].

المبحث الخامس : مصادرُ الكتاب

اعتمد ابنُ دحية في كتابه « الآيات البيّنات » على مصادرَ متنوّعةٍ يمكنُ إجمالُها فيما يلي :

أوّلا : مرويّاته عن شيوخه بأسانيدَ كثيرةٍ استخدمها مِراراً في سائر كتبه، ممّا يجعلُ القارىءَ يشعرُ أنّه يقرأُ لأحد حُفّاظ الحديث المكثرين، يُضافُ إلى هذا قضايا لغويةٌ ينقلها ابنُ دحية عن شيوخه.

ثانيا : مصادرُ ينقل عنها ابنُ دحية مادّةَ كتابه هذا، وفيها شيءٌ من النّادر الذي صار الآن في عِداد ما فقد من تراث المسلمين، و قد احتفظ لنا ابنُ دحية بنصوصٍ منها، ممّا يزيدُ من قيمة الكتاب العلميّة، وثمّة مصادرُ أخرى مشهورة متداولة بين أهل العلم.

والملاحظُ في هذه المصادر تصريحُ ابنِ دحية بأسمائها، لذا سوف أذكرها مرتّبةً حسب حروف المعجم كما يلي :

---

(١) الآيات البيّنات ل ١ / أ ـ ب.

١ ـ الاستدراك على الصّحابة لابن عبد البرّ لابن فتحون.

٢ ـ الاستدراك على ابن عبد البر وابن فتحون في الصّحابة لأبي محمّد الرّشاطيّ.

٣ ـ الاستيعاب لابن عبد البرّ.

٤ ـ الاشتقاق لأبي جعفر أحمد بن محمّد بن النّحّاس.

٥ ـ اقتباس الأنوار والتماس الأزهار في أنساب الصّحابة ورواة الآثار لأبي محمّد عبد الله بن عليّ اللّخمي المعروف بالرّشاطيّ.

٦ ـ الإيجاز في معرفة ما في القرآن من منسوخٍ وناسخ، مستخرجٍ من أقوال كل عالمٍ في علمه راسخ لأبي عبد الله محمّد بن بركاتٍ السّعيديّ.

٧ ـ البرهان في تفسير القرآن للحوفيّ.

٨ ـ تاريخ ابن أبي خيثمة.

٩ ـ التاريخ الكبير للبخاري.

١٠ ـ تاريخ الهيثم بن عديّ.

١١ ـ التّعديل والتّجريح للسّاجيّ.

١٢ ـ التّعديل والتّجريح لأبي أحمد عبد الله بن عديّ الجرجانيّ.

١٣ ـ تقويم اللّسان لابن مكّي.

١٤ ـ التّلخيص لأبي هلال العسكريّ.

١٥ ـ الجامع لابن وهب.

١٦ ـ جامع التّرمذي.

١٧ ـ الحروف لابن السّكن.

١٨ ـ السّنن الكبير للنّسويّ.

١٩ ـ السّيرة لابن إسحاق.

٢٠ ـ شرح البخاريّ للدّاوديّ.

٢١ ـ صحيح البخاريّ.

٢٢ ـ صحيح مسلم.

٢٣ ـ الصّحيح لأبي جعفر العقيليّ.

٢٤ ـ العين للخليل.

٢٥ ـ غريب الحديث لابن قتيبة.

٢٦ ـ كتاب في اللّغة وفي غريب صحيح البخاري لابن القزّاز.

٢٧ ـ كتاب الوزير أبي عبيد البكريّ.

٢٨ ـ ليس لأبي عبد الله الحسين بن خالويه.

٢٩ ـ مسند سفيان الثّوري.

٣٠ ـ مسند أحمد.

٣١ ـ مصنّف النّسائي.

٣٢ ـ مصنّف وكيع بن الجرّاح.

٣٣ ـ المعجم الكبير للطبرانيّ.

٣٤ ـ المنتخب في أسماء المدينة لكراع.

٣٥ ـ المنتقى من كتاب أُنس الواحش وريُّ العاطش لأبي الحسن أحمد بن عبد الله بن محمّد البكري.

٣٦ ـ الموطّأ لمالك بن أنس.

٣٧ ـ الموطّأ لابن وضّاح.

٣٨ ـ النّاسخ والمنسوخ لأبي جعفر أحمد بن محمّد النّحّاس.

٣٩ ـ النّبيذ لأبي الحسن الدّارقطنيّ.

ويمكن اعتبار كتابه « الابتهاج في أحاديث المعراج » من مصادره هنا حيث أحال عليه في موطنين اختصر فيهما الكلام بينما فصّل فيه بشكل أوسع في كتابه المذكور، ونظامُ الإحالة عند ابن دحية على كتبه الأخرى أمرٌ يلاحظه كثيراً قارىءُ كتبه، ممّا يعني وجودَ شيءٍ من التّكرار الظّاهر في تناول بعض القضايا العلمية، و إن كان عذرُه في ذلك ـ كما هو شأنُ كثيرٍ من المصنّفين ـ أنّ القضيّة العلميّة تردُ في موطنٍ عَرَضاً ويكون المؤلِّفُ قد استوعب فيها الكلام وأطال فيها النَّفَسَ في كتابٍ آخر له، فيرى الحاجةَ حينئذ قائمةً لتنبيه القارىء إلى ذلك الموطن.

ثالثا : مصادرُ لم يُصرّح ابنُ دحية بأسمائها مكتفيا بأسماء مُؤلِّفيها، وهذا النّوعُ كثيرٌ في كتابه، لكن من خلال تتبعِ الأقوال وتوثيقِها تظهرُ أسماءُ تلك المؤلفات المنقول عنها، و من أمثلة هذا نقولُه عن أحمد بن حنبل ويحيى بن معين وأبي حاتم الرازي والبخاري والنّسائي وأبي داود والدّارقطني وابن حبّان والطّبري والزّجّاج وابن دريد وغيرهم من العلماء.

المبحث السّادس : قيمة الكتاب

هذا الكتابُ أثرٌ من آثار الحافظ ابن دحية عالج فيه موضوعاً مهمّا له صلةٌ بالعقيدة، وقد اعتمدَ فيه على مصادر مهمّةٍ زادت من قيمة الكتاب، واستطرد فيه كعادته إلى موضوعاتٍ شتّى، ولا جرم حينئذٍ أن يمدح المؤلِّفُ كتابَه هذا فيقول: « فهو كتابٌ يزهو على المصنّفات، لم يأتِ أحدٌ بمثله ولا هو آتٍ » .

المبحث السّابع : وصف النّسخة المعتمدة في التّحقيق

اعتمدتُ في تحقيق كتاب ابن دحية « الآيات البيّنات » على نسخةٍ فريدةٍ يتيمةٍ احتفظت لنا بها المكتبةُ الوطنيةُ بالجزائر حرسها الله من شرّ الفِتَن، وعصمها من الأحقادِ والإحَن، تحت رقم : ١٦٧٩، في مجلّدٍ كبير حوى مائةً وستّةً وأربعين [١٤٦] لوحةً، ذات مقاس : ١٦ X ٢٣،٥، ومسطرتها : ثلاثة عشر [١٣] سطراً في كلِّ لوحةٍ من الكتاب، بخطٍّ مشرقيٍّ نسخي نفيسٍ للغاية يشبهُ إلى حدٍّ كبير خطوط الخزائن الملوكية التي يعتني النُّسّاخُ عادةً بتجويدها وتنميقها اعتناءً بالغاً[1]، ومن مظاهر الاعتناء بهذه النّسخة كونها منقوطةً مشكولةً من أوّلها إلى آخرها، وقد سلمت ـ و لله الحمدُ ـ من العوامل المؤثّرة في المخطوطات، بحيث لم تَلتهمها أَرَضَة، و لم تُصبها رُطوبَة، وخلتْ من البياض والسّقط، والتّصحيف والتّحريف، إلاّ شيئاً نادراً نبّهتُ عليه في موضعه.

أمّا ناسخُ المخطوطةِ فلم يُثبت لنا مع الأسف اسْمَه ولا التّاريخَ الذي تمّ فيه نسخُ الكتابِ، ولا أستبعدُ أن يكون أحدَ العلماء الذين رُزقوا جمالاً في الخطّ وروعةً في الكتابة، ذلك أنّ النّسخة خلت تقريباً من التّصحيف الذي يقعُ فيه الورّاقون من غير أهل العلم. لكن مع إغفال النّاسخ لتاريخِ

---

(١) لاحظتُ فيما وقفتُ عليه من كتب ابن دحية أنّ أغلبها مكتوب بخطٍّ نسخي جميل، وقد ذكر الأستاذُ نظام يعقوبي ـ في خطابٍ أرسله إليّ من البحرين ـ أن النّسخة الموجودة بألمانيا من كتاب ابن دحية نهاية السّول في خصائص الرّسول ﷺ نسخةٌ نفيسةٌ جدّا، مكتوبة بخط نسخي متقن يشبه خط المصاحف المتقنة، آية في الجمال والرّوعة.

النّسخ فإنّ النّسخة يظهر عليها القِدَمُ نسبيّاً، ولعلّها كُتبت بخطٍّ من خطوط أواخر القرن السّابع الهجريّ أو أوائل القرن الثّامن، و يقوّي الثّاني تاريخُ مطالعةِ الكتاب أثبته أحدُهم في آخر النّسخة بخطٍّ مشرقيٍ جميلٍ وهو سنة ٧٤٣هـ فقال : « طالع العبدُ الفقيرُ إلى الله تعالى أحمد بن محمّد الغرياني(١) غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين، وذلك في يوم الإثنين حادي عشر جُمادى الآخر سنةَ ثلاثٍ وأربعين وسبعمائة، أحسن الله عاقبتها.

نظر فيه وطالعه بكمالِه أحمد بن محمّد المذكور أعلاه عقيب تاريخه في الشّهر المذكور والحمدُ لله تعالى، حضر ذلك عبدُ الله وطالعَ، والحمدُ لله تعالى ».

لقد كُتب هذا التّاريخُ بالمطالعة بخطٍّ مشرقيٍ ممّا يؤكّدُ أنّ النّسخة ما زالت في هذا التّاريخ وهو سنة ٧٤٣ هـ موجودةً في المشرق ولا أستبعدُ أن يكون ذلك في مصر خاصّةً إذا عرفنا ترجمة هذا العلم : أحمد بن محمّد.

إنّ هذه النّسخةَ المشرقيّةَ النّفيسةَ لا ندري عن كيفيّة رحلتها من المشرق إلى ديار الجزائر، غيرَ أنّ التّملّكاتِ الموجودةَ على غلاف النّسخةِ تفكُّ لنا شيئاً من أمرِ هذه الرّحلة.

جاء في غلاف النّسخة ما يلي :

« كتابٌ فيه خصائصُ أعضاءِ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لابن دحيةَ الكلبيّ رحمةُ الله عليه »، وفوق كلمة : « عليه » كُتب بخطٍّ دقيقٍ

---

(١) جاءت هذه النّسبةُ مهملةً في النّسخة الأصليّة ولعلّ المُثبتَ أقربُ.

مغاير : « ابن دحية »، ولعلّ الكاتبَ أراد التّنبيه إلى اسم الشُّهرة الذي اشتهر به ابنُ دحية الكلبيّ.

وجاء تحت العنوان السّابق من الجهة اليمنى تَمَلُّكٌ بخطٍّ مشرقيٍّ نصُّه ما يلي : « الحمدُ للهِ مُستحق الحمدِ، ملكَهُ الفقيرُ إلى الله تعالى إبراهيم بن الشّيخ موسى الشّافعي القادريّ الأشعريّ[1] عفا الله تعالى عنهما، في رحلته للقاهرة »، وهذا يعني من جهةٍ أنّ إبراهيم المذكور تملّكه أيّامَ دخوله القاهرةَ، ويعني من جهةٍ أخرى أنّ النّسخة كانت في الديار المصريّة وفي القاهرة بالضّبط حيث كان يعيشُ الحافظُ ابنُ دحية الكلبيّ.

وتحت هذا التّملّكِ تملّكٌ آخرُ يعودُ إلى نهاية القرن الحادي عشر وبالضبط إلى سنة ١٠٨٩ هـ، وهو أيضاً بخطٍّ مشرقيّ كتبهُ محمّدٌ نَجْلُ أحمدَ الحنفيّ مشيراً فيه إلى سُنّة الله الكونيّة في تحوّل الأشياء من يدٍ إلى أخرى، ولم يُغفل في الوقتِ نفسِه بيانَ مقدار الثّمن الذي اشترى به الكتابَ، ونصُّ التّملّكِ كما يلي : « ثمّ ساقته يدُ الزّمان، وحوّلته يدُ الدَّوَران، لنوبةِ الفقيرِ لرحمة ربه محمّدٍ نجلِ المرحوم أحمد الحنفيّ سنة ١٠٨٩ هـ في صفر بثمن : ٢٦ د م ر[2] صحيح » .

---

(١) القادريُّ : نسبةٌ إلى الطّريقة القادريّة وهو انتسابٌ مبتدَعٌ لا يخفى. والأشعريُّ : نسبةٌ إلى المذهب الأشعريّ وغيرُ خافٍ أنّ أبا الحسن الأشعريَّ رحمه الله رجع في آخر عمره إلى مذهب السّلف وألّف كتابه الإبانة الذي أثبت فيه الصّفات على طريقة السّلف الصّالح.

(٢) كذا جاء : رقم ٣٦، ثمّ ثلاثةُ حروفٍ متواليةٍ : دال فميم فراء، ويظهرُ أنّها إشارة إلى العملة المتداولة حينذاك.

وبعده تملّكٌ آخر بخطٍّ مغربيٍّ نصُّه ما يلي :

« الحمدُ لله، صلّى الله على محمّدٍ وآلِ محمّدٍ وسلّم تسليماً، مِن أملاكِ الواثقِ بمولاه المُحْصِي، عبدِه محمّدٍ الحَفْصيّ[(١)]، لطفَ الله به ».

فمن الممكن جدّاً أن تكون النّسخةُ انتقلت إلى الجزائر عن طريق محمّدٍ الحفصيّ هذا أثناءَ رحلةٍ قام بها إلى الدّيار المصريّة قاصداً أو مارّاً.

هذا وقد جاء على غلاف النّسخة تعليقان آخران :

أحدهما : كُتب تحت ختمٍ غيرِ متّضح المعالم، وهو تعليقٌ خُرافيٌّ كتبه عبدُ الرّحمن بن محمّد الشافعيّ ثمّ الشّاذليّ[(٢)] ثمّ الأنصاريّ، كتبه بخطٍّ مشرقيٍّ نسخيٍّ مجوّدٍ، إثر سلسلةٍ مُتتابعةٍ من حروف الهجاء، زاعماً أنّها تُكتب لدفع الأرضةِ[(٣)].

---

(١) لعلّه المترجم عند رضا كحّالة في معجم المؤلفين ٩/٢٦٥ : « محمّد الحفصيّ أبو عبد الله ت ١٢٢٦هـ، محدِّثٌ حافظٌ، مشاركٌ في العلوم النّقليّة والعقليّة، توفي في حدود سنة ١٢٢٦ هـ، من آثاره تقاييد في سائر العلوم ».

(٢) نسبة إلى الطّريقة الشّاذليّة وهي طريقةٌ صوفيّة من جملة الطّرق التي ابتدعها الخلفُ ولم يعرفها السّلف الصّالح، ورحم الله القائل :

وكلُّ خيرٍ في اتّباع مَن سَلَف   وكلُّ شرٍّ في ابتداعِ مَن خَلَف .

(٣) وهذه ظاهرةٌ يلاحظُها مع الأسف قارىءُ المخطوطات، ولا شكّ أنّها من الخرافات التي ابتلي بها بعضُ المسلمين، إذ كيف يُعقل أن تدفع حروفٌ منسّقةٌ دودةَ الأرضة، وما بالها لم تدفعها حروفُ الكتاب كلّه التي بلغت عشراتِ الآلاف، وإنّما كان السّلفُ من العلماء يحفظون كتبَهم من عادية الأرضة بتتريبها بترابٍ خاصٍّ يطرحونه في ثنايا أوراق

=

الثّاني : تعليقٌ جاء في آخر غلافِ النّسخة وهو عبارةٌ عن حكمةٍ وُجدت ـ كما قال الكاتب ـ في خزائن الإسكندر، تتحدّث عن استحالة بقاءِ النِّعم أو دوام النِّقم على أحدٍ من الخلق.

وفي الحاشية اليُسرى من غلاف النّسخة تملّكٌ لمحمّد نجل أحمد الحنفي المذكور قريباً ونصُّه كما يلي : « ساقتهُ يدُ الزّمان، وحوّلتهُ يدُ الدّوران، لنوبة محمّدٍ نجل المرحوم الشّيخ أحمد الحنفيّ ».

وتحته تملّكٌ لم يظهر من كثافة الحِبْرِ صاحبُه ونصُّه كما يلي : « ثمّ انتقل إلى نوبةِ غيرِه بالشراء الصّحيح، والثّمن المندفع... ».

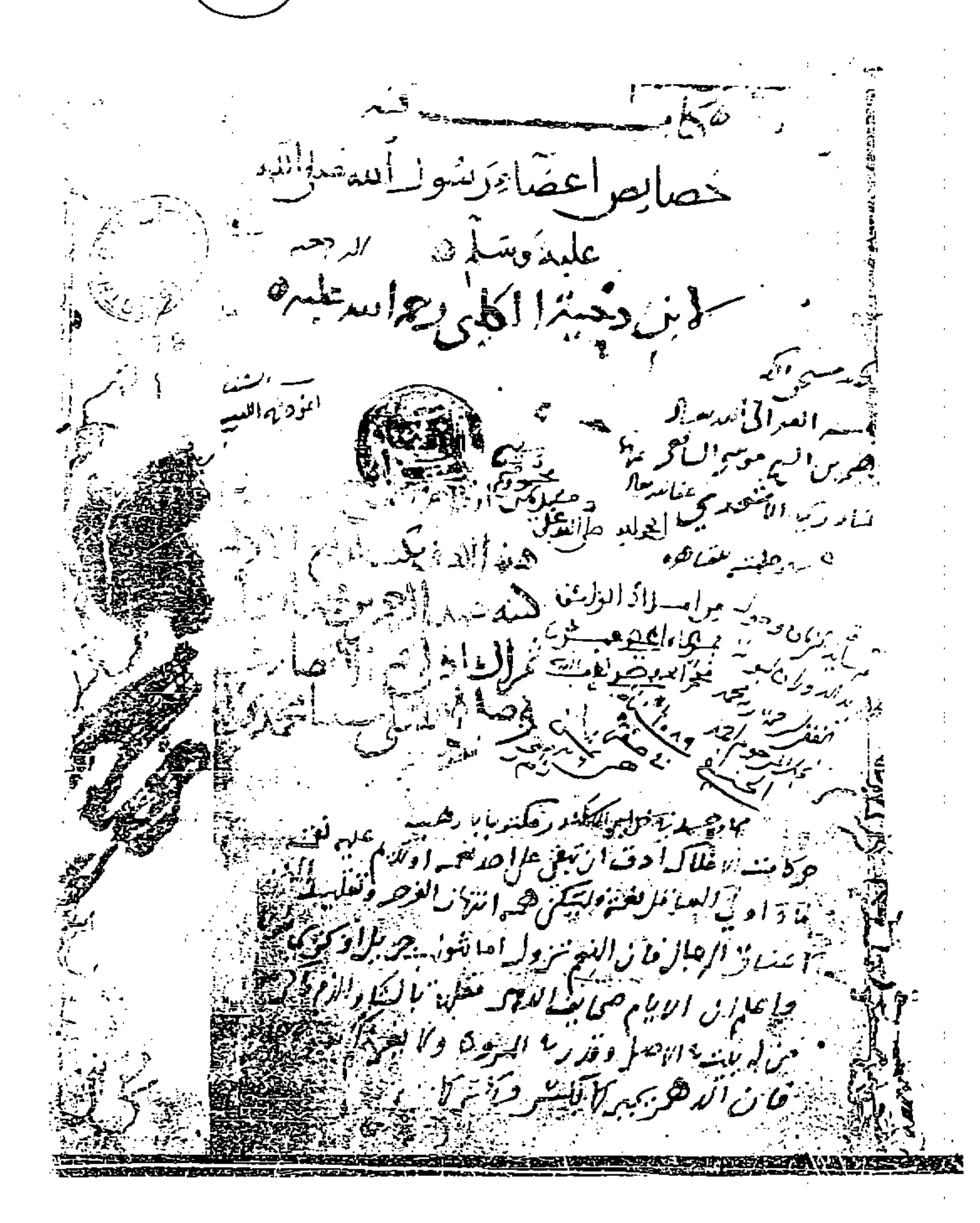
وفي نهاية الكتاب أوردَ أحدُهم حديثاً شبيهاً بالموضوعات، وبعد ذلك مطالعةٌ للكتابِ نصُّها كما يلي : « طالعَ في هذا الكتابِ المباركِ أقلُّ عبيدِ الله وأذلُّهم وأحقرُهم وأحوجُهم إلى مغفرةِ الله ورضوانِه أحمدُ بن محمّد بن حمّود في عاشرشهر رمضانَ المعظّمِ قَدْرُه سنة ستّ...، غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين أجمعين آمين، والحمدُ لله وحدَه، وصلّى الله على نبينا محمّدٍ وآلِه وصحبِه وسلّم ».

وفي حاشيةِ آخرِ لوحةٍ من النّسخة الخطّيّة تعليقاتٌ غيرُ ظاهرةٍ إلاّ تعليقاً في الجهة اليمنى وهو عبارةٌ عن حديثين نقلهما أحدُهم من كتاب الجهادِ لابن أبي عاصمٍ، وتعليق في الجهة اليمنى فيه أسماء بعض الأشخاص لا فائدة من ذِكْرِ أسمائهم.

الكتاب المخطوط، لذا نصّ علماءُ المصطلح على استحباب تتريب الكتاب، حفظا له من تلك الآفة، حتى لا يصابُ بما يُخلّ ضبطَه وإتقانَه.

نماذج

من النّسخة الخطّيّة



خصائص أعضاء رسول الله صلى الله

عليه وسلم

لابن دحية الكلبي رحمه الله عليه

عنوان الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله حمدا نستنجح به مزيد قبوله ورضوانه
ونستقبل به مديد رحمته وريحانه . ونتوكل على
سعة رحمته وغفرانه ونبذل الوسع في خدمة
النبي الأمي الذي أعلمنا رفع شانه ونستعمل
الالسنة في مدحه الدال على حبه الذي هو أحد
واجبات المرء في إيمانه ونرجو لعظيم بركته
ويمن منتفسه في أمن الله وأمانه ونحصل في
الدنيا على رضاه وفي الآخرة على غرفات جنانه
ونجعل خاتمة كتابنا في ذكر خاتم النبيين وسيد
المرسلين بما نطق من سر الذكر وإعلانه
صلى الله عليه وعلى آله صلاة ممكنة من درجة
الوسيلة في رفيع مكانه . أما بعد

بداية الكتاب

...ى أسرى به ربه لمنتهى ما بعده مطهر

...ـت الذي تشفع في آدم والناس قد ضمهم المحشر

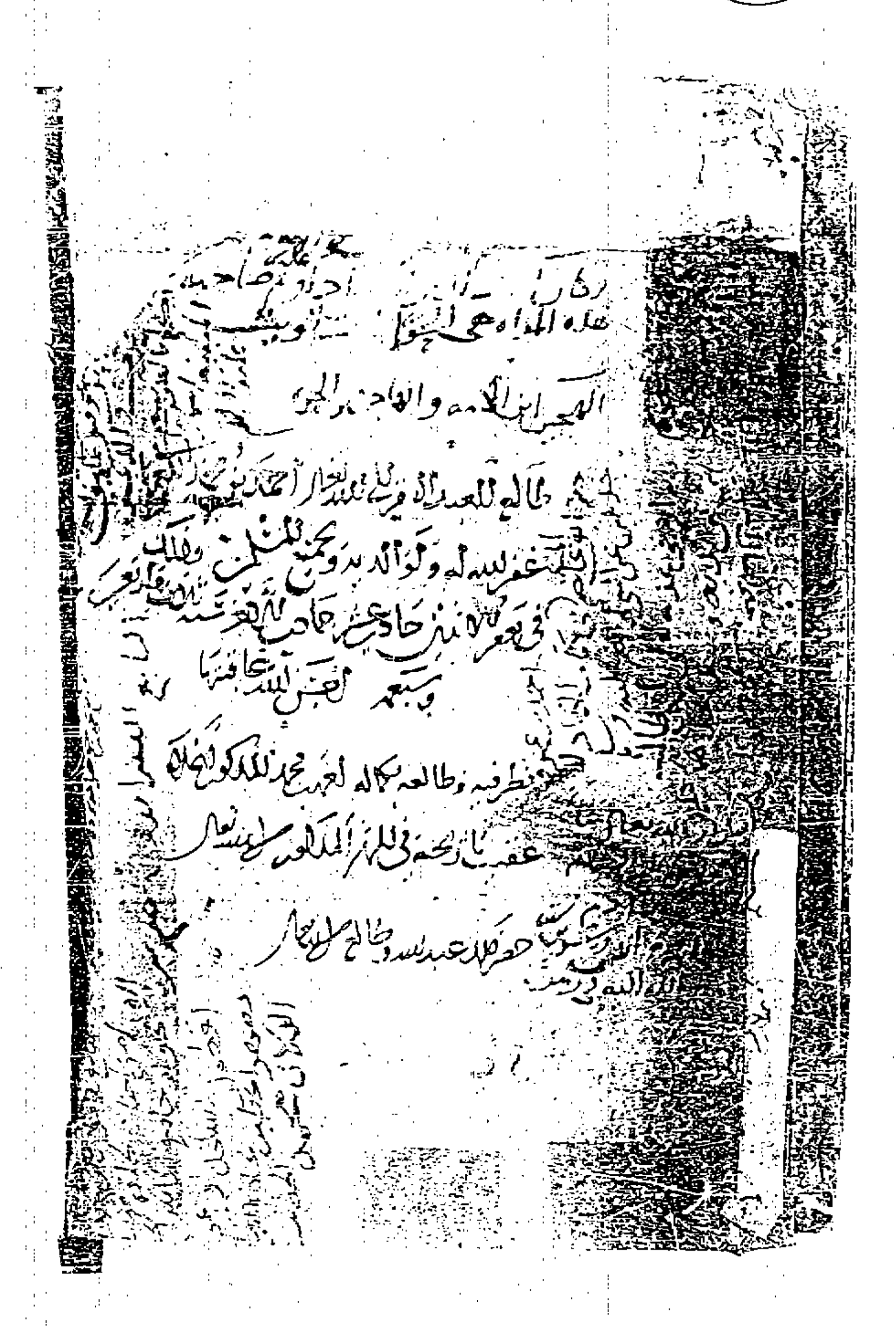
صلى عليك الله ما غردت قمرية في أيكة تزهر

انتهى الكتاب

والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد نبيه وآله

الطاهرين وأصحابه المنتجبين وسلم تسليماً

نهاية الكتاب



مطالعة وتملّك للكتاب في آخر ورقة منه

الآيَاتُ البَيِّنَات
فِيمَا فِي أَعْضَاء رَسُولِ ا لله ﷺ
مِنَ الْمُعْجزَات
لابن دِحْيَةَ الكَلْبِيّ

الآيَاتُ البَيِّنَات

فِي ذِكْرِ مَا فِي أَعْضَاءِ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنَ المُعْجِزَات

تأليفُ

أبي الخَطَّاب عُمَرَ بْنِ الحَسَنِ ابْن دِحْيَةَ الكَلْبِيّ الأَنْدَلُسِيّ السَّبْتِيّ

المُتَوَفَّى سَنَةَ ٦٣٣ هـ رحمهُ الله تعالَى

دراسة وتحقيق

جَمَال عَزُّون

١/أ

/ بسم الله الرحمن الرحيم

نحمدُ الله حمداً نستعجلُ به مزيدَ قَبُوله ورِضْوانِه، ونستقبلُ به جديدَ رَوْحِه ورَيْحانِه، ونتوكّلُ على سَعة رحمتِه وغُفرانِه، ونبذلُ الوُسْعَ في خدمة النّبيّ الأُميّ الذي أعلمنا برَفْعِ شَانِه، ونستعملُ ألسنتنا في مَدْحِه الدَّال على حُبه الذي هو أحدُ واجبات المَرْءِ في إيمانِه، وندخُلُ بعظيم بَرَكَتِه ويُمْنِ منقبتِه في أَمْنِ الله وأَمانِه، ونحصلُ في الدُّنيا في رِضاهُ وفي الآخرة في غُرُفَاتِ جنانِه، ونجعلُ خاتمةَ عُمُرنا[1] في ذِكْرِ خاتَم النَّبيّين وسيد المُرسَلين بما يُطابقُ من سِرِ الذِّكْرِ وإعْلانِه، صلّى الله عليه وعلى آلِه صلاةً تُمَكِّنُه مِن درجة الوسيلة في رَفيع مَكانِه.

أمّا بعدُ :

١/ب

/ فإنّ الواجبَ الاشتغالُ بكتاب الله المُنْزَل، وبما صحَّ مِن سُنّة النّبيّ المُرْسَل؛ فإنّهما الأصلان اللّذان يُقَربان إلى الله تعالى بالقَوْلِ والعَمَل، وقد ألّفتُ في ذلك كتباً عديدَة، قطعتُ لها مِن العُمُر مُدَّةً مَديدَة، رجوتُ فيها ثوابَ الله تعالى في الأخرى وما يُقَربُ منه يومَ الزُّلْفى، وقد رأيتُ الآنَ أن

(١) فيه إشارةٌ ظاهرةٌ إلى كون هذا الكتاب من آخر ما ألّفه ابنُ دحية إن لم يكن آخرَها .

أختِمَ ذلك بما خَصَّ الله به أعضاءَ رسُولِه، وما مدحها به في مُحْكَمِ تَنزيلِه، وما ظهرَ لها من المعجزات، المسندةِ الطُّرُق والرِّوايات، ممّا استفدتُه شَرْقاً وغَرْباً مِن ذوي الدِّرايَات، لينفعني الله به والقارئين له في المحيا والممَات، فهو كتابٌ يزهُو على المصنّفات، لم يأتِ أحدٌ بمثله ولا هو آتٍ[1]، فأقول والله حسبي ونعم الوكيل :

٢ / أ / إنّ الله مدحَ وجهَ النّبيّ ﷺ فقال جلَّ مِن قائلٍ: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا﴾[2]، فبسبب تَقلُّب وجهِه حَوَّلَ القِبلةَ من بيت المقدس إلى الكعبة جَهْراً، بعد أن صَلَّى إليها ستّةَ عشرَ أو سبعةَ عشرَ شهراً، على ما ثبتَ باتِّفاق، عند علماء الآفاق[3].

فكانت بَرَكَةُ وجهِهِ في التّقلُّب مُعْطِيَةً لرضَاه، في إعطائِه قِبلةً يرضاها فيما اقتضَاه.

وفيه كرامةٌ عظيمةٌ للنّبيّ صلّى اللهُ عليه وسلَّم، حيث أعطاهُ الله ذلك ولم يَسأل ولا صرَّح ولا تكلَّم.

وفي قولِه تبارك وتعالى : ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ﴾ تأويلاتٌ ثلاثةٌ :

---

(١) مدحٌ مبالغٌ فيه، وفضلُ الله واسعٌ ؛ فكم ترك الأوّلُ للآخِرِ.

(٢) البقرة : الآية ١٤٤ .

(٣) أخرجه البخاري ١/٥٠٢، رقم: ٣٩٩، كتاب الصلاة، باب التّوجُّه نحو القبلة حيث كان، ومسلم ١/٣٧٤، رقم: ٥٢٥، كتاب المساجد ومواضع الصّلاة، باب تحويل القبلة من القدس إلى الكعبة، من حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما.

أحدُها : أنّ معناه تحويلَ وجهِك في السَّماء، قاله أبو جعفرٍ الطّبري[١] وأبو إسحاق إبراهيمُ بن السَّريّ / المعروفُ بالزَّجّاج[٢]. ٢ / ب

الثّاني : أنّ معناه تقلّبَ عينيك في النّظر في السَّماء، قاله الزّجّاج[٣].

الثّالث : ذكرهُ القاضي أبو الحسن عليُّ بن محمّد الماوَرْدِيُّ[٤] فيما حدّثني به الوزيرُ الكاتبُ أبو بكر عبدُ الرّحمن بن محمّد بن مُغاوِر[٥]، حدّثنا القاضي الشَّهيدُ أبو عليّ الصَّدَفِيُّ[٦]، حدّثنا أبو [غالبٍ] شُجاعُ [بن][٧]

---

(١) ونصُّه : « يعني بذلك جلّ ثناؤُه : قد نرى يا محمّد تقلّبَ وجهك في السّماء، ويعني بالتّقلّب: التّحوّل والتّصرّف، ويعني بقوله: ﴿فِي السَّمَاءِ﴾ نحو السّماء وقِبَلَها » جامع البيان ٣/١٧٢.

(٢) ونصُّه : « المعنى في النّظر إلى السّماء » معاني القرآن وإعرابه للزّجّاج ١/٢٢١. والزّجّاجُ هو نحويُّ زمانه أبو إسحاق إبراهيم بن محمّد بن السَّرِيِّ الزّجّاج البغداديّ توفي سنة ٣١٦ هـ انظر السّير ١٤/٣٦٠.

(٣) وصدّره بقيل، واعتبر القولين بمعنى واحد فقال: « لأنّ التّقلّب إنّما كان لأنّ النبي ﷺ أمر بترك الصّلاة إلى بيت المقدس فكان ينتظر أن ينزل عليه الوحي إلى أيّ قبلةٍ يصلّي ».

(٤) صاحبُ التّصانيف وثّقه الخطيب البغدادي، غير أنّه اتُّهم بالاعتزال فيما قال ابن الصّلاح والذّهبيُّ وتعقّب ذلك ابنُ حجر فقال: « ولا ينبغي أن يطلق عليه اسمُ الاعتزال»، توفي سنة ٤٥٠هـ، انظر تاريخ بغداد ١٢/١٠٢، والسّير ١٨/٦٤، ولسان الميزان ٤/٢٦٠.

(٥) السُّلمي الشّاطبيُّ قال ابن الأبّار: كان بقيّة مشيخة الكتّاب والأدباء مع الثّقة والكرم، توفي سنة ٥٨٧ هـ، انظر سير أعلام النبلاء ٢١/١٥٠ ـ ١٥١ .

(٦) هو أبو عليّ الحسين بن محمّد بن فِيرّه بن حَيّون بن سُكَّرة الصّدفيُّ الأندلسيُّ السّرقسطيُّ، استشهد سنة ٥١٤هـ. انظر سير أعلام النبلاء ١٩/٣٧٦ ـ ٣٧٨ .

(٧) ما بين المعكوفين من مصادر ترجمته .

فارس بن الحسين الذُّهْلِيُّ السُّهْرَوَرْدِيُّ[١] عنه أنّ معناه :

قد نَرى تقلُّبَ وجهك من السَّماء[٢]، وإن كان الله تعالى يَرى من كل مكانٍ ولا يتحيّزُ إلى مكان[٣]، فالمرادُ بذِكْرِ السَّماء إعظامُ تقلُّبِ وجهه لأنّ السّماءَ مختصّةٌ بتعظيم ما أُضيفَ إليها.

﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا﴾ يعني الكعبةَ، كان رسولُ الله ﷺ يرضاها ويختارُها لأنّها كانت قبلةَ أبيه إبراهيم.

٣/أ ومعنى / الرضا هاهنا لا يقدحُ في كونه ﷺ مُؤتِمراً بما كان الله تعالى أمره به من التّوجُّه إلى بيت المقدس، بل ذلك الرضا المتعلِّقُ بالكعبةِ هو محبّتُها وإرادتُها حتّى فعلَ اللهُ له ما أرادَ إكراماً، وقضى بإرادتِه إعظاماً[٤].

ومدح عينيه فقال جلّ مِن قائلٍ: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾[٥].

وما : حرفُ نفيٍ .

والبصرُ : رَفْعٌ بزاغَ .

وما طغى : عَطْفٌ على ما زاغ .

---

(١) الإمام المحدّث الثّقة الحافظ المفيد توفي سنة ٥٠٧ هـ، انظر السِّير ١٩/٣٥٥ ـ ٣٥٧.

(٢) لم أجد قول الماوردي هذا في تفسيره المسمّى النّكت والعيون، وإنّما فيه ذكرُ قول الطّبري والزّجّاج انظر ١/٢٠٢.

(٣) إن كان مرادُ السّهروردي نفي صفة العلو فذاك خلاف ما عليه السّلف الصّالح الذين يثبتون لله جلّ جلاله تلك الصّفة وأنّه بذاته فوق عرشه بائن من خلقه بينونة تليق بكماله وعظمته وكبريائه ﴿ليس كمثله شيء وهو السّميع البصير﴾.

(٤) ذكر هذا المعنى الماورديُّ في النّكت والعيون ١/٢٠٢ .

(٥) النّجم : الآية ١٧ .

وصفه جلّت قدرتُه بالثُّبوتِ والتَّحقيق، وصحّةِ نظرِه بالتّصديق.

ومعنى ما زاغ : ما عَدَلَ عمّا أُرِيَهُ ليلةَ الإسراء .

وما طغى : ما طلب أن يُرى غيرَ ذلك ولا جاوز ما أُمر به فطغى أي فارتفع عن الحَد الذي حُدَّ له، وهو قولُ ابن عبّاسٍ وجماعةٍ من العلماء[١].

وقد تكلّمنا على ذلك / في كتاب « الابتهاج في أحاديث المعراج»[٢]، وسأذكرُ في بصرِه ما جاء ثابتاً بالاتّفاق عن علماء الآفاق أنّ رسولَ الله ﷺ كان يَرى مِن خلفِه كما يَرى مِن أمامِه، ممّا يزيدُ به أجرُ المرءِ في إحْكامِه. ٣/ب

ومدح لسانَه فقال وهو أصدقُ القائلين : ﴿**لاَ تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ**﴾[٣]، وذلك فيما ثبتَ وصحَّ من رواية موسى بن أبي عائشة، عن سعيد بن جُبير، عن ابن عبّاس في قولِه تعالى: ﴿**لاَ تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ**﴾ قال: « كان رسولُ الله ﷺ إذا نزل عليه جبريلُ بالوحي وكان ممّا يحركُ به لسانَه وشفتَيه فيشتدُّ عليه وكان يُعرف منه فأنزل الله تعالى

---

(١) انظر تفسير ابن جرير ٥٧/٢٧، تفسير ابن كثير ٤٢٩/٧، الدر المنثور ١٦٢/٦ قال الحافظ ابن كثير: « وهذه صفةٌ عظيمةٌ في الثّبات والطّاعة فإنّه ما فعل إلاّ ما أمر به، ولا سأل فوق ما أعطي، وما أحسن ما قال النّاظم :

رأى جنّةَ المأوى وما فوقَها ولو   رأى غيرَه ما قد رآه لتاها » .

(٢) انظر الابتهاج في أحاديث المعراج ص ٧٣ .

(٣) القيامة : الآية ١٦ .

الآية التي في ﴿لاَ أُقْسِمُ بِيَوْمِ القِيَامَةِ﴾: ﴿لاَ تُحَرِكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾[١] ».

[ومدح يديه فقال][٢] / جلّ مِن قائلٍ : ﴿وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ﴾[٣] .

٤/أ

وقال جلّ مِن قائلٍ : ﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُم ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِن رَبكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلاً مَيْسُوراً﴾[٤] .

أي إن أعرضتَ عن إعطائهم لضيق يدٍ فأَحْسِن القولَ، وابسُط العُذْرَ، وادعُ لهم بسَعة الرِّزق، وقُل: إذا وجدتُ فعلتُ وأكرمتُ .

وكان ﷺ إذا سُئل وليس عنده ما يُعطي سكتَ انتظاراً لرزقٍ يأتي من الله كراهيةَ الرَّدِّ، فنزلت هذه الآيةُ، فكان إذا سُئل ولم يكن عنده ما يُعطي قال: يرزُقُنا اللهُ وإيّاكُم مِن فَضْلِه، يعني قولَه: ﴿قُلْ لَهُمْ قَوْلاً مَيْسُوراً﴾ .

﴿ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِن رَبكَ تَرْجُوهَا﴾ : ليس يريدُ بذلك سببَ الإعراض بل هو إشارةٌ إلى حالة الإضاقة أي إن تُعرض عن السّائل إضاقةً

---

(١) أخرجه البخاري ٣/٣١٨، رقم: ٤٩٢٩، كتاب تفسير القرآن، باب ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾، ومسلم ١/٣٣٠، رقم: ١٤٧، كتاب الصّلاة، باب الاستماع للقراءة .

(٢) زيادة يقتضيها السّياق .

(٣) الإسراء : الآية ٢٩ .

(٤) الإسراء : الآية ٢٨ .

وإعساراً / في حالةٍ ترجُو رحمةَ الله فقُل له قولاً جميلاً ميسوراً، مِن يسّرتُ ٤ / ب القولَ له أُيَسِّرُه أي ليّنته، وقيل: هو ما يتيسَّرُ مِن القول الجميل.

وقولُه تعالى: ﴿**وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَحْسُوراً**﴾[1] علَّمَهُ تبارك وتعالى أدبَ الإنفاق وأمرَهُ بالاقتصاد .

قال جابر وابن مسعود : « جاء غلامٌ إلى النّبيّ ﷺ فقال: إنّ أمّي تسألُك كذا وكذا فقال: ما عندنا اليومَ شيءٌ، قال: فتقول لكَ: اكسُني قميصَك، فخلع قميصَه فدفعه إليه وجلس في البيت عاريا[2]» .

وفي رواية جابر: « فأذّن بلالٌ للصّلاة، وانتظرُوا رسولَ الله ﷺ فلم يخرُج ، واشتغلت القلوبُ ، فدخل بعضُهم فإذا هو عَارٍ ، فنزلت هذه الآية»[3].

والغَلُّ : الإدخالُ، وغلّ في الغنيمة إذا خان فأدخلها في ...[4]

---

(١) الإسراء : الآية ٢٩ .

(٢) رواية ابن مسعود أخرجها الواحديُّ في أسباب نزول القرآن ص ٢٩٤ من طريق سليمان بن سفيان الجهنيّ قال : حدّثنا قيس بن الرّبيع ، عن أبي إسحاق ، عن أبي الأحوص ، عن عبد الله قال : فذكره إلاّ أنّ فيه : « حاسراً » بدل « عارياً »، وإسناده ضعيفٌ لضعف سليمان وقيسٍ ولغرابة معناه انظر ميزان الاعتدال ٢/٢٠٩ وتقريب التّهذيب .

(٣) رواية جابرٍ ذكرها بلا إسنادٍ الواحديُّ في أسباب النّزول ص ٢٩٤ ـ ٢٩٥، والبغويُّ في معالم التّنزيل ٥/٩٠، وذكر الحافظ ابن حجر في تخريج أحاديث الكشّاف ص ٩٩ أنّه لم يجده .

(٤) يظهر أنّ في النّسخة سقطاً في هذا الموضع ولعلّه بضعة أسطرٍ .

[وقوله تعالى : ﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُم﴾ الضّمير في ﴿عَنْهُم﴾ عائدٌ على من تقدّمَ ذِكْرُه من المساكين وبني السّبيل، فأمر الله تعالى نبيَّهُ في هذه الآية إذا سأله منهم أحدٌ فلم يجد عنده ما يُعطيه فقابله رسولُ الله ﷺ بالإعْرَاضِ تأدُّباً منه في][1] / أن [لا][2] يردَّهُ تصريحاً وانتظاراً برزقٍ من الله تعالى يأتي فيعطي منه أن تكون منه توليةً بالقول الميسُور وهو الذي فيه التَّرْجِيَةُ بفضل الله تعالى، والتّأنيسُ بالميعاد الحسَنِ، والدّعاءُ في توسعة الله وعطائِه، ورُوي أنّه ﷺ كان يقول بعد نُزول هذه الآية ـ إذ لم يكن عنده ما يُعطي ـ: « يرزقنا الله وإيّاكم من فضلِه »[3]؛ فالرّحمةُ على هذا التّأويل الرزقُ المنتظَرُ، وهذا قولُ ابن عبّاس ومجاهدٍ وعكرمة[4].

٥/أ

وقال ابنُ زيدٍ[5] : الرّحمةُ الأجرُ والثّوابُ، وإنّما نزلت الآيةُ في قومٍ كانوا يَسألُون رسولَ الله ﷺ فيأبى أن يُعطيَهم لأنّه كان يعلمُ منهم نفقةَ المال في فسادٍ، فكان يُعرض عنهم رغبةً في الأجر في منعهم لئلاّ يُعينَهم

---

(١) من المحرّر الوجيز لابن عطيّة ٢٨٢/١٠ ويأتي قريباً تصريحُ ابن دحية بالنّقل عن هذا الكتاب .

(٢) من المصدر نفسه .

(٣) لم أعثر له على إسنادٍ وقد ذكره الواحديُّ في الوسيط ١٠٥/٣ والوجيز ٦٣٣/٢، وابنُ عطيّة في المحرّر الوجيز ٢٨٢/١٠، والقرطبيُّ في الجامع ٢٤٩/١٠، وصدّره الأوّلان بصيغة التّمريض .

(٤) انظر أقوالهم بأسانيدها في تفسير ابن جرير ٧٥/١٥ .

(٥) عبد الرّحمن بن زيد بن أسلم .

على فسادِهم، فأمره الله بأن يقـول لهـم قـولاً ميسـوراً يتضمّـنُ الدُّعـاءَ في الفَتْحِ لهم / والإصلاح[١]. ٥/ب

وقال بعضُ أهل التّأويل : نزلت الآيةُ في عمّارِ بن ياسر وصنفِه[٢] .

والميسورُ : مفعولٌ من اليُسْرِ تقولُ : يسّرتُ لك كذا إذا أعددتَهُ .

وقولُه : ﴿وَلاَ تَجْعَلْ يَـدَكَ﴾ الآيـة استُعير لليـدِ المقبوضـةِ جملـةً عـن الإنفاق المتّصلةِ[٣] بالبُخل الغلُّ إلى العُنُقِ، واستُعير لليدِ التي تَستنفِدُ جميعَ مـا عندها غايةُ البَسْطِ ضدّ الغلِّ.

وكلُّ هذا في إنفاق الخيرِ، وأمّا إنفـاقُ الفسـادِ فقليلُـه وكثـيرُه حـرامٌ، وهذه الآيةُ يُنظـر إليهـا قـولُ النّبيّ ﷺ : « مثـلُ البخيـل والمتصـدِّقِ كمثـل رجلين عليهما جُبّتان مِن حديدٍ ».

هكذا ترجـم عليـه البخـاريُّ في « صحيحـه »[٤] قـال : وحدّثنـا أبـو اليَمان، قال: أخبرنا شعيبٌ، قال: أخبرنا أبو الزِّناد، أنّ عبدَ الرّحمــن حدّثـه أنّه سمع أبا هريرة، أنّه سمع رسولَ الله ﷺ يقـول : « مثـلُ البخيـلِ والمنفـقِ كمثل / رجُلين عليهما جُبّتان مِـن حديـدٍ مِـن ثُدِيِّهمـا إلى تَراقيهمـا، فأمّـا ٦/أ

(١) قولُ ابن زيدٍ أخرجه الطبريُّ في تفسيره ١٥/٧٥ ـ ٧٦ حدّثني يونس، قـال: أخبرنـا ابـنُ وهب، قال: قال ابن زيدٍ فذكره بنحوه، وإسنادُه مرسلٌ وقد استبعد الطـبريُّ هـذا المعنـى المنقول عن ابن زيدٍ واعتبره مخالفاً لظاهر الآية في كلام مطوّل له رحمه الله تعالى .

(٢) لم أقف عليه وابنُ دحية إنّما نقله عن المحرّر الوجيز لابن عطيّة ١٠/٢٨٢ .

(٣) في المحرّر الوجيز : المتّصفة .

(٤) كتاب الزّكاة، باب مثل المتصدّق والبخيل ٣/٣٠٥، رقم: ١٤٤٣ .

المنفِقُ [فلا ينفق][1] إلاّ سَبَغتْ أو وَفَرَتْ على جلدِه حتّى تُخفي ثيابَه[2] وتَعْفُوَ أثرَه، وأمّا البخيلُ فلا يريدُ أن يُنفقَ شيئاً إلاّ لَزِقَتْ كلُّ حَلْقَةٍ مكانَها، فهو يُوَسِّعُها فلا تَتَّسِعُ » .

أتقن البخاريُّ هذا الحديثَ، ووقع عند مسلمٍ[3] فيه اختلافُ ألفاظٍ، وذَكَرَ البخاريُّ بعد إسنادِه: جُبّتان أو جُنّتان[4]، والنُّونُ أصوبُ[5]، وكذلك اختلف فيه رواةُ مسلمٍ[6].

(١) من صحيح البخاري .

(٢) في صحيح البخاري : بنانه ، وهو الصّواب ، وما في سياق ابن دحية تصحيفٌ قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري ٣/٣٠٦: « رواه بعضهم : ثيابه بمثلثةٍ وبعد الألف موحّدة ، وهو تصحيفٌ » .

(٣) كتاب الزّكاة ، باب مثلُ المنفق والبخيل ، ٢/٧٠٨، رقم : ٧٥ .

(٤) أخرجه البخاري ٣/٣٠٥ ، رقم : ١٤٤٤ تعليقا فقال : وقال حنظلة عن طاوس : « جنّتان ». وقد وصله الإسماعيليُّ من طريق إسحاق الأزرق عن حنظلة ذكر ذلك الحافظ ابن حجر في الفتح ٣/٣٠٧. وأخرج البخاريُّ أيضا تعليقا فقال: وقال اللّيث: حدّثني جعفر عن ابن هرمز سمعتُ أبا هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: « جنّتان »، وقد أفاد ابن حجر أن رواية اللّيث هذه لم تقع له موصولة لكنّه رآه عنه بإسناد آخر أخرجه ابن حبّان ـ وهو في الإحسان ٨/١٠٦ ـ ١٠٧، رقم: ٣٣١٣ ـ من طريق عيسى بن حمّاد عن اللّيث عن ابن عجلان عن أبي الزّناد بسنده.

(٥) قاله القاضي عياض في مشارق الأنوار ١/١٥٦ .

(٦) أفاد القاضي عياض أنّ هذا الحديث وقعت فيه أوهامٌ كثيرةٌ من الرّواة وتصحيف وتحريف وتقديم وتأخير، ويعرف صوابه من الأحاديث الّتي بعده، ثمّ سرد تلك الأوهام وبيّن صوابها نقل ذلك كلّه النّوويُّ في شرح مسلم ٧/١١٠ ـ ١١١ .

وجَمْعُ الثَّـدْيِ بفتـح الثَّـاءِ وسـكونِ الـدّال ثُـدِيٌّ بضـمِّ الثّـاء وكسـرِ الدّال[(١)].

وقولُه ﷺ : « فلا ينفق إلاّ سَبَغَتْ أو وَفَرَتْ على جِلْدِه » أي كَمَلَتْ وطالتْ حتّى تُخفي بَنانَهُ.

وكلامُه ـ أعني القاضي أبا محمّد بن عطيّة ـ طويلٌ[(٢)].

وقال الفقيه النّحويُّ الكبيرُ أبو الحسن عليُّ بن سعيد بن يوسـف بـن سعيد الحَوْفيُّ[(٣)] / في كتاب « البرهان » له ـ وهو عندي في ثلاثين مجلّداً[(٤)] ٦/ب ـ أجازه لي شيخُنا الفقيهُ المقرىءُ النّحويُّ المحدِّثُ الفاضلُ أبو بكر محمّدُ بن خيرٍ[(٥)]، عن الفقيه المحدِّث أبي الأصبغ الشَّنْتَرِينيِّ[(٦)]، قال: حدّثني به النّحويُّ

---

(١) انظر مشارق الأنوار ١٢٩/١ . ويجمع أيضا على ثِدِيّ بكسر الثّاء إتباعـاً لما بعدها مـن الكسر، ويجمع أيضاً على أَثْدٍ انظر تهذيب اللّغة ٢٢٩١/٦ (ثدا) .

(٢) وقد اختصر منه ابنُ دحية شيئا قليلا انظر المحرّر الوجيز ٢٨٢/١٠ ـ ٢٨٣، مع ملاحظة أنّ الكلام على حديث الشّيخين هو لابن دحية لا ابن عطيّة.

(٣) النّحويُّ كان عالماً بالعربيّة وتفسير القرآن الكريم، توفي سنة ٤٣٠هـ، انظر معجم الأدباء ٢٢١/١٢ ـ ٢٢٢، وفيات الأعيان ٤٣٦/٣ ـ ٤٣٧، والسّير ٥٢١/١٧ ـ ٥٢٢.

(٤) قال ياقوت : « بلغني أنّه في ثلاثين مجلّداً بخطٍّ دقيقٍ » . قلتُ : للكتـاب أجزاء كثيرة في دار الكتب المصرية بالقاهرة ودار الكتب الوطنيـة بتونس، وفي قسـم مخطوطـات الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية صورٌ عنها. انظر فهرس كتب التّفسير ص ٦٢ ـ ٨٠.

(٥) ابن خليفة اللّمتوني الإشبيلي عالم الأندلس صاحب الفهرست، كـان محدّثـاً متقنـاً رضـىً مأموناً، توفي سنة ٥٧٥هـ، انظر السير ٨٥/٢١ ـ ٨٦. ولابن خيرٍ سـندان آخـران يـروي بهما كتاب البرهان غير السّند الذي ذكره ابنُ دحية هنا انظر فهرسته ص ٧١.

(٦) هو عيسى بن محمّد بن عبد الله بن عيسى بن مؤمّل بن أبي البحر الزّهـري أبـو الأصبـغ، وصفه القاضي عياض بأنّه مسنٌّ وأنّ أصله من شنترين وسكن مدينة سلا، وله سماع قديم

=

أبو الحسن طاهرُ بن بابْشاذ(١)، قال: سمعتُ الإمامَ النّحويَّ أبا الحسن يقول - في قولِه جلّ وعلا : ﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمْ﴾ الآية - :

« المعنى - وا لله أعلم - وإن تُعرض يا محمّد عن هـؤلاء الذين أمرتُـك أن تُؤتيهم حُقوقَهم إذا وجدتَ إليها السّبيلَ بوجهك حياءً منهم ورحمةً لهم ﴿ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِن رَبِّكَ﴾ يقولُ: انتظارَ رزق تنتظرُه وترجُوه من ربِّك فلا تُأَيِّسهم ولكن عِدْهُم وعداً جميلاً وهو القـولُ الميسـورُ تقـولُ: سـيرزقُ ا لله فأُعطيَكم وما أشبهَ ذلك من القـولِ اللّيِّنِ غـير الغليـظِ كمـا قـال: ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلاَ تَنْهَرْ﴾(٢).

قال عكرمةُ وابنُ عبّاسٍ : عِدَةً حسنةً(٣) .

٧ / أ / وقـال قتـادةُ والضّحّـاكُ : نزلـت فيمـن كـان يسـألُ النّبيَّ ﷺ مـن المساكين(٤).

وقولُه تعالى: ﴿وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ﴾ هذا مثـلٌ ضربـه ا لله للممتنع من الإنفاقِ في الحُقـوقِ الـتي أوجبهـا في أمـوال ذوي الأمـوال

بالشّرق من أبي الحسن بن باب شاذ وغيره، لم تكن عنـده كتـبٌ ولا ضبـطٌ، تـوفي سـنة ٥٣٠هـ، انظر الغنية ص ١٨٣ - ١٨٦، والصّلة ٤١٧/٢ .

(١) أبو الحسن طاهر بن أحمد بن بابشاذ المصريّ الجوهري إمام النّحاة، توفي سـنة ٤٦٩ هـ، انظر إنباه الرّواة ٩٥/٢ - ٩٧، السّير ٤٣٩/١٨ - ٤٤٠.

(٢) الضّحى : الآية ١٠ .

(٣) انظر جامع البيان ٧٥/١٥ ، والدرّ المنثور ٣٢١/٤ .

(٤) أخرجه عن الضّحّاك ابنُ جرير الطبري في جامعه ٧٥/١٥ قال: حُدثتُ عن الحسـين بـن الفرج قال: سمعتُ أبا معاذٍ يقول: ثنـا عبيـد بـن سـليمان قـال: سمعـتُ الضّحّـاك يقـول: فذكره في كلامٍ قبله، وإسنادُه ضعيفٌ لانقطاعه بين الطبري وابن الفرج.

فجعله كالمشْدُودةِ يدُه إلى عُنقِه التي لا يَقدرُ على الأخذ بها والإعطاء، وإنّما معنى الكلام : ولا تُمسك يدَك يا محمّد بُخْلاً عن التّقدُّم في حُقوق الله فلا تُنفق فيها شيئاً إمساكَ المغلولةِ يدُه إلى عنقِه الذي لا يستطيعُ بسطَها، ولا تبسُطْها بالعطيّة كلَّ البَسْطِ فتبقى لا شيءَ عندك، ولا تجدُ إذا سُئلتَ شيئاً تُعطيه سائلَك فتقعدَ يلومُك سائلوك إذا لم تُعطهم[1] وتلومُك نفسُك على الإسراعِ في مالِك وذهابه.

وقولُه : ﴿مَحْسُوراً﴾ أي مَعيياً قد انقُطع بك لا شيءَ عندك تنفقُه، مِن قولهم للدّابّة التي قد سِيرَ عليها حتّى / انقطع سيرُها وكَلَّتْ[2] من السّير: دابّةٌ حسيرٌ، يقال منه: حسرتُ الدّابّةَ فأنا أحسِرُها وأحسُرُها حَسْراً وذلك إذا أنضيتَها بالسَّيْرِ، وحَسَرْتُهُ بالمسألة إذا سألته فألْحَفْتَ، وحَسِرَ البصرُ فهو يَحْسَرُ وذلك إذا بلغ أقصى المنظر فكَلَّ، ومنه قولُه تعالى: ﴿يَنْقَلِب إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئاً وَهُوَ حَسِيرٌ﴾[3].

٧ / ب

قال الحسن : مغلولة عن النّفقة، ولا تبسطها تبذّر تُسرف[4]، وهو معنى قول ابن عبّاس.

وقال ابن زيدٍ : ولا تبسُطها كلَّ البَسْطِ في الحق والباطلِ فيأتيك من يريدُ أن تُعطيه كما أعطيتَ هؤلاء فلا تجد ما تُعطيه، فيلومُك هؤلاء حين

---

(١) في جامع البيان زيادة : حين سألوك .

(٢) في جامع البيان زيادة : ورَزَحَتْ .

(٣) الملك : الآية ٤ .

(٤) انظر تفسير الطّبري ١٥/٧٦ ـ ٧٧ ، والدرّ المنثور ٤/٣٢٢ .

أعطيتَ هؤلاء و لم تُعطهم »[١].

وقال عمر بن الخطّاب :

« وا لله لقد بلغ مِن جُودك عند ا لله أنْ كفّك عن بعض ذلك في كتابه فقال جلَّ مِن قائل: ﴿**وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ البَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَحْسُوراً**﴾ / قال ذلك يومَ مات رسولُ ا لله ﷺ ». ٨ / أ

رواه عبدُ الملك بن حبيب السّلميّ[٢] وغيرُه، وذكره نسّابةُ الأندلس في زمانِه المحدثُ أبو محمّد عبدُ ا لله بن عليّ اللَّخْميُّ المعروفُ بالرُّشاطيّ[٣] في كتاب « اقتباس الأنوار والتماس الأزهار في أنساب الصّحابة ورُواة الآثار »[٤]، وقد حدّثني عنه عشرون شيخاً رحم ا للهُ جميعَهم ورحمنا بعدهم.

---

(١) ابن زيدٍ هو عبد الرّحمن بن زيد بن أسلم. وإلى هنا فيما يظهر ينتهي كلامُ الحوفي في كتابه البرهان، و لم أقف على القسمِ الذي فيه تفسيرُ سورة الإسراء من هذا الكتاب .

(٢) أبو مروان عبد الملك بن حبيب بن سليمان السُّلمي الأندلسيّ القرطبيّ المالكي صاحب كتاب الواضحة، كان حافظا للفقه نبيلا إلاّ أنّه لم يكن له علمٌ بالحديث، ولا يعرف صحيحه من سقيمه، توفي سنة ٢٣٩ هـ، انظر سير أعلام النبلاء ١٢/١٠٢ ـ ١٠٧ .

(٣) الحافظُ النّسّابةُ المتوفّى سنة ٥٤٢هـ، انظر السّير ٢٠/٢٥٩ ـ ٢٦٠ .

(٤) قال ابن بشكوال في الصّلة ١/٢٨٦ : « له كتابٌ حسنٌ سمّاهُ بكتاب اقتباس الأنوار والتماس الأزهار في أنساب الصّحابة ورواة الآثار أخذه النّاسُ عنه وكتب إلينا بإجازته ».
وقد كان ابنُ دحية يمتلك نسخةً بخطّ مؤلّفه الرُّشاطيّ فقد قال في كتابه تنبيه البصائر في أسماء أم الكبائر ل ٢٣ أ : « حدّثني به نحوٌ من عشرين شيخاً عن مؤلّفه، وعندي منه =

ومدح صدرَه فقال تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾[1]، وبهذه السُّورة بان الصدقُ مِن المَيْن، وتبيّن الصّبحُ لذي عَيْنَيْن، وفرّق بين المنزِلَتَيْن: ﴿رَب اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾[2] و﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ لنبيّ الحَرَمَيْن، وصفه بالثّلْجِ واليقين، وذكّرَهُ بغسل قلبه بماء زمزم المعين، على ما سنذكرُه ونُبَيّنه بأوضح التّبيين، فكان لمّا شَجُّوا / وجهَه وكسرُوا رَباعيتَه ٨/ب ذكرَ لقومِه حاكياً نبيّاً من الأنبياء ضربه قومُه فأدمَوه وهو يمسحُ الدّمَ عن وجهِه ويقول: « اللّهمّ اغفر لقومي فإنّهم لا يعلمُون ».

هذا في « صحيح البخاريّ »[3]، وفي « صحيح مسلم »[4]: « رب اغفر لقومي فإنّهم لا يعلمُون ».

وهذا كلُّه من انشراح الصَّدْرِ وسَعتِه، وحُسنِ الخُلُق وطيبتِه، قال الله العظيمُ: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ

أصلُه في خمس مجلّدات». وقد سمّى ابنُ دحية أسماء بعض هؤلاء الشّيوخ الذين حدّثوه عن الرُّشاطي وذلك في كتابه المطرب ص ٦١. وانظر عن الرُّشاطي وكتابه اقتباس الأنوار ومختصراته مقالاً مطوّلاً للعلاّمة حمد الجاسر في مجلّة مجمع اللّغة العربيّة بدمشق المجلّد ٦٦، ج ٤، ص٦٤٥.

(١) الشّرح: الآية ١.

(٢) طه: الآية ٢٥.

(٣) كتاب أحاديث الأنبياء ٥١٤/٦، رقم: ٣٤٧٧ من حديث عبد الله بن مسعودٍ رضي الله عنه.

(٤) كتاب الجهاد والسّير، باب غزوة أحد، ١٤١٧/٣، رقم: ١٠٥.

يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾(١)، فشرح الله صدرَ رسوله محمّد ﷺ وضيّقَ صدرَ عمّه أبي لهبٍ، فقام الدّليلُ الواضحُ أنّ كلا السّببين مِن عند الله وبيدِه؛ لأنّه أخبر أنّه هو الذي يشرحُ صدرَ المؤمن للإيمان إذا أراد هدايتَه، ويضيّق صدرَ الكافرِ للكفر إذا أراد إضلالَه.

٩ / أ وقولُه : ﴿حَرِجاً﴾ / بكسر الرّاء قرأ به نافعٌ وأبو بكر(٢)، والباقون بفتحِها(٣)؛ فالمكسورُ اسمُ الفاعل، والمفتوحُ مصدرٌ وُصف به مثل قولِك: رجلٌ عَدْلٌ ورضاً(٤).

وأصلُ الحَرَجِ الضّيّقُ الشديدُ، وقيل: الفتحُ والكسرُ لغتان مثلُ الدَّنَفِ والدَّنِفِ والوَحَدِ والوَحِدِ(٥)؛ فالصّدرُ الضّيّقُ الحَرِجُ هو الذي لا تصلُ إليه الموعظةُ ولا يدخلُه نورُ الإيمان(٦)، فكأنّ هذا الكافرَ إذا دُعي إلى الإسلام

---

(١) الأنعام : الآية ١٢٥ .

(٢) نافع هو ابن عبد الرّحمن بن أبي نعيم اللّيثي مولاهم أبو رُويم المقرىء المدني، توفي سنة ١٦٩هـ. وأبو بكر هو عاصم بن أبي النّجود الأسديّ مولاهم الكوفيّ القارىء، توفي سنة ١٢٧هـ، انظر معرفة القرّاء الكبار ٨٨/١ ـ ٩٤، ١٠٧ ـ ١١١.

(٣) انظر النّشر في القراءات العشر ٢٦٢/٢ لابن الجزري .

(٤) انظر إملاء ما منّ به الرّحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن ٢٦٠/١ للعكبَري.

(٥) انظر تفسير الطّبري ١٠٧/١٢ .

(٦) انظر المصدر السّابق ، وهذه الفقرةُ الأخيرة من كلام الطّبري فكان على ابن دحية أن يعزوها إليه.

مِن ضِيق صدره كأنّه كُلِّف الصّعودَ إلى السَّماء، فامتناعُه مِن قَبُول الإسلام كامتناعِه مِن الصُّعود إلى السّماء وعجزِه عنه لأنّه ليس في وُسْعِه.

وقيل : الحَرَجُ جمعُ حَرَجَةٍ وهي مجتمعُ الشّجر الملتف الـذي لا تصلُ إليه الرّاعية قال الشّاعرُ :

أَيَا حَرَجاتِ الحي حين تحمَّلُوا   بذي سَلَمٍ لا جَادَكُنَّ رَبيعُ[1]

فشرحَ الله صدرَ نبيّه شرحَ امتنَانٍ، وجعل قولَه: ﴿أَلَمْ / نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ آيةً متلوّةً في القرآن، مادحةً لصدره بالشَّرْحِ للإيمَان. ٩ / ب

ومدح أذنيه فقال جلّ وعلا : ﴿وَمِنْهُم الذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[2]؛ أي ومِن هؤلاء المنافقين جماعةٌ يُؤذون رسولَ الله ويَعيبونه ويقولون: هو أُذُنٌ سامعةٌ يَسمعُ مِن كل أحدٍ ما يقول له فيقبلُه ويصدقُه، وقائلُ هذه المقالةِ هو نَبْتَلُ ابن الحارث أخو بني عمرو بن عوفٍ، فأعلم الله عزّ وجلّ عبادَه أنّ محمّدا ﷺ أذُنُ خيرٍ لا أذُنُ شرٍّ، أي يستمعُ ما يُنزله الله عزّ وجلّ عليه فيصدقُ به ويصدقُ المؤمنين فيما يُخبرونه به، وهو معنى ﴿يُؤْمِنُ بِاللهِ﴾ يصدقُ بالله وحده لا شريكَ له / ويصدقُ المؤمنين لا الكافرين والمنافقين، ودخلت اللاّمُ في ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ للفرق بين إيمان التّصديق وإيمانِ الأمان، ولَمّا كان ١٠ / أ

---

(١) البيت لمجنون ليلى قيس بن المُلَوَّح انظر ديوانه ص ١٩٠ ، وقد ذكره ابنُ منظورٍ في لسان العرب « حرج » دون نسبةٍ .

(٢) التّوبة : الآية ٦١ .

معنى الإيمان التّصديق جاءَ باللاّم كما جاء في قوله عزّ وجلّ: ﴿**مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ**﴾(١).

وقال بعضُ النّحويين ـ وهو أبو الحسن الحَوْفيُّ ـ :

دخلت اللاّمُ في ﴿**لِلْمُؤْمِنِينَ**﴾ كما دخلت في ﴿**رَدِفَ لَكُمْ**﴾(٢)، وجعلهُ الله تعالى رحمةً لمن تبعه وصدّقهُ لأنّ الله تعالى استنقذهُم به من الضَّلاَلَة، وأورثهم به جنّاتِ عَدْنٍ وهي دارُ المقامةِ والجلالَة.

ثمّ قال جلّ مِن قائلٍ: ﴿**وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ فأوعد الذين يَعيبُون رسولَه بعذابٍ أليمٍ في دَرَكات الجحيم، وردّ عليهم بقوله: ﴿**قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ**﴾ وكانوا إذا كان الرّجلُ منهم يسمع كلَّ ما يُقال له قالوا : هو أُذُنٌ ، ومنه / قولُ الشّاعر : ١٠/ب

صُمٌّ إذا سمِعوا خيراً ذُكرتُ به وإن ذُكرتُ بسُوءٍ عندهم أُذُنُ(٣)

ويُروى : أَذِنوا أي سمعوا؛ فردَّ اللهُ عليهم ذلِك، وجعلـه أُذُنَ خيرٍ في كل ما هو سالِك.

ومدح قلبَه فقال تعالى: ﴿**مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى**﴾(٤) أي ما أنكر قلبُه ما رأت عينُه ليلةَ الإسراء لمّا عُرِج به إلى السَّماء.

---

(١) البقرة : الآية ٩٧ .

(٢) النّمل : الآية ٧٢ .

(٣) نسبه ابنُ منظورٍ في لسان العرب « أذن » لقعنب بن أم صاحبٍ ، وفيه : أَذِنُوا .

(٤) النّجم : الآية ١١ .

وقال جلّ مِن قائلٍ: ﴿وَقَالَ الذِينَ كَفَرُوا لَوْلاَ نُزِّلَ عَلَيْهِ القُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً﴾(١) أي فعلناه كذلك لنثبِّتَ به فؤادَك فتحفظه ولا تنساهُ، وقد ضمِنَ ا للهُ له الحفظَ بقوله جلَ مِن قائلٍ: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلاَ تَنْسَى﴾(٢).

ثمّ قال تعالى: ﴿وَلاَ يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إلاَّ جِئْنَاكَ بِالحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً﴾(٣) / أي لا يُعارضُونك في مناقضةِ ما أنزلنا عليك مِن هذا القرآن إلاّ أعطيناك فيه حجّةً عليهم وجواباً عمّا أوردُوا عليك فيه تحقيقاً لقول ا لله عزّ وجلّ: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ ا للهِ لَوَجَدُوا فِيه اخْتِلاَفاً كَثِيراً﴾(٤) . ١١/أ

وفي هذه الآية مِن تثبيت فؤاد النّبيّ ﷺ ما يشهدُ بأنّه المُتّقى المُكرَّمُ، فكانت فيه إشارةٌ إلى تطهيرِه، والشّقّ الذي فرغنا مِن تفسيره، فإنّ التّثبيتَ لا يكونُ إلاّ بعد التّطهير بالإكرام، وتطهّرتْ فضائلُ فُؤادِه عليه أفضلُ الصّلاة وأشرفُ السّلام.

والفؤادُ : القلبُ ، ومنه ما ثبت في « الصّحيحين »(٥) أنّه ﷺ رجع إلى خديجة يرجُفُ فؤادُه ، أي يتحرّكُ حركةً قويّةً .

---

(١) الفرقان : الآية ٣٢ .

(٢) الأعلى : الآية ٦ .

(٣) الفرقان : الآية ٣٣ .

(٤) النّساء : الآية ٨٢ .

(٥) صحيح البخاري ٣٣/١، رقم: ٣، كتاب بدء الوحي، وصحيح مسلم ١٤٢/١، رقم: ٢٥٤، كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، من حديث عائشة رضي ا لله عنها.

وقيل : الفؤادُ عبارةٌ عن باطن القلب .

وقيل : الفؤادُ عينُ القلب .

وقيل : القلبُ أخصُّ مِن / الفؤاد . ١١ / ب

وقيل : الفؤادُ غشاءُ القلب والقلبُ جُثّته .

وقولُه ﷺ : « أتاكم أهلُ اليمن هم ألينُ قلوباً، وأَرَقُّ أفئدةً » الحديثَ بطُولِه، وله طرقٌ في « صحيح البخاري ومسلم »[(١)] .

ومعنى « ألينُ قلوباً وأَرَقُّ أفئدةً » متقاربٌ، وإنّما كرّره لاختلاف اللّفظين، ومعنى وصفِ القلب بالرِّقّة واللِّين راجعٌ إلى سُرعة الاستجابةِ وضدّ القسوة التي وَصَفَ بها غيرَهُم[(٢)].

وقيل : القلبُ محلُّه الفؤادُ، والفؤادُ محلُّه الصّدرُ، وقد يعبَّرُ بكلٍّ واحدٍ منهما عن الآخر، وفي القرآن العظيم: ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾[(٣)]، والقلبُ أيضا العقلُ قال الله العظيمُ: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ قَلْبٌ﴾[(٤)] أي عقلٌ ، وإنّما سَمّيناهُ به لأنّه محلُّه.

---

(١) صحيح البخاري ٩٨/٨، رقم: ٤٣٨٨، كتاب المغازي، باب قدوم الأشعريين وأهل اليمن، وصحيح مسلم ٧٣/١، رقم: ٩٠، كتاب الإيمان، باب تفاضل أهل الإيمان فيه، ورجحان أهل اليمن فيه، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) قال الخطّابيُّ في أعلام الحديث ١٥٢١/٣ : « يريدُ ــ والله أعلم ــ بلين القلب سرعة خُلُوص الإيمان إلى قلوبهم، وحُسن قَبُولهم له، ويُقال: الفؤادُ غشاءُ القلب، والقلبُ حَبَّتُهُ وسُوَيْداؤُه، وإذا رقَّ الغشاءُ أسرع نفوذُ الشّيء إلى ما وراءه » .

(٣) طه : الآية ٢٥ .

(٤) ق : الآية ٣٧ .

وسُمِّي القلبُ قلباً لتقلُّبه بالخواطر قال الشّاعرُ :

/ ما سُمِّيَ القلبُ إلاّ مِن تقلّبــه   والرّأيُ يَصْرِفُ والإنسانُ أطوارُ[١]   ١٢ / أ

وفي قوله ﷺ : « إنّ عَيْنَيَّ تنامان ولا يَنامُ قلـبي »[٢] المعجـزةُ الكـبرى والدِّلالةُ العظمى وهي رفعتُه عن جملة الآدميين في أنّ نومَه ويقظتَه سواءٌ في حفظ حالتِه وصيانةِ عبادتِه، وذلك أنّ النّـومَ آفـةٌ يُسـلِّطُها الله علـى العبـد يخلعُ فيها السَّلْطَنَةَ التي للنّفس عن البدن فيستريح مِن خدمتِها حتّى إذا شـاء الله تعالى ردَّ الاستشعارَ باليقظةِ كما كان، فأخبر ﷺ ـ وخـبرُه الحـقُّ ـ أنّ النّومَ إنّما يَحُلُّ عينيه لا قلبَه ، وأنّ أحوالَه محفوظةٌ عندَه .

قرأتُ بمدينة أَغرْنَاطَةَ على الشّيخ الثِّقة أبي محمّد عبد الحقّ بن قـاضي مالَقَةَ أبي مروان عبد الملك بن بُونُهْ العَبْـدَريُّ[٣]، قـال: حدّثنـا العَـدْلُ أبـو الحسن عبدُ الرّحمن بـن عبـد الله الأُمَـويُّ / يُعـرف بـابن عَفيـفٍ[٤]، قـال: ١٢ / ب حدّثنا الإمامُ العـالِمُ أبـو محمّـد قاسـمُ بـن محمّـدٍ القَيْسِـيُّ[٥]، قـال: حدّثنـا القاضي أبو يعقوب يوسفُ بن أحمـد[٦] بمكّـة ـ زادهـا الله شـرفاً ـ قـال:

---

(١) ذكره ابنُ منظورٍ في لسان العرب « قلب » ولم يعزه لأحدٍ، ونصُّ العجز عنده :

❁ والرّأيُ يصرفُ بالإنسان أطوارا ❁

(٢) أخرجه البخاري ٣/٣٣، رقم: ١١٤٧، ومسلم ١/٥٠٩، رقم: ١٢٥ من حديث عائشة.

(٣) المعروف بابن البيطار ، توفي سنة ٥٨٧هـ ، انظر سير أعلام النبلاء ٢١/٢٧٥ ـ ٢٧٦.

(٤) ذكر ابنُ بشكوال أنّه لم يكن بالضّابط لما رواه، وكان كثيرَ الوهم في الأسانيد، توفي سنة ٥٢١هـ، انظر الصّلة ١/٣٣٣ ـ ٣٣٤ .

(٥) من أهل طُليطلة، عني بالعلم وجمعه والاجتهاد فيه مع صلاح الحال، وثّقه ابـنُ بشـكوال، توفي سنة ٤٥٨هـ، انظر الصّلة ٢/٤٤٨ ـ ٤٤٩.

(٦) توفي سنة ٣٨٨هـ ، انظر العقد الثّمين ٧/٤٨٢ ، وقد ورد له ذِكْرٌ في فهـرس ابـن عطيّـة ص ٧٠.

أخبرنا أبو ذرٍّ محمّد بن إبراهيم التّرمذيُّ، قال: حدّثنا الحافظُ أبو عيسى التِّرمذيُّ، حدّثنا محمّدُ بن بَشّار، حدّثنا ابنُ أبي عَدِيٍّ، عن جعفر بن ميمون، عن أبي تَميمة الهُجَيْميِّ، عن أبي عثمان، عن ابن مسعودٍ قال:

« صلّى رسولُ الله ﷺ العِشاء، ثمّ انصرف فأخذ بيد عبد الله بن مسعودٍ حتّى خرج به إلى بطحاء مكّة، فأجلسَه ثمّ خطّ عليه خطّاً، ثمّ قال: لا تَبْرَحَنَّ خطّك فإنّه سينتهي إليك رجالٌ فلا تُكلِّمْهُم فإنّهم لا يُكلِّمُونَك، ثمّ مضى رسولُ الله ﷺ حيث أرادَ، فبينما أنا جالسٌ في خطِّي إذ أتاني رجالٌ كأنّهم الزُّطُّ، أَشْعارُهم وأجْسامُهم، لا أرى عَوْرَةً / ولا أرى قِشْراً، وينتهُون إليّ ولا يُجاوزُون الخَطَّ، ثمّ يصدُرُون إلى رسول الله ﷺ حتّى إذا كان مِن آخر اللّيل، لكن رسولُ الله ﷺ جاءني وأنا جالسٌ فقال: لقد أراني منذُ اللّيلةَ، ثمّ دخل عليَّ في خَطِّي، فتوسّدَ فخذي فرقَدَ، وكان رسولُ الله ﷺ إذا رقدَ نفخَ، فبينا أنا قاعدٌ ورسولُ الله ﷺ مُتوسِّدٌ فخذي إذا أنا برجالٍ عليهم ثيابٌ بياضٍ اللهُ أعلمُ ما بهم مِن الجَمال، فانتهَوْا إليّ فجلس طائفةٌ منهم عند رأس رسول الله ﷺ وطائفةٌ منهم عند رجليه، ثمّ قالوا بينهم: ما رأينا عبداً قطُّ أُوتي مثل ما أُوتي هذا النّبيُّ، إنّ عينيه تنامان وقلبُه يقظان، اضربُوا له مثلاً مِثْلُ سيّدٍ بنى قَصْراً، ثمّ جعلَ مائدةً[1]، فدعا النّاسَ إلى طعامِه وشرابه، فمن أجابه أكل مِن طعامِه / وشرب مِن شرابِه، ومن لم يُجبه عاقبهُ أو قال: عذّبهُ. ثمّ ارتفعُوا، فاستيقظ رسولُ الله ﷺ عند ذلك فقال: سمعتَ ما قال هؤلاء؟ هل تَدْري مَن هم؟

١٣ / أ — ١٣ / ب

(١) في الحاشية : مأدبة ، وهو الذي في التّرمذي، وقد أشار في الهامش أنّ كلاهما صحيحٌ .

قلتُ: الله ورسولُه أعلم، قال: هم الملائكةُ، تَدري ما المثلُ الـذي ضربُـوا؟ قلت: الله ورسولُه أعلم، قال: المثلُ الذي ضربُوا الرّحمـنُ بنـى الجنّـةَ ودعـا إليها عبادَه، فمن أجابَهُ دخل الجنّة، ومن لم يُجبه عاقبه أو عذّبه ».

قال التّرمذيُّ : هذا حديثٌ حسنٌ صحيـحٌ غريبٌ مِن هـذا الوجـه، وأبو تميمة هو الهُجيميّ واسمُه طَريف بن مُجالدٍ، وأبو عثمان النَّهْـدِيّ اسمُـه عبد الرّحمن بن مُلٍّ[1]، ذكره أبو عيسى في أبواب الأمثال عـن رسـول الله صلّى الله عليه وسلّم[2].

قال ذو النّسبين أيّده الله : وسيأتي لذلك مزيـدُ بيـانٍ فيمـا بعـدُ مِـن خصائص عينيه إن شاء الله تعالى.

ومدح ظهرَه فقال جلّ مِـن قـائلٍ /: ﴿وَوَضَعْنَا عَنْـكَ وِزْرَكَ الـذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ﴾[3] أي جعل نقيضَه يُسمع أي صوتَـه، وهـذا مَثَـلٌ لشُـيوع ثنائِه عليه في الدُّنيا واحتياج جميع الخَلْـقِ إلى شـفاعتِه في الأخـرى في قولِـه: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ مُتْبعاً لقولِه : ﴿أَنْقَضَ ظَهْـرَكَ﴾ أي لمّـا أن وضعنـا عنك وِزْرَكَ المُنْقِضَ لظَهْرِك رفعنا لك ذِكْرَك، فبهـذا يسـتقيمُ مـدحُ ظهـرِه على هذه الإشارَة، وهي ممّا تلحظُه عيونُ المعاني عند العبارَة.

١٤/أ

---

(١) بلامٍ مثقّلةٍ والميمُ مثلّثةٌ كما قال الحافظُ في التّقريب .

(٢) جامع التّرمذي، كتاب الأمثال، باب ما جاء في مثل الله لعباده، ٥/١٣٤ ـ ١٣٥، رقـم: ٢٨٦١.

(٣) الشّرح : الآية ٢ ـ ٣ .

وفي قوله ﷺ الثّابتِ عند الجميع : « إنّي لأراكُم مِن وراء ظَهْري » الآيةُ الكبرى والكرامةُ العليا على ما سنذكرُه فيما بعدُ في خصائص رؤيتِه إن شاء الله .

ومدح خُلُقَه فقال جلّ مِن قائلٍ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[1] ترجم عليه البخاريُّ في « صحيحه » في باب الكنية للصّبيّ وقبل أن يُولد للرّجل[2]، عن أنسٍ :

١٤ / ب « كان النّبيُّ ﷺ / أحسنَ النّاس خُلُقاً، وكان لي أخٌ يُقال له أبو عُمَير، قال: أحسبُه فَطيماً، وكان إذا جاء قال له: يا أبا عُمير، ما فعلَ النُّغير؟ نُغَرٌ كان يلعبُ به، فربّما حضرت الصّلاةُ وهو في بيتِنا فيأمر بالبساطِ الذي تحته فيُكنس وينضحُ، ثمّ يقوم ونقوم خلفه فيصلّي بنا ».

هذا نصُّه في كتاب الأدب[3]، وله طرقٌ في « الصّحيحين » وغيرِهما مِن المصنّفات والمسانيد.

والفَطْمُ : قطعُ الصّبي عن الرَّضاع، وأمُّه فاطِمةٌ له، ومنه اشتُقّت فاطمةُ في الأسماء.

---

(١) القلم : الآية ٤ .

(٢) أشار في الحاشية أنّه في نسخة : وقبل أن يلدَ الرّجلُ .

(٣) باب الكنية للصبيّ وقبل أن يولد للرّجل، ٥٨٢/١٠، رقم: ٦٢٠٣، من حديث أنس رضي الله عنه، وأخرجه أيضا مسلم في صحيحه، كتاب الآداب، باب استحباب تحنيك المولود عند ولادته، ١٦٩٢/٣ - ١٦٩٣، رقم: ٣.

والنُّغَير : تصغيرُ نُغَرٍ وهو طائرٌ يُشبه العصفورَ، وقيل: هو فرخُ العصفور، وقيل: نوعٌ من الحُمَرَة، وقيل: هو طائرٌ صغيرٌ أسودُ اللّونِ أحمرُ المنقار.

واختلفوا هل هو جمعٌ أو واحدٌ ؟ فمن قال : هو جمعٌ قال : واحدتُه نُغَرَةٌ، ومن قال : هو واحدٌ قال : جمعُه نِغْرانٌ، وفي الحديث ما يدلُّ على أنّه واحدٌ لتصغيره ﷺ له بقوله : « ما فعل / النُّغَيْر » . ١٥/أ

وفيه من العلم[1] دخولُ الإمام والعالم في دار خادمه ومخالطتُه إيّاه.

وفيه كُنيةُ مَن لم يُولد له بعدُ، أو التّسمّي باسمٍ بصُورة الكُنية.

وفيه التّصغيرُ للمرء أو الشّيء إذا لم يكن على طريق التّحقير.

وفيه من الفقه حجّةٌ لأبي حنيفة في إباحة صيد المدينة[2]، وكذلك قطعُ شجرِها عنده إذ لم يُنكر النّبيُّ ﷺ صيدَ النُّغَير وإمساكَه في يد الصّبيّ في المدينة، والحجّةُ عليه أنّه يجوزُ أن يكون صِيدَ في غير حرمِ المدينة[3].

وجملةُ مذهب مالك[4] والشّافعي[5] في صيدها وقطع شجرها أنّه مكروهٌ ولا جزاءَ فيه كما يكونُ في حرم مكّة، وقد فهم الصّحابةُ رضي

---

(١) لابن القاصّ الشّافعي جزءٌ مفردٌ في فوائد هذا الحديث وهو مطبوعٌ، وقد تتّبع الحافظُ ابن حجر طرق الحديث مع فوائد زوائد عمّا في جزء ابن القاصّ انظر فتح الباري ٥٨٤/١٠.

(٢) احتجّ للحنفيّة بذلك الطّحاويُّ في شرح معاني الآثار ١٩٤/٢ ـ ١٩٥.

(٣) ذكرَ هذا الجوابَ ابنُ عبد البر في الاستذكار ٤٣/٢٦ لابن عبد البرّ .

(٤) انظر المعونة على مذهب عالم المدينة ٥٣٤/١ .

(٥) القول بالكراهة عند الشّافعيّة شاذٌّ والمذهبُ عندهم أنّه يحرمُ التّعرّضُ لصيد حرم المدينة وشجره، انظر مجموع النّووي ٤٨٠/٧.

ا لله عنهم مرادَه ﷺ في تحريمِه صيدَ المدينة فلـم يُجيزوا فيهـا الاصطيـادَ[١]، ولذلك نزع النُّهَسَ[٢] أفرضُ الصّحابة / زيدُ بن ثـابتٍ كـاتبُ رسـول ا لله ﷺ مِن يد صاحبـه، وقـد ذكـرهُ مـالكٌ في « الموطّأ »[٣]، فـالعجبُ كيـف يخالفُ ذلك ويقول بأنّه مكروهٌ إلاّ أن يُريد كراهةَ تحريم. ١٥/ب

وأخرجا معاً في « صحيحيهما » فقـال البخـاريُّ في بقيّـة المنـاقب[٤]: حدّثنا عَبْدان، عن أبي حمزة، عن الأعمش، عن أبي وائـل، عـن مسـروق، عن عبد ا لله بن عمرو بن العاصي قال: « لم يكـن رسـولُ ا لله ﷺ فاحشـاً ولا مُتفحشـاً، وكـان يقـول: إنّ مِـن خيـاركم أحسـنكم أخلاقـاً »، وقـد أخرجه مِن طريقٍ غيرِ هذا في كتاب الأدب[٥].

---

(١) قال ابن عبد البرّ في الاستذكار ٤٢/٢٦: « هـؤلاء أصحـابُ رسـول ا لله ﷺ قـد فهمُـوا معنى تحريم رسول ا لله ﷺ للمدينة، واستعملُوا ذلك وأمرُوا به، فأين المذهبُ عنهـم؟ بـل الرّشدُ كلّه في اتّباعهم واتّباع السنّة التي نقلُوها وفهمُوها وعملُوا بها ».

(٢) النُّهَسُ: طائرٌ يُشبهُ الصُّرَدَ، يديمُ تحريكَ رأسه وذنبِه، يصطادُ العصافيرَ ويأوي إلى المقابر، قاله ابنُ الأثير في النّهاية ١٣٦/٥ ـ ١٣٧.

(٣) أخرجه مالكٌ في الموطّأ ، كتاب الجامع، باب ما جاء في تحريـم المدينـة، ٨٩٠/٢، رقـم: ١٣ عن رجلٍ قال: دخلَ عليّ زيدُ بن ثابتٍ وأنا بالأَسْوافِ قد اصطـدتُ نُهَسـاً، فـأخذه من يدي فأرسلهُ. قال ابنُ عبـد الـبرّ في الاسـتذكار ٤٠/٢٦ ـ ٤١: « والرّجـلُ الـذي لم يُسمِّه مالكٌ في حديث زيد بن ثـابتٍ يقولـون: هـو شـرحبيل بـن سـعدٍ، كـان مـالكٌ لا يرضاهُ فلم يُسمِّه، والحديثُ محفوظٌ لشرحبيل بن سعدٍ من وجوه »، ثمّ ذكر ابنُ عبد الـبرّ تلك الوجوه.

(٤) باب صفة النّبي ﷺ ، ٥٦٦/٦ ، رقم : ٣٥٥٩ .

(٥) كتاب الأدب، باب لم يكن النبي ﷺ فاحشـاً ولا متفاحشـاً، ٤٥٢/١٠، رقـم: ٦٠٢٩، من طريق شعبة وجرير عن الأعمش به.

وقال مسلم[١] : حدّثنا زهيرُ بن حربٍ وعثمانُ بن أبـي شيبة، قـالا: حدّثنا جريرٌ، عن الأعمش، عن شَقيق، عن مسروق قال :

دخلنا على عبد الله بن عمرو حين قـدِم معاويـةُ إلى الكوفـة، فذكـرَ رسولَ الله ﷺ فقال : « لم يكن فاحشاً ولا متفحِّشاً » / وقال: قال رسولُ الله ﷺ: « إنّ مِن خياركم أحاسنَكم أخلاقاً »، قال عثمان ـ حين قدِم مـع معاوية الكوفةَ. ١٦/أ

وقد أخبرنا نبيُّنا سيِّدُ كلِّ نبيٍّ في الوجُود، عن ربِّه الخالق المعبُود، أنّـه أخذ الميثاقَ بذلك على اليهُود، فقال جـلّ مِـن قـائلٍ: **﴿وَإِذْ أَخَذْنَـا مِيثَـاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لاَ تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللهَ وَبِالوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً﴾**[٢].

وهو عند النّحويين نعتٌ لمصدر القَوْلِ التّقديرُ: وقولُوا للنّاس قـولاً ذا حُسْنٍ، فحُذف ذا وأُقيم حُسْناً مَقامَه فأُعرب بإعرابه.

وقرأ حمزةُ والكسائيُّ ﴿حَسَناً﴾ بفتح الحاء والسِّين، وقـرأ البـاقون[٣] بضمّ الحاء وتسكين السِّين.

قال الأعمشُ وعيسى بـن عُمـر: همـا بمعنـى واحـد كـالعُدْمِ والعَـدَمِ والبُخْلِ والبَخَلِ مصدران[٤].

---

(١) كتاب الفضائل، باب كثرة حيائه ﷺ، ٤/١٨١٠، رقم: ٦٨ .

(٢) البقرة : الآية ٨٣ .

(٣) وهم ابن كثيرٍ ونافعٍ وأبو عمرو وابن عامرٍ انظر الحجّة للقرّاء السّبعة ٢/١٢٧ لأبي علـيّ الفارسيّ، والكشف عن وجوه القراءات السّبع ١/٢٥٠ لمكّي بن أبي طالب.

(٤) انظر المصدرين السّابقين لكن لم يعزوا ذاك للأعمش وعيسى بن عمر .

١ / ب

وقال الأخفشُ : حَسَناً بفتح الحاء / والسِّين يجوز أن يكون اسمَ فاعلٍ ويكونُ نعتاً لمصدرٍ محذوفٍ أي قولوا قولاً حسناً، فحُذف الموصوفُ وأُقيم الوصفُ مقامَه للدِّلالة عليه، كما قال عزّ وجلّ: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ﴾[١] ولم يذكر الجبال، وكذلك قولُه تعالى: ﴿أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ﴾[٢] ولم يذكر الدُّرُوعَ[٣].

وقال ابن عبّاس : أمر الله بني إسرائيل أن يقولُوا للنّاس حُسْناً، أن يأمروا بلا إله إلاّ الله لمن لم يَقُلْها ورغِبَ عنها[٤].

وقال ابنُ جريج ومقاتل : وقولوا للنّاس قَالاً صِدْقاً في شأن محمّد[٥].

وقال سفيانُ الثّوريُّ: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً﴾ قال: مُروهم بالمعروف وانْهَوْهُم عن المنكر[٦].

---

(١) الرّعد : الآية ٣ .

(٢) سبإ : الآية ١١ .

(٣) كلام الأخفش لا يوجد في كتابه معاني القرآن عند كلامه على هذه الآية من سورة البقرة ١/١٣٤ إلا ما جاء من قوله: « وقد قرأها بعضهم حَسَناً، يريد: قولوا لهم حسناً »، فلعلّ هذا النّقل من كتابه الآخر في التّفسير المسمّى المسائل الكبير انظر ص ٢١ ـ ٢٤ من تحقيق د. هدى محمود قراعه لمعاني القرآن للأخفش .

(٤) أخرجه الطبريُّ ٢/٢٩٦، رقم: ١٤٥١ فقال: حدّثنا أبو كريبٍ، قال: حدّثنا عثمان بن سعيدٍ، عن بشر بن عمارة، عن أبي روقٍ، عن الضّحّاك، عن ابن عبّاسٍ به فذكره.

(٥) أخرجه عن ابن جريجٍ الطبريُّ في تفسيره ٢/٢٩٦، رقم: ١٤٥٣ فقال: حدّثنا القاسم، قال: حدّثنا الحسين، قال: حدّثنا حجّاج، عن ابن جريجٍ فذكره .

(٦) أخرجه الطبريُّ في تفسيره ٢/٢٩٦، رقم: ١٦٥٤ قال: وحُدِّثْتُ عن يزيد بن هارون، قال: سمعتُ الثّوريَّ يقول: فذكره ، وإسنادُه ضعيفٌ لجهالة الواسطة بين الطبريّ ويزيد ابن هارون.

وقد أخبرنا نبيُّنا وبيّن غايةَ البيان، عن وصايا القرآن، بما يجبُ التّمسّكُ بها والحذرُ مِن مخالفتها؛ لأنّها ثابتةٌ في شريعتنا كما كانت على مَن قبلنا.

واعلموا رحمكم الله أنّ الله تعالى لم يخلُق أحداً مِن أهل / الأرض ١٧/أ أحسنَ خُلُقاً مِن محمّد ﷺ نبيه وصفيه الكريمِ فإنّه قال لـه جلَّ مِن قائلٍ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[1] فخصَّ اللهُ سبحانه نبيَّه مِن كريم الطِّباع ومحاسن الأخلاق مِن الحياء والكرمِ والصّفحِ وحُسنِ العهدِ والعفافِ والإنصافِ والعلمِ والحلمِ ما لم يُؤتِه أحداً مِن العالمين.

وفي « صحيح مسلم »[2] أنّ سعدَ بن هشام بن عامرٍ سأل عائشة رضي الله عنها ـ بعد كلامٍ طويلٍ ـ قال:

« فقلتُ: يا أمَّ المؤمنين أنبئيني عن خُلُقِ رسول الله ﷺ قالت: ألستَ تقرأُ القرآنَ؟ قلتُ: بلى، قالت: فإنّ خُلُقَ نبي الله كان القرآنَ، قال: فهمَمْتُ أن أقومَ ولا أسألَ أحداً شيئاً[3] حتّى أموتَ » الحديثَ بطُولِه.

فإذا كان خُلُقُ النّبيّ ﷺ القرآنَ فالقرآنُ يجمعُ كلَّ فضيلَة، ويحثُّ عليها وينهى عن كل / نقيصةٍ ورذيلَة، ويُوضحها ويُبينُها. ١٧/ب

---

(١) القلم: الآية ٤.

(٢) كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب جامع صلاة اللّيل ومن نام عنه أو مرض، ٥١٢/١ ـ ٥١٤، رقم: ١٣٩.

(٣) في صحيح مسلم: عن شيء.

ويكفيه ثناءُ الله العزيز الحكيم في قولـه تعـالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾(١)، ثمّ قال له جلّت قدرتُه: ﴿خُذِ العَفْوَ وأْمُرْ بِالعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الجَاهِلِينَ﴾(٢)، وهذه أصـولُ الفضـائل ويَنْبُـوعُ المنـاقب؛ لأنّ في أخـذِه العفـوَ: صلـةَ القـاطعِ، والصّفـحَ عـن الظّـالِم، وإعطــاءَ المـانعِ، وفي الأمـرِ بـالمعروفِ: تقـوى اللهِ، وصلـةُ الأرحـامِ، وصـونُ اللّسـان عـن ذِكْـرِ كـل إنسان، وغضُّ الطَّرْفِ عن الحُرمات، وفي تقوى الله تدخـلُ آدابُ الشّـرع جميعاً: فرضُها ونفلُها، وفي الإعراضِ عن الجاهلين الصّفحُ والحلـمُ وصـرفُ النّفسِ عن مماراة السّفيه ومجـاراة اللَّجُـوج، فهـذه الأصـولُ الثّلاثـةُ تتضمّـنُ محاسنَ الشَّرْعِ نصّاً وتنبيهاً وصمتاً واعتباراً؛ ولذلـك كـان أصحابُـه الذيـن يحضرون مجالسَه كأنّما على رؤوسهم الطّـيرُ / ومعلـومٌ أنّ مَـن كـان علـى رأسـه طـائرٌ فإنّـه لا يتحـرَّكُ ولا يتكلّـمُ ولا يَطْـرِفُ بعينِـه حَـذَراً أن ينفِـر الطّائرُ. ١٨/أ

وكان جُمْلَةُ رسول الله ﷺ رحمةً للعالمين: شَعَرُه، وشفتاهُ، وأسنانُه، وجوارحُه، ودمُه، ونَفْخُه، وريقُه، وتَفْلُه، ونفثُه، وعرَقُه، وماؤُه.

ومِن فوائد جُملتِه المبايعةُ على النُّبوّة والإيمـان، والدُّخـولُ بنصرتـه في طاعة الرَّحمن، وهي متلقّاةٌ باليد واللِّسان، مـع اعتقـاد الجَنان، وسيأتي في اليدِ دلائلُ مِن البرُهَان.

---

(١) القلم : الآية ٤ .

(٢) الأعراف : الآية ١٩٩ .

ويُقَدَّمُ منها الآن ذِكْرُ المبايعةِ قال الله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾[1]، أقامَهُ في تشريفِه مَقامَهُ جلّ ثناؤُه في قولِه: ﴿إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾، وخصَّهُ / بخطاب الكاف بقولِه: ١٨ / ب ﴿يُبَايِعُونَكَ﴾، وعظّمَ ميثاقَ المبايعةِ بقوله: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ لأنّهم كانوا يُبايعون الله ببيعتهم نبيَّه تحت الشّجرة على نُصرتِه على العدو.

وقد أثبتَ أهلُ السُّنّة كلَّ ما جاء مِن هذا وآمنُوا به مع نفيِ النّقيصةِ عن الله تعالى.

ومنهم[2] مَن توقّفَ عن تأويلِه وسلّمَ عِلْمَ ذلك إلى الله تعالى، وهو قولُ الأئمّة مالكٌ والأوزاعيُّ وسفيان الثّوريُّ واللّيثُ بن سعدٍ، وهو أحدُ قولي الأشعريّ[3]، قالوا: ونقرُّها كما جاءت بلا كَيْفَ ولا تشبيهٍ، ونَكِلُ أمرَ تأويلِها إلى الله عزّ وجلّ.

---

(١) الفتح : الآية ١٠ .

(٢) قد يوهم هذا التّقسيم أنّ هؤلاء الذين توقّفوا عن التّأويل غيرُ أولئك الذين أثبتوا تلك الصّفات مع نفي النّقيصة عن الله تعالى، والصّوابُ أنّ السّلف الصّالح أثبتُوا كلّ ما أثبته الله لنفسه في كتابه وما أثبته له رسولُه ﷺ فيما صحّ من سنّته من الصّفات دون تأويل أو تمثيل أو تعطيل.

(٣) الصّحيح عند المحقّقين من أهل العلم أنّ أبا الحسن الأشعريّ رحمه الله رجع في آخر أمره إلى طريقة السّلف الصّالح من إثبات الصّفات بلا تأويل، وألّف من أجل ذلك كتابه الإبانة، وفيه صرّح بأنّه على مثل ما عليه الإمامُ أحمدُ بن حنبلٍ رحمه الله، غير أنّ الأشاعرة لبثُوا على رأيه الأوّل و لم يرجعُوا كما رجع إمامُهم إلى منهج السّلف الصّالح.

=

وتأوّلها بعضُهم[1] على مُقتضى اللّغة التي خُوطبوا بها مِن جهة الشَّرْعِ، وذلك عشرةُ أقوالٍ في اليدِ :

فقيل : معناه القوّةُ أي قوّةُ اللهِ فوقَ قُوّتِهم في نُصرة رسول الله ﷺ، وتأوّلوا اليدَ على القُدرة وعلى المنّة يعني أنّ منّةَ الله وإحسانَه / إليهم فوقَ ما يمنّون به عليك، ألا تَرى إلى قولِه عزّ وجلّ: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لاَ تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلاَمَكُمْ بَلِ اللهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[2]، وكذلك رَوينا عن الحسن بن أبي الحسن البصري قال: يدُ اللهِ بالنِّعمةِ عليهم أنْ هداهُم للإيمان أفضلُ مِن قولهم[3].

١٩/أ

فهذا هو اللاّئقُ بصفة الله تعالى، والمشبِّهةُ تذهبُ إلى أنّها اليدُ المحدودةُ ذاتُ الأصابعِ، وذلك لجهلهم بقُدرة الله وقلّةِ علمهم بالتّأويلِ وغباوةٍ عن كلامِ العرب ﴿سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[4].

وانظر ما كتبه شيخُنا حمّاد بن محمّد الأنصاريُّ رحمه الله في مقدّمة تحقيقه كتاب الإبانة لأبي الحسن الأشعريّ.

(١) تأويل الصّفات الخبريّة مسلكُ أهل الكلام، لم يعرفه رسول الله ﷺ ولا أصحابُه الكرام، ولا التّابعون لهم بإحسان من أئمّة الهُدى، بل آمنُوا بها واعتقدوا أنّها صفاتٌ حقيقيّة تليقُ بكمال الله وجلاله، ولم يفوّضوا ولم يُؤوِّلوا كما فعل الخلفُ، والخيرُ كلّ الخير في اتّباع من سلف، والشرّ كلّ الشرّ في ابتداع من خلف.

(٢) الحجرات : الآية ١٧ .

(٣) إن صحّ هذا عن الحسن فهو من تفسير الصّفة بلازمها ولا يلزمُ من ذلك نفيُ الصّفة.

(٤) المؤمنون : الآية ٩١ .

ويُتأوَّلُ أيضاً على النِّعمةِ، وعلى المُلكِ، وعلى السُّلطان، وعلى الحفظِ، والوقايةِ، والطّاعةِ، والجماعةِ، بحسب ما يليقُ تأويلُها بالموضع الذي تُتأوَّلُ فيه كقوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾[1] يريدُ الإنعامَ عليهم والقبولَ منهم[2] والله أعلم.

١٩/ب / ثمّ لا خلافَ بين أهل السّنّة في نفي الجارحة عن الله تعالى واستحالة إثباتِها له ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[3].

ومِن خصائص جُمْلتِه فيما رووا أنّه كان رَبْعَةً، وإذا مشى مع طويلٍ طالَهُ كما حدّثني الفقيهُ القاضي الخطيبُ بجامع مُرْسِيَةَ أبو القاسم عبدُ الرّحمن بن محمّد المَرَوِيّ[4] في خمسين شيخاً، قالوا: حدّثنا الفقيهُ المفتي أبو الحسن يونسُ بن محمّد بن مُغِيثٍ[5] قراءةً من أبي القاسم عليه وعليه قرأتُه أنا، قال ابنُ مُغيثٍ: حدّثني القاضي بمدينة دَانِيَةَ أبو عمرَ بن الحَذّاءِ[6]،

---

(١) المائدة : الآية ٦٤ .

(٢) كلُّ هذه التّأويلات لم يعرفها سلفُنا الصّالح، والواجبُ إثباتُ هذه الصّفات إثباتاً حقيقياً كما يليقُ بكمال الله وجلاله.

(٣) الشّورى : الآية ١١ .

(٤) الأندلسيُّ العالمُ الحافظُ الثَّبتُ، المعروف بابن حُبيشٍ، من شيوخ ابن دحية، توفي سنة ٥٨٤هـ، انظر سير أعلام النبلاء ٢١/١١٨ - ١٢١.

(٥) الإمامُ الفقيهُ المحدثُ شيخُ الأندلس، توفي سنة ٤٢٩هـ، انظر السّير ١٧/٥٦٩ - ٥٧٠.

(٦) الإمامُ المحدثُ الصّدوقُ أبو عمر أحمدُ بن محمّد بن يحيى القرطبيُّ ابن الحذّاء، توفي سنة ٤٦٧هـ، انظر سير أعلام النبلاء ١٨/٣٤٤ - ٣٤٥.

قال: حدّثنا الثّقةُ أبو القاسم عبدُ الوارث بن سفيان[١]، قال: نا الإمامُ العَدْلُ أبو محمّد قاسمُ بن أصبغ[٢]، قال: سمعتُ شيخَ العِراقَين الإمامَ أبا بكر بنَ أبي خيثمة[٣] يقول: وحدّثنا صَبيحُ بن عبد الله الفَرْغانيُّ، قال: حدّثنا عبدُ العزيز بن عبد الصَّمد / قال: حدّثنا جعفرُ بن محمّد عن أبيه، وهشامُ بن عروة عن أبيه، عن عائشة قالت: « كان مِن صفة رسول الله ﷺ في قامتِه أنّه لم يكن بالطّويل البائن، ولا المُشَذَّبِ الذّاهبِ، والمُشَذَّبُ: الطّويلُ نفسُه إلاّ أنّه المخفَّفُ، ولم يكن ﷺ بالقصير المتردِّد، وكان يُنسبُ إلى الرَّبْعَةِ إذا مَشى وحدَهُ، ولم يكن على ذلك يُماشيه أحدٌ مِن النّاس يُنْسَبُ إلى الطُّولِ إلاّ طالَهُ رسولُ الله ﷺ، ولرُبَّما اكتنفه الرّجلان الطّويلان فيطُولُهما، فإذا فارقاه نُسِبا إلى الطُّولِ، ونُسِبَ رسولُ الله ﷺ إلى الرَّبْعَةِ، ويقول ﷺ: جُعِلَ الخيرُ كلُّه في الرَّبْعَةِ »[٤].

٢٠/أ

---

(١) المحدثُ الثّقةُ القرطبيُّ، توفي سنة ٣٩٥ هـ، انظر سير أعلام النبلاء ١٧/٨٤ ـ ٨٥.

(٢) محدثُ الأندلس، أحدُ رواة التّاريخ عن ابن أبي خيثمة، توفي سنة ٣٤٠هـ، انظر سير أعلام النبلاء ١٥/٤٧٢ ـ ٤٧٤.

(٣) الثّقة الحافظُ العالمُ المتقنُ أبو بكر أحمد بن زهير صاحب التّاريخ المشهور، توفي سنة ٢٧٩هـ، انظر سير أعلام النبلاء ١١/٤٩٢ ـ ٤٩٣.

(٤) قال البيهقيُّ في دلائل النّبوّة ١/٢٩٨: « وقد روى صبيحُ بن عبد الله الفَرْغانيُّ ـ وليس بالمعروف ـ حديثاً في صفة النّبيّ ﷺ، وأدرجَ فيه تفسيرَ بعضِ ألفاظه، ولم يُبين قائلَ تفسيرِه فيما سمعنا، إلاّ أنّه يُوافقُ جملةَ ما روينا في الأحاديث الصّحيحة المشهورة فروينَاهُ، والاعتمادُ على ما مضى »، ثمّ أخرجه البيهقيُّ من طريق ابن أبي خيثمة سواء.

والرَّبْعَةُ بسكون البـاء وفتحِها هـو الرّجـلُ بـين الرَّجُلـين في قَـدِّه[١]، ويُفسِّرُه ما ثبتَ وصحَّ عن جماعةٍ مِن الصّحابةِ / « أنّ رسولَ ا لله ﷺ ليـس بالطّويلِ ولا بالقصير »[٢]، ويُقال رَبْعَةٌ للذَّكَر والأنثى والواحدِ والجميعِ . ٢٠/ب

وصَبيحٌ شيخُ ابن أبي خيثمة بفتح الصّادِ[٣] منكَرُ الحديث[٤].

قال أبو داود : سألتُ عليَّ بن المدينيّ عنه فأنكره .

وحكى السَّاجيُّ في آخر « تعديله وتجريحه » صَبيحاً هـذا وقـال: قـال يحيى بن معين : كان كذّاباً خبيثاً .

وإنّما ذكرناهُ لنُعَرِّفَ بعلّتِـه، فمعرفـةُ عِلَـلِ الحديـثِ مِـن أعظـمِ فوائـد رحلتِه، فلنرجع الآن إلى تفاصيل ما قدّمناه مِن جُملتِه.

ومنها أنّ ا لله جلّ وعلا كساهُ مِن نُور الجَلاَل، حُلَّةَ المحبّـةِ والجَمَـال، فكان ما نظرَ إليه أحدٌ من الموحِّدين إلاّ أفلحَ كلَّ الفلاَح، وظهرَ عليـه نـورُ الحقيقةِ ولاَح، وأُخذت عنه بعد الجَهْلِ دقائقُ العلُوم، وصار خليفةً أو أمـيراً في طَيْلَسَان الأمر / والنّهي المعلُـوم، وبقـي عندنـا ذِكْـرُ الصّحابـة والخلفـاء ٢١/أ

---

(١) انظر لسان العرب ١٠٧/٨ (ربع) .

(٢) ممّن روى ذلك من الصّحابة عليٌّ رضـي ا لله عنـه أخرجـه التّرمذيُّ وصحّحـه ٥٩٨/٥، رقم: ٣٦٣٧ ـ ط أحمد شاكر. وسيأتي قريباً عند المصنِّف من حديث أنس بن مالك.

(٣) ضبطه بالفتح أيضاً عبدُ الغنيّ في المؤمتلف ص ٨٢، وابنُ حجر في لسان الميزان ١٨١/٣.

(٤) وكذا قال عبدُ الغني المصري. وقال الخطيبُ في التّلخيص: صـاحبُ مناكـير. وخـالف في هذا أبو حاتمٍ فذهب إلى أنّه صدوقٌ. انظر المؤتلف والمختلف ص ٨٢ لعبد الغني، الجـرح والتّعديـل ٤٥١/٤ ـ ٤٥٢، وتلخيـص المتشـابه في الرّسـم ١٣٥/١ للخطيـب، ومـيزان الاعتدال ٣٠٧/٢.

الرّاشدين بسبب رُؤيتِهم له وصُحبتِهم إيّاه إلى يوم الدين، و لم يكن لهم ذِكْرٌ قبل ذلك إلاّ الاشتغالُ بالتّجارَة، دون خلافةٍ أو إمارَة، فعَلا ذِكْرُهم بسببه وبسبب رُؤيتِه رؤوسَ المنابر، وأصبحت بسبب صُحبتِه تخدمُهم جميعُ الأقلام والمحابر، وأُمرنا بالاستغفار لهم بسبب سَبْقِهم للإيمان على ما تضمّنه الذِّكْرُ الحكيم بقوله تعالى: ﴿وَالذِينَ جَاؤُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلاَ تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾[1]، وجعلهم أَمَنَةً لأمّته ما دامُوا فيهم أو ما داموا لهم وهُم ذاكرون بقوله في « صحيح مسلم »[2] : « النُّجومُ أَمَنَةٌ للسّماء فإذا ذهبت النّجومُ أتى السّماءَ ما تُوعَدُ، وأنا أمنةٌ لأصحابي فإذا ذهبتُ أتى / أصحابي ما يُوعَدُون، وأصحابي أمنةٌ لأمّتي فإذا ذهب أصحابي أتى أمّتي ما يُوعَدُون » .

٢١ / ب

وأخبرنا أنّهم خيرُ النّاس، وخبرُه محمولٌ على العَيْن والرّاس، فقال في « الصّحيحين »[3]: « خيرُ النّاس قَرْنِي، ثمّ الذين يلُونهم، ثمّ الذين يلُونهم» الحديثَ بطُولِه، رواه عبدُ الله بن مسعود عن نبيّ الله وخليلِه.

---

(١) الحشر : الآية ١٠ .

(٢) كتاب فضائل الصّحابة، باب بيان أنّ بقاء النبي ﷺ أمانٌ لأصحابه، وبقاء أصحابه أمانٌ للأمّة، ١٩٦١/٤، رقم: ٢٠٧، من حديث أبي بردة عن أبيه .

(٣) صحيح البخاري ٢٥٩/٥، رقم: ٢٦٥٢، كتاب الشّهادات، باب لا يشهد على شهادة جَوْرٍ إذا أُشْهِدَ، وصحيح مسلم ١٩٦٣/٤، رقم: ٢١٢، كتاب فضائل الصّحابة، باب فضل الصّحابة ثمّ الذين يلونهم ثمّ الذين يلونهم.

ونهانا عن سبهم وأمرنا بحبهم فقال ـ فيما ثبت في « الصّحيحين » ـ:
« لا تسبُّوا أصحابي؛ فإنّ أحدَكم لو أنفقَ مثلَ أُحُدٍ ذهباً ما بلغَ مُدَّ أحدِهم ولا نَصيفَه »[1].

جعلَ لكل واحدٍ مِن أصحابه فَضْلاً على غيرهم بسبب قِدَمِ صُحبتِه، وجعلَ أقلَّهم سابقةً فوق أعلانا منزلةً بسبب رؤيتِه وخدمتِه.

ومِن خصائص جُملتِه أنّه رجفَ به وهو عليه الجَبَل، وانقادَ له بعد شُرُودِه وتوحُّشِه الجَمَل، ونُصر بالرُّعْب بين يدي مسيرة شَهْر، وخُصَّ بليلة القَدْر، التي هي خيرٌ مِن ألف شَهْر، ونُصر بالصَّبا، / وشُفِيَت بِسَالتِه غُلَلُ صُدورِ الظِّبَا[2]، وجُعلت له الأرضُ كلُّها مسجداً وترابُها طَهُوراً، وختم به النّبيُّون وزاد الله دينَه على الأديان علوّاً وظهُوراً، وحَنَّ الجذْعُ اليابسُ إلَيْه، وسلّم الحجرُ فيما صحَّ عَلَيْه، ودعا الشّجرتين فأجابتا بين يدَيْه، وساخَتْ ٢٢/أ

---

(١) أخرجه البخاري ٢١/٧، رقم: ٣٦٧٣، كتاب فضائل الصّحابة، باب قول النبي ﷺ: لو كنتُ متّخذاً خليلاً، ومسلم ١٩٦٧/٤، رقم: ٢٢١، كتاب فضائل الصّحابة، باب تحريم سبّ الصّحابة رضي الله عنهم، من حديث أبي سعيد الخدري، ووُهِّم مسلم رحمه الله حين جعله عن أبي هريرة، وقد أطال في بيان ذلك المزّيُّ في تحفة الأشراف ٣٤٣/٣ ـ ٣٤٤، وابن حجر في فتح الباري ٣٥/٧ ـ ٣٦.

(٢) يعني الظِّباءَ فسهّل الهمزة ، وهي جمعُ ظَبْيٍ . ولعلّ المؤلّف يشير إلى قصّة الظّبية التي تعقّد لبنُها في أخلافها وقد صادها أعرابيٌّ، فرُوي أنّها شكت ذلك إلى رسول الله ﷺ، فأطلقها لترضع خشفيها، في قصّة أخرجها البيهقيُّ وغيرُه من طرق لا تخلُو من مقال. انظر دلائل النّبوّة ٥٧/٦، والبداية والنّهاية ١٧٠/٦، والخصائص الكبرى ٢٦٦/٢.

قوائمُ فرسِ سُراقَةَ إلى بطنها في أرضٍ صَلْدٍ لمّا اتّبعه واتّبعَها عُثَـان[١]، وهـذه آيةٌ ظاهرةٌ لجملته وبُرهَان.

واستسْقَى فأطلقت السّماءُ عَزَالِيَها كأفْواه القِرَب، ثـمّ استصْحَى لّما شكا النّاسُ إليه خـوفَ الهـلاك مـع العَطَـب، فانجـابَتْ عـن المدينـة انجيـابَ الثّوْب، وعَدَلَتْ إلى بُطون الأودية عن ذلك الصَّوْب.

ودعا على كفّار قريـشٍ بالسنين، وأنـزل الله عليـه في كتابـه المبـين: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ﴾[٢]، فكانُوا إذا رفعُـوا رؤوسَـهم إلى السّماء / رأوا بينهم وبينها دُخاناً مُتراكمـاً كالرُّكَـام، آخـذاً بأنفاسِـهم أخذَ الزُّكَام، وعَدِمُـوا القُـوتَ فيهـا حتّـى أكلـوا العظـامَ والميتـةَ مِـن شـدّة الجُوع، ثمّ دعا لهم ليستيقظُوا بعد الهُجُوع، فأخْصَبُوا وامتنعُـوا مِـن الإنابـة والرّجُوع، ﴿فَأَخَذَهُمْ اللهُ أَخْذَةً رَابِيَةً﴾[٣]، فقُتلـوا وطُرحُـوا في القليـب ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾[٤].

٢٢ / ب

وأخْمَدَ الله برَمْيَته ﷺ نارَ حَرْبِ حُنَيْن، فهزمهـم الله برؤيته وصـارُوا أثراً بعدَ عَيْن ، وبلّغه فيهم مـا كـان يَرجُـوه ، وقـال في رَميتِـه : « شـاهت الوجوه »[٥] .

---

(١) العُثانُ : الدُّخان ، ويطلق على الغبار أيضاً .

(٢) الدّخان : الآية ١٠ .

(٣) الحاقّة : الآية ١٠ .

(٤) الحاقّة : الآية ٧ .

(٥) أخرجه مسلم ١٤٠٢/٣، رقم: ٨١، كتاب الجهاد والسّير، باب في غزوة حنينٍ، من حديث سلمة بن الأكوع رضي الله عنه .

وكم لمحمّدٍ ﷺ المؤيَّدِ بالمعجزات، الآخذِ بالحُجُزَاتِ، من الآيات البيِّنَات، وأعظمُ معجزاتِه معجزةُ القرآن الباقيةُ بقاءَ الدُّهُور، المتجدِّدةُ على تعاقُب الأعوام والشُّهُور، المتألِّقَةُ في الأُفُقِ الأعلى أنوارُها / المتدَفِّقَةُ في رياض الملكُوت الأسنى أنهارُها، الفاتحةُ لأقفال القلُوب، الكاشفةُ لأسرار الغيُوب، المخصوصُ في اليوم المشهُود، بالمقام المحمُود، واللِّواء المعقُود، والحوض المورُود، وهو نَهَرُ الكوثرِ المُفْعَمُ المَلآن، الذي مساحتُه مِن بُصرى إلى عُمَان، أو مِن صنعاءَ إلى عَمَّان، وماؤُه أشدُّ بياضاً من الثَّلْجِ وأحلى من العسل في المذَاق، وأباريقُه على عدد نجُوم السّماء ذوات الإشْرَاق، المخصوصُ بالشّفاعَة، الذي أخبر بما كان وما يكونُ إلى قيام السّاعَة، الذي جعل الله في كلِّ عُضْوٍ منه آية، وذلك دليلٌ على مكانِه عند ربِّه وأنّ له به عِنايَة، وقُبض ﷺ بعد أن خيَّره الله في الدُّنيا فاختار لقاءَ ربِّه، برغبتِه فيما لديه وحُبِّه، فجمعَ الله له بين مُلك الدّارين الدُّنيا والآخرَة، وأسبغَ عليه جزيلَ النِّعمتين الباطنة والظّاهرَة، / وكسرَ بدعوتِه شوكةَ الأكاسرَة، وجبر الدِّينَ وقصمَ ظهُور الجبابرَة، ففَشَتْ دعوتُه في المشارق والمغارب كما وعد وشاعَتْ، وأخبر عن الله عزّ وجلّ أنّه يستخلفُ في أرضه مَن آمن به فكان ذلك كذلك وهذه معجزةٌ راعَتْ، فاستخلفَ الله أصحابَه وأهلَ بيتِه مِن بعده فسمعت الأمّةُ لهم وأطاعَتْ، فملكُوا الملوكَ بجيوشهم المنصورة وعَزَماتِهم، وحاربُوا العربَ الذين فرّقُوا بين صلاتهم وزكاتِهم، فنثرُوا ما نظمه مسيلمةُ والأعرابُ مِن سِلْكِهم، وبادرُوا إلى إطفاء نارهم وتعجيل هُلْكِهم، واستباحُوا حريمَهُم، وسبَوْا حُرُمَهُم، وبنَوا ذِمَّةَ الله وهدَمُوا ذمَمَهُم، وقهرُوا الفُرْسَ والرُّومَ وكسرُوا تيجانَهُم، وضربُوا قِمَمَهُم، حتّى

٢٣ / أ

أظهرَ الله الإسلامَ على أيديهم في البدو والحَضَر، وفاض على الأسود والأحْمَر، / وشاعَ في جميع الأرض وظَهَر، وذلك ببركة رسول الله ﷺ وصدقِه فيما أخبَر، فامتدَّ الإسلامُ شرقاً وغرباً حتّى بُهت الذي كفَر، فصلواتُ الله وسلامُه ورحمتُه وبركاتُه على المَكِين عند ربه، سيد ولد آدم محمّدٍ المغفور له ما تقدّمَ وما تأخّرَ من ذنبه، وعلى آله الطّاهرين وصحبه، فلنرجِعْ الآنَ إلى تفاصيل هذه الجُملة الكريمَة، وما فيها من الآيات العظيمَة.

فأمّا شَعَرُه فقد كان النّاسُ يَسْتَسْقُون به وتداولُوه مِن بعدِه، ثبتَ في « الصّحيحين » عن أنس : « أنّ رسول الله ﷺ لمّا رمَى الجَمْرَةَ نحرَ نُسُكَهُ ثمّ ناولَ الحالِقَ شِقَّه الأيمن، فحلقَهُ فأعطاهُ أبا طلحة، ثمّ ناولَهُ شِقَّه الأيسر فقال : اقْسِمْهُ بين النّاس » .

وله طرقٌ منها في « صحيح مسلم »[١] حدّثنا محمّدُ بن رافعٍ، قال: حدّثنا أبو / النَّضْر، قال: حدّثنا سليمانُ، عن ثابت، عن أنس قال :

« لقد رأيتُ رسولَ الله ﷺ والحلاّقُ يحلِقُه وأطاف به أصحابُه فما يريدُون أن تقعَ شَعْرَةٌ إلاّ في يَدِ رَجُلٍ » .

ومنها في « صحيح البخاريّ »[٢] حدّثنا مالكُ بن إسماعيل، قال: حدّثنا إسرائيلُ، عن عثمان بن عبد الله بن مَوْهَبٍ[٣] قال :

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب الفضائل ، باب قرب النبي عليه السّلام من النّاس وتبرّكهم به، ١٨١٢/٤ ، رقم : ٧٥ .

(٢) كتاب اللّباس، باب ما يُذكر في الشّيب، ٣٥٢/١٠، رقم: ٥٨٩٦.

(٣) في البخاري ـ مع الفتح : وهب ، وهو خطأ ظاهرٌ .

« أرسلني أهلي إلى أم سلمة زوج النّبيّ ﷺ بقَدَحٍ من ماءٍ، وقبض إسرائيلُ ثلاثَ أصابع من قُصَّةٍ فيها شَعَرٌ من شَعَر النّبيّ ﷺ، وكان إذا أصاب الإنسانَ عَيْنٌ أو شيءٌ بعث إليها مخضبَه، فاطّلَعْتُ في الجُلْجُل فرأيتُ شَعَراتٍ حُمْراً » .

وقال أيضا[1] : حدّثنا موسى بن إسماعيل، قال: حدّثنا سَلاّم، عن عثمان بن عبد الله بن موهَب قال : « دخلتُ على أم سلمة فأخرجت إلينا شَعَراتٍ من شَعَر النّبيّ ﷺ مخضوباً » .

/ وقال[2] أبو نعيم: حدّثنا نُصَيرُ بن أبي الأشعث[3]، عن ابن مَوْهَبٍ، « أنّ أمّ سلمة أَرَتْهُ شعَرَ النّبيّ ﷺ أحمرَ »[4] . ٢٥/أ

قال ذو النّسبين أيده الله:

هكذا أخرجه البخاريُّ في آخر كتاب اللّباس في باب ما يُذكر في الشّيب.

قيّدناه : « من قُصَّةٍ » بضم القاف وصادٍ مهملةٍ لأكثر رُواة البخاريّ.

---

(١) أي البخاري ، رقم : ٥٨٩٧ .

(٢) كذا وقع لأبي ذرٍّ ، وصرّح غيرُه بوصله فقال : قال لنا أبو نعيم ، ذكر هذا ابن حجر في فتح الباري ٣٥٤/١٠.

(٣) ويقال : نصير بن الأشعث وكذلك ورد في البخاري انظر تهذيب التّهذيب ٤٣٣/١٠، وفتح الباري ٣٥٤/١٠.

(٤) صحيح البخاري رقم : ٥٨٩٨ .

قال ابن دُريد(١) : كلُّ خَصْلَةٍ من الشَّعَرِ قُصَّةٌ(٢)، والقُصَّةُ أيضا ما أقبل على الجبهة من شَعَرِ الرّأس، سُمِّيَ بذلك لأنّه يُقَصُّ(٣) .

والصّحيحُ عند المتقنين « فِضَّةٍ » بالفاء بواحدةٍ وضادٍ مُعجمةٍ، وهو الأشبهُ والأولى لقوله بعد ذلك : « فاطَّلَعْتُ في الجُلْجُلِ »(٤) .

ورواه الحافظُ أبو عليّ ابن السّكن(٥): « فاطّلعتُ في المِخْضَبِ »، والمِخضبُ شبهُ الإجَّانَة وهي القِصريَّةُ تُغسل فيها الثّيابُ، والصّحيحُ ما رواه الكافّةُ: « فاطَّلَعْتُ في الجُلْجُل »، وقد بيّنه الإمامُ / وكيعُ بن الجرّاح في « مصنّفه » فقال : « كان جُلْجُلاً من فضّةٍ صُنع صِواناً لشَعَراتٍ كانت عندهم من شَعَرِ رسول الله ﷺ »(٦) . ٢٥/ب

(١) أبو بكر محمّد بن الحسن بن دُريد بن عتاهية الأزديُّ البصريُّ، توفي سنة ٣٢١هـ، انظر سير أعلام النبلاء ١٥/٩٦ - ٩٧.

(٢) انظر قول ابن دريدٍ في مشارق الأنوار ٢/١٨٨ .

(٣) المصدر السّابق .

(٤) المصدر السّابق ٢/١٦١ .

(٥) الإمام الحافظ أبو عليّ سعيد بن عثمان بن سعيد بن السّكن المصريّ البزّاز، توفي سنة ٣٥٣هـ، انظر سير أعلام النبلاء ١٦/١١٧ - ١١٨ .

(٦) لخّص الحافظ ابن حجر كلام ابن دحية فقال في الفتح ١٠/٣٥٣: « قال ابن دحية: وقع لأكثر الرّواة بالقاف والمهملة، والصّحيحُ عند المحقّقين بالفاء والمعجمة، وقد بيّنه وكيع في مصنّفه بعد ما رواه عن إسرائيل فقال: كان جلجلاً من فضّةٍ صيغ صوانا لشعراتٍ كانت عند أمّ سلمة من شعر النبي ﷺ ».

وخرّج البخاريُّ أيضا في كتاب المناقب[1] حدّثنا ابنُ بكير، قال: حدّثني اللّيثُ، عن خالد، عن سعيد بن أبي هلال، عن ربيعة بن أبي عبد الرّحمن، قال: سمعتُ أنس بن مالك يصف النّبيَّ ﷺ[2] :

« كان رَبْعَةً من القوم، ليس بالطّويل ولا بالقصير، أزهرَ اللّون، ليس بأبيضَ أَمْهَقَ ولا آدَمَ، ليس بجَعْدٍ قَطَطٍ ولا سَبِطٍ رَجلٍ[3]، أُنزل عليه وهو ابنُ أربعين، فلبثَ بمكّة عشرَ سنين يُنزل عليه، وبالمدينةِ عشرَ سنين، وقُبض وليس في رأسه ولحيته عشرون شعرةً بيضاءَ، قال ربيعة : فرأيتُ شَعَراً من شَعَرِه فإذا هو أحمرُ، فسألتُ فقيل: احمرَّ من الطِّيب » .

/ ولمّا جاز اتّخاذُ شَعَرات رسول الله ﷺ للتّبرّك به عُلم أنّه طاهرٌ، ٢٦ / أ وقد ترجم عليه البخاريُّ[4] وأراد بذلك ردَّ قول الشّافعي : إنّ شَعَرَ الإنسان إذا فارق الجسدَ نَجَسَ وأنه إذا وقعَ في الماء نجّسه.

---

(١) باب صفة النبي ﷺ، ٦/٥٦٤، رقم: ٣٥٤٧، وأخرجه أيضاً مسلم في صحيحه ٤/١٨٢٤، رقم: ١١٣، كتاب الفضائل، باب في صفة النبي ﷺ ومبعثه وسنّه .

(٢) في البخاري زيادة : قال .

(٣) هكذا ضبط في الأصل بالخفض وهو الذي وقع عند الأصيلي واعتبر الحافظُ ابن حجر ذلك وهما فقال في فتح الباري ٦/٥٧٠: « وقوله: رجل بكسر الجيم، ومنهم من يسكنها أي متسرّحٌ، وهو مرفوعٌ على الاستئناف أي هو رجلٌ، ووقع عند الأصيلي بالخفض وهو وهمٌ لأنّه يصيرُ معطوفاً على المنفي، وقد وجه على أنّه خفضه على المجاورة، وفي بعض الرّوايات بفتح اللاّم وتشديد الجيم على أنّه فعل ماضٍ ».

(٤) صحيح البخاري ٦/٢١٢، كتاب فرض الخمس، باب ما ذُكر من درع النّبيّ ﷺ وعصاه وسيفه وقدَحِه وخاتمه وما استعمل الخلفاءُ بعدَه ممّا لم يذكر قسمته، ومن شَعَرِه ونعله وآنيته ممّا تبرّك أصحابُه وغيرُهم بعد وفاتِه.

وذكر[١] قولَ عطاء : إنّه لا بأس باتّخاذ الخُيوط منه والحِبال، ولو كان نجساً لما جاز اتّخاذُه.

وفيه دليلٌ أنّ ما أُخذ من جسد الإنسان من شَعَرٍ أو ظُفُرٍ أنّه ليس بنجسٍ.

وللشّافعي في ذلك من الجواب أن يقول: ذلك من خصوصيّة النّبيّ ﷺ فلا يُقاس عليه[٢]، كما كان بولُه ودمُه ﷺ طاهرين على ما سنذكرُه من بعدُ إن شاء الله تعالى.

٢٦ / ب وأمّا خصائصُ سمعِه فإنّه كان يسمعُ / ما لا يسمعُه الحاضرون معه مع سلامةِ حواسهم من مثل الذي سمعَهُ.

من ذلك ما ثبت باتّفاق ، رواية علماء الآفاق ، أنّ الوحيَ كان يأتي رسولَ الله ﷺ أحيانا في مثل صَلْصَلَةِ الجَرَسِ[٣]، ويسمعُه منه ويعيه عنه

---

(١) أي البخاريّ ، وقد أخرجه في صحيحه معلّقاً ٢٧٢/١، كتاب الوضوء، باب الماء الذي يُغسل به شَعَرُ الإنسان، قال البخاريُّ : « وكان عطاء لا يَرى بأساً أن يُتَّخذ منها الخيوطُ والحِبالُ »، قال الحافظُ: « هذا التّعليقُ وصله محمّدُ بن إسحاق الفاكهيُّ في أخبار مكّة بسندٍ صحيحٍ إلى عطاء وهو ابنُ أبي رباحٍ أنّه كان لا يرى بأساً بالانتفاع بشُعور النّاس التي تُحلق بمنى » .

(٢) ونقض هذا ابنُ المنذر والخطّابيُّ وغيرُهما بأنّ الخصوصية لا تثبتُ إلاّ بدليلٍ والأصلُ عدمُه انظر فتح الباري ٢٧٢/١ .

(٣) صحيح البخاري ١٨/١، رقم: ٢، كتاب بدء الوحي، وصحيح مسلم ١٨١٦/٤ ـ ١٨١٧، رقم: ٨٧، كتاب الفضائل، باب عرق النّبيّ ﷺ في البرد وحين يأتيه الوحيُ، من حديث عائشة رضي الله تعالى عنها .

ولا يسمعُه أحدٌ من أصحابه الحاضرين، وكذلك جميعُ القرآن المبين، فإذا ارتفع الوحيُ عنه أخبرهُم بنزُوله على لسان الرُّوح الأمين.

والصَّلْصَلَةُ في اللُّغة صوتُ الحديد إذا اضطربَ في داخل تلك الآلة التي تُسمَّى الجَرَسَ، وهو صوتٌ مُتدارِكٌ متباعدٌ[١].

والجَرْسُ بفتح الجيم وسكون الرّاء، وبكسر الجيم أيضا واحدٌ وهو الصّوتُ، واختار ابن الأنباريّ الفتحَ إذا لم يتقدّمه حِسٌّ فإن تقدّمه حِسٌّ فالكسرُ وقال : هذا كلامُ فصحاء العرب[٢] / والجَرَسُ بفتح الجيم والرّاء الآلةُ[٣]. ٢٧/أ

وحدّثني شُيوخي بخُراسان مجدُ الدِّين مُفتي الفِرَق أبو سَعْد بن الصَّفّار[٤] بمدرستِه بشَاذِيَاخ[٥] والزّاهدُ أبو الحسن الشَّعْرِيُّ[٦] قراءةً منّي عليه بمسجد المُطَرّز بنيسابور والعَدْلُ تاجُ الدِّين أبو القاسم الفُرَاوِيُّ[٧]

---

(١) انظر مشارق الأنوار ٤٤/٢ ، والنّهاية ٤٦/٣ .

(٢) انظر تفسير الجرس وقول ابن الأنباري في مشارق الأنوار ١٤٥/١ .

(٣) انظر لسان العرب ٣٦/٦ (جرس) .

(٤) أبو سعدٍ عبدُ الله بن عمر بن أحمد ابن الصّفّار النّيسابوريُّ الشّافعيُّ، أحدُ الأئمّة العلماء الأثبات، توفي سنة ٦٠٠هـ، انظر سير أعلام النبلاء ٤٠٣/٢١ - ٤٠٤ .

(٥) شاذياخ : مدينة نيسابور أمّ بلاد خراسان ، معجم البلدان ٣٤٦/٣ .

(٦) أبو الحسن عبد الرّحيم بن عبد الرّحمن الجرجانيُّ النّيسابوريُّ الشَّعْرِيُّ، توفي سنة ٥٩٨هـ، انظر التّكملة لوفيات النّقلة ٤٠٨/١ - ٤٠٩ ، رقم : ٦٣٥ للمنذري .

(٧) الشّيخُ الجليلُ العَدْلُ المسندُ منصورُ بن عبد المنعم بن عبد الله بن محمّد بن الفضل بن أحمد الصّاعِديُّ الفُراوِيُّ النّيسابوريُّ، توفي سنة ٦٠٨هـ، انظر سير أعلام النبلاء ٤٩٤/٢١ - ٤٩٥ .

قراءةً منّي عليه أيضا، قالوا: حدّثنا فقيهُ الحرمين أبو عبد الله الصّاعديُّ[١]، سماعاً لمجد الدِّين أبي سَعْدٍ وأبي الحسن الشَّعْرِيّ سنةَ أربعٍ وعشرين ولحفيده تاج الدِّين[٢] مرّتين سنةَ ثمان وعشرين وسنة تسعٍ وعشرين ومولدُه سنة اثنتين وعشرين، قال فقيهُ الحَرَمَيْنِ: أخبرنا العَدْلُ أبو الحسين الفارسيُّ[٣] سماعاً عليه سنةَ ثمان وأربعين وأربع مائة، قال: أخبرنا الشّيخُ أبو أحمد الجُلُودِيُّ[٤] قراءةً عليه في شُهور سنة خمسٍ وستّين وثلاثمائة، أخبرنا أبو إسحاق الفقيهُ[٥]، حدّثنا الإمامُ / أبو الحسين[٦]، قال: حدّثنا يحيى بن ٢٧ / ب

(١) الشّيخُ الإمامُ الفقيهُ المفتي مسندُ خُراسان، فقيهُ الحرم، أبو عبد الله محمّدُ بن الفضل بن أحمد الصّاعديُّ الفُراويُّ النّيسابوريُّ الشّافعيُّ، سمع صحيحَ مسلمٍ على أبي الحسين عبدالغافر الفارسيّ، وإسنادُه في ذلك هو ما ذكره ابنُ دحية هنا، توفي سنة ٥٣٠هـ، انظر سير أعلام النبلاء ١٩/٦١٥ - ٦١٩.

(٢) إذ هو جدُّ أبيه وقد أكثرَ الرّوايةَ عنه كما قال الحافظُ الذّهبيُّ.

(٣) الشّيخُ الإمامُ الثّقةُ أبو الحسين عبد الغافر بن محمّد الفارسيُّ النّيسابوريُّ، سمع صحيحَ مسلمٍ من الجُلُودي سنةَ ٣٦٥هـ كما قال ابن دحية هنا، توفي سنة ٤٤٨هـ، انظر السّير ١٨/١٩ - ٢١.

(٤) الإمامُ الزّاهدُ القدوةُ الصّادقُ أبو أحمد محمّد بن عيسى النّيسابوريُّ الجُلُودِيُّ، راوي صحيح مسلم عن إبراهيم بن محمّد بن سفيان الفقيه، توفي سنة ٣٦٨هـ، انظر سير أعلام النبلاء ١٦/٣٠١ - ٣٠٣.

(٥) الإمامُ القدوةُ الفقيهُ الثّقةُ أبو إسحاق إبراهيمُ بن محمّد بن سفيان النّيسابوريُّ، سمع صحيح مسلم من مسلمٍ بفوتٍ رواه وجادةً وهو في الحج، توفي سنة ٣٠٨هـ، انظر سير أعلام النبلاء ١٤/٣١١ - ٣١٣.

(٦) مسلم بن الحجّاج.

أيّوب وأبو بكر بن أبي شيبة جميعاً عن ابن عُلَيَّة، قال يحيى بن أيّوب: حدّثنا ابنُ عُلَيَّةَ قال: وأخبرنا سعيدٌ الجُرَيْريُّ، عن أبي نَضْرَةَ، عن أبي سعيدٍ الخُدريّ، عن زيد بن ثابت قال: قال أبو سعيد: ولم أشهدْهُ من النّبيّ ﷺ ولكن حدّثنيه زيدُ بن ثابت قال:

« بينما النّبيُّ ﷺ في حائطٍ لبني النّجّارِ على بغلةٍ له ونحن معه إذ حادتْ به فكادت تُلقيه، وإذا أقبرٌ ستّةٌ أو خمسةٌ أو أربعةٌ، قال ابنُ عُلَيَّةَ: كذا كان يقول الجُرَيْرِيُّ، فقال: مَن يعرفُ أصحابَ هذه الأقبر؟ فقال رجلٌ: أنا، قال: فمتى مات هؤلاء؟ قال: ماتوا في الإشراك، فقال:

إنّ هذه الأمّةَ تُبتلى في قُبورها، فلولا أن لا تدافنُوا لدعوتُ الله أن يُسمعكم من عذاب القبر الذي أسمعُ منه، ثمّ أقبلَ علينا بوجهه فقال: تَعَوَّذُوا با لله من عذاب النّار، فقالوا: / نعوذُ با لله من عذاب النّار، فقال: تَعَوَّذُوا با لله من عذاب القبر، فقالوا: نعوذُ با لله من عذاب القبر، فقال: تَعَوَّذُوا با لله من الفتن ما ظهر منها وما بطن، قالوا: نعوذُ با لله من الفتن ما ظهر منها وما بطن، قال: تَعَوَّذُوا با لله من فتنة الدّجّال، قالوا: نعوذُ با لله من فتنة الدّجّال » .

٢٨ / أ

أخرجه الإمام أبو الحسين مسلمُ بن الحجّاج في « صحيحه » في بقيّة كتاب صفة الجنّة والنّار[1].

---

(١) كتاب الجنّة وصفة نعيمها وأهلها، باب عرض مقعد الميّت من الجنّة أو النّار عليه وإثبات عذاب القبر والتّعوّذ منه، ٤/٢١٩٩ - ٢٢٠٠، رقم: ٦٧ .

قال ذو النّسبين أيّده الله :

وأبو نَضْرَة[1] بالنّون والضّاد المعجمة اسمُه المنذر بن مالك بن قِطْعَة[2] العَبْدِيُّ، وقد لقي أيضاً حبرَ القرآن أبا العبّاس عبدَ الله بن عبّاس والزّاهدَ أبا عبد الرّحمن عبدَ الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهم[3].

وخرّجه الإمامُ أحمدُ في « مسنده »[4] بقراءتي لجميعه على جمال العِراقَيْنِ العَدْلِ / تاج الدِّين أبي الفتح محمّد بن أحمد المندائي[5] بحقِّ سماعه لجميعه على الرّئيس الثِّقة أبي القاسم ابن الحُصَين[6] بحقِّ سماعه لجميعه على الثِّقة الواعظ أبي عليّ ابن المُذْهِب[7]، بحقِّ سماعه لجميعه على الثِّقة أبي بكر ٢٨/ب

---

(١) في الأصل : أبو النّضر ، والتّصويب من تهذيب الكمال وغيره .

(٢) كذا ضُبط في الأصل وهو ما ذكره الدّارقطنيُّ في المؤتلف والمختلف ١٧٢٠/٣، وابنُ ماكولا في الإكمال ١٢٠/٧، والنّووي في شرح مسلم ٩٠/١، وابن ناصر الدّين في التّوضيح ٣٥٦/٢، خلافاً لابن حجر في التّقريب حيث ضبطه بفتح القاف وفتح الطّاء .

(٣) انظر تهذيب الكمال ٥٠٨/٢٨ ـ ٥١١ .

(٤) مسند أحمد ١٧٥/٣ .

(٥) مسند العراق أبو الفتح محمّد بن أحمد بن بختيار المَنْدَائيُّ الواسطيُّ، آخرُ من حدّث بمسند أحمد كاملاً، وثّقه ابنُ النّجّار، توفي سنة ٦٠٥هـ، انظر السّير ٤٣٨/٢١ ـ ٤٣٩.

(٦) المسندُ الصّدوقُ أبو القاسم هبةُ الله بن محمّد بن عبد الواحد بن أحمد بن العبّاس بن الحُصين الشّيبانيّ البغداديّ، تفرّد برواية مسند الإمام أحمد عن ابن المذهب عن القطيعي عن عبد الله عن أبيه، توفي سنة ٥٢٥هـ، انظر سير أعلام النبلاء ٥٣٦/١٩ ـ ٥٣٩.

(٧) مسندُ العراق أبو عليّ الحسنُ بن عليّ بن محمّد التّميميُّ البغداديُّ، توفي سنة ٤٤٤هـ، انظر سير أعلام النبلاء ٦٤٠/١٧ ـ ٦٤٣. وفيه وفي شيخه القطيعيّ كلامٌ قال الذّهبيُّ في =

القَطيعيِّ[١]، بحقِّ سماعـه على الإمـام أبـي عبـد الرّحمـن عبـد ا لله[٢]، قـال: حدّثني أبي، قال : حدّثنا مُؤمَّل وحَسَنٌ الأَشْيَبُ، قالا : حدّثنا حمّاد ، قال: حدّثنا ثابتٌ ، عن أنسٍ :

« أنّ رسول ا لله ﷺ مرَّ على بغلته الشَّهْباء بحائطٍ لبني النّجّـار فسـمع أصواتَ قومٍ يُعَذَّبون في قُبورهم، فحاصَت البغلةُ، فقال النّبيُّ ﷺ : لـولا أن لا تدافنوا لسألتُ ا لله عزّ وجلّ أن يُسمعكم عذابَ القبر ».

وخرّجه قبل هذا قال[٣] : حدّثنا ابنُ أبي عَديّ، عن حُميدٍ، عن أنس قال : « دخل النّبيُّ ﷺ حائطاً من حيطان المدينة لبني النَّجّـار فسمع صوتـاً من / قبرٍ، فسأل عنه متى دُفن هذا ؟ قـالوا: يـا رسـول ا لله، دُفـن هـذا في الجاهليّة، فأعجبهُ ذلك وقال : لولا أن لا تدافنُوا لدعوتُ ا لله أن يُسـمعكم عذابَ القبر ». ٢٩ /أ

وخرّجه بعد هذا وبعد الأوّل[٤] قال: حدّثنا عبدُ الصّمد، قال: حدّثنا أبي، قال: حدّثنا عبدُ العزيز، عن أنسٍ قال :

ميزان الاعتدال ٥١٢/١: « الظّاهرُ من المذهب أنّه شيخٌ ليس بالمتقن، وكذلك شيخُه ابنُ مالكٍ، ومن ثَمَّ وقع في المسند أشياء غيرُ محكمة المتن ولا الإسناد وا لله أعلم » .

(١) أبو بكر أحمدُ بن جعفر بن حَمْدان بن مالكٍ بن شبيب البغداديُّ القَطيعـيُّ الحنبلـيُّ راوي مسند الإمام أحمد، توفي سنة ٣٦٨هـ، انظر سير أعلام النبلاء ٢١٠/١٦ - ٢١٣.

(٢) عبد ا لله بن الإمام أحمد .

(٣) مسند أحمد ١٠٣/٣ .

(٤) بل : و قبل الأوّل .

« بينما نبيُّ الله ﷺ في نخلٍ لنا نخلٍ لأبي طلحة تبرّزَ لحاجته، قال: وبلالٌ يمشي وراءه يُكرم نبيَّ الله ﷺ أن يمشي إلى جنبه، فمرّ نبيُّ الله ﷺ بقبرٍ فقام حتّى تمَّ إليه بلالٌ فقال: ويحك يا بلال، هل تسمعُ ما أسمع؟ قال: ما أسمعُ شيئاً، قال: صاحبُ القبر يُعذّبُ، قال: فسُئل عنه فوُجد يهوديّاً »[1].

وهذا الحديثُ الصّحيحُ مع غيره من الأحاديث المحكُوم بصحّتها ناصّةٌ على أنّ المعذّبَ / في القبر له صوتٌ يُسمع وتسمعُه البهائمُ، وله حادَت البغلةُ أي مالت عند نفارها عن سَنَن طريقها. ٢٩ / ب

وكذلك في حديث « المسند »: « فحاصت » أي نفرتْ وكرّتْ راجعةً من خوف ما سمعتْ، والصّوتُ إنّما هو للجسم لا للرُّوح وأنّه يصرخ لما يحلُّ به من البلاء والنّكال على ما ثبتَ عن رسول الله ﷺ.

ثمّ افهم قولَه ﷺ: « لولا أن لا تدافنُوا لدعوتُ الله أن يُسمعكم من عذاب القبر الذي أسمعُ »، فكتم الله سبحانه هذا عنّا حتّى نتدافن بحكمته الإلهيّة ولُطفه الرّبّانيّ ﴿**إنّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**﴾[2]، ولا ربَّ لمن يدَّعي الإسلام إلاّ مَن هذه صفتُه، وأمّا مَن زعم أنّ ربَّه لا يفعلُ الأشياء الجُزئيّة ولا يكملُ أغراضَه وأفعالَه إلاّ النُّوّابُ كالنّفس والطّبيعة والعقل والكواكب، فليس / الكلامُ مع هؤلاء في عذاب ٣٠ / أ

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده ١٥١/٣، وصحّحه المؤلّفُ هنا.

(٢) يس: الآية ٨٢.

القبر بل الكلامُ عليهم في المخالفة في أوصاف الرَّب تعالى الله عمّا يقول المبطلُون. وقد بيّن رسولُ الله ﷺ بما ثبت عنه باتّفاق أنّه قال :

« إنّ العبدَ إذا وُضع في قبره وتولّى عنه أصحابُه حتّى إنّه ليسمعُ قَرْعَ نعالهم، قال: يأتيه ملكـان فيُقعدانِه[1]، وفي رواية محمّد بن منهال : إنّه ليسمعُ خَفْقَ نعالهم إذا انصرفُوا، أتاه ملكان فيقُولان له: ما كنتَ تقول في هذا الرّجل محمّدٍ ؟ فأمّا المؤمنُ فيقول: أشهدُ أنّه عبدُ الله ورسولُه، فيُقال له: انظُر إلى مقعدك من النّار أبدلكَ الله به مقعداً من الجنّة، قال النّبيّ ﷺ: فيراهُما جميعاً » الحديثَ بطُوله أخرجاه في « الصحيحين »[2] عن أنس عن النّبيّ ﷺ .

والإقعادُ إنّما يجري على جسد الميّت، وإنّ الميّتَ يعاينُ ذلك عَياناً وهو في قبره.

حدّثنا / غيرُ واحدٍ من شيوخنا قالوا: حدّثنا أبو عبد الله أحمدُ بن محمّد الخَوْلانيُّ[3]، قال: أنبأنا الفقيهُ العالمُ أبو عِمران موسى بن أبي حَاجَّ

---

(١) في حاشية الأصل : فأقعداهُ .

(٢) صحيح البخاري ٣/٢٠٥، رقم: ١٣٣٨، كتاب الجنائز، باب الميّتُ يسمع خفقَ النّعال، من طريق سعيد عن قتادة عن أنسٍ، وصحيح مسلم ٤/٢٢٠٠ ـ ٢٢٠١، رقم: ٧٠، كتاب الجنّة وصفة نعيمها وأهلها، باب عرض مقعد الميّت من الجنّة أو النّار عليه، وسياقُ مسلم أقرب إلى سياق المصنّف، ورواية محمّد بن منهال التي ذكرها ابنُ دحية هي في صحيح مسلم رقم: ٧١ بعد الحديث السّابق.

(٣) القرطبيُّ مسندُ الأندلس، توفي سنة ٥٠٨هـ، انظر سير أعلام النبلاء ١٩/٢٩٦ ـ ٢٩٧.

الفاسيُّ[١]، قال : سمعتُ القاضي أبا بكر بن الطّيّب[٢] يقول :

« وقد ورد القرآنُ العظيمُ بتصديق الأخبار الواردة في عذاب القبر قال الله جلّ جلالُه: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوّاً وَعَشِيّاً﴾[٣]، وقد اتّفق المسلمُون أنّه لا غُدُوَّ ولا عَشِيَّ في الآخرة وإنّما هُما في الدُّنيا، فهم يُعْرَضُون بعد مماتهم على النّار قبل يوم القيامة، ويوم القيامة يُدخلون أشدَّ العذاب، فإذا جاز أن يكون المكلّفُ بعد موتِه مَعْرُوضاً على النّار غدوّاً وعشيّاً جاز أن يسمع الكلامَ ويُمنع الجواب؛ لأنّ اللّذةَ والعذابَ لا يصحُّ حصولُهما إلاّ لحيٍّ حَسَّاسٍ، وإذا كان ذلك وجبَ اعتقادُ رَدِّ الحياة في تلك الأجسام وسماعِهم للكلام، والعقلُ لا يدفعُ هذا ولا يُوجب حاجةَ الحياة إلى بِنْيَةٍ / ورُطوبةٍ وإنّما يقتضي حاجتَها إلى المحلِّ فقط، وإذا صحَّ ردُّ الحياة إلى أجسامهم مع ما هُم عليه من خَفْضِ البِنْيَةِ وتقطيع الأوصال صحَّ أن يُوجد فيهم سماعُ الكلام والعَجْزُ عن ردِّ الجواب. والأخبارُ في عذاب القبر صحيحةٌ متواترةٌ لا يصحُّ عليها التّواطؤُ، وإن لم يصحَّ مثلُها لم يصحَّ شيءٌ من أمر الدِّين، و لم ينف هذا سوى الكفرة والزّنادقة المُلْحِدين.

٣١/أ

وقالت الفلاسفةُ : كيف يصحُّ أن يُقعد الميّتُ ولو وضعنا الزِّئبقَ في عينيه لوجدناهُ بحالِه .

---

(١) عالِمُ القيروان أبو عمران موسى بن عيسى بن أبي حَاجٍّ يَحُجُّ الفاسيُّ المالكيُّ، أخذ علم العقليّات عن القاضي الباقلاّني، توفي سنة ٤٣٠هـ، انظر السّير ١٧/٥٤٥ ـ ٥٤٨.

(٢) أبو بكر محمّد بن الطيّب الباقلاّني ، توفي سنة ٤٠٣هـ، انظر السّير ١٧/١٩٠ ـ ١٩١.

(٣) غافر : الآية ٤٦ .

فالجوابُ : أن الرّبَّ سبحانه أبسطُ قُدرةً وأقوى قُوّةً وأسرعُ فعلاً وأحصى حِساباً فهو يَصْرِفُ أبصارَنا عن جميع ذلك ويُغيّبه عنّا عند كشف القبر للعلّة التي نبّهَنا عليها رسولُ الله ﷺ بقوله : « لولا أن لا تدافَنوا »[1].

وقولُ / الفلاسفة: إنّها إشاراتٌ إلى حالاتٍ تَرِدُ على الرُّوح من العذاب الرُّوحانيّ وأنّها لا حقائقَ لها ـ سَخّم الله وجهَ قائلها ـ فلم يبق لقولهم وجهٌ مع الإيمان بأنّ الله سبحانه هو الواحدُ القهّارُ، الصانعُ المختارُ، الذي يُصرف الأشياءَ على مشيئته مِن غير توقّفٍ واقتصارٍ، قال الله العزيز الجبّار: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾[2]. ٣١/ب

وانظر إلى تخليقه آدمَ عليه السّلام لا مِن ذَكَرٍ ولا أنثى، وإلى تخليقه حوّاءَ عليها السّلامُ من ضِلَع آدمَ عليه السّلام، وإلى تخليق عيسى عليه السّلام من أنثى دون ذَكَرٍ، جرى التّشبيهُ بينه وبين آدم[3] في سُرعة التّخليق وتمام الخَلْق، وابتداء خَلقه لا من نُطفةِ رَجُلٍ بل من جَوْهَرٍ غير جَوْهَر النُّطفة وهي الريحُ، وخَلَقَ الكافّةَ من الذّكر والأنثى؛ فهذه أطوارٌ أربعةٌ من التّخليق لئلاّ / يُشْكِلَ على أحدٍ أنّ التّخليقَ يجري على نوعٍ من التّعليل أن لو جَرى على وجهٍ أو وجهين، فلمّا جَرى على جميع ما تحتملُه القِسْمَةُ أدّى التّخليقُ إمّا أن يكون مِن شرطه الولادةُ أو لا يكون مِن ٣٢/أ

---

(١) تقدّم تخريجه قريباً .

(٢) القصص : الآية ٦٨ .

(٣) يشير إلى قوله تعالى : ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ ...﴾ [آل عمران : الآية ٥٩].

شرطه، فهل الإيجابُ[1] فيه يَجري للذّكر دون الأنثى، أو للأنثى دون الذّكَرِ، أو للذّكَرِ والأنثى جميعاً، فأبان بالقِسَمِ الأربعِ أنّه لا توقُّفَ للتّخْليق على نحوٍ مِن هذه الأنحاء، فخلقَ عيسى مِن مَزْجِ الرِّيح مع نُطفة الأنثى لئلاّ يقول قائلٌ: فلعلّ في قُوّة التّراب ما ينوب منابَ نُطفة الرَّجُل إذ خُلق آدمُ من تُرابٍ، فأتى بالرِّيح الذي لم يدخُل في تخليق جسد آدم منه شيءٌ كما نطق به القرآنُ ، ووجب التّصديقُ به والإيمان ».

وثبتَ عن رسول الله ﷺ فيما حدّثني العَدْلُ تاجُ الدِّين أبو القاسم الفُراويُّ بقراءتي عليه بمسجد / المطَرِّز بنَيْسَابُور، قال: حدّثني جَدِّي الأعلى فقيهُ الحرمين أبو عبد الله الصّاعديُّ سنةَ تسعٍ وعشرين وخمسمائة ـ ومولدي سنة اثنتين وعشرين ـ، قال: حدّثنا الشّيخُ أبو سعيدٍ محمّدُ بن عليّ الخَشّاب الصُوفيُّ، قال: أخبرنا أبو محمّد الحسنُ بن أحمد المَخْلَدِيُّ[2]، قال: أخبرنا أبو العبّاس محمّدُ بن إسحاق بن إبراهيم الثّقَفِيُّ السَّرَّاجُ[3]، قال: حدّثنا قتيبةُ بن سعيد، قال: حدّثنا اللّيثُ، عن سعيد بن أبي سعيد، عن أبيه، أنّه سمع أبا سعيد الخدريَّ يقول : قال رسولُ الله ﷺ :

٣٢ / ب

« إذا وُضعت الجنازةُ فاحتملها الرِّجالُ على أعناقهم؛ فإن كانت صالحةً قالت : قَدِّمُوني، قَدِّمُوني، وإن كانت غيرَ صالحةٍ قالت: يا وَيْلَها

---

(١) كذا في الأصل ، ولعلّها : الإنجابُ .

(٢) النّيسابوريُّ ، توفي سنة ٣٨٩هـ، انظر سير أعلام النبلاء ١٦/٥٣٨ ـ ٩٣٩.

(٣) الإمامُ الحافظُ الثّقةُ ، توفي سنة ٣١٣هـ، انظر سير أعلام النبلاء ١٤/٣٨٨ ـ ٣٩٨.

أين تذهبُون بها ؟ يسمعُ صوتَها كلُّ شيءٍ إلاّ الإنسانُ، ولو سمعَها الإنسانُ لصَعِقَ » أي مات .

وهذا حديثٌ صحيحٌ ، وقد خرَّجه البخاريُّ في غير موضعٍ من « صحيحه » ، وهذا / نصُّه في ترجمة باب كلام الميّت على الجنازة حدّثنا قتيبةُ[1]، وهي لنا مُوافَقَةٌ عاليةٌ في نسخة قُتيبة بن سعيد[2]. ٣٣ / أ

فأمّا ترجمتُه : بابٌ كلامُ الميّتِ على الجنازة، فمعناه على السَّرير الذي يُحْمَلُ عليه[3].

واختلف اللُّغويون في لفظ « الجنازة » :

فقالوا بكسر الجيم وفتحها اسمٌ للميّت وللسّرير أيضا.

وقيل للميّت بالفتح وللسّرير بالكسر .

وقيل للميّت بالكسر وللسّرير بالفتح .

---

(١) صحيح البخاري ٢٤٤/٣، رقم: ١٣٨٠، كتاب الجنائز، باب كلام الميّت على الجنازة، وأخرجه أيضا ١٨١/٣ ـ ١٨٢، رقم: ١٣١٤، باب حمل الرّجالِ الجنازةَ دون النّساء، و ١٨٤/٣، رقم: ١٣١٦، باب قول الميّت وهو على الجنازة: قدّموني.

(٢) الموافقةُ في اصطلاح المحدّثين هي الوصولُ إلى شيخ أحد المصنّفين من غير طريق هذا المصنّف بعدد أقلّ ممّا لو رواه من طريقه، انظر أنواع علوم الحديث ص ٤٤٤، ونزهة النّظر ص ٥٨ ـ ٥٩، وفتح المغيث ٣٤٦/٣، وتدريب الرّاوي ٦١١/٢. فالبخاريُّ أخرج هذا الحديثَ عن شيخه قتيبة، وابنُ دحية وصل إلى قتيبة من غير طريق البخاري وبين ابن دحية وقتيبة خمسُ وسائط فقط؛ لذا اعتبرها ابنُ دحية موافقةً عاليةً، بينما لو رواهُ من طريق البخاري لكان بينه وبين قتيبة ستّ وسائط.

(٣) انظر فتح الباري ١٨٥/٣ .

وكلُّ شيءٍ ثقل على قومٍ فاغتمُّوا به فهو جَنازةٌ بفتح الجيم، والميّتُ كذلك لما فيه من الثِّقَل والاغتمام.

وقيل : أصلُ الكلمةِ من الجَنْزِ وهو السَّتْرُ، وأمّا الجِنازةُ بكسر الجيم فخشبُ الشَّرْجَعِ وهو سريرٌ.

وقد نصّ ﷺ أنّ لها صوتاً يسمعُه بعضُ السّامعين دون بعضٍ، ولم يقل ﷺ: يسمعُ كلامَها؛ لئلاّ يقولَ القائلُ: تكلّمتْ بلسان / الحال كما قال الشّاعرُ : ٣٣/ب

تَشَكّى الكُمَيْتُ الجَرِيُّ لمّا جهدتُه وحَمْحَمَ لو يَستطيعُ أن يتكلّمَا

وقال آخرُ :

يشكُو إليَّ جَمَلي طُولَ السُّرَى صبراً جميلاً فكِلانا مُبْتَلَى

أنشدهُ سيبويه في باب ما يَنتصبُ من المصادر في غير الدُّعاء[١] .

« صبرٌ جميلٌ » الشّاهدُ فيه رفعُ « صبرٌ » مع وضعِه موضعَ الفعل، والوجهُ فيه النّصبُ لأنّه أمرٌ لا يقعُ موقعَه الخبرُ، وتقديرُ سيبويه في هذا أن يحملَه على إضمار مبتدإٍ أو إضمار خبرٍ، فكأنّه قال: أمرُك صبرٌ جميلٌ، أو صبرٌ جميلٌ أمثلُ[٢].

قال الأَعْلَمُ[٣] : والقولُ عندي أنّه مبتدأٌ لا خبرَ له لأنّه اسمُ فِعْلٍ نابَ مَنابَ الفعل والفاعلِ ووقعَ مَوْقعَهُ، وتعرَّى من العوامل فوجب رفعُه،

---

(١) كتاب سيبويه ١/٣٢١ .

(٢) هذا كلّه من كلام الأعلم الشّنتمريّ .

(٣) هو أبو الحجّاج يوسف بن سليمان بن عيسى الشّنتمريُّ الأندلسيُّ النّحويُّ، توفي سنة ٤٧٦هـ، انظر سير أعلام النبلاء ١٨/٥٥٥ ـ ٥٥٧، وبغية الوعاة ٢/٣٥٦.

واستغنى / عن الخبر لما فيه من معنى الفعل والفاعل، ونظيرُه من كلام ٣٤/أ العرب في الاكتفاءِ به وحدَهُ دون خبره قولُهم: « حسبُك تَشْتِم[١] النّاسَ »؛ لأنّ معناه: اكفُف، ولذلك أُجيب كما يُجاب الأمرُ، وهذا بينٌ إن شاء الله[٢].

والذي يُبيّنُ لكم إخواني وجهَ الصّوَاب، ويصرفُكم عن الأهواء والارتيَاب، أن تعرفُوا أنّ القرآنَ العظيمَ عربيٌّ، وأنّ الرّسولَ ﷺ عربيٌّ، وأنّ السُّنّةَ الثّابتةَ إنّما هي حديثُه، وهو واقعٌ بلغتِه وهي العربيّةُ، وأن تعلمُوا أنّ القرآنَ العظيمَ ورد تِبياناً لكلّ شيءٍ، وأنّا أُمِرْنا بتدبُّره وتفهُّمِه كما شهدتْ نصوصُه، وأنّ النّبيّ ﷺ أمرهُ ربُّه أن يُبيّن لنا الكتابَ فقال جلّ مِن قائلٍ: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[٣]، وأكّدَ / على ٣٤/ب نبيه وصفيه محمّدٍ ﷺ في ذلك فشجّعَهُ مرّةً وهدَّدَهُ أخرى فقال جلّ مِن قائلٍ: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾[٤]، وقال جلّ مِن قائلٍ: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَاتِهِ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾[٥]، وقال جلّ مِن قائلٍ: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا

---

(١) عند الشّنتمري : تنم .

(٢) شرح شواهد كتاب سيبويه للأعلم الشّنتمريّ ١/١٦٢ .

(٣) النّحل : الآية ٤٤ .

(٤) الحجر : الآية ٩٤ .

(٥) المائدة : الآية ٦٧ .

بَعْضَ الأَقَاوِيلِ لأَخَذْنَا مِنْهُ بِاليَمِينِ﴾[١] أي بالقوّة **﴿ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الوَتِينَ﴾**[٢] يعني عِرْقَ القَلْبِ وبقطعِه يموت صاحبُه.

إلى غير ذلك من الآيات المنصُوصة في القرآن العظيم، ولا يعلمُ ذلك البتّةَ هذه الأمورَ المغيّبةَ من جهة المقاييس العقليّة ولا الفقهيّة ولا الجدليّة، إذ لم يرجع إلينا أحدٌ من الموتى فيخبرنا عن حقيقة ما لقي وشاهَد، وعاين مِن كَرْبِ الموت / وكابَد، فلم تبقَ لنا جهةٌ نتعرَّفُ منها إلاّ مِن جهة الشَّريعة، ٣٥/أ لا من جهةٍ بُرهانيّةٍ إذ مبادئُ البُرهان لا بدَّ عندهُم أن تكون ضروريّةً، فضلَّتْ فيه المُلْحِدَةُ من الفلاسفةِ والموحِّدَةُ من الإسلاميّين، واعتمدُوا في تَعَرُّفِ المغيَّبات على الاستقراء على ما بيّنَهُ المتكلِّمُون في آراء النّاظرين، وذلك باطلٌ بيقين، قال الله العظيم في مُحْكَم كتابه المبين: **﴿فَلَوْلاَ إِذَا بَلَغَت الحُلْقُومَ وَأَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لاَ تُبْصِرُونَ﴾**[٣]، وإنّما نادتْ الجنازَةُ على سَريرها بوَيْلِها فيما ثبتَ عنها لخوفِها مِن عذاب القبرِ الذي أَمرنا رسولُ الله ﷺ بالاستعاذة منه، ولِمَا يَسئلُها المَلَكان عنه، وهذا مخصوصٌ بالقبر لا بالموت، والموضوعُ في القبر أو في الخشبة هو شخصُ الميِّتِ، وهو الذي يُكلِّمُه / المَلَكَان، كان في القبر أو ٣٥/ب في أيِّ مكَانٍ، وهو الذي يُضْرَبُ بمطارقَ من حديدٍ يسمعُها مَن يليه غيرُ

---

(١) الحاقّة : الآية ٤٤ ـ ٤٥ .

(٢) الحاقّة : الآية ٤٦ .

(٣) الواقعة : الآية ٨٣ ـ ٨٥ .

الثّقلين، كما بيّنَهُ سيّدُ الكونين، محمّدٌ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم، الذي يجبُ الوقوفُ عند ما يقولُه فيما يتكلّم، فإنّه لا ينطقُ عن الهوَى، ولا يقولُ إلاّ عن وحيٍ يُوحَى، وإذا نصَّ على أمرٍ فالحقُّ فيما نَصَّه، والمخالفُ له غَوِيٌّ إن عَمَّهُ أو خَصَّه[1].

ولولا خشيةُ الإطالَة، والخروجُ إلى الملالَة، لتلوتُ عليك كتابَ اللهِ العزيزِ الجبَّار، ولرويتُ لك جميعَ ما ثبتَ في ذلك من صحيح الآثار، إلى أن يستقرَّ أهلُ الجنّة في الجنّة وأهلُ النّار في النّار.

مسألةٌ :

قالت الزّنادقةُ: كيف يكونُ صوتٌ مسموعٌ لسامعٍ في محلٍّ لا يسمعُه آخرُ معه، وهو مثلُه سليمُ الحاسَّةِ عن آفة الإدراك ؟

الجوابُ / : أنّ الإدراكَ معنىً يخلقُه الله جلّ وعلا لمن شاء ويمنعُه مَن شاء، وليس بطبيعةٍ ولا وَتيرةٍ واحدةٍ. ٣٦ / أ

قال القاضي سيفُ السُّنّة أبو بكر[2] : « ولكن لا يَخْرِقُ العادةَ إلاّ في زمن الأنبياء صلواتُ الله عليهم » .

---

(١) يعني أنّ مخالف النّصِّ غويٌّ سواء كان هذا النصُّ عامّاً بحيث يدخلُ فيه هذا المخالِفُ أو أو كان خاصّاً به وقت شَرْعه، فهو مأمورٌ بالأخذ بالنّصِّ عامّا كان أو خاصّاً.

(٢) يعني الباقلاّني .

وأمّا خصائصُ فَمِه ﷺ فأعظمُها الفصاحةُ التي فاق بها جميعَ العرب، وأتى بنظامٍ غيرِ نظام الشُّعراء والمترسِّلين وذوي الخُطَب، وكان إذا تكلّم رِيءَ كالنُّور بين ثناياه ﷺ.

قرأتُ جميعَ « المعجم الكبير » ـ وهو ستُّون ألفَ حديثٍ ـ على الشّيخ الثِّقة مُوفَّق الدِّين أبي جعفر محمّد بن أحمد بن نصرٍ سِبْط حسين بن مَنْدَة[1] ـ وقد قارب التِّسعين ـ بحقِّ سماعِه على الحُرّة الصّالحة أمِّ إبراهيم أمِّ الغَيْثِ أمِّ الخير فاطمة بنت عبد الله بن أحمد بن القاسم بن عَقيلٍ الجُوزْدَانِيَّةِ[2] / في شُهور سنة عِشرين وخمسمائة ـ وقد قاربت المائة، وتُوفِّيت رحمها الله يومَ الأربعاء في أوّل شعبان سنةَ أربعٍ وعشرين في قريتها، ومولدُها نحو الخَمْسِ والعِشْرين وأربع مائة، وكانت مُسِنّةً عابدةً قويّةً على التّعبُّد مع كِبَر سنِّها، وخُتِم بها روايةُ محمّد بن عبد الله بن رِيذَةَ ـ بحقِّ سماعِها عليه، وهو الثِّقةُ الزّاهدُ النّحويُّ أبو بكر محمّد بن عبد الله بن أحمد بن إبراهيم بن إسحاق بن زيادٍ الضَّبِّيُّ[3]، سألتُ شيخَنا الإمامَ العالمَ شيخَ الأئمّة فاضلَ العراقين مُنْتَجَبَ الدِّين أبا الفُتوح أسعدَ بنَ الإمامِ أبي الفضائل العجليّ بمنزله بمدينة أصبهان عن ابن رِيذَة ـ وهو بكسر الرّاء المهملة بعدها ياءٌ مثنّاةٌ باثنتين مِن أسفلها ودالٌ معجمةٌ ـ فقال: كان

٣٦ / ب

---

(١) الصّيدلانيُّ مسندُ الوقت، سمع معجم الطّبرانيّ الكبير من الجُوزدانيّة المتفرّدةُ بروايته عن ابن ريذة عن الطّبرانيّ، توفي سنة ٦٠٣هـ، انظر سير أعلام النبلاء ٢١/٤٣٠ ـ ٤٣١.

(٢) مسندة الوقت ، توفيت سنة ٥٢٤هـ، انظر سير أعلام النبلاء ١٩/٥٠٤ ـ ٥٠٥.

(٣) الأصبهانيُّ المشهورُ بابن رِيذَة، توفي سنة ٤٤٠هـ، انظر السّير ١٧/٥٩٥ ـ ٥٩٦.

ثقةً أميناً، وافرَ العقل، مُكْرِماً لأهل العلم، حافظاً لأطرافٍ من النّحو واللُّغة، تُوفِّي سنةَ أربعين / وأربعمائةٍ وقد قارب المائةَ، وقيل: وُلد سنةَ ستٍّ وأربعين وثلاثمائة ، آخرُ مَن خُتم عليه حديثُ الطّبرانيّ ، سمع منه « المعجم الكبير والصّغير » و« الفتن » لنُعيم بن حمّاد، بحق سماعِه على الإمامِ الحافظِ الثّقةِ العَدْلِ أبي القاسم سُليمان بن أحمد بن أيّوب بن مُطَيْرٍ اللَّخميّ الطّبرانيّ مِن طبريّة الشّام، وهو[1] مُجمَعٌ على حفظه وفضله وعلمه وديانته وتحفُّظه وإتقانه واشتغاله بنَشْرِ ما سمِعَهُ من أحاديث رسول الله ﷺ في المدائن والأمصَار، بعلُوّ أسانيد الأخبَار، وُلد رضي الله عنه سنةَ ستّين ومائتين، وتُوفِّي يومَ السّبت، ودُفن يومَ الأحد لليلتين بقيتا من ذي القعدة سنةَ ستّين وثلاثمائة، وله مائةُ سنةٍ، ودُفن بباب مدينة جَيٍّ، وقد زرتُ قبرَه رحمه الله، وعندي من « المعجم » أصله في مائتين وأحدٍ وثلاثين جزءاً .

٣٧ / أ

/ ورواةُ هذا الحديث معمّرُون قال : حدّثنا محمّدُ بن عبد الله الحضرميّ، قال: حدّثنا إبراهيمُ بن المنذر الحزاميُّ، قال: حدّثنا عبدُ العزيز ابن أبي ثابتٍ، قال: حدّثني إسماعيلُ بن إبراهيم بن عقبة، عن عمه موسى بن عقبة، عن كُريب، عن ابن عبّاس قال : « كان رسولُ الله ﷺ أفلجَ الثّنيّتين، إذا تكلّم يُرى كالنُّور بين ثنيّتيه »[2].

٣٧ / ب

---

(١) أي الطبراني .

(٢) أخرجه الدّارميُّ ١/ ٣٠، والتّرمذيُّ في الشّمائل رقم: ١٤ ـ تحقيق الدّعّاس، والبغويُّ في الأنوار في شمائل المختار ١/١٤٦، وابنُ عساكر في تاريخ دمشق ٤/١١، ١٢، والطّبرانيُّ في المعجم الكبير ١١/٤١٦، رقم : ١٢١٨١، والأوسط ١/٢٣٤، رقم: ٧٦٧، ويعقوب =

وحدّثنا المحدِّثُ العَدْلُ أبو القاسم بن بَشْكُوَال[(١)] قراءةً منّي عليه بمدينة قُرطبة، قال: حدّثنا الفقيهُ أبو محمّد ابنُ عَتّابٍ[(٢)] مُناوَلَةً، قال: حدّثنا أبو القاسم حاتمُ بن محمّد التّميميُّ[(٣)]، عن أبي محمّد ابن عبّاسٍ[(٤)]، قال: حدّثنا أبو محمّد ابن أميّة[(٥)]، قال: حدّثنا محمّدُ بن الحسين الطُّوسيُّ، قال:

الفسوي في المعرفة والتّاريخ ٣/٣٦٠، والبيهقيُّ في دلائل النّبوّة ١/٢١٥، والذّهبيُّ في السّير ١٠/٦٩١، من طريق عبد العزيز بن أبي ثابت، عن إسماعيل بن إبراهيم، عن موسى بن عقبة، عن كريب، عن ابن عبّاسٍ به. وإسنادُه ضعيفٌ جدّاً من أجل عبد العزيز بن أبي ثابتٍ، وقد أورد ابنُ دحية أعلاه كلامَ العلماء فيه، وقال الحافظُ ابن حجر في التّقريب: « متروكٌ احترقت كتبُه فحدّث من حفظه فاشتدّ غلطُه ». وكذا ضعّفه الهيثميُّ في مجمع الزّوائد ٨/٢٧٩، والألبانيُّ في مختصر الشّمائل ص ٢٩.

(١) محدثُ الأندلس أبو القاسم خَلَفُ بن عبد الملك بن مسعودٍ بن موسى بن بشكُوال الأنصاريُّ الأندلسيُّ القرطبيُّ صاحب كتاب الصّلة، توفي سنة ٥٧٨هـ، انظر سير أعلام النبلاء ٢١/١٣٩ ـ ١٤٣.

(٢) مسندُ الأندلس أبو محمّد عبدُ الرّحمن بن محمّد بن عتّاب بن محسن القرطبيُّ، توفي سنة ٥٢٠هـ، انظر سير أعلام النبلاء ١٩/٥١٤ ـ ٥١٥.

(٣) المحدثُ المتقنُ أبو القاسم حاتمُ بن محمّد التّميميُّ الطّرابلسيُّ الأندلسيُّ القرطبيُّ، توفي سنة ٤٦٩هـ، انظر سير أعلام النبلاء ١٨/٣٣٦ ـ ٣٣٧.

(٤) أبو محمّد ابن عبّاس الخطيبُ الطُّليطليُّ روى عن أبي القاسم عبد الله بن خيران وأبي القاسم الجوهريّ، وعنه حاتمُ بن محمّد التّميميّ وأبو المطرّف عبدُ الرّحمن بن أسد الجهنيّ، انظر الغنية ص ٧٣، ٧٤، والصّلة ١/١٥٥، والسّير ١٨/٣٣٧.

(٥) هو ـ والله تعالى أعلم ـ أبو محمّد عبدُ الله بن محمّد بن أميّة الأنصاريُّ المعروف بابن غلبون، كان نبيلاً ثقةً، توفي سنة ٣٧٢هـ، انظر تاريخ ابن الفرضي ١/٢٧٧.

حدّثنا محمّدُ بن عليّ الصّائغ[١]، قال: حدّثنا محمّدُ بن فُلَيْحٍ، عن موسى بن عقبة الثِّقة العَدْل، عن كُريبٍ، عن ابن عبّاسٍ قال : « كان رسولُ الله ﷺ إذا تكلّم يُرى كالنُّور بين ثناياه ».

قال ذو النّسبين / أيّده الله:

والسّندُ الأوّلُ :

محمّدُ بن عبد الله الحضرميُّ[٢] : ثقةٌ مخرَّجٌ معدَّلٌ قاله أبو جعفر العقيليّ وأبو يحيى السّاجيّ ، وخرّجا عنه.

وإبراهيمُ بن المنذر[٣] الحزاميُّ[٤] :

أخرج البخاريُّ عنه في « صحيحه » واعتمده ووثّقه[٥].

وعبدُ العزيز بن أبي ثابتٍ المدنيّ[٦] :

قال يحيى : ليس بثقةٍ[٧] .

---

(١) المحدثُ الثّقةُ أبو عبد الله محمّد بن عليّ بن زيدٍ المكّيُّ الصّائغُ، توفي سنة ٢٩١هـ، انظر سير أعلام النبلاء ١٣/٤٢٨ - ٤٢٩.

(٢) الملقّب بمُطَيَّن .

(٣) في الأصل : عبد المنذر ، وهو خطأٌ ظاهرٌ .

(٤) ترجمته في تهذيب الكمال ٢/٢٠٧ - ٢١١ وغيره .

(٥) انظر هدي السّاري ص ٣٨٨ .

(٦) عبد العزيز بن عمران بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرّحمن بن عوف القرشيُّ المدنيُّ الأعرجُ المعروف بابن أبي ثابتٍ ترجمته في تهذيب الكمال ١٨/١٧٨ - ١٨١ وغيره .

(٧) رواه عن ابن معين عثمانُ بن سعيد الدّارميُّ انظر تاريخ الدّارمي عن ابن معين رقم: ٦٠٧.

وقال البخاريّ : لا يُكتب حديثُه[١] .

وقال النّسائيّ : متروكُ الحديث[٢] .

وقال التّرمذيُّ[٣] والدّارقطنيُّ[٤] : هو ضعيفٌ .

وقال أبو حاتم محمّد بن حبّان : عبدُ العزيز بن عمران بن عبد العزيز أبو ثابتٍ ويُعرف بابن أبي ثابتٍ الزّهريّ المدنيّ يَروي المناكير عن المشاهير[٥].

وأخرج البخاريُّ في « صحيحه » عن إسماعيل بن إبراهيم بن عقبة[٦] ووثّقه[٧].

وموسى بن عقبة : اتّفقا في « الصّحيحين » على الإخراج عنه[٨] ،

---

(١) التّاريخ الكبير ٢٩/٦، رقم: ١٥٨٥، والضّعفاء الصّغير رقم: ٢٢٣ للبخاري.

(٢) كتاب الضّعفاء والمتروكين للنّسائي رقم: ٣٩٣، وفي موضع آخر قال: لا يكتب حديثه تهذيب الكمال ١٨١/١٨.

(٣) جامع التّرمذي ٢١٢/٣ .

(٤) سنن الدّارقطني ١١٦/٤، وعلله ٢٢٠/١، وأورده في الضّعفاء والمتروكين رقم : ٣٤٩.

(٥) المجروحين ١٣٩/٢ وتمامه : « فلمّا أكثر ممّا لا يشبه حديثَ الأثباتِ لم يستحقّ الدّخولَ في جملة الثّقات » .

(٦) ابن أبي عيّاش القرشيُّ الأسديُّ مولاهم أبو إسحاق المدنيُّ ابنُ أخي موسى بن عقبة ترجمته في تهذيب الكمال ١٧/٣ - ١٨.

(٧) انظر هدي السّاري ص ٣٩٠ .

(٨) قال ابن حجر في هدي السّاري ص ٤٤٦ : « اعتمده الأئمّةُ كلُّهم »، وانظر تهذيب الكمال ١١٨/٢٩ - ١٢١.

وهو شيخُ مالك بن أنسٍ إمامِ دار الهجرة[١].

/ وأمّا السّندُ الثّـاني إلى موسـى بـن عقبـة ففيـه محمّـدُ بـن فُليـح بـن ٣٨/ب سليمان الأسلميّ ، يُكنى أبا عبد الله :

قال يحيى : ليس بثقةٍ[٢] .

وقال أبو حاتمٍ الرّازيّ : ليس بذاك القويّ[٣] .

وقرأتُ بمدينة السّلام بغداد على غير واحدٍ منهم شيخُ الشّيوخ ضيـاءُ الدِّين أبو محمّد عبدُ الوهّاب بن عليّ بـن علـيّ[٤]، قـالوا: حدّثنـا أبـو بكـر محمّدُ بن عبد الباقي[٥]، أخبرنا طاهرُ بن عبد الله[٦]، قال: أخبرنا أبو أحمـد الغِطْريفِيُّ[٧]، قال: حدّثنا أبو بكر أحمدُ بن محمّـد بـن أبـي شـيبة[٨]، قـال:

---

(١) انظر أسماء شيوخ الإمام مالك بن أنس ص ٣٦ ـ ١٣٨ لابن خلفون الأندلسي .

(٢) ذكر قول ابن معين ابنُ أبي حاتم في الجرح والتّعديل ٨/٥٩، رقم: ٢٦٩ وعنـه المزيّ في تهذيب الكمال ٢٦/٣٠٠ .

(٣) تمامُ السّياق : « ما به بأسٌ ، ليس بذاك القويّ » انظر المصدرين السّابقين .

(٤) شيخُ وقته في علوِّ الإسناد والمعرفة، يُعرف بابن سُكَينة، تـوفي سـنة ٦٠٧هـ، انظـر ذيـل تاريخ بغداد ١/٣٥٤ ـ ٣٦٨، والنّجوم الزّاهرة ٦/١٧٨، وشذرات الذّهب ٥/٢٥.

(٥) مسندُ العصر المعروف بقاضي المرستان، تـوفي سـنة ٥٣٥هـ، انظـر سـير أعـلام النبـلاء ٢٠/٢٣ ـ ٢٨.

(٦) القاضي أبو الطّيب الطّبري الشّافعي فقيـه بغـداد، سمع جـزء الغطريفـي وتفـرّد في الدّنيـا بعلوّه، توفي سنة ٤٥٠هـ، انظر سير أعلام النبلاء ١٧/٦٦٨ ـ ٦٧١.

(٧) الإمامُ الحافظُ أبو أحمد محمّد بن أحمد العبديُّ الغِطْريفيُّ الجرجـانيُّ، تـوفي سـنة ٣٧٧هـ، انظر سير أعلام النبلاء ١٦/٣٥٤ ـ ٣٥٦.

(٨) وربّما قيل: ابن شيبة، وثّقـه الدّارقطنيُّ، توفّـي سـنة ٣١٧هـ، انظـر سـؤالات السّـهمي للدّارقطني رقم: ١٢٧، والمعجم في أسامي شيوخ أبي بكر الإسمـاعيلي ١/٣٣٩ ـ ٣٤٠، وتاريخ بغداد ٥/٣١ ـ ٣٢ .

حاتمُ بن اللَّيث[١] الجوهريُّ، قال: حدّثنا حمّادُ بن أبي حمزة السُّكَّريُّ[٢]، قال: حدّثنا عليُّ بن الحسين بن واقد، قال: حدّثنا أبي، عن عبد الله بن بُريدة، عن أبيه، عن عمر بن الخطّاب أنّه قال :

« يا رسولَ الله، ما بالُكَ أفْصَحَنا ولم تخرُج مِن بين أظهُرنا؟ قال: كانت لغةُ إسماعيل قد دَرَسَتْ فجاء بها جبريلُ[٣] فحفظتُها »[٤].

٣٩/أ قال / البخاريُّ: رأينا عليَّ بن الحسين بن واقدٍ في سنة عشرٍ[٥] وكان أبو يعقوب إسحاقُ بن راهويه سيّءَ الرّأي فيه في حياتِه لعلّة الإرجاء فتركناهُ ، ثمّ كتبتُ عن إسحاق عنه[٦].

---

(١) تحرّف في تاريخ دمشق إلى : الكنز .

(٢) في جزء الغطريفيّ : اليشكري .

(٣) في جزء الغطريفي زيادة : فحَفَّظَنيها .

(٤) أخرجه الغطريفيُّ في جزئه رقم : ٥١ ، ومن طريقه ابنُ عساكر في تاريخ دمشق ٣/٤، وإسنادُه ضعيفٌ ؛ حمّاد بن أبي حمزة مجهولٌ، وفي المتن نكارةٌ، انظر تعليق د. محمّد خليل هرّاس على الخصائص الكبرى ١٥٧/١.

(٥) أي ومائتين .

(٦) أخرج قولَ البخاري العقيليُّ في كتابه الضّعفاء ٢٢٦/٣ وعنه ابنُ حجر في تهذيب التّهذيب ٣٠٨/٧، وقد ضعّف عليَّ بن الحسين بن واقدٍ أبو حاتمٍ في الجرح والتّعديل ١٧٩/٦، إلاّ أنّ الإمام مسلماً أخرج له في المقدّمة كما في تهذيب الكمال ٤٠٦/٢٠، وذكره ابنُ حبّان في الثّقات ٤٦٠/٨، ولهذا قال الحافظُ ابن حجر في التّقريب : صدوقٌ يهم .

قال ذو النّسبين أيّده الله :

وحدّثني به بأصبهان موفّقُ الدِّين أبو جعفر محمّد بن أحمد سبطُ حسين بن مندة، قال: حدّثنا أبو عليّ الحدّاد سماعاً حضوراً وإجازةً، قال: حدّثنا الحافظُ أبو نعيم، قال: حدّثنا أبو أحمد محمّد بن أحمد الغِطريفيُّ بجُرجان.

وقرأتُ في كتاب « المنتقى من كتاب أُنس الواحش وريِّ العاطش » الذي ألّفه أبو الحسن أحمدُ بن عبد الله بن محمّد البكريّ[1] للسّلطان المظفّر ذي السِّيادتين أبي عمر أحمد بن المستعين بالله سلطان الثّغر الأعلى بالأندلس من حديث بَرَّة بنت عامر الثقفيّة سيّدة قومِها أنّها سألت إخوتَها فقالت : « يا بني عامرٍ، أفيكم مَن أبصر محمّداً ﷺ ؟ / فقالوا: كلُّنا قد رأيناه أيّامَ الموسم، فقالت: أفيكم مَن سمعه يتكلّمُ؟ فقالوا: نعم، فقالت: كيف هو في فصاحتِه؟ قالوا: يا أختاه، إنّ أقبحَ مثالبِ العربِ الكذبُ، أمّا فصاحتُه فما ولدَتْ العربُ فيما مضى ولا تَلِدُ فيما بقي أفصحَ منه ولا أذْرَبَ إذا تكلَّمَ، يُعجزُ اللّبيبَ كلامُه، ويحرَسُ الخطيبُ عن خطابِه ». ٣٩ / ب

(١) قال الحافظ الذّهبيُّ في السِّير ٣٦/١٩ : « أمّا البكريُّ القصّاصُ الكذّابُ فهو أبو الحسن أحمدُ بن عبد الله بن محمّد البكريُّ طُرُقيٌّ مفترٍ، لا يستحي من كثرة الكذب الذي شحن به مجاميعه وتواليفه، هو أكذب من مسيلمة » ، وذكره في ميزان الاعتدال ١١٢/١ فقال: « ذاك الكذّابُ الدّجّالُ واضعُ القصص التي لم تكن قطّ، فما أجهله وأقلّ حياءه، وما روى حرفاً من العلم بسندٍ ». والغريبُ حقّاً أن ينقل ابنُ دحية عنه ولا ينبّه على حاله رغم تحذيره الشّديد من الوضع والوضّاعين.

قال ذو النّسبين أيّده الله :

وما عسى أن يُقال فيمن أُوتي جوامعَ الكَلِم، وخُصَّ ببدائع الحِكَم، وقد كان كبارُ الصّحابةِ يسألُونه عن شرح كلامِه، وتفسير خطابه، ويقولُون: « ما رأينا الذي هو أفصحُ منك، فقال: وما يمنعُني وإنّما أُنزل القرآنُ بلساني لسان عربيٍّ مبين »[1].

وهذا تأييدٌ إلهيٌّ، لا يُحيطُ بعلمه بشريٌّ، وقد ذكر ثقاتُ المصنِّفين في الحديث وغريبه، كثيراً ممّا سأله أصحابُه / عن تفسير جوابه. ٤٠ / أ

فقال الإمامُ أبو عبيد[2] في « شرح غريبه » : « إنّه سُئل ﷺ أيّ النّاس أفضلُ؟ فقال: الصّادقُ اللِّسان، المَخْمُومُ القلبِ، قالوا: هذا الصّادقُ اللِّسان قد عرفناهُ فما المخْمُومُ القَلْبِ؟ قال : هو التّقيُّ[3] الذي لا غلَّ فيه ولا حسدَ »[4].

---

(١) أخرجه ابنُ أبي الدّنيا في كتاب المطر والرّعد رقم: ١٢، والرّامهرمزيُّ في أمثال الحديث ص ١٥٥، وابنُ أبي حاتم في تفسيره ٩/٢٨١٨، وأبو الشّيخ في العظمة ٤/١٢٤٠، والبيهقيُّ في شعب الإيمان ٢/١٥٨، وابنُ عساكر في تاريخ دمشق ٤/٤ ـ ٥، من طريق موسى بن محمّد بن الحارث التّيميّ، عن أبيه به فذكره. وهذا مرسلٌ، وموسى بن محمّدٍ التّيميّ منكرُ الحديث.

(٢) القاسم بن سلاّمٍ .

(٣) في بعض نسخ غريب أبي عبيدٍ : النّقيّ ، وفي أخرى : التّقيّ كما هو عند ابن دحية، وجُمعا في سنن ابن ماجه : التّقيّ النّقيّ .

(٤) أخرجه ابنُ ماجه ٢/١٤٠٩ ـ ١٤١٠، رقم: ٤٢١٦، كتاب الزّهد، باب الورع والتّقوى، من حديث عبد الله بن عمرو، وإسنادُه صحيحٌ، وانظر سلسلة الأحاديث الصّحيحة للعلاّمة الألبانيّ حفظه الله تعالى رقم : ٩٤٨ .

قال أبو عبيد : التّفسيرُ[١] في الحديث، وكذلك هو[٢] عند العرب؛ ولهذا قيل: خَمَمْتُ البيتَ إذا كَنَسْتَهُ، ومنه سُمِّيت الخُمامَةُ وهي مثلُ القُمامَة والكُناسَة[٣].

وكان ﷺ يخاطبُ كلَّ أمّةٍ من العرب بلسانها، ويُجاوبُها بلغتها، ويباريها في مَنْزَع بلاغتها. وليس كلامُه ﷺ مع قريشٍ والأنصار وأهل الحجاز ونجد ككلامه مع غيرهم من العرب كقَطَنِ العُلَيميّ الكلبي في كتابه لوفد كَلْبِ بن وَبْرَة بحضور دحية بن خليفة الكَلْبي وشهادتِه في / ٤٠/ب الكتاب على ما ذكره ابنُ قُتيبة في « غريب الحديث »[٤] له والحافظُ أبو محمّد الحسن بن محمّد بن يعقوب[٥] في كتابه المسمّى بـ « الإكليل »[٦]، وككتابه ﷺ لذي المِشْعَارِ مالك بن نَمَطٍ الهَمْدَاني ثم الخارِفي[٧] ولوفود

---

(١) في غريب الحديث زيادة : هو ، يعني أنّ الحديثَ نفسَه فسّر كلمة « المخموم » .

(٢) كذا في نسخةٍ من غريب الحديث ، وفي بقيّتها : هذا .

(٣) غريب الحديث لأبي عبيد ٢/٥٣٢ ـ ٥٣٣ .

(٤) لم أقف عليه فيه، وإنّما ذكرَ ابنُ قتيبة في غريب الحديث ١/٥٤٨ ـ ٥٥٥ حديثَ ذي المشعار الآتي. وقد أخرج حديثَ العليمي ابنُ سعدٍ في الطّبقات ١/٣٣٤ ـ ٣٣٥ بإسنادٍ فيه هشام بن محمّد بن السّائب الكلبيّ وهو متروكٌ، لكن ليس فيه شهادة دحية الكلبيّ، كما أنّه من حديث حارثة بن قطنٍ لا من حديث قطنٍ .

(٥) الأديبُ النّحويُّ اللّغويُّ الأخباريُّ اليمنيُّ الهَمْدانيُّ، توفي سنة ٣٣٤هـ، انظر إنباه الرّواة على أنباه النّحاة ١/٣١٤ ـ ٣١٩، والمطرب للمؤلّف ص ٦٠ ـ ٦١.

(٦) قال المؤلّف في المطرب ص ٦١: « هو كتابٌ عظيمُ الفائدةِ ». ومدحه أيضاً غيرُ واحدٍ كالقفطيّ حيث ذكر أنّه كتابٌ جليلٌ جميل. وهو في معارف اليمن وعجائبه وعجائب أهله، يقعُ في عشرة أجزاء، وصف موضوعَ كلِّ جزءٍ القِفْطيُّ في إنباه الرّواة ١/٣١٧.

(٧) أخرجه ابن هشام في السّيرة ٢/٥٩٦ ـ ٥٩٨ بإسنادٍ فيه إرسالٌ وإبهامٌ .

هَمْدَان[١]، وكتابه لوائل بن حُجر الكنديّ وأَقْيَالِ حَضْرَمَوْتَ[٢] وغيرهم من مُلوك اليمن؛ فإنّ كتبَه إلى هؤلاء بإملائه على كُتّابه ﷺ قد استولتْ على أقاصي الفصاحَة، وأخذت بمجامع الرَّجاحَة، ومن الألفاظ الغريبة، والدّالّة على معانيها القريبة، ما أتعبت المفسِّرين، وأعجزت اللُّغويين، من الحُوشيِّ والغريب، والبعيد والقريب، وذلك أنّ الله تعالى أقْدَرَهُ على لُغاتِ العرب كلِّها، فكان أفصحَها في سَهْلِ الألفاظ وجَزْلِها.

وأمّا كلامُه مع قريشٍ والأنصَار، ففي نهايةٍ من / البلاغة ورُكنيها اللَّذين هما العذوبةُ مع الاختصَار. ٤١/أ

ثبت في « الصّحيحين »[٣] مِن طريق محمّد بن سيرين، عن أبي هريرة أنّ رسول الله ﷺ قال : « أسلمُ سالمها الله، وغِفارُ غفر اللهُ لها ».

وأخرجا[٤] عن صالح بن كيسان ، عن نافع ، عن ابن عمر أنّ رسول الله ﷺ قال على المنبر :

« غفارُ غفر اللهُ لها ، وأسلمُ سالمها اللهُ ، وعُصيّةُ عصت اللهَ ورسولَه ».

---

(١) أخرجه ابن سعدٍ ١/٣٤٠ ـ ٣٤١ بإسناد فيه هشام بن محمّد بن السّائب الكلبيّ وهو متروكٌ. وعزاه السّيوطيُّ في مناهل الصّفا ص ٤٨ إلى الزّجاجي في أماليه معضلاً.

(٢) أخرجه الطّبرانيُّ في الكبير ٢٢/٤٦ ـ ٤٩، رقم: ١١٧، والصّغير ٢/٢٨٥ ـ ٢٨٧، رقم: ١١٧٦، قال الهيثميُّ في مجمع الزّوائد ٩/٣٧٦ : « فيه محمّد بن حجر وهو ضعيفٌ ». والأَقْيالُ: هي ملوك اليمن في الجاهليّة دون الملك الأعظم.

(٣) صحيح البخاري ٦/٥٤٢، رقم: ٣٥١٤، ومسلم ٤/١٩٥٢ ـ ١٩٥٣، رقم: ١٨٤.

(٤) صحيح البخاري ٦/٥٤٢، رقم: ٣٥١٣، وصحيح مسلم ٤/١٩٥٣، رقم: ١٨٧.

ولهذا الحديث طرقٌ كثيرةٌ منها حديثُ خُفاف بن إيماء بن رَحَضَة أخرجه مسلم[١]، وأخرج[٢] أيضا من حديث محمّد بن زياد القرشيّ عن أبي هريرة، ومن حديث ورقاء عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة بمثله[٣]، ومن حديث عِراك بن مالك عن أبي هريرة أنّ رسول الله ﷺ قال: « أسلمُ سالمها الله، وغِفارُ غفرَ / الله لها، أما إنّي لم أقُلها لكن الله قالها »[٤]. ٤١ / ب

ففيه البديعُ النّفيس وهو التّجنيس، وذلك أنّ قولَه ﷺ: « أسلمُ سالمها الله » مجانسةٌ في الكلام؛ لأنّ من سالمتَه لم يَر منك ما يَكرهُ، فكأنّه ﷺ دعا لها بأن يصنع الله لها ما يُوافقها، ويكون: « سالَمها » بمعنى سلّمها، كما قال تعالى: ﴿قَاتَلَهُم اللهُ﴾[٥] بمعنى قتلهُم[٦].

وهذا التّسليمُ هو هُداها إلى أن أسلَمت فسلِمت من السَّبي والقتل؛ فغفارُ مِن كنانةَ بن خزيمة، وأسلَمُ مِن خُزاعةَ، وعُصيّةُ مِن سُلَيم، والنّسبُ إليه عُصَويٌّ، وهم عُصاةٌ لله يقطعُون طريقَ الله، ويقتلُون حُجّاجَ بيت

---

(١) صحيح مسلم ٤/١٩٥٣، رقم: ١٨٦ .

(٢) صحيح مسلم ٤/١٩٥٣، رقم: ١٨٤.

(٣) صحيح مسلم ٤/١٩٥٣، رقم: ١٨٤ .

(٤) صحيح مسلم ٤/١٩٥٢ - ١٩٥٣، رقم: ١٨٤ .

(٥) التّوبة : الآية ٣٠ .

(٦) هذا من كلام القاضي عياض في مشارق الأنوار ٢/٢١٨ .

ا لله، وهم ألأمُ خلْقِ ا لله بالدّعوة المقبُولَة، والمسألة المبذُولَة، وسُكناهم اليومَ بصحراء المغرب، منهم رَواحَة ، لا أراهم ا للهُ راحَة.

٤٠/أ ورَواحَةُ هو هلالُ بن عُصيّة بن خُفاف بن / سُلَيم بن منصُور بن عكرمة بن خَصَفَةَ بن قيس عيلانَ .

وثبت باتّفاق مِن حديث جابرِ بن عبد ا لله بن حَرام الأنصاريّ صاحبِ رسول ا لله ﷺ وابن صاحبه، ومن حديث أبي موسى عبد ا لله بن قيسٍ الأشْعَرِيّ، وعبدِ ا لله بن عمرو بن العاصي القُرشي السَّهْميّ أنّ رسولَ ا لله ﷺ قال : « المسلمُ مَن سلِم المسلمون مِن لسانِه ويده »[1].

فيه بلاغةُ لفظٍ ونفاسةُ معنىً؛ فأمّا بلاغةُ اللّفظ فالتّجنيسُ الواقعُ في الكلام في قوله: « المسلمُ من سلِم »، ولو قال : من نجا أو من خَلصَ لكان المعنى واحداً ، ولكن « مَن سَلِمَ » تجانَسَ به الكلامُ وحسُن موقعُه من السَّمع جرَساً ، ومن النّفس حِسّاً.

ومن التّجنيس قولُ ا لله تبارك وتعالى فيما أخبر به عن بلْقيس في ٤٠/ب قولها : ﴿إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ / مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[2]، فقولُها : ﴿أَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ﴾ تجنيسٌ واقعٌ مِن قِبَلِ ما نحن فيه سواءً .

---

(١) أمّا عن جابرٍ فأخرجه مسلم ١/٦٥، رقم: ٦٥، كتاب الإيمان، باب بيان تفاضل الإسلام، وأمّا عن أبي موسى الأشعري فأخرجه البخاري ١/٥٤، رقم: ١١، كتاب الإيمان، باب أيّ الإسلام أفضل؟، وأمّا عن عبد ا لله بن عمرو بن العاص فأخرجه مسلم ١/٦٥، رقم: ٦٤، كتاب الإيمان، باب تفاضل الإسلام.

(٢) النّمل : الآية ٤٤ .

وأمّا نفاسةُ المعنى فإنّه ﷺ جعل مزيّةَ الإسلام، لمن كان المسلمُون معه على سَلامٍ، وذلك أنّ الذّنوبَ تنقسمُ قسمين: كفرٌ ومعاصي، والمعاصي تنقسمُ قسمين تجمعُها مخالفةُ أمرِ الله، فأحدُهما بين العبدِ وبين بارئه، والآخرُ ظلمٌ للعباد، فأمّا الكفرُ فلا وجودَ للإسلام معهُ إذا كان بمعنى الإيمَان، كما هو في هذا المكَان، إذ هو ضدُّه والضِدّان لا يجتمعَان، وأمّا المعاصي فأشدُّ قِسْمَيها مظالمُ العباد، ومظالمُ العباد تكونُ إمّا في مالٍ أو في عِرْضٍ أو في جِسْمٍ، وهي مُتناوَلةٌ باللِّسان واليدِ، واللِّسانُ آلةُ العَرْضِ واليدُ آلةُ الجنايةِ على الجسم أو التّعدي في المال، فجعل النّبيُّ ﷺ مزيّةَ الإسلام / ٤٣/أ لمن سلِم منها، وحضَّ النّبيّ ﷺ بهذا الكلامِ على مُسالمةِ المسلمين وترك أذاهُم. وليس ببِدْعٍ لمن أُوتي جوامعَ الكَلِمِ أن يأتي في الألفاظ بالبلاغة وفي المعاني بالحكمَة، وتظهرُ هذه المزيّةُ بما إذا فرضنا مُسلماً يقارفُ الذّنوبَ التي بين العبدِ وبين بارئِه، ومسلماً يقارفُ الذّنوبَ التي هي مظالمُ العباد، فلا خلافَ بين العلماء أنّ المسلمَ الذي لا يظلمُ العبادَ أسلمُ مِن المسلم الذي ظلمهُم؛ لأنّ الجنايتين عند العلماء مُفترقَتان، والقضيّتين مُختلفتَان، فمُجانِبُ المظالمِ أسْلَم، ومُواقِعُها أظلمُ وأجْرَم.

واعلمُوا رحمكم الله أنّ الظّالمَ لا يستحقُّ العهدَ من الله بالإمامَة، مع ما لَهُ من الخزي يومَ القيامَة، قال الله جلّ مِن قائلٍ لخليله إبراهيم عليه السّلام: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ وَمِنْ ذُرِيَتِي قَالَ لاَ يَنَالُ / عَهْدِيَ ٤٣/ب

الظَّالِمِينَ﴾[1]، أي من كان ظالماً من ذُرِّيتك لا ينالُـه استخلافي وعَهـدي إليـه بالإمامة وإنّما ينالُ مَن كان عادلاً بريئاً من الظُّلْم؛ لأنّ قولَه: **﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾** هو عطفٌ على الكاف كأنّه قال: وجاعلٌ بعضَ ذرِّيّتي، كما يُقال لك: سأكرمُك فتقول: وزيداً. فالعَدْلُ هو الواجبُ لأنّ الله عزّ وجلّ عَدَلَ فيه على عبادِه قال جلّ مِن قائلٍ : **﴿إنَّ الله يَأْمُرُ بالعَدْلِ وَالإحْسَانِ﴾**[2]، فجعل ما فرضَهُ عليهم واقعاً تحتَ طاقتهم، والإحسانُ النَّدْبُ، وإنّما علّق أمرَه بهما جميعاً لأنّ الفَرْضَ لا بدَّ مِن أن يقعَ فيه تفريطٌ فيجبرُه النّدبُ.

وثبت بنقلِ العَدْلِ عن العَدْلِ عن رسول الله ﷺ أنّه قال : « وأهلُ الجنّة ثلاثةٌ : ذو سلطان مُقسِطٌ متصدِّقٌ مُوفَّقٌ، ورجلٌ رحيمٌ رقيقُ القَلْبِ لكلِّ ذي قُربى ومُسْلِمٍ، وعَفيفٌ مُتعفِّفٌ / ذو عِيال » الحديثَ بطولـه تفرّد بإخراجه مسلمٌ في « صحيحه » في كتاب صفة الجنّة والنّار[3]. فمن كان له رعيّةٌ ولو شخصٌ واحدٌ فهو ذو سَلْطَنةٍ عليه، فإذا أقسطَ في حقّه أي عَدَلَ يُقال : أقسطَ إذا عَدَلَ، وقَسَطَ إذا جارَ فهو قاسِطٌ. فإذا عَدَلَ ذو سُلطان على مَن جعلَهُ الله تحت يديه وتصدَّق من مالِه ووُفِّق للخير فهو مِن أهل الجنّة، وإلاّ سُئل عنه يومَ القيامَة، في موقف الحسرة والنّدامَة.

٤٤ / أ

ثبتَ باتِّفاق أنّ رسولَ الله ﷺ قال : « كلُّكُم راعٍ وكلُّكُم مسؤولٌ عن رَعيّتِه »[4]، والرّاعي هو المُراعي لما يدخلُ تحتَ نظرِه ليحفظَهُ ويحوطَهُ ويُدَبرَ مصالحَهُ.

---

(١) البقرة : الآية ١٢٤ .

(٢) النّحل : الآية ٩٠ .

(٣) باب الصّفات التي يُعرف بها في الدّنيا أهلُ الجنّة وأهلُ النّار ٢١٩٨/١، رقم: ٦٣ .

(٤) صحيح البخاري ٦٩/٥، رقم: ٢٤٠٩، كتاب الاستقراض، باب العبدُ راعٍ في مال سيّده ولا يعمل إلاّ بإذنه، وصحيح مسلم ١٤٥٩/٣ ـ ١٩٦٠، رقم: ٢٠، كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل.

والمرادُ من الحديثِ المتّفقِ على صحّتِه تحذيرُ الوُلاةِ من التّفريطِ فيما استُرْعُوا عليه، وفي إشاعة العَدْلِ قوّةُ القَلْبِ / ولُزومُ اليقين، وأمانٌ من العَدُو بعصمة الحق المبين.

ولمّا استأذن الهُرْمُزانُ ـ بعد ما أسلمَ وكان مَلِكاً ـ على أمير المؤمنين عمر بن الخطّاب رضي الله عنه لم يجد عنده حاجباً ولا بوّاباً، فقيل له: هو في المسجد، فأتى المسجدَ فوجدهُ مُستلقياً مُتوسداً كُوماً من الحَصى ودِرَّتُه بين يديه ، فقال : « عَدلْتَ فنمتَ وأَنمْتَ ». فأمنت

وإذا قَدَّمَ مَن كان ظالماً في نفسِه فقد جاء المثلُ السّائرُ: « من استرعى الذِّئبَ ظلَمْ »[1] .

وقال حَيْوَةُ بن شُرَيْحٍ : « لّما استُخلف عمرُ بن عبد العزيز قالت رِعاءُ الشَّاء : مَن هذا العبدُ الصّالحُ الذي قام على النّاس؟ قيل: وما علمُكم بذلك؟ قالوا: إذا قام على النّاس خليفةُ عَدْلٍ كَفَّتْ الذِّئابُ عن شائنا »[2].

وكتب إليه عاملُ مدينة حمص: « إنّ مدينةَ حمص قد خَرِبَتْ فإن / رأى أميرُ المؤمنين أن يقطعَ لنا مالاً نَرُمُّها به فعلَ فقد احتاجتْ إلى الإصلاح. فكتب إليه عمرُ : أمّا بعدُ فقد فهمتُ كتابَك، فإذا قرأتَ كتابي هذا فحَصنها بالعَدْلِ، ونق طُرُقَها من الظُّلْمِ ؛ فإنّه مَرمَّتُها، والسّلام »[3]. ٤٥ /أ

---

(١) انظر مجمع الأمثال ٣٠٢/٢ للميداني .

(٢) أخرجه أخرجه الآجريُّ في أخبار أبي حفصٍ عمر ص ٥٦، وابنُ سعدٍ في الطّبقات ٣٨٦/٥ ـ ٣٨٧، وأبو نعيمٍ في حلية الأولياء ٢٥٥/٥، لكن من طريق مالك بن دينار.

(٣) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء ٣٠٥/٥ .

وثبت عن رسول الله ﷺ أنّه قال : « الظُّلْـمُ ظلمـاتٌ يـومَ القيامـة » أخرجـاه في « الصّحيحين »[١] عن ابن عمر ، وقـد أخرجـه مسـلمٌ[٢] عـن جابرٍ في حديثٍ طويلٍ.

فقولُه ﷺ : « الظُّلْمُ ظلماتٌ يومَ القيامة » يعني على أهلِه حين يسـعى نورُ المؤمنين بين أيديهم وبأيمانهم، أو يكون بمعنى الشَّدائد والأهـوال كمـا قال جلّ مِن قائلٍ: ﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ البَرِّ والبَحْرِ﴾[٣] أي من أهوالهما وشدائدهما، والعربُ تقولُ : يومٌ مُظلِمٌ أي شَديدٌ[٤]، وقـال جـلّ مِن قائلٍ: ﴿وَعَنَتِ الوُجُوهُ لِلْحَيِّ القَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْماً﴾[٥].

٤٥ / ب وفي / « صحيح مسلم »[٦] عن أبي ذرٍّ عـن رسُـول الله ﷺ عـن الله عزّ وجلّ : « يا عبادي ، إنّي حَرَّمْـتُ الظُّلْـمَ علـى نفسـي وجعلتُـه بينكـم مُحَرَّماً فلا تَظالَمُوا » الحديثَ بطُولِه .

فقولُه جلّتْ قدرتُه : « حَرَّمْتُ الظُّلْمَ على نفسي » أي تقدَّسْـتُ عنـه وتَعاليتُ، فهو محالٌ في حقِّه إذ لا يُصادِفُ لغيره مِلْكاً، ولا لأحدٍ عليه أَمْرٌ،

---

(١) صحيح البخاري ٥/١٠٠، رقم: ٢٤٤٧، كتاب المظالم، باب الظّلم ظلماتٌ يوم القيامة، وصحيح مسلم ٤/١٩٩٦، رقم: ٥٧، كتاب البرّ والصّلة والآداب، باب تحريم الظّلم.

(٢) كتاب البرّ والصّلة والآداب، باب تحريم الظّلم ، ٤/١٩٩٦ ، رقم : ٥٦ .

(٣) الأنعام : الآية ٦٣ .

(٤) هذا التّفسيرُ للظّلمات في الحديث من كلام القاضي عياض في مشارق الأنوار ١/٣٢٨.

(٥) طه : الآية ١١١ .

(٦) كتاب البرّ والصّلة والآداب، باب تحريم الظّلم ٤/١٩٩٤ ـ ١٩٩٥ ، رقم : ٥٥ .

فكأنّ الظُّلْمَ في حقّه كالشّيء المحرَّم الممنوع على النّاس، إذ لا يُتصوَّرُ في حقّه ولا يمكنُ فرضُه . وأصلُ الظُّلْمِ في اللّغة وضعُ الشّيءِ غيرَ موضعِه وأخذُه مِن غير وجهه، فكأنّ الظّالم هو الذي يُزيلُ الحقَّ عن جهته ويأخذ ما ليس له، والظّالمُ مِن قولك: ظَلَمْتُ السقَاءَ إذا شربتَه قبل أن يُدْرِكَ، وظَلَمْتُ الجَزُورَ إذا عقرتَه بغير ما علّةٍ .

وثبتَ بنقل العَدْلِ عن العَدْلِ عن عائشة أم / المؤمنين قالت : سمعتُ رسولَ ﷺ يقول - في بيتي هذا - : « اللَّهُمّ مَن وليَ مِن أمر أمّتي شيئاً فشَقَّ عليهم فاشْقُقْ عليه، ومن وليَ مِن أمر أمّتي شيئاً فرَفَقَ بهم فارفُقْ به » أخرجه مسلمٌ[1] بطُوله. ٤٦ / أ

وفي « الصّحيحين »[2] أنّ رسول الله ﷺ قال لمعاذٍ - لّما بعثهُ إلى اليمن - : « واتّق دعوةَ المظلُومِ ؛ فإنّها ليس بينها وبين الله حجابٌ » ، أي أنّها مستجابَةٌ مقبولةٌ.

وفي « الصّحيحين »[3] أيضا عن أبي موسى قال : قال رسول الله ﷺ: « إنّ الله تعالى ليُملي للظّالم فإذا أخذهُ لم يُفْلِتْهُ، ثمّ قرأ: ﴿**وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ**﴾[4] » .

---

(١) كتاب الإمارة ، باب فضيلة الإمام العادل ، ١٤٥٨/٣، رقم: ١٩ .

(٢) صحيح البخاري ٣٥٧/٣، رقم: ١٤٩٦، كتاب الزّكاة، باب أخذ الصّدقة من الأغنياء وتردّ في الفقراء حيث كانوا، وصحيح مسلم ٥٠/١، رقم: ٢٩، كتاب الإيمان، باب الدّعاء إلى الشّهادتين وشرائع الإسلام، من حديث ابن عبّاس رضي الله عنهما .

(٣) صحيح البخاري ٣٥٤/٨، رقم: ٤٦٨٦، كتاب التّفسير، باب ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾، وصحيح مسلم ١٩٩٧/٤ - ١٩٩٨، رقم: ٦١، كتاب البرّ والصّلة والآداب، باب تحريم الظّلم.

(٤) هود : الآية ١٠٢ .

وقولُه : « ليُمْلِي » أي يُؤخِّرُه ويُطيلُ مُدَّتَهُ، مَأْخُوذٌ مِن المَلْوَةِ وهي الزّمانُ الممتدُّ .

فاعتبرُوا عبادَ الله بما تَلونا عليكُم من كتاب الله العظيم، ومن السُّنّة الثّابتة / عن رسول الله عليه أشرفُ الصّلاة والتّسليم، وأنّه يُقْتَصُّ للشّاة الجَمَّاء من القَرْنَاء ، يومَ القيامة بمحضر أهل الأرض وأهل السَّمَاء . ٤٦ / ب

وقد اختلف بعضُ النّاس في حَشْرِ البهائم وفي جَرَيَانِ القصاص بينها:

فقال أبو الحسن الأشعريّ : لا تجوزُ المقاصَّةُ بين البهائمِ لأنّها غيرُ مُكَلَّفَةٍ، ولا يجري عليها القلمُ، قال: وما وردَ في ذلك من الأخبار نحو قولِه ﷺ: « يُقتصُّ للجَمَّاء من القَرْنَاء، ويُسْأَلُ العُودُ لِمَ خَدَشَ العُودَ »[1] فعلى سبيل المثل والإخبار عن شِدَّة التَّقَصِّي في الحِساب، وأنّه لا بدَّ أن يُقْتَصَّ للمظلُومِ من الظَّالمِ .

وكلامُه وساوسُ وهَذيَان، تردُّه السّنّةُ الثّابتةُ والقُرآن، وقد ردَّ عليه الأستاذُ أبو الحسن الإسفراييني فقال في « الجامع الجَليّ » : يَجْري القصاصُ بينها، ويحتملُ أنّها كانت تعقلُ هذا القَدْرَ في دار الدُّنيا / فلهذا أُجري فيها القصاصُ. ٤٧ / أ

---

(١) أخرجه عبدُ الله بن أحمد في زوائد المسند ٧٢/١، وابنُ عديٍّ في الكامل ٦٤٩/٢ واللّفظُ له، من طريق حجّاج بن نصير، ثنا شعبةُ، عن العوام بن مراحم، عن أبي عثمان النّهدي، عن عثمان قال: قال النّبيّ ﷺ: فذكره. وإسنادُه ضعيفٌ من أجل حجّاج بن نصير، غير أنّ للحديث شاهداً بنحوه عن أبي هريرة أخرجه مسلم ١٩٩٧/٤، رقم: ٦٠. وانظر الصّحيحة للعلاّمة الألباني حفظه الله تعالى رقم: ١٥٨٨. أمّا الزّيادةُ التي عند المصنّف : « ويُسألُ العُودُ لم خدش العودَ » فلم أقف عليها.

قال ذو النّسبين أيّده الله :

وكلامُه جارٍ على مُقتضى العقل والنّقل لأنّ البهيمةَ تعرفُ النّفْعَ والضَّرَّ، فتنفرُ مِن العصا، وتُقبل على العَلَفِ، وينزجرُ الكلبُ إذا زُجِر، ويستأسِدُ إذا أُشْلِي، والطّيرُ والوحوشُ تفرُّ من الجوارحِ استدفاعا لشرِّها.

فإن قيل : القصاصُ انتقامٌ وهو جزاءٌ على جنايةٍ والبهائمُ ليست بمكلَّفةٍ .

فالجوابُ أنّها ليستْ مُكلّفةً لأنّ مِن ضرورة التّكليف أن يعلمَ الرّسولَ والمُرْسِلَ، وذلك مِن خصائص العُقلاء وهُم الثّقلان، والآيةُ محمولةٌ على من يعلمُ الرّسولَ والمُرسَلَ قال الله العظيم : ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾[1]، إلاّ أنّ الله عزّ وجلّ أن يفعلَ في مُلْكِهِ ما أرادَ مِن تنعيمٍ وتعذيبٍ، كما سَلَّطَ عليهم في الدُّنيا التّسخيرَ / لبني آدم والذَّبْحَ لما يُؤكَلُ منها، فلا اعتراضَ عليه إنّه هو العزيزُ المجيدُ، يَحْكُمُ في خَلْقِه ما يشاءُ ويفعلُ في مُلكِه ما يريدُ. وأيضاً فإنّ البهائمَ إنّما تقتصُّ لبعضها من بعضٍ لا أنّها تُطالَبُ بارتكاب نَهْيٍ ولا بمخالفة أَمْرٍ ؛ لأنّ هذا ممّا خصَّ الله به العقلاءَ. ٤٧ / ب

ولمّا كثُر التّنازُعُ رجعنا إلى ما أُمرنا به ربُّنا جلّت قدرتُه وتعالت عظمتُه : ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ والرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾[2]، فوجدنا الكتابَ العزيزَ الذي ﴿لاَ يَأْتِيهِ البَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[3] يدلُّ على الإعادةِ في الجُملة قال الله العظيمُ : ﴿وَمَا

---

(١) الإسراء : الآية ١٥ .

(٢) النّساء : الآية ٥٩ .

(٣) فصّلت : الآية ٤٢ .

مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾[١]، وقال جلّ مِن قائلٍ: ﴿وَإِذَا الوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾[٢].

٤٨ / أ والحَشْرُ / في اللّغة الجَمْعُ ، قال العالِم الثّقةُ أبو الخطّاب قتادةُ بن دِعامة : حُشِرَتْ جُمِعَتْ، حكاهُ عنه المفسِّرُون[٣].

وقال أبو الحسن الواحديُّ في قوله تعالى : ﴿وَإِذَا الوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ قال : جُمِعَتْ للقِصاص[٤].

وروى أبو صالحٍ[٥] عن ابن عبّاس قال : حشرُها موتُها ، وحشرُ كلِّ شيءٍ الموتُ غيرُ الجنِّ والإنسِ فإنّهما يوقفان يومَ القيامة[٦] .

وهذا لا يصحُّ لغةً وعقلاً ونقلاً ؛ الحشرُ في اللّغة التي أنزل الله بها كتابَه الجَمْعُ[٧]، وليس في موتِها جمعُها بل فيه تفرقتُها وتفرقةُ أجزائها، وإنّما يكونُ الحشرُ إلى الله جلّ وعلا بإعادة الحياة إليها وجَمْعِها إلى ربِّها.

---

(١) الأنعام : الآية ٣٨ .

(٢) التّكوير : الآية ٥ .

(٣) كالطّبري في تفسيره ٦٧/٣٠ قال: حدّثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيدٌ، عن قتادة ﴿وَإِذَا الوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ هذه الخلائقُ مُوافيةٌ يومَ القيامة فيقضي الله فيها ما يشاء.

(٤) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ١١٧٧/٢ للواحديّ .

(٥) كذا قال ابنُ دحية ، والذي في مصادر التّخريج : عكرمة .

(٦) أخرجه ابنُ جرير في تفسيره ٦٧/٣٠ فقال : حدّثني عليُّ بن مسلمٍ الطُّوسيُّ، قال: ثنا عبّادُ بن العوّام، قال: أخبرنا حُصين، عن عكرمة، عن ابن عبّاسٍ به فذكره. وعزاهُ السّيوطيُّ في الدرّ المنثور ٥٢٦/٦ للفريابي وسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر وابن مردويه والحاكم وصحّحه.

(٧) انظر في هذا تفسير الطبريّ ٦٧/٣٠.

والسّندُ إلى ابن عبّاس ، واهٍ دون أساسٍ :

أبو صالحٍ اسمُه باذانُ بالنّون وقيل : باذامُ بالميم :

قال الحافظ أبو أحمد عبدُ الله بن عَدِيٍّ الجُرجانيُّ[1] في « تعديله وتجريحه » : أبو صالحٍ لم يلقَ ابنَ عبّاسٍ ولا رآه / ولا أعلمُ أحداً من المتقدمين رضيَهُ[2]. ٤٨ / ب

وقال أبو الفتح محمّد بن الحسين الأزديُّ الحافظُ : أبو صالح كذّابٌ[3].

وقد رواه جُويبرُ بن سعيد عن الضّحّاك عن ابن عبّاسٍ.

قال الإمامُ أحمدُ بن حنبل : لا يُشتغلُ بحديث جُويبر[4].

وقال الإمامُ يحيى بن معين : ليس بشيءٍ[5] .

---

(١) صاحبُ كتاب الكامل، توفي سنة ٣٦٥هـ، انظر سير أعلام النبلاء ١٥٤/١٦ - ١٥٦.

(٢) الذي في كامل ابن عديٍّ ٥٠٤/٢ : « باذام هذا عامّةُ ما يرويه تفاسير، وما أقلّ ما له من المسند، وهو يروي عن عليّ وابن عبّاس، وروى ابنُ أبي خالدٍ عن أبي صالحٍ هذا تفسيراً كثيراً قد زخرف في ذلك التّفسير ما لم يتابعه أهلُ التّفسير عليه، ولم أعلم أحداً من المتقدّمين رضيه »، فليس في سياق ابن عديٍّ ذِكْرُ عدم لقاء باذام لابن عبّاس أو رؤيته له، غير أنّ ذلك مذكورٌ عند ابن حبّان فقد قال في المجروحين ١٨٥/١ : « يحدِّثُ عن ابن عبّاسٍ ولم يسمع منه » .

(٣) انظر قولَ أبي الفتح الأزدي في الضّعفاء والمتروكين ١٣٥/١ لابن الجوزي .

(٤) انظر قولَ أحمد في تهذيب الكمال ١٦٩/٥، وقارن بأحوال الرّجال ص٥٥ للجوزجاني.

(٥) رواه عن ابن معينٍ عبّاس الدُّوريُّ وابنُ أبي خيثمة انظر تاريخ يحيى – رواية الدّوري ٨٩/٢، وتهذيب الكمال ١٦٩/٥ .

وقال النّسويُّ[١] والدّارقطنيُّ[٢] : جُويبر متروكٌ .

وقال أبو حاتم بن حبّان : لا يجوزُ الاحتجاجُ بحديث جُويبر إلاّ على معنى التّعريف به والقَدْحِ فيه[٣].

ولا يصحُّ عن الضّحّاك ، والضّحّاكُ هو ابنُ مُزاحِم ضعيفٌ عند أكثر العلماء[٤]، كان شعبةُ لا يحدِّثُ عنه، وينكرُ أن يكونَ لقي ابنَ عبّاس، وضعّفهُ النّاقدُ يحيى بن سعيد القطّان[٥] .

وقال أبو المنذر أبو الطّفيل أبيُّ بن كعب بن قيس النّجّاريُّ صاحبُ رسول الله ﷺ، ـ وكان من المهاجرين الأوّلين السّابقين إلى الدّين، شهدَ

(١) وفي موضعٍ آخر قال النّسائيُّ: ليس بثقةٍ، انظر تهذيب الكمال ١٧٠/٥، وضعفاء النّسائي رقم: ٢٨.

(٢) الضّعفاء والمتروكون رقم : ١٤٧ للدّارقطني ، وميزان الاعتدال ٤٢٧/١ .

(٣) لم أقف على قول ابن حبّان هذا لا في المجروحين ولا في المصادر الأخرى التي ترجمت لجويبر.

(٤) بل العكس هو الصّحيح فقد قال فيه أحمد بن حنبل: ثقةٌ مأمونٌ، وقال ابن معين وأبو زرعة: ثقةٌ، وكذا قال العجليُّ والدّارقطنيُّ، وذكره ابنُ حبّان في الثّقات، وقال فيه ابنُ حجر: صدوق كثيرُ الإرسال، وعدمُ سماع الضّحّاك من ابن عبّاس هو كذلك بل ذكر ذلك هو عن نفسه، انظر تهذيب الكمال ٢٩٣ ـ ٢٩٤، وتهذيب التّهذيب ٤٥٤/٤، والثّقات ٤٨٠/٦ ـ ٤٨١ لابن حبّان.

(٥) أخرج العقيليُّ في الضّعفاء ٢١٨/٢ وابنُ عديٍّ في الكامل ١٤١٤/٤، ١٤١٥ من طريق عليّ بن عبد الله المدينيّ عن يحيى بن سعيد القطّان قال: كان شعبةُ ينكرُ أن يكون الضّحّاكُ بن مزاحمٍ لقي ابنَ عبّاسٍ قطّ، قال يحيى: وكان الضّحّاك بن مزاحم عندنا ضعيفاً، وانظر تهذيب الكمال ٢٩٤/١٣.

العَقَبَةَ الثّانيةَ، وبايعَ النّبيَّ ﷺ / فيها، وشهدَ بَدْراً وقد غفر ا للهُ لمن شهدها، ٤٩ / أ
وكان أقرأَ الصّحابة لكتاب ا لله عزّ وجلّ ومن كبار فقهائهم ـ قال :
﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾[1] قال : اختلطتْ[2].

يعني جميعَ الوحوش على اختلاف أجناسها لا ينفر بعضُهم من بعض، وذلك في يوم الجَزاء والعَرْض .

والصَّحابيُّ الذي شهدَ نُزولَ الوحيِ على رسول ا لله ﷺ يجبُ الاعتمادُ على تفسيره، مع أنّ الكتابَ العزيزَ والسُّنّةَ الثّابتةَ واللُّغةَ نطقت بذلِك ، وأوضحت الطّرقَ والمسالِكَ .

قال ا للهُ العظيمُ : ﴿قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾[3] أي أخِّر موسى وأخاه هارون وابعَث في بلادِك مَن يجمَعُ لك كلَّ سحَّارٍ عليمٍ، قال ا للهُ العظيمُ: ﴿فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ﴾[4] .

وثبتَ في « الصّحيحين » عن رسول ا لله ﷺ أنّه قال: « يُحشر النّاسُ / على ثلاث طرائقَ: راغبين راهبين، واثنان على بعيرٍ، وثلاثةٌ على بعيرٍ، ٤٩ / ب وأربعةٌ على بعيرٍ، وعشرةٌ على بعيرٍ، وتَحشرُ بقيّتَهم النّارُ، تَقيلُ معهم

---

(١) التّكوير : الآية ٥ .

(٢) أخرجه الطبريُّ في تفسيره ٦٧/٣٠ فقال : حدّثنا الحسينُ بن حريثٍ، قال: ثنا الفضلُ بن موسى، عن الحسين بن واقدٍ، عن الرّبيع بن أنسٍ، عن أبي العالية، قال: ثني أُبيُّ بن كعبٍ به فذكره.

(٣) الأعراف : الآية ١١١ ، وتمامها : ﴿وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾ .

(٤) الشّعراء : الآية ٣٨ .

حيث قَالُوا، وتَبيتُ معهم حيث بَاتُوا، وتُصبح معهم حيث أصبحُوا، وتُمْسِي معهم حيث أَمْسَوا » .

هذا صحيحٌ باتّفاق، وبهذا النّصّ أخرجه البخاريُّ في كتاب الرّقاق[1] قال : حدّثنا مُعَلّى بن أسدٍ، قال: حدّثنا وهيبٌ، عن ابن طاووس، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، عن النّبيّ ﷺ .

وأخرجه مسلم[2] من طريق عبد الله بن طاووس، عن أبيه، عن أبي هريرة ، عن النّبيّ ﷺ .

فقولُه ﷺ : « راغبين » أي طالبين طامعين راجين .

و« راهبين » أي خائفين فزعين[3] .

وهذا كلُّه إخْرَاجٌ وجَمْعٌ وسَوْقٌ لا موتٌ وفَوْتٌ .

٥٠/أ والسُّنّةُ الثّابتةُ هي المبينةُ للقرآن قال الله / العظيم : ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[4]، فدلَّ هذا الحديثُ المجمَعُ على صحّتِه من حيث منطوقُه المنصوصُ على حَشْرِ البُعْران مع النّاس.

وحدّثنا القاضي أبو الفتح محمّدُ بن أحمد المندائيُّ بقراءتي عليه بواسط العراق، قال: حدّثنا الرّئيسُ الثّقةُ أبو القاسم ابن الحُصَين سماعاً عليه ، قال:

---

(١) باب الحشر ، ٣٧٧/١١ ، رقم : ٦٥٢٢ .

(٢) كتاب الجنّة وصفة نعيمها وأهلها، باب فناء الدّنيا وبيان الحشر يوم القيامة، ٢١٩٥/٤، رقم: ٥٩.

(٣) انظر مشارق الأنوار ٢٩٥/١ .

(٤) النّحل : الآية ٤٤ .

أخبرنا الثِّقةُ أبو عليٍّ الحسنُ بن عليٍّ التّميميُّ[١] قراءةً عليه ، قال : أخبرنا الثّقةُ أبو بكر أحمدُ بن جعفر القَطيعيُّ قراءةً عليه، قال : حدّثنا الإمامُ أبو عبد الرّحمن عبدُ الله سماعاً عليه، قال : سمعتُ أبي الإمامُ أبو عبد الله أحمدُ ابن محمّد بن حنبلٍ يقول : حدّثنا عبدُ الصَّمد، قال : حدّثنا حَمَّادٌ، عن واصلٍ، عن يحيى بن عُقيلٍ، عن أبي هريرة ، أنّ رسولَ الله ﷺ قال :

« يُقتصُّ للخَلْقِ بعضِهم من بعضٍ حتّى للجَمَّاء من القَرْناء حتّى للذَّرَّةِ من الذَّرَّةِ »[٢] .

قال ذو النّسبين أيّده الله : / هذا سندٌ صحيحٌ . ٥٠ / ب

عبدُ الصّمدُ : هو ابنُ عبد الوارث بن سعيد ثقةٌ عَدْلٌ مخــرَّجٌ عنه في « الصّحيحين »[٣] .

وحمّادٌ : هو ابنُ زيدِ بن دِرْهَم أبو إسماعيل الأزرقُ إمامٌ فقيهٌ عَدْلٌ متّفقٌ على الإخراجِ عنه[٤] .

---

(١) هو أبو عليّ ابن المُذْهِبُ راوي المسند عن القطيعيّ، وقد سمّاه كذلك ابنُ دحية كما تقدّم، وهنا يُسمّيه: أبو عليّ الحسن بن عليّ التّميميّ، إغراباً منه رحمة الله عليه .

(٢) مسند أحمد ٢/٣٦٣ مع اختلافٍ يسير، وسياقُ ابن دحية موافقٌ لسياق ابن حجر في إطْراف المسنِد المعتلي بأطراف المسنَد الحنبلي ٨/٩٦، رقم: ١٠٥٠٧.

(٣) انظر تسمية من أخرجهم البخاريُّ ومسلم وما انفرد به كلٌّ واحدٍ منهما رقم: ١٠٧٢ للحاكم، وتهذيب الكمال ١٨/٩٩ ـ ١٠٢.

(٤) انظر تسمية من أخرجهم البخاريُّ ومسلم وما انفرد به كلٌّ واحدٍ منهما رقم: ٢٩٧ للحاكم، وتهذيب الكمال ٣٠/٤٠٩ .

وواصلٌ : هو مولى أبي عيينة[١] بـن المُهَلَّبِ بن أبي صُفْرَةَ بصريٌّ ثقةٌ[٢]، روى عنه العلماءُ كحمّادِ بن زيدٍ ومَهْدِيُّ بـن ميمونٍ وهشام بن حسَّان، وقد أخرج عنه مسلم في « صحيحه »[٣] .

ويحيى بن عقيلٍ : هو الخزاعيُّ بصريٌّ ثقةٌ قاله مسلم بن الحجّاج[٤]، وأخرج عنه في « صحيحه »[٥]، نزلَ مَـرْوَ وروى بها عن الصَّحابة: عن عبد الله بن أبي أوفى وأنس بن مالك وأبي هريرة[٦].

والذَّرَّةُ : النَّملةُ الصّغيرة .

فإذا كانت البهائمُ والذَّرُّ يُقتَصُّ منها ، فكيفَ يغفلُ الغافلُ عنها.

وقد أخرجَ مسلمٌ[٧] هذا الحديثَ من طريق العلاء ، عن أبيه، عن أبي هريرة، عن رسول الله صلّى / الله عليه وسلّم أنه قال : ٥١ / أ

---

(١) اسمُ أبي عيينة عَزْرَة ، انظر تهذيب الكمال ٤١٠/٣٠.

(٢) انظر تهذيب الكمال ٤١٠/٣٠ .

(٣) انظر رجال صحيح مسلم ٣٠٤/٢ ـ ٣٠٥، وتهذيب الكمال ٤٠٨/٣٠ ـ ٤١٠.

(٤) لم أقف على قول مسلمٍ رحمه الله، وقد قال ابنُ معينٍ في يحيى بن عقيلٍ هذا: ليس به بأسٌ، وذكره ابنُ حبّان في الثّقات، وقال عنه ابنُ حجر: صدوقٌ. انظر الجرح والتّعديل ١٧٦/٩، وتاريخ أسماء لابن شاهين رقم: ١٦١٨، والثّقات لابن حبّان ٥٢٨/٥، وتهذيب الكمال ٤٧٣/٣١، وتهذيب التّهذيب ٢٥٩/١١.

(٥) انظر رجال صحيح مسلم لابن منجويه رقم : ١٨٤٨ .

(٦) انظر تهذيب الكمال ٤٧٣/٣١ لكن لم يذكر المزّيُّ أبا هريرة في جملة من روى عنه ابنُ عقيلٍ .

(٧) في صحيحه ١٩٩٧/٤، رقم: ٦٠، كتاب البرّ والصّلة والآداب، باب تحريم الظّلم .

« لَتُؤَدُّنَّ الحقوقَ إلى أهلِها يومَ القيامة حتّى يُقادَ للشّاة الجَلْحَاءِ من الشّاة القَرْنَاءِ » . زادَ الإمامُ أحمدُ في « مسنده » أيضاً : حدّثنا ابنُ أبي عَديٍّ، عن شعبة، عن العلاء ومحمّد بن جعفر، قال : حدّثنا شعبةُ، قال: سمعتُ العلاءَ يحدث عن أبيه، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ :

« لَتُؤَدُّنَّ الحقوقَ إلى أهلِها يومَ القيامة حتّى يُقَصَّ للشّاة الجَمَّاءِ من الشّاة القَرْنَاءِ نَطحتْها » .

وقال ابنُ جعفر ـ يعني في حديثه ـ : « حتّى يُقادَ للشّاة الجَلْحَاءِ من القَرْنَاءِ نَطحتْها » .

قال أبو عبد الرّحمن : سألتُ أبي عن العلاء بن عبد الرّحمن عن أبيه وسُهيل عن أبيه ؟ قال : لم أسمع أحداً ذكرَ العَلاءَ إلاّ بخيرٍ، وقدَّم أبا صالحٍ على العلاء[1] .

الجَلْحَاءُ في اللُّغة التي لا قُرونَ لها[2]، والجَمَّاءُ التي لا قَرْنَي[3] لها، والذّكَرُ أقْرَنُ وأَجَمُّ، والشّقَحْطَبُ الكبشُ / له أربعةُ قُرونٍ .

٥١ / ب

قرأْتُه في « كتاب التّلخيص »[4] للُّغويّ أبي هلالٍ الحَسن بن عبد الله

---

(١) انظر العلل ومعرفة الرّجال ١٩/٢ للإمام أحمد، والجرح والتّعديل ٣٥٧/٦ لابن أبي حاتم، وفيهما « بسوءٍ » بدل « إلاّ بخيرٍ » .

(٢) انظر مشارق الأنوار ١٤٩/١ .

(٣) في التّلخيص : لا قرنَ .

(٤) التّلخيص في معرفة أسماء الأشياء ٦٣٣/٢ لأبي هلالٍ العسكري لكن دون جملة : « الجَلْحَاءُ في اللّغة التي لا قُرونَ لها ».

ابن سهل العسكريّ[1]، وقد رُوي : « لَتُؤَدَّيَــنَّ » بزيـادة يـاءٍ مفتوحـةٍ قبـل النّون وهو الفصيحُ .

وكان أبو الحسن الأشْعَرِيُّ[2] لا يقطعُ بإعادة البهائم والمجانين ومن لم تبلغه الدَّعوةُ، ويردُّ قولَه الكتابُ والسُّنّةُ[3] .

ثبتَ بإجماعٍ عن رسول الله ﷺ أنّه قال :

« ما مِن صاحبِ ذهبٍ ولا فضّةٍ لا يُؤدِّي منها حقَّها إلاّ إذا كان يومَ القيامة صُفِّحَتْ له صفائحُ من نارٍ، فأُحميَ عليها في نار جهنّم، فيُكْوَى بهـا جنبُه وجبينُه وظَهْرُه، كلَّما بردتْ[4] أُعيدتْ له في يومٍ كان مقدارُه خمسينَ ألفَ سنةٍ حتّى يُقْضَى بين العبادِ، فيُرَى سبيلَه إمّا إلى الجنّـة وإمّـا إلى النّـار. قيل : يا رسولَ الله، فالإبلُ ؟ قال : ولا صاحبُ إبلٍ لا يُؤدِّي منها حَقَّها، ومِن حقِّها حَلَبُها يومَ وِرْدِها، إلاّ إذا / كان يومَ القيامةِ بُطِحَ لها بقاعٍ قَرْقَـرٍ أَوْفَـرَ مـا كـانتْ، لا يفقِـدُ منهـا فَصيـلاً واحـداً، تطـؤُه بأخْفَافِهـا وتعَضُّـه ٥٢/أ

---

(١) اللّغويُّ الأديبُ ، توفّي بعد سنة ٣٩٥هـ، انظر معجم الأدباء ٨/٢٥٨ ـ ٢٦٧.

(٢) أبو الحسن عليُّ بن إسماعيل الأشعريُّ اليمانيُّ البصريُّ، مؤسِّسُ مذهـب الأشـاعرة، تـوفي سنة ٣٢٤هـ. وقد رجع في آخر حياته إلى مذهب السّلف الصّالح وألّـف كتابـه المشـهور الإبانة، وقد حققّه شيخُنا حمّادُ بن محمّد الأنصاريُّ رحمه الله، وقدّم له بمقدّمةٍ نفيسةٍ أبان فيها الأحوال التي مرّ بها أبو الحسن واستقراره أخيراً على مذهب السّلف.

(٣) انظر مبحثا نافعاً حول مسألة حشر البهائم ووقوع الاقتصاص بينها في سلسلة الأحاديث الصّحيحة ٤/٦٠٨ ـ ٦١٤ للعلاّمة الألباني حفظه الله تعالى.

(٤) أشار في الأصل أنّه في نسخةٍ : ردّت .

بأفْواهِها، كلّما مرَّ عليها أُولاهــا رُدَّ عليهــا أُخراهــا، في يـومٍ كـان مقـدارُه خمسين ألفَ سنةٍ، حتّى يُقْضَى بين العبادِ، فيُرَى سبيلَه إمّا إلى الجنّة وإمّا إلى النّار، قيل: يا رسولَ الله، فالبقرُ والغنمُ؟ قال: ولا صاحبُ بقرٍ ولا غنمٍ لا يُؤدي منها حقَّها إلاّ إذا كان يومَ القيامة بُطح لها بقاعٍ قَرْقَرٍ لا يفقِـدُ منهـا شيئاً ليس فيهـا عَقْصَـاءُ ولا جَلْحَـاءُ ولا عَضْبَـاءُ، تَنطَحُـه بقُرونِهـا وتَطَـؤُه بأظْلافِها، كلّما مـرَّ عليـه أُولاهـا رُدَّ عليـه أُخراهـا، في يـومٍ كـان مقـدارُه خمسين ألفَ سنةٍ، حتّى يُقْضَى بين العبادِ، فيُرَى سبيلَه إمّا إلى الجنّةِ وإمّا إلى النّارِ » الحديثَ بطُولِه .

وهذا نصُّ « صحيح مسلم » في كتاب الزّكاة(١) : وحدّثني سُويدُ بن سعيدٍ / قال : حدّثنا حفص ـ يعني ابـنَ مَيسـرة الصّنعـانيُّ ـ عـن زيـد بـن أسلم، أنّ أبا صالحٍ ذَكوان أخبرهُ ، أنّه سمع أبا هريـرة يقـول : قـال رسـول الله ﷺ . ٥٢ / ب

ونصُّ « صحيح البخاريّ » في كتاب الزّكاة أيضاً : حدّثنا الحَكَمُ بـن نافعٍ ، قال : أخبرنا شُعيب ، أخبرنا أبو الزناد ، أنّ عبدَ الرّحمـن بـن هُرْمُـز الأعرجَ حدّثهُ أنّه سمع أبا هريرة يقول : قال النّبيُّ ﷺ :

« تأتي الإبلُ على صاحبها على خير ما كـانت إذا هـو لم يُعـط فيهـا حقَّها، تطؤُه بأخْفافِها، وتأتي الغنمُ على صاحبِها على خير ما كانت إذا لم يُعْطِ فيها حقَّها تَطـؤُه بأظْلافِهـا وتَنطحُـه بقُرونِهـا، قـال: ومِـن حقِّهـا أن

(١) باب إثم مانع الزّكاة ١/٦٨٠ ـ ٦٨١ ، رقم : ٢٤ .

يُعْطِ فيها حقَّها تَطؤُه بأظْلافِها وتنطحُه بقُرونِها، قال: ومِن حقِّها أن تُحْلَبَ على الماء، قال: ولا يأتي أحدُكم يومَ القيامة بشاةٍ يحملُها على رقبتِه لها ثُغاءٌ(١) فيقول : يا محمّد، فأقولُ : لا أملكُ لك شيئاً قد بَلَّغْتُ، ولا يأتي ببعيرٍ يحملُه على رقبتِه له رُغَاءٌ فيقولُ : يا محمّد ، فأقول : لا أملكُ لك من الله شيئاً قد بلّغتُ » .

٥٣/أ / ولهذه الأحاديثِ الصِّحاحِ طرقٌ كثيرةٌ في المسندات والمصنّفَات، عن الثّقات الأثبَات.

فقولُه ﷺ : « بُطِحَ لها » :

البَطْحُ : البسطُ، فبُطِح : بُسط .

والقاعُ : نحوٌ من القَرْقَرِ .

والقَرْقَرُ : الأرضُ المستوية .

فمعناه أنّ صاحبَها يُلْقَى على وجهه، كذا فسّره أبو عبيدٍ الهرويُّ(٢).

وفي بعض طُرق هذا الحديث: « تَخبِطُ وجهَهُ بأخفَافِها »، وهذا يدلُّ على أنّ بَطْحَهُ على ظَهْرِه ، والبَطْحُ : البَسْطُ كيف كان لتَدْرسَهُ بمستوى من الأرض خالٍ(٣) .

وقولُه ﷺ : « أوفرَ ما كانت » أي تامّة غير ناقصةٍ ، قال الله العظيم ـ يُخاطب الشّيطان الرّجيم ـ: ﴿قَالَ اذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ

---

(١) أشار في الهامش أنّه في نسخةٍ : يعارٌ .

(٢) في الأصل : أبو عبيدة الهرويُّ ، والصّوابُ المثبت ، وهو العلاّمةُ اللّغويُّ أحمدُ بن محمّد الهرويُّ الشّافعيُّ صاحبُ الغريبين، توفي سنة ٤٠١هـ ، انظر السّير ١٤٦/١٧ ـ ١٤٧.
وكلامُه هذا مذكورٌ في كتابه الغريبين ـ تحقيق المزيدي ١٨٨/١.

(٣) انظر مشارق الأنوار ٨٧/١ .

جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُوراً﴾[١] أي تامّاً غيرَ ناقصٍ، والوَفْرُ: المالُ الكثيرُ[٢]، فتطؤُه بأخْفَافِها إلى آخر الحديث.

وقولُه ﷺ : « ومِن حقِّها حَلَبُها يومَ وِرْدِها » ، / قيّدناهُ « حَلْبُها » ٥٣ / ب بإسكان اللاّم اسمُ الفِعْلِ، وذكرهُ أبو عبيدٍ بفتح اللاّم وكلاهُما صحيحٌ عند اللُّغويين، وعند النُّحاة بفتح اللاّم في قولهم : « احْلُبْ حَلَباً لك شَطْرُه » ، وقد يكونُ الحَلْبُ هو المَحْلُوبُ وهو اللَّبَنُ ، وروايةُ البخاريّ : « ومِن حقِّها أن تُحْلَبَ على الماء » ، وإنّما ذلك لأجل المحتاجين النّازلين حول الماء ممّن لا لبنَ له فيُواسيهم من له اللَّبَنُ .

ويومُ وِردِها : هو اليومُ الذي تَرِدُ فيه الماءَ .

وقد صحّفه الدّاوديُّ[٣] وقال : يُروى : « أن تُجْلَبَ » بالجيم[٤] .

وقولُه ﷺ : « ليس فيها عَقْصَاءُ » وهي الملتويةُ القَرنين[٥].

« ولا جَلْحَاءُ » : وهي الجَمَّاءُ التي لا قَرْنَ لها[٦] .

« ولا عَضْبَاءُ » : وهي المكسورةُ القَرْنين يعني أنّها تكونُ صحيحةَ الأطراف أوفرَ ما كانت قُوّةً وسِمَناً[٧].

---

(١) الإسراء : الآية ٦٣ .

(٢) انظر مشارق الأنوار ٢/٢٩٢ .

(٣) أبو جعفر أحمد بن نصر الدّاوديُّ شارحُ الموطّأ، توفي سنة ٤٠٢هـ، انظر الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب ص ٣٥ لابن فرحون .

(٤) كلُّ هذا أخذه ابنُ دحية من مشارق الأنوار ١/١٩٤ مع تصرّفٍ يسيرٍ !

(٥) انظر مشارق الأنوار ١/١٩٤ .

(٦) المصدر نفسه ١/١٤٩ .

(٧) المصدر نفسه ١/٩٤ .

وقولُه ﷺ : « بشاةٍ يحمِلُها على رقبتِه لها ثُغَاءٌ » على رواية المستمليّ والكُشْمِيهنيّ[١].

١/٥٤ فالثُّغاءُ : صوتُ الشّاةِ بضمّ الثّاء / وفتح الغَين المعجمة ومَدها وألفٍ أمامَها .

وفي رواية الحمويّ[٢] : « يُعَارٌ » ، اليُعَارُ : صياحُ الشّاةِ الشديدُ قال الشّاعر :

كأنّهمُ إذا فكّرتَ فيهِم ... تُيُوسٌ بالشُّكَاعِ لها يُعَارُ

واليَعْرُ : الجَدْيُ ، وقال الخليل[٣] : اليَعْرَةُ الشّاةُ .

وقد رُوي « يعَارٌ » بفتحِ الياء وضمها وهو صوتُ المعزِ كما قدّمناهُ.

والرُّغاءُ : أصواتُ الإبل إذا ضجّت يُقال : رَغَت الإبلُ تَرْغُو[٤] .

وأمّا قولُه ﷺ : « في يومٍ كان مقدارُه خمسينَ ألفَ سنةٍ حتّى يُقضى بين العباد » ؛ فأعلى ما قيل في ذلك قولُ ابن عبّاس تَرْجُمان القرآن رضي

---

(١) يعني كلمة « ثُغاء » ، وقد عزاهُ للمستملي والكشميهني الحافظُ ابن حجر في فتح الباري ٣/٢٦٩ وقال: « ورجّحه ابنُ التّين، وهو صياحُ الغنم، وحكى ابنُ التّين عن القزّاز أنّه رواه: تعار ، بمثنّاةٍ ومهملةٍ ، وليس بشيءٍ » . والمستملي هو أبو إسحاق إبراهيمُ بن أحمد البلخيُّ راوي الصّحيح عن الفربريّ، توفي سنة ٣٧٦هـ. والكُشميهنيُّ هو أبو الهيثم محمّدُ ابن مكّي المروزيُّ، راوي الصّحيح أيضاً عن الفربريّ، توفي سنة ٣٨٩هـ، انظر سير أعلام النبلاء ١٦/٤٩٢، ٤٩١ - ٤٩٢.

(٢) هو أبو محمّد عبدُ الله بن أحمد بن حَمُّويه السّرخسيُّ تقدّم.

(٣) أبو عبد الرّحمن الخليلُ بن أحمد الفراهيديُّ منشيءُ علم العروض .

(٤) انظر مشارق الأنوار ١/٢٩٥ ، والنّهاية ٢/٢٤٠ .

ا لله عنه أنّه يومُ القيامة، وأنّ المعنى مقدارُ محاسبةِ ا للهِ الخَلْقَ فيه، وإثابةُ ا لله ومعاتبتُه إيّاهم مقدار ذلك خمسون ألف سنةٍ لو كان غيرُ ا للهِ المحاسِبَ، حكاه النّحويُّ الفاضلُ أبو الحسن عليُّ بن إبراهيم الحوفيُّ .

ففي ذلك اليومِ إظهارُ قدرة ربٍّ / العالمين، في محاسبة الأوّلين ٥٤/ب والآخرين، كما قال في كتابه المبين: ﴿**ثُمَّ رُدُّوا إِلَى ا للهِ مَوْلاَهُم الحَق أَلاَ لَهُ الحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الحَاسِبِينَ**﴾[1] ، أي أسرعُ من حَسَبَ عَدَدَكُم وأعمالَكُم وآجالَكُم وغيرَ ذلك مِن أموركم؛ لأنّه لا يحسب بعَقْدٍ ولكنّه يعلمُ ذلك ولا تخفى عليه منه خافيةٌ، ﴿**لاَ يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ وَلاَ أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلاَ أَكْبَرُ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ**﴾[2].

وإنّما رُفع القلمُ عن البهائم في الأحكام وإلاّ فهي تعلمُ وتحذرُ من قيام السّاعة ما لا يحذرُه ويعلمُه جميعُ بني آدم كما حدّثني جماعةٌ من الخُراسانيين منهم الشّيخُ الصالحُ أبو الحسن عبدُ الرّحيم بن عبد الرّحمن بن أبي الحسن بن أحمد الجرجانيُّ الشَّعْرِيُّ قراءةً منّي عليه بنيسابور، قال: حدّثنا فقيهُ الحرمين أبو عبد ا لله محمّد بن الفضل الفُراويُّ / سماعاً عليه، ٥٥/أ قال: أخبرنا الشّيخُ أبو حامدٍ أحمدُ بن الحسن الأزهريّ[3] سماعاً عليه، قال: أخبرنا أبو محمّد الحسنُ بن أحمد المَخْلَدِيُّ، قال: أخبرنا الإمامُ أبو العبّاس

---

(١) الأنعام : الآية ٦٢ .

(٢) سبإ : الآية ٣ .

(٣) النّيسابوريُّ الشُّروطيُّ، توفي سنة ٤٦٣هـ، انظر سير أعلام النبلاء ١٨/٢٥٤ ـ ٢٥٥.

محمّد بن إسحاق بن إبراهيم الثّقفيُّ السّرّاجُ قراءةً عليه، قال: حدّثنا قتيبةُ ابن سعيد، قال: حدّثنا المغيرةُ ـ هو ابنُ عبد الرّحمن يعني الحزاميَّ ـ، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة، أنّ النّبيّ ﷺ قال:

« خيرُ يومٍ طلعت عليه الشّمسُ يومُ الجمعة؛ فيه خُلق آدمُ، وفيه أُدخل الجنّةَ، وفيه أُخرج منها، ولا تقومُ السّاعةُ إلاّ في يوم الجمعة ».

كذا أخرجه مسلمٌ في « صحيحه »[1] عن قتيبة، وأخرجه مالكٌ على الكمال والتّمام، أخبرنا بذلك النّبيُّ المعصومُ ﷺ، كما حدّثني جماعةٌ من شُيوخي رحمهم الله منهم الفقيهُ الفاضلُ أبو الحسن عليُّ بن الحسين[2] بمنزله بمدينة فاسٍ / سنةَ ثلاثٍ وسبعين[3] وفيها مات رحمه الله، ومولده سنةَ تسعٍ وسبعين وأربعمائة، قال: أخبرنا الثّقةُ أبو عبد الله أحمدُ بن محمّد ابن عبد الله بن عبد الرّحمن بن غَلْبُون الخَوْلاَنِيُّ سنةَ إحدى وخمسمائة. ٥٥ / ب

وقرأتُ على القاضي بسبتةَ الفقيهِ أبي عبد الله محمّد بن سعيد بن زَرْقُون[4] بحق إجازته من الخَوْلاَنيّ المذكور آنفاً[5]، قال: أخبرنا الفقيهُ

---

(١) كتاب الجمعة، باب فضل يوم الجمعة، ٢/٥٨٥، رقم: ١٨.

(٢) القاضي أبو الحسن عليُّ بن الحسين بن عليّ اللّواتي، من شيوخ ابن دحية، وقد حدّث عنه بموطّأ مالكٍ، وسندُه في ذلك ما أورده هنا، توفي سنة ٥٧٣هـ، انظر تكملة ابن الأبّار ٣/٢٤٤، وصلة ابن الزّبير ٤/١٥٦ ـ ١٥٧، والمطرب ص ١٥٤ لابن دحية.

(٣) أي وخمسمائة، وعمرُ ابن دحية حينئذٍ سبعٌ وعشرون عاماً.

(٤) الشّيخُ الفقيه الإمامُ المقرئُ، من شيوخ ابن دحية وأخيه عثمان، توفي سنة ٥٨٦هـ.

(٥) وكانت إجازةُ الخولاني لابن زرقون سنة ٥٠٢هـ وهي سنةُ ولادتِه، انظر السّير ٢١/١٤٧.

أبو عمرو[١] .

وأخبرنا الفقيهُ أبو الحسن ابن الحسين[٢] ، قال : أخبرنا الثِّقةُ أبو عبد الله أحمدُ بن محمّد[٣] سنةَ إحدى وخمسمائة، قال: أخبرنا الفقيهُ أبو عمرو عثمانُ بن أحمد القَيْشُطَالِيُّ[٤] سماعاً عليه لجميع « الموطّأ »، والشّيخُ الفقيهُ قاضي القُضاة بقرطبةَ أبو الوليد يونسُ بن عبد الله بن مُغيثٍ[٥] إجازةً، قال: حدّثنا الفقيهُ أبو عيسى يحيى بن عبد الله[٦] سماعاً عليه، قال: حدّثنا عمُّ أبي الفقيهُ أبو مروانَ عبيدُ الله بن يحيى[٧] سماعاً عليه / قال: حدّثني أبي الفقيهُ أبو محمّد يحيى بن يحيى[٨]، قال: عرضتُ على إمام دار

٥٦ / أ

(١) عثمان بن أحمد القيشطاليُّ وسيأتي .

(٢) هو شيخُه اللّواتي المتقدّم .

(٣) الخولانيُّ وقد تقدّم .

(٤) المحدِّثُ الثّقةُ أبو عمرو عثمانُ بن أحمد بن محمّد المعافريُّ القرطبيُّ القَيْشُطاليُّ ـ بشينٍ مَشوبةٍ بجيمٍ ـ، توفي سنة ٤٣١هـ، انظر سير أعلام النبلاء ١٧/٥١٠ ـ ٥١١.

(٥) شيخُ الأندلس، سمع الموطّأ على أبي عيسى اللّيثيّ بالإسناد المذكور هنا، توفي سنة ٤٢٩هـ، انظر سير أعلام النبلاء ١٧/٥٦٩ ـ ٥٧٠.

(٦) مسندُ الأندلس أبو عيسى يحيى بن عبد الله بن يحيى بن يحيى اللّيثيّ، راوي الموطّأ عن عمِّ أبيه، طال عمرُه وتفرّد بعلوِّ الموطّأ، توفي سنة ٣٦٧هـ، انظر السِّير ١٦/٢٦٧ ـ ٢٦٨.

(٧) الإمامُ المعمَّرُ أبو مروان اللّيثيّ، روى عن والده يحيى بن يحيى اللّيثيّ الموطّأ، توفي سنة ٢٩٨هـ، انظر سير أعلام النبلاء ١٣/٥٣١ ـ ٥٣٣.

(٨) اللّيثيّ الأندلسيُّ القرطبيُّ ، أحدُ رواة الموطّأ عن الإمام مالك، توفي سنة ٢٣٤هـ، انظر سير أعلام النبلاء ١٠/٥١٩ ـ ٥٢٥.

الهجرة أبي عبد الله مالك بن أنسٍ، عن يزيدَ بن عبد الله بن الهادِ، عن محمّد بن إبراهيم بن الحارث التَّيْمِيّ ، عن أبي سلمة بن عبد الرّحمن ، عن أبي هريرة أنّه قال :

« خرجتُ إلى الطُّور فلقيتُ كعبَ الأحْبَار، فجلسْتُ معه فحدَّثني عن التّوراة وحدّثتُه عن رسُول الله ﷺ، فكان فيما حدّثتُه أن قلتُ: قال رسول الله ﷺ: خيرُ يومٍ طلعتْ عليه الشّمسُ يومُ الجمعة؛ فيه خُلق آدم، وفيه أُهبط، وفيه تيبَ عليه، وفيه مات، وفيه تقومُ السّاعةُ، وما مِن دابّةٍ إلاّ وهي مُصيخَةٌ يومَ الجمعة، مِن حينِ تُصبحُ حتّى تطلُعَ الشّمسُ شَفَقاً من السّاعة إلاّ الجنُّ والإنسُ، وفيه ساعةٌ لا يُصادِفُها عبدٌ مسلمٌ ـ وهو يُصلّي يسألُ الله شيئاً ـ إلاّ أعطاهُ إيّاه » .

٥٦ / ب الحديثَ / بطُوله في « الموطّأ »[١] ، وقد تكلّمنا عليه بما لم يَسبقنا أحدٌ والحمدُ لله إليه في كتابنا المسمّى بـ « العَلَم المشهور »[٢] .

وفيه من الفقه دليلٌ على أنّ الأيّامَ بعضُها أفضلُ من بعضٍ، وهذا لا يُدْرَكُ بقياسٍ ولا يُعرَفُ إلاّ بتوقيفٍ من رسول الله ﷺ .

وفيه أيضاً من الفقه دليلٌ على أنّ الإنسَ والجنَّ لا يعلمُون من معنى السّاعة ما يعرفُ غيرُهم من الدَّوابِّ.

وهو جمعُ دابّةٍ اسمٌ موضوعٌ لكلِّ ما دبَّ ثمّ غلبَ عليه عُرْفُ الاستعمال في نوعٍ من الحيوان دون غيرِه .

---

(١) كتاب الجمعة ، باب ما جاء في السّاعة التي في يوم الجمعة ، ١/١٠٨ ـ ١٠٩، رقم: ١٦.

(٢) العلم المشهور في فضائل الأيّام والشُّهور ل ٤٩ أ ـ ٥٥ ب .

وأصلُ الإصاخة في اللُّغة الاستماعُ[1] قال الشّاعر :

وحديثُها كالقَطْرِ يَسْمَعُـــهُ   رَاعِي سِنِينَ تتابَعَتْ جَدْبَا

فَيَصِيخُ يَرْجُو أن يَكُونَ حَيًّا   ويقـــولُ مِنْ فَرَحٍ أَيَا رَبَّا[2]

أنشده النّحويُّون في فصلٍ في باب النِّداء .

فالإصاخةُ / في الحديثِ الكريمِ للبهائمِ ترقُّباً للسّاعةِ التي تقومُ في يـومِ ٥٧ / أ الجمعة إصاخةَ حذرٍ وإشفَاق، خشيةَ عمومِ المـوتِ الـذي هـو مُرُّ المَذَاق، وإليه أشارَ ﷺ بقوله في الحديث : « شَفَقاً من السَّـاعة » حتّى يُعلـم أنّ في قيامِها من عظيم الأمر الذي يجبُ توقّيه مـا هـو مَرْكُـوزٌ في جبلّـةِ البهـائم، وإنّما لم يُسمع الإنسَ لحكمةٍ بالغةٍ وهو أنّهم لو سمِعُوا صار الإيمانُ بـالغَيْبِ مُشـاهَدةً وذهـبَ معنى التّكليـف، فتبليـغُ الصّادق ﷺ ينـوبُ عـن سماعنـا، فإصاخةُ الدّوابِّ محمولٌ على إلهام الله تعالى إيّاهـا في ذلـك اليـوم علـى مـا جَبلها عليه من توقّيها ما يضرُّهـا وانقيادهـا إلى مـا ينفعُهـا جبـلاًّ خَلْقِيّـاً لا عِلْماً عقليّاً، وإحساساً حيوانيّاً لا إدراكاً فهميّاً.

وإذا جَبَلَ الله تعالى النّملةَ على حَمْـلِ قُوتِهـا وادّخـاره لزمـن الشّـتاء محاذرةً / من مضرّةٍ تكونُ فيه على أجسامها، فجَبْلُهُ البهيمةَ على الإصاخـةِ ٥٧ / ب لمحاذرةِ يومٍ تكونُ فيه السّاعةُ المؤذِنَةُ بهلاكِها وهلاكِ العالَم أقربُ وأولى .

---

(١) في حاشية الأصل أورد أحدُهم شطر بيتٍ يشهدُ لهذا المعنى وهـو : أصـاختْ إلى الواشـي فلجّ بي الهَجْرُ.

(٢) البيتان في أمالي القـالي ٨٤/١، وخصـائص ابـن جنّـي ٢٩/١، ولسـان العـرب « هيـا »، وألف باء للبلوي، ونسبه الأخير للرّاعي. مع ملاحظة أنّ هذه المصادر فيها : « هَيَا » بدل « أيا ».

ومن استقرأ أحوالَ الحيوانات رأى حكمةَ الله تعالى فيها، لَمّا سلبها العقلَ جعلَ لها حِسّاً تُفرقُ به بين الضار لها والنّافعِ، وجَبَلَها على أشياءَ وألهمها إيّاها لا تُوجدُ في الإنسان إلاّ بعد التّعَلُّمِ وتدقيق النّظر .

منها النَّحْلُ المُحْكِمَةُ لتسديس مخازن قُوتِها حتّى يتعجّبَ منه أهلُ الهندسة، والعنكبوتُ المتقنةُ لخُيوطِ بيوتِها، وتجويدِ تناسُبِ الدَّوائرِ المقاطعةِ لها، والعربُ تقول : « أَصْنَعُ من سُرْفَةٍ »[1] وهي دُودةٌ تكون في الحَمْضِ، ويبلغُ من صُنعِها إلى أنّ تصنعَ مُرَبَّعاً مِن عيدان .

وقد ظهرت من البهائمِ الصنائعُ العجيبَة، والأفاعيل الغريبَة، ولم يَسْلُبْها ربُّ العالمين سوى العبارة عن ذلك والنُّطق به / ولو شاء أنطقها كما أنطق النّملةَ في عهد سليمان على نبيّنا وعليه أفضلُ الصّلاة والسّلام. ٥٨ / أ

وقد تكلّمنا على هذا الحديث في الكتاب المذكُور، بما فيه منفعةٌ للجمهُور، فللّه جلّ وعلا أن يُعذّبَ بمُلْكِه لا بالمعصية .

وقد أمرنا رسولُ الله ﷺ بقتل الوزَغ فقال فيما خرّجه البخاريُّ في كتاب بَدْءِ الخَلْق[2] في ترجمةٍ نصُّها: بابٌ قولُ الله عزّ وجلّ: ﴿**وَاتَّخَذَ اللهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً**﴾[3]، حدّثنا عبيدُ الله بن موسى أو ابنُ سَلاّمٍ عنه، قال:

---

(١) انظر عن هذا المثل جمهرة الأمثال ٥٨٣/١ للعسكريّ، والمستقصى في أمثال العرب ٢١٣/١ للزّمخشريّ، ومجمع الأمثال ٤٢٣/١ للميدانيّ.

(٢) بل في كتاب الأنبياء ٣٨٩/٦ ، رقم: ٣٣٥٩، وأخرجه أيضاً مسلمٌ بنحوه ١٧٥٧/٤، رقم: ٢٢٣٧، كتاب السّلام، باب استحباب قتل الوزغ.

(٣) النّساء : الآية ١٢٥ .

أخبرنا ابنُ جُريجٍ، عن عبد الحميد بن جُبيرٍ، عن سعيد بن المسيب، عن أم شَريكٍ « أنّ رسول الله ﷺ أمرَ بقتل الوَزَغِ، قال : وكان ينفخُ على إبراهيم » .

وأخبرنا رسولُ الله ﷺ أنّ « مَن قتل وَزَغاً في أوّل ضَرْبَةٍ كُتبت له مائةُ حسنةٍ » .

أخرجه / مسلمٌ في « صحيحه » في كتاب الأدب[1] قال: حدّثنا قتيبةُ ٥٨ / ب ابن سعيدٍ ، قال : حدّثنا أبو عَوانة .

وحدّثني زهيرُ بن حربٍ ، قال : حدّثنا جريرٌ .

وحدّثنا محمّدُ بن الصّباح، قال: حدّثنا إسماعيلُ - يعني ابن زكريّاء -. وحدّثنا أبو كُريب، قال: حدّثنا وكيع، عن سفيان، كلُّهم[2] عن سُهيلٍ، عن أبيه، عن أبي هريرة، عن النّبيّ ﷺ بمعنى حديث خالد بن عبد الله عن سُهيل، إلاّ جريراً وحدهُ فإنّ في حديثه : « مَن قتلَ وزغاً في أوّل ضربةٍ كُتبت له مائةُ حسنةٍ ، وفي الثّانية دون ذلك ، وفي الثّالثة دون ذلك » ، وللحديثِ طرقٌ في « صحيح مسلم »[3] .

قال ذو النّسبين أيّده الله :

فهذه عَجْمَاءُ عُوقبتْ على سُوء صنيع جِنْسِها؛ فلا تلتفتُوا - رحمنا الله وإيّاكُم - إلى الآراء الفلسفيَّة، وأنّ البهائمَ لا يَجْرِي عليها القصاصُ

---

(١) كتاب السّلام ، باب استحباب قتل الوزغ ، ٤/١٧٥٨ ، رقم : ١٤٧ .

(٢) أي أبو عوانة وجرير وإسماعيل بن زكريّاء وسفيان .

(٣) انظر ٤/١٧٥٨ ، رقم : ١٤٦ .

٥٩ / أ لخرُوجها عن الصّفة الإنسانيَّة، / وكذلك قولُهم أيضاً في البهائم : إنّما هي النّاسُ الذين غلبتْ عليهم الأخلاقُ البهيميَّة، وأنّ العذابَ إنّما هو على أرواح بني آدم دون إعادة أجسادهِمْ؛ وهذا لكُفرِ الفلاسفة با لله وعنادِهِمْ.

ثبتَ بنقل العَدْلِ عن العَدْل ، عن رسول ا لله ﷺ عن ربه ذي العظمة والطَّوْل .

أنبأنا أبو الوقت عبدُ الأوّل بن عيسى بن شُعيبٍ السجْزِيُّ[1] الصُّوفيُّ في إجازتِه العامّة، قال : حدّثنا أبو الحسن عبدُ الرّحمن بن محمّد بن المظفّر الدّاوُودِيُّ[2] سماعاً عليه، قال: أخبرنا أبو محمّد عبدُ ا لله بن أحمد بن حَمُّويَه[3]، أخبرنا أبو عبد ا لله محمّدُ بن يوسف بن مَطَرٍ الفرَبْرِيُّ[4]، أخبرنا الحافظُ أبو عبد ا لله محمّد بن إسماعيل البخاريُّ، قال حدّثنا أبو اليَمان، قال: أخبرنا شُعيبٌ ، قال : حدّثنا أبو الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة، ٥٩ / ب عن النّبيّ ﷺ / قال : « قال ا للهُ عزّ وجلّ : كذّبني ابنُ آدم ولم يكن له ذلك، وشَتمني ولم يكن له ذلك؛ فأمّا تكذيبُه إيّايَ فقولُه : لن يُعيدني كما

---

(١) الشّيخُ الإمامُ مسندُ الآفاق، توفي سنة ٥٥٣هـ، انظر السّير ٢٠/٣٠٣ - ٣١١.

(٢) البُوشنجي مسندُ الوقت، سمع صحيح البخاريّ من السّرخسيّ، وتفرّد في الدّنيا بعلو ذلك، توفي سنة ٤٦٧هـ، انظر سير أعلام النبلاء ١٨/٢٢٢ - ٢٢٦.

(٣) الإمامُ المحدثُ الصّدوقُ المسندُ السّرخسيُّ، سمع سنة ٣١٦هـ صحيح البخاري من الفربريّ، توفي سنة ٣٨١هـ، انظر سير أعلام النبلاء ١٦/٤٩٢ - ٤٩٣.

(٤) راوي الجامع الصّحيح عن البخاريّ، توفي سنة ٣٢٠هـ، والفربريُّ نسبة إلى فربر بكسر الفاء وبفتحها والفتحُ أشهر قريةٌ من قرى بخارى، انظر سير أعلام النبلاء ١٥/١٠ - ١٣.

بدأني، وليس أوّلُ الخَلْقِ بأهونَ عليَّ من إعادتِه، وأمّا شتمُه إيّاي فقولُه : اتّخذ الله ولداً، وأنا الأحدُ الصّمدُ لم نَلد ولم نُولد[1]، ولم يكن لي كفؤاً أحدٌ » ، وهذا نصُّ طريق البخاريّ في سورة الصّمد[2] ، وله طرقٌ[3] .

فخالفُوا مَن نبذَ كتابَ الله وراء ظهرِه، وقِفُوا عند نهي رسول الله ﷺ وأمرِه، وتيقّنوا أنّ البهائمَ يَقْتَصُّ بعضُها من بعضٍ يومَ الحشر والحِسَاب، وأنّ الكافرَ يتمنّى حين يُقال لها: كُوني تراباً أنّه انقلب إلى حال التُّرَاب، وإنّما يصيرُ تُراباً الأجسادُ المعروفةُ المركّبةُ من اللُّحوم والعظام والجُلُود، حتّى يُعيدَها الذي بدأها لحضور اليوم المشهُود، إمّا إلى الجنّةِ دارِ الخلُود، أو إلى النّارِ / ذاتِ الوَقُود. ٦٠/أ

وأوّلُ كتابٍ كتبه[4] لسُلطان الرُّوم أملاهُ على ابن عمه الإمامِ أبي الحسن علي بن أبي طالبٍ، وأرسله مع صاحبه المشبَّه بجبريل : دِحيَة بن خليفة سنةَ سبعٍ من الهجرة، ونصُّه في أوّل « صحيح البخاريّ » ، وإن كان كرّرهُ في مواضعَ كثيرَة ، وحذف منه فوائدَ غزيرَة ، منها في :

- بدء الوحي[5] .
- و الإيمان[6] .

---

(١) في البخاري : لم ألد و لم أولد .

(٢) كتاب التّفسير، باب سورة ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ ، ٧٣٩/٨ ، رقم : ٤٩٧٤ .

(٣) انظر صحيح البخاري ٢٨٧/٦ ، رقم : ٣١٩٣ ، ٧٣٩/٨ ، رقم : ٤٩٧٥ .

(٤) يعني النّبيّ ﷺ .

(٥) كتاب بدء الوحي ، ٣٢/١ ، رقم : ٦ .

(٦) كتاب الإيمان ، ١٢٥/١ ، رقم : ٣٨ .

- و العلم[١] .
- و الأحكام[٢] .
- و الجهاد[٣] .
- والشّهادات[٤] .
- و المغازي[٥] .
- و خبر الواحد[٦] .
- و الاستئذان[٧] .
- و الأدب[٨] .
- و التّفسير[٩] .

---

(١) إنّما أخرج البخاريُّ في العلم كتابَه ﷺ إلى عظيم البحرين لا إلى هرقل، انظر صحيح البخاري ١/١٥٤، رقم: ٦٤، كتاب العلم، باب ما يذكرُ في المناولة ...
(٢) كتاب الأحكام، باب ترجمة الحكّام وهل يجوز ترجمانٌ واحدٌ، ١٣/١٨٦، رقم: ٧١٩٦.
(٣) كتاب الجهاد، باب قول الله: ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلاَّ إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ﴾، ٦/٢٠، رقم: ٢٨٠٤، وباب دعاء النّبيّ ﷺ النّاسَ إلى الإسلام والنّبوّة، ٦/١٠٩ ـ ١١٠، رقم: ٢٩٤٠، ٢٩٤١، وباب قول النبي ﷺ: « نُصرت بالرّعب مسيرة شهرٍ »، ٦/١٢٨، رقم: ٢٩٧٨.
(٤) كتاب الشّهادات ، باب من أمر بإنجاز الوعد ، ٥/٢٨٩ ، رقم : ٢٦٨١ .
(٥) وهنا أيضا أخرج البخاري كتابه ﷺ إلى عظيم البحرين، انظر صحيح البخاري ٨/١٢٦، رقم: ٤٤٢٤، كتاب المغازي، باب كتاب النّبيّ ﷺ إلى كسرى وقيصر.
(٦) كتاب أخبار الآحاد، باب ما كان يبعث النّبيّ ﷺ من الأمراء والرّسل واحداً بعد واحدٍ .
(٧) كتاب الاستئذان ، باب كيف يكتب لأهل الكتاب ؟ ، ١١/٤٧ ، رقم : ٦٢٦٠ .
(٨) كتاب الأدب ، باب صلةِ المرأة أمّها ولها زوجٌ ، ١٠/٤١٣ ، رقم : ٥٩٨٠ .
(٩) كتاب التّفسير ، باب ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَنْ لاَ نَعْبُدَ إِلاَّ اللهَ﴾، ٨/٢١٤ ـ ٢١٥ ، رقم : ٤٥٥٣ .

=

وأخرجه مسلمٌ في المغازي[1]، وأخرجه الجميعُ[2] سوى مالك في «الموطّأ».

وهو كتابٌ اتّفق العلماءُ على صحّتِه، ونصُّه في بدء الوحي:

«بسم الله الرّحمن الرّحيم؛ مِن محمّدٍ عبدِ الله ورسولِه إلى هِرَقْلَ عظيمِ الرُّوم، سلامٌ على من اتّبعَ الهُدى، أمّا بعدُ فإنّي أدعُوك بدِعاية الإسلام / أَسلِم تَسلَم، يُؤتِك اللهُ أجرَك مرّتين، فإن تولّيتَ فإنّ عليك إثمَ الأَريسيِّينَ، ﴿**قُلْ يَا أَهْلَ الكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ**﴾»[3]. ٦ / ب

فإنّما كتبَ ﷺ إلى هِرَقْلَ وسمّى نفسَه عبداً على ما خرّجه البخاريُّ في أوّل كتاب بدء الوحي على معنى التّنبيه للرُّوم على أنّ عيسى عبدٌ لله لا ابنٌ له على زعمهم الفاسدِ، وموضعُ التّنبيه أنّه كما استوى معه في النّبوّة فكذلك استوى معه في العبُوديّة.

ويضاف موضعان آخران فات ابنَ دحية ذِكْرُهما الأوّل: كتاب الجزية والموادعة، باب فضل الوفاء بالعهد، ٢٧٦/٦، رقم: ٣١٧٤، والثّاني: كتاب التّوحيد، باب ما يجوز من تفسير التّوراة، ٥١٦/١٣، رقم: ٧٥٤١.

(١) كتاب الجهاد والسّير، باب كتاب النّبيّ ﷺ إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام، ١٣٩٣/٣ – ١٣٩٧.

(٢) أخرجه أبو داود ٣٤٨/٥ ـ ٣٤٩، رقم: ٥١٣٦، والتّرمذي ٦٥/٥، رقم: ٢٧١٧، والنّسائي ٣٠٩/٦ ـ ٣١١، رقم: ١١٠٦٤.

(٣) آل عمران: الآية ٦٤.

ثمّ قال ﷺ : « إلى هرقل عظيم الرُّوم » فلم يصفهُ بصفـةٍ تُوجبُ لـه استحقاقَ أمرٍ لا حقيقةً ولا إيهاماً، مثل أن يقول: سلطان الـرُّوم أو مَلِـك الرُّوم أو ما يُنبِىءُ من ذلك، إذ مثلُ هذه الصّفات تَقتضي / استحقاقاً لهـذه الولايات أو تُوهم ذلك، وليس كذلك عظيمُ الرُّوم لأنّه إنّما يقتضي تعظُّمَه في نفسِه أو تعظيمَهم إيّاه، فافترق هذا من سواه. وإنّما لم يكتب: إلى مَلِكِ الرّوم؛ لما يقتضيه هذا الاسمُ من المعاني التي لا يستحقُّها مَـن ليس بمسلمٍ، ولو فعلَ لكان فيه التّسليمُ لمُلْكِهِ وهو بحق الدين معزولٌ[1].

٦١ / أ

ثمّ قال ﷺ بعقب ذلك : « سلامٌ على من اتّبع الهُدى » أخذاً واقتداءً بما أمرَ الله تعالى به إخوتَه موسى وهارون عليهما السّلام أن يقولاه لفرعون .

وقوله ﷺ : « فإن تولّيتَ فإنّ عليك إثمَ الأَرِيسِيينَ » اختلف الأئمّةُ من أهل اللُّغة في هذه اللّفظة وهي عندهم كلمةٌ أعجميّةٌ :

فقيّده جُلُّ رواة « صحيح البخاريّ » : « الأَرِيسِيين » بسكُون اللاّم وفتح الهمزة وكسر الرّاء والسين وتشديد الياء وكسرِها، وواحدُه الأَرِيسُ، وجمعُه الأراريسُ؛ نُسِبَ توكيدا / كما قالُوا : والدَّهـرُ بالإنسان دَوَّارِيٌّ ، أصلُه دَوَّارٌ نُسب توكيداً . ورواه أبو إسحاق النَّسفيُّ[2] صاحبُ البخاريّ: « اليَرِسِيين » بالياء، وكذلك رواهُ أبو زيدٍ المروزيُّ على الإبدال للهمزة بالياء كما قالوا : أَزَنيٌّ ويَزَنِيٌّ .

٦١ / ب

(١) انظر فتح الباري ١/٣٨ .

(٢) الإمامُ الحافظُ أبو إسحاق إبراهيم بن معقل بن الحجّاج، حدّث بصحيح البخاري عنه، توفي سنة ٢٩٥هـ، انظر سير أعلام النبلاء ١٣/٤٩٣.

ورواه أبو أحمد الجرجانيُّ(١) : « الأَرْيَسِيِّين » بسكُون اللاّم وفتح الهمزة وسكون الرّاء وفتح الياء وكسر السِّين .

فمن قال : « الأَرِيسِيِّين » فتفسيرُ الرّواية الأولى هم أتباعُ عبدِ الله بن أَرِيسٍ رجلٍ في الزّمان الأوّل بعثَ الله نبيّاً فخالفهُ هو وأتباعُه.

وروايةُ الجرجانيّ : « الأَرْيَسِيِّين » بسكون الرّاء كما قدّمناه .

قيل : هُم نصارى أتباعُ عبدِ الله بن أَرْوَس وهم الأَرُوسِيَّةُ متمسِّكُون بدين عيسى ولا يقولون هو ابنٌ .

وقال الإمامُ عبدُ الله بن وهبٍ : الأَرِيسِيُّونَ الشَّمَامِسَةُ .

وقيل : إنّ الأَرِيسِيِّينَ كانوا / مجوساً وكانوا يَعمُرون أرضَ الرُّوم، ٦٢ / أ وكانت الرّومُ أهلَ كتابٍ فغلُظَ عليهم لذلك لأنّ المجوسَ عند الرُّوم شرُّ النّاس .

وقيل : صنفٌ من النّاس مذمومُوا الأحوال عندهُم .

وقيل : هم الملوكُ الذين يُخالفون أنبياءَهم .

وقيل : الخَدَمَةُ والأعوانُ .

وقيل : المتبختِرُون .

وقال أبو عليّ ابنُ السّكن : يعني اليهود والنّصارى لأنّه فسّره في الحديث، ومعناه أنّ عليك إثمَ رعاياك وأتباعِك ممّن صددتَهُ عن الإسلام

---

(١) أبو أحمد محمّد بن محمّد بن يوسف الجرجانيُّ، روى صحيح البخاري عن الفربريّ، انظر مشارق الأنوار ١/٩ للقاضي عياض.

فاتّبعكَ على كُفرك كما حكى الله جلّ وعلا عنهم في كتابه: ﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾[1].

قال الهرويُّ[2] عن ثَعْلَب : يُقال : أَرِسَ بفتح الهمزة وكسر الرّاء يَأْرَسُ بفتح الرّاء، وأَرَسَ بفتح الهمزة والرّاء يأْرِسُ بكسر الرّاء صار أَرِيساً، وأَرَّسَ يُؤَرِسُ، فإذا شدّدتَ الرّاءَ من أَرَّسَ فمعناه صار إِرِيساً[3] بكسر الهمزة وكسر الرّاء وشدها / والجمعُ أُريسُون[4] بضمّ الهمزة وتشديد الرّاء وهم الأَكَرَةُ . قاله القاضي عياضُ بن موسى في « مشارق الأنوار على صِحاح الآثار »[5] .

٦٢ / ب

وقيّده الإمامُ الثِّقةُ أبو عبد الله محمّدُ بن جعفر التّميميُّ المعروفُ بابن القَزّاز[6] وقال : إنّ الإرِيسَ على وزن فِعيل مشدَّدُ الرّاء مكسورُ الهمزة، وهو من الأضداد يكونُ المَالِكَ ويكونُ الأجيرَ .

قال ذو النّسبين أيّده الله :

« الإِريسيُّون » بالتّشديد للرّاء وكسر الهمزة، وجمعُه أيضاً أَرارِسَةٌ ومعناه : فعليك إثمُ الملوكِ والأتباعِ والجُهّالِ الذين هم يُسلمون إن أسلمتَ تبعاً وتقليداً لك، وإن لم تُسلم أنت لم يُسلموا فيكونُ عليك إثمُهم .

---

(١) سبإ : الآية ٣١ .

(٢) أبو عبيد صاحب الغريبين تقدّم .

(٣) في مشارق الأنوار : أرسيّا ، وهو خطأ .

(٤) في مشارق الأنوار : أرسيون .

(٥) مشارق الأنوار على صحاح الآثار ١/٢٧ - ٢٨ ، مع إضافاتٍ ذكرها ابنُ دحية هنا.

(٦) العلاّمة القيروانيُّ النّحويُّ ، توفي سنة ٤١٢هـ، انظر السّير ١٧/٣٢٦ - ٣٢٧.

واحتجَّ القائلُ لهذا بما رواه ابنُ وهبٍ[١] في « مغازيه » : « فإنّك إن تُسْلِمْ تَسْلَمْ، وإن لم تُسْلِمْ فإنّك تهدِمُ الكُفُورَ وتقتلُ الإرِيسِيِّينَ ، وإنّي أجعلُ إثمَ ذلك في / رقبتِك » .

٦٣ / أ

والكُفُورُ : القُرى جمعُ كَفْرٍ ، ومعناه أنّ عليك إثمَ مَن قُتل منهم في مملكتك لأنّك أنت تُعَرِّضُهم للقتل، فيكون الإرِّيسُ: الضّعيفُ العاجزُ والرّاعِي، والعبدُ الخسيسُ الهِمّةِ في المساعِي.

ولمّا بلغ معاويةَ بن أبي سفيان أنّ عظيمَ الرُّومِ يريدُ قصدَ الشّام، فكتب إليه يحلفُ بالله :

« لإنْ تَمَّمْتَ على ما بلغني من عَزْمِكَ لأُصالحنَّ صاحبي ولأكونَنّ على مُقَدِّمته إليك، ولأجعلنّ القُسْطَنْطِينِيَّةَ البَخْرَاءَ حُمَمَةً سوداءَ، ولأنتزعنَّك من المُلك انتزاعَ الإصْطَفْلِينَةَ، ولأرُدَّنّك إرِّيساً من الأَرَارِسَةِ تَرْعَى الدَّوابلَ » .

الإصْطَفْلِينَةُ : الجَزَرَةُ لغةٌ شاميّةٌ، والجمعُ بحذف التّاء، ومنه حديثُ القاسم بن مُخَيْمِرَةَ: « إنّ الواليَ لَتَنْحِتُ أقاربُه أمانتَهُ كما تَنْحِتُ القَدُومُ الإصْطَفْلِينَةَ حتّى تخلُصَ إلى قَلْبِها »[٢] .

والدَّوابلُ : جمعُ دَوْبَلٍ وهو الخنزيرُ ، وقيل : الجَحْشُ .

وتَمَّمَ على الأمر : إذا استمرَّ عليه / كما يُقال : مضى على ما عَزَمَ .

---

(١) عبدُ الله بن وهب المصريُّ الإمامُ ، وكتابه المغازي من مؤلّفاته المشهورة ، وهو من تراثه المفقود .

(٢) انظر النّهاية ٣/٢٩ .

واللاّمُ في « لإنْ » هي الموطِّئةُ للقسم، وقد لَفَّ القَسَمَ والشَّرْطَ ثمّ جاء بقوله : « لأُصالحنّ » فوقع جواباً للقَسَمِ وجزاءً للشّرطِ دُفْعَةً .

والمقَدمَةُ : الجماعةُ تتقدَّمُ الجيشَ، مِن قدِمَ بمعنى تقدّمَ، وقد استُعيرت لأوائل كل شيءٍ فقيل : مُقَدمةُ الكتابِ، ومُقَدمَةُ الكلامِ، وفتحُ الدّالِ خَلْفٌ من الكلام .

وفي الكتاب الكريم[1] من الفقه اثنا عشر فائدةً :

الأولى : جوازُ البعْثة بالكتاب واحداً إذا كان عَدْلاً لأنّ الصّحابة كلّهم عُدولٌ بثناء الله تعالى عليهم ووصفِه لهم بالصدق، والصّادقُ لا يكونُ عند الله كاذباً.

الثّانية : جوازُ الكتاب إلى الكافرين .

الثّالثة : استفتاحُ الكتاب ببسم الله الرّحمن الرّحيم.

الرّابعة : وقوعُ العنوان بعد البسملة اقتداءً بسيد المرسلين ، إعْرَاضاً عن أفعال / البَطّالين . ٦٤/أ

الخامسة : افتتاحُ الكتاب بقوله : أمّا بعدُ .

السّادسة : أنّه دعاهُ إلى الإسلام الذي يُوجب السَّلامةَ فتجانسَ اللّفظُ وتطابقَ المعنى.

السّابعة : دعاءُ الكفّار قبل القتال، وهو أثبتُ الأقوال، قال الله العظيم: **﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾**[2].

---

(١) يعني كتابه ﷺ إلى هرقل .

(٢) الإسراء : الآية ١٥ .

الثّامنة : الاستشهادُ بالقرآن ، لأهل الكُفر والعدوَان .

التّاسعة : أنّ مَن قَبلَ الإيمَان ، كان له أجرَان ، أجرٌ لإيمانِه بعيسى بن مريم ثمّ إيمانِه بمحمّدٍ ﷺ على ما فسّره القرآن ، وقام عليه من الحديثِ الصّحيحِ البُرهَان .

العاشرة : جوازُ بَعْثِ القرآن ، ليتّعظ به أهلُ العصيَان .

الحادية عشر : جوازُ تفسير القرآن بغير اللّسان العربيّ إن دعت الضّرورةُ إلى ذلك؛ ليقرُبَ بذلك إلى فهمهِم، ويكونَ سبباً لدخولهم في الإسلام.

الثّانية عشر : لا تجوزُ قراءةُ القرآن / في الصّلاة بغير العربيّة وهو الحقُّ، وبه قال مالكٌ والشّافعيُّ؛ لأنّه إنّما فُسر بغير العربيّة لمعنىً غيرِ الصّلاة وهو عرضُ الإيمان عليهم . ٦٤/ب

أجاز لنا أبو الوقت[1] إجازةً عامّةً قال: سمعتُ الدّاوودي[2] يقول: سمعتُ الحَمَوي[3] يقول: سمعتُ الفرَبْرِيَّ يقولُ: سمعتُ البخاريَّ يقولُ: حدّثنا يحيى بن سليمان، قال: حدّثني ابنُ وهبٍ، قال: حدّثني عُمَرُ، أنّ سالماً حدّثهُ عن عبد الله بن عمر قال : « ما سمعتُ عمرَ لشيءٍ قطُّ يقول: إنّي لأظنُّه كذا إلاّ كان كما يَظنُّ، بينما عمرُ جالسٌ إذ مرَّ به رجلٌ

(١) عبدُ الأوّل بن عيسى السجزيّ تقدّم .

(٢) أبو الحسن عبدُ الرّحمن بن محمّد تقدّم .

(٣) أبو محمّد عبدُ الله بن أحمد بن حَمُّويه السّرخسيُّ تقدّم.

جميلٌ[١] فقال: لقد أخطأ ظنّي، أو إنّ هذا على دِينه في الجاهليّة، أو لقد كان كاهنَهم، عليّ الرّجلَ.

فدُعي له وقال له ذلك ، فقال: ما رأيتُ كاليومِ اسْتَقْبِلَ به رجلاً مسلماً[٢]، قال: فإنّي أعزِمُ عليك إلاّ ما أخبرتَني، قال: كنتُ كاهنَهم في الجاهليّة، قال: فما أعجبُ ما جاءتك به جنّيّتُك ؟

٦٥/أ / قال : بينما أنا يوماً في السُّوق جاءتني أعرفُ فيها الفزعَ وقالت: ألم ترَ الجِنَّ وإبلاسَها، ويأسَها من بعدِ إنْكاسِها، ولحوقَها بالقِلاص وأحلاسَها[٣] .

قال عمر : صدقَ، بينما أنا نائمٌ عند آلهتهم إذ جاء رجلٌ بعِجْلٍ فذبحه، فصرخ به صارخٌ لم أسمع صارخاً قطُّ أشدَّ صوتاً منه يقول :

يا جَلِيحْ، أمرٌ نَجيحْ، رَجُلٌ فَصِيحْ، يقولُ: لا إله إلاّ الله. فوثبَ القومُ، قلتُ: لا أَبْرَحُ حتّى أعلمَ ما وراءَ هذا، ثمّ نادى: يا جَلِيح، أمرٌ

---

(١) هو الصّحابيُّ سَوادُ بن قارِبٍ رضي الله عنه ، وسيأتي تنبيهُ ابن دحية عليه .

(٢) قال الحافظُ ابن حجر رحمه الله في فتح الباري ١٧٩/٧ : « في رواية النّسفيّ وأبي ذرٍّ: رجلاً مسلماً، ورأيتُه مجوَّداً بفتح تاءِ استَقبلَ على البناء للفاعل، وهو محذوفٌ تقديرُه: أحدٌ. وضبطه الكرمانيُّ: استُقبل بضمّ التّاءِ، وأعربَ: رجلاً مسلماً على أنّه مفعول رأيتُ، وعلى هذا فالضّميرُ في قوله: به يعودُ على الكلامِ، ويدلُّ عليه السّياقُ، ويبيّنه البيهقيُّ في روايةٍ مرسلةٍ: قد جاء الله بالإسلام، فما لنا ولذِكْرِ الجاهليّة » .

(٣) قال ابن حجر في فتح الباري ١٨٠/٧ ـ ١٨١ : « وقع هذا القسيمُ غيرَ موزون، وفي رواية الباقر: ورحلها العِيسَ بأحلاسِها ، وهذا موزونٌ » .

نَجيحْ، رَجُلٌ فَصِيحْ، يقولُ: لا إله إلاّ الله، فقمتُ فما نَشِبْنا أن قيل : هـذا نبيٌّ »[١] .

قال ذو النّسبين أيّده الله :

ورواه ابنُ إسحاق بالياء « يصيح »[٢] ، والصّحيحُ ما ثبت في « الصّحيح » .

وعُمَرُ الذي لم ينسبه البخاريُّ هو عمرُ بن محمّد بن زيد بن عبد الله / ابن عمر بن الخطّاب العسقلانيّ[٣]، أصلُه من المدينة شرّفها الله، يروي عن الإمامِ في الحديث واستنباطِ الفقه منه سالِمِ بن عبد الله، وروى عن جَده زيد بن عبد الله وأبيه محمّد بن زيد ونافع وزيد بن أسلم، وهو أخو واقدٍ وعاصمٍ وزيدٍ وأبي بكرٍ .

٦٥ / ب

قال أبو حاتم : وَلَدُ محمّد بن زيد بن عبد الله خمسةٌ أوثقُهم عمر، وهو ثقةٌ صدوقٌ[٤].

قال ذو النّسبين أيّده الله :

وقد اتّفق أهلُ « الصّحيح » على الإخراج عنه .

---

(١) صحيح البخاري ١٧٧/٧ ، رقم : ٣٨٦٦ ، كتاب مناقب الأنصار ، باب إسلام عمر ابن الخطّاب رضي الله عنه .

(٢) هي روايةُ الكشميهني بتحتانيّةٍ أولّهُ بدل الفاء من الصّياح انظر فتح الباري ١٨١/٧ .

(٣) قال ابن حجر في الفتح ١٧٩/٧ : « ووهم من زعم أنّه عمر بن الحارث كالكلاباذي، فقد وقع في رواية الإسماعيلي : عن عمر بن محمّد » .

(٤) الجرح والتّعديل ١٣٢/٦ لابن أبي حاتمٍ .

فقد بشّرت الجنُّ بسيد وَلَدِ آدم محمّدٍ صلّى الله عليه وسلّم ، ونطق به ساكنُ الصّنم وتكلّم .

وجَلِيحْ : اسمُ شيطانٍ، والجليحُ في اللّغة ما تطاير من رؤوس النّبات وخَفَّ نحو القُطْنِ وشبهِه، والواحدةُ جَلِيحَةٌ[1].

ووقع في « السّيرة » : « يا ذَرِيحْ »، وكأنّه نداءٌ للفَحْلِ المذبوح للصّنم فإنّهم يقولون: أحمرُ ذَرِيحِيٌّ أي شديدُ الحُمْرَةِ، فصار وصفاً / للعجل الذّبيح من أجل الحُمْرَةِ. والذي ثبت في « صحيح البخاريّ » مآلُه إلى هذا المعنى؛ لأنّ العجلَ قد جُلِّحَ أي كُشف عنه الجلْدُ . ٦٦/أ

وقولُه : « وإبْلاسَها » الإبْلاسُ التّحيّرُ[2]، والإبلاسُ أيضاً اليأسُ قال الله العظيمُ: ﴿فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾[3] أي يائسون، وقرأناه في الأغْرِبَةِ : عجبتُ للجنِ وتَقْسَاسِها ، وهو موزونٌ مُعْرَبٌ، والتَّقْسَاسُ التّسمُّعُ على المتحدثين، وذلك من أفعال الشّياطِين .

وقولُه : « من بعد إنْكَاسِها » انتكسَ الرّجلُ إذا سقطَ سَقْطَةً بعد سَقْطَةٍ ولا يزالُ مُنْتَكِساً[4].

وقولُه : « بالقِلاص وأحْلاسها » القِلاصُ جمعُ قَلُوصٍ وهي فَتِيَّاتُ الإبل، وهي في النُّوقِ كالجارية في النِّساء .

---

(١) تفسير الجليح هو من كلام القاضي عياض في مشارق الأنوار ١/١٤٩ .

(٢) انظر النّهاية ١/١٥٢ .

(٣) الأنعام : الآية ٤٤ .

(٤) انظر مشارق الأنوار ٢/١٣ .

والأحْلاسُ : جمعُ حِلْسٍ وهو كساءٌ أو لِبْدٌ يُجْعَلُ على ظَهْرِ البعير تحت القَتَبِ يُلازِمُه؛ فمعناه أي يُلازمون ظُهورَ القِلاص فِراراً من الرّجل الفصيح الذي يقول: / لا إله إلاّ الله، ومنه يُقال: فلانٌ حِلْسُ بيتِه أي مُلازِمُه، وقيل لهمدان: أحْلاسُ الخيل، أي الملازِمُون لظهُورها(١). ٦٦ / ب

قال ذو النّسبين أيّده الله :

وهذا الرّجلُ الذي لم يُسمه البخاريُّ هو سَوادُ بن قاربٍ الدَّوسِيُّ كذا نسبه العارفون بالنّسب منهم ابنُ الكلبيّ، وقال ابنُ أبي خيثمة : سوادُ ابن قاربٍ سدوسيٌّ من بني سَدُوس .

قال ذو النّسبين أيّده الله :

سَدُوسٌ بالفتح في ذُهْلٍ وبالضم في طَيء. وكان سوادُ بن قاربٍ شاعراً خطيباً مُوفّقاً في علمه مُطاعاً عند قومِه، ذكر ذلك غيرُ واحدٍ منهم الإمامُ شيخُ السُّنّة أبو القاسم الطبرانيُّ وأبو يعلى الموصليُّ والثّقةُ اللّغويُّ أبو عليّ القاليّ وغيرُهم .

قرأتُ بمدينة أصبهان على الشّيخ الثّقة أبي جعفر الصّيدلانيّ بحق سماعِه على / الزّاهدة أم الغيث الجُوزْدانِيّة، بحق سماعها على الفقيه الثّقة أبي بكر محمّد بن رِيذَه، بحق سماعه على الإمام شيخِ السُّنّة أبي القاسم سليمان ابن أحمد بن أيّوب بن مُطَيْر اللّخميّ الطبرانيّ، قال: حدّثنا محمّدُ بن محمّد التّمّار النِّصْرِيّ، قال: حدّثنا بِشْرُ بن حُجر السّاميّ، قال: حدّثنا عليُّ بن منصور الأبناوي، عن عثمان بن عبد الرّحمن الوَقاصيّ، عن محمّد بن كعب ٦٧ / أ

(١) انظر مشارق الأنوار ١/١٩٧ ، والنّهاية ١/٤٢٣ - ٤٢٤ .

القُرظي قال : « بينما عمر رضي الله عنه قاعدٌ في المسجد إذ مرّ رجلٌ في مؤخّر المسجد، فقال رجلٌ: يا أميرَ المؤمنين، أتعرفُ هذا المارّ؟ قال: لا، فمن هو؟ قال: هذا سوادُ بن قاربٍ وهو رجلٌ من أهل اليمن له فيهم شرفٌ وموضعٌ، وهو الذي أتاه رَئِيُّه بظهُور النّبيّ ﷺ، فقال عمرُ: عليَّ به، فدُعي به، فقال: أنت سوادُ بن قاربٍ؟ قال: نعم، قال: فأنت الذي أتاك رئيُّك / بظهُور النّبيّ ﷺ ؟ قال: نعم، قال: فأنت على ما كنت عليه من كهانتك؟ فغضب غضباً شديداً وقال: يا أميرَ المؤمنين، ما استقبلني بهذا أحدٌ منذ أسلمتُ، فقال عمر: يا سبحان الله، ما كنّا عليه من الشرك أعظمُ ممّا كنتَ عليه من كهانتك، أخبرني بإتيانك رئيُّك بظهُور رسول الله ﷺ، قال: نعم يا أميرَ المؤمنين، بينا أنا ذاتَ ليلةٍ بين النّائم واليقظان إذ أتاني رئيّي فضربني برجله وقال: قُمْ يا سواد بن قاربٍ فافهم واعقل إن كنتَ تعقل، إنّه قد بُعث رسولٌ مِن لُؤَي بن غالب يَدعُو إلى الله عزّ وجلّ وإلى عبادتِه ، ثمّ أنشأ يقول :

٦٧ / ب

عجبتُ للجن وتَجْسَاسِها   وشَدها العِيسَ بأحَلاسِها
تَهوي إلى مكّةَ تَبغي الهُدى   ما خَيرُ الجِنّ كأنجاسِها
فارحلْ إلى الصفْوَةِ من هاشمٍ   واسمُ بعينيكَ إلى رأسِها

/ قال : فلم أرفع بقوله رأساً وقلتُ: دَعني أنم فإنّي أمسيتُ ناعساً. فلمّا أن كان اللّيلة الثّانية أتاني فضربني برجله وقال: ألم أقُل لك يا سواد ابن قاربٍ: قم فافهم واعقل إن كنتَ تعقل، إنّه قد بُعث رسولٌ مِن لُؤَي ابن غالب يدعُو إلى الله تعالى وإلى عبادتِه، ثمّ أنشأ الجِنّيُّ يقول :

٦٨ / أ

عجبتُ للجن وتَطْلابِها وشَدها العِيسَ بأقتابِها
تَهوي إلى مكّة تَبغي الهُدى ما صادقُ الجن ككُذّابِها
فارحلْ إلى الصفْوَةِ من هاشمٍ ليس قُدّاماها كأذْنابِها

قال : فلم أرفع بقوله رأساً. فلمّا أن كان اللّيلة الثّالثة أتاني فضربني برجلِه وقال: ألم أقُل لك يا سوادَ بن قاربٍ: قُم فافهم واعقل إن كنتَ تعقل، إنّه قد بُعث رسولٌ مِن لُؤَي بن غالبٍ يَدعُو إلى الله تعالى وإلى عبادتِه، ثمّ أنشأ الجِنّيُّ يقول :

٦٨ / ب

/ عجبتُ للجن وأخبارِها وشَدها العِيسَ بأكْوارِها
تَهوي إلى مكّة تَبغي الهُدى ما مُؤمنُ الجِن ككُفّارِها
فارحَلْ إلى الصفْوَةِ من هاشمٍ بين رَوابيها وأحْجَارِها

قال : فوقع في نفسي حبُّ الإسلام ورغبتُ فيه، فلمّا أصبحتُ شددتُ على راحلتي فانطلقتُ متوجها إلى مكّة، فلمّا كنتُ ببعض الطّريق أُخبرتُ أنّ النّبيّ ﷺ قد هاجر إلى المدينة، فأتيتُ المدينة فسألتُ عن النّبيّ ﷺ فقيل لي: في المسجد، فانتهيتُ إلى المسجد فعقلتُ ناقتي ودخلتُ، وإذا رسولُ الله ﷺ والنّاسُ حولهُ، فقلت: اسمع مقالتي يا رسولَ الله، فقال أبو بكر رضي الله عنه : ادنُهْ ادنُهْ، فلم يزل بي حتّى صرتُ بين يديه فقال: هاتِ فأخبرني بإتيانك رئِيُّك فقلتُ :

٦٩ / أ

/ أتاني نَجيي بعدَ هَدْءٍ ورَقْدَةٍ
ولم يكُ فيما قد بَلَوْتُ بكاذبِ
ثلاثَ ليالٍ قولُه كلَّ ليلةٍ
أتاكَ رسولٌ مِن لُؤَي بن غالبِ

فشمَّرتُ عن ذَيْلِ الإزارِ ووسَّطَتْ
بيَ الذِّعْلِبُ الوَجْناءُ بين السَّباسِبِ
فأشهدُ أنّ الله لا ربَّ غيرُه
وأنّكَ مأمُونٌ على كُلِّ غائبِ
وأنّك أدنى المُرسَلين وَسيلةً
إلى الله يابنَ الأَكْرَمَين الأطايبِ
فمُرْنا بما يَأتيك يا خيرَ مَنْ نَشَاْ[1]
وإن كان فيما جاء شَيْبُ الذّوائبِ
وكُنْ لي شَفيعاً يومَ لا ذُو شَفاعةٍ
سِواكَ بمُغنٍ عن سَوادِ بن قاربِ /

٦٩ / ب

قال: ففرِح رسولُ الله ﷺ هو وأصحابُه بإسلامي فرحاً شديداً حتّى رِيءَ في وجُوههم، قال: فوثب إليه عمرُ رضي الله عنه والتزمه وقال: قد كنتُ أحبُّ أن أسمع هذا منك »[2]. هذا نصُّ روايةِ ابن رِيذَه[3]، ونقلتُه حرفاً من أصل الطّبراني المقروء عليه[4]. وقد رواه أيضاً[5] من طريق سعيد

(١) تسهيل: نشأ، وفي دلائل النّبوّة للتّيميّ ٤/١١٩٥: مشى.
(٢) الحديثُ ضعيفٌ بهذا السّياق الذي فيه هذه الأبيات لكن أصلُه ثابتٌ في البخاري كما تقدّم، وقد توسّع جدّاً في تخريجه الشّيخُ مُساعِدُ بن سليمان الرّاشد الحميد ـ أحسنَ الله إليه ـ في تحقيقه دلائل النّبوّة لأبي القاسم التّيميّ ٤/١١٥٥ ـ ١٢٠٩.
(٣) أبو بكر محمّد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني المشهور بابن ريذه تقدّم.
(٤) المعجم الكبير ٧/١٠٩ ـ ١١١، رقم: ٦٤٧٥.
(٥) المعجم الكبير ٧/١١١ ـ ١١٢، رقم: ٦٤٧٦.

ابن جبير، قال: أخبرني سَوادُ بن قاربٍ الأزديُّ قال : « كنتُ نائماً على جبلٍ من جبال الشُّراةِ[1] ، فأتى آتٍ فضربني برجله »، ونصَّ الحديثَ وأسقطَ منه ذِكْرَ عمر رضي الله عنه .

وقد رواه الحفّاظُ منهم محمّدُ بن أبي شيبة وأبو يعلى الموصليُّ وزاد عبدُ الله بن محمّد بن النّعمان في آخر حديثه قال عمرُ: « فأخبرني عن رَئِيِّك هل يأتيك اليومَ؟ فقال: أمّا منذ قرأتُ كتابَ الله فلا، ونِعم العِوَضُ كتابُ الله من الجنِّ »، ووَقَفَ أبو يعلى في « مسنده » : « ونعم / العِوَضُ كتابُ الله » . ٧٠/أ

وهذه الأبياتُ معناها واحدٌ وقافيتُها مختلفةٌ، وقد رواها أصحابُ السّيَر والأخبار برواياتٍ وألفاظٍ متقاربةٍ وليست مِن كلام رسول الله ﷺ فأُورِدُ جميعَ رواياتها ويَكفيني سندٌ واحدٌ إليها .

وهذا الحديثُ الذي رويناه عن الطّبراني عن :

محمّد بن محمّد التّمّار : محدِّثٌ من أهل البصرة من أهل الخير والدِّين، سمعه من بشر بن حُجر السّاميّ، وكذلك رواه عن بشرٍ جماعةٌ من الحفّاظ منهم الحسنُ بن سفيان وأبو بكر عبدُ الله بن محمّد بن النُّعمان التّيميّ في جماعةٍ.

وبشرٌ السَّاميُّ : منسوبٌ إلى سامة بن لؤيٍّ من ثقات أهل البصرة.

وعليُّ بن منصور الأبناويّ : وكلُّ مَن كان باليمن من أبناء الموالي يُدعى الأبناويّ .

---

(١) سيأتي تعريفُ المصنّف بها ص ٣١٩ .

٧٠ / ب وعثمانُ بن عبد الرّحمن الوقاصيّ : من / ولدِ سعد بن أبي وقّاصٍ ضعّفه جماعةٌ منهم يحيى بن معين[1].

ومحمّد بن كعب القرظيُّ : أحدُ علماء المسلمين وثقاتهم ، ومن فضلاء التّابعين بالمدينة وصلحائهم ، ومن علماء المفسرين ، اتّفقا على الإخراج عنه في «صحيحيهما ».

فلنرجع إلى شرح ما في هذا الحديث من الغريب ، على جهة الاختصار والتّقريب .

التَّجْسَاسُ : على وزن التَّرْحَال وهو التّجسُّسُ، وكذلك التَّطلابُ بمعنى الطّلب.

والعِيسُ : الإبلُ التي يخلطُ بياضَها شيءٌ من شُقْرَةٍ يُقال : جَمَلٌ أَعْيَسُ وناقةٌ عَيْسَاءُ .

والأحلاسُ : جمع حِلْسٍ .

والرَّئِيُّ : بفتح الرّاء على وزن النَّجي هو جنّيٌّ يَتبعُ إنسيّاً ويأتيه بالأخبار فيصير كاهناً، ويُروى بكسر الرّاء على وزن القِسِيّ، والفتحُ في الرّاء أفصحُ ، وأصلُه من الإراءة والرّؤية.

وخَيرُ الجن : ويُروى « وخَيرُوا » بالواو على لفظ الجَمْعِ، وكذا

٧١ / أ صادقوا الجن ومؤمنوا / الجنّ، وهي تُلائم الألفاظَ التي بعدها من قوله:

---

(١) انظر تاريخ يحيى - رواية الدّوري ٣٩٤/٢، وسؤالات ابن الجنيد رقم : ١٧٥، وضعّفه أيضا ابنُ المديني والجوزجاني وأبو حاتم والبخاري وأبو داود والترمذي والنّسائي، انظر أقوالهم في تهذيب الكمال ٤٢٦/١٩ - ٤٢٧.

كأنْجاسها وككُفّارها، وككُذّابهـا، وإن كـان جـاء في روايتنـا علـى لفـظ الواحد إلاّ أنّه يَدلُّ على الجَمْعِ بالألفاظ التي بعدها .

والصَّفْوَةُ : المختارون .

وقولُه : « إلى رأسها » أي إلى رئيسِ القبيلة وسيدها الـذي هـو فيهـا بمنزلة الرّأس للجسد .

وقوله : « دعني أَنَمْ » أَنَمْ جَزْمٌ جوابِ دَعْ .

وقوله : « أمسيتُ ناعساً » أي يَغلبني النّومُ و لم أقضِ منه وطري.

وقوله : « يا سواد بن قـاربٍ » ، ففـي هـذا وأمثالِـه للنّحويـين ثلاثـةُ أوجهٍ :

الأوّل : أن تضمّ الاسمَ الأوّلَ كما هو شأنُ المنـادى المفـرد نحـو: يـا زيدُ ويا عمرُ، ولأنّه منادى مفرَدٌ ليـس بمضـاف، وتفتـحُ النُّـونَ لأنّـه صفـةٌ مضافةٌ فكما تقول: يا زيدُ أخانا فتنصبُ الصّفةَ نصبتَ الابنَ هاهنا.

والوجه الثّاني : تفتح الدّالَ تبعاً للنُّون ، وهذان الوجهان فصيحان .

/ والوجهُ الثّالث : أن تضمّ النّون من « ابن » تبعاً للـدّال فتقـول: يـا سوادُ بنُ قاربٍ، وهو أحطُّ درجةً من الوجهين الأوّلين . ٧١/ب

والأقتابُ والأكْوَارُ : جمعُ القَتَبِ والكُـورِ وهمـا الرَّحْـلُ الـذي يُشَـدُّ على البعير.

وقولُه : « واعقِل إن كنـت تعقـل » أي اعقـل كلامـي إن كـان لـك عقلٌ ومعرفةٌ.

والقُدامى : المتقدّم ، والأذنابُ : المتأخّرون .

أي ليس متقدّمُوا بني هاشمٍ كالنّبيّ ﷺ ومن آمن به منهم مثل المتأخِّرين في الكفر عنهم، ويحتمل أن يريد به: ليس متقدّمُوا المسلمين والسّابقون إلى الإسلام كمن تأخّر. وهذا يعضدُه كتابُ الله عزّ وجلّ فإنّه أثنى على السّابقين الأوّلين من المهاجرين والأنصار، وفيهم الموالي وأعيان الأحرار.

٧٢ / أ وقوله في هذه الرّواية : « فقال أبو بكر » وليس في رواية غيرِه ذِكْرُ / أبي بكر وكأنّه الأَوْلى لأنّه المتكلِّمُ بين يدي رسول الله ﷺ .

وقوله : « ادنُهْ » الهاءُ للوقف .

وقوله : « بعد هَدْءٍ » : الهَدْءُ بفتح الهاء وسكون الدّال هو الهُدُوُّ بضمّ الهاء والدّالّ وتشديد الواو وهو السّكونُ أي بعد ما رقدتُ وهدأتُ .

وثلاثَ ليالٍ : بالنّصبِ ظرفٌ .

وكلَّ ليلةٍ : ظرفٌ أيضاً ، أي يقولُ لي كلَّ ليلةٍ .

والذِّعْلِبُ : النّاقةُ القويّةُ .

والوَجْنَاءُ : النّاقةُ الصّلبةُ .

والسَّباسِبُ : المفاوزُ ، جمعُ سَبْسَبٍ .

والأطايِبُ : جمعُ الأَطْيَبِ .

وقولُه : وإن كان فيما جاء شَيْبُ الذّوائبِ ، أي بلِّغنا ما يأتيكَ به الوحيُ من الله عزّ وجلّ وإن كان فيه أمورٌ شِدادٌ تَشيبُ منها الذّوائبُ ؛ فإنّا نأخذُ به ونتّبعُك عليه .

٧٢ / ب والوسيلة : القُرْبُ والمنزلةُ / .

والرَّوابي : جمعُ الرّابية وهي المرتفَعُ من الأرض ، يُريد بين الجبال .

وجبل الشُّراة : في رواية سعيد بن جبير وإن كان السّندُ فيه لينٌ فقيّدناه بالشين المعجمة المضمُومة، وهو جَبَلٌ باليمن منسوبٌ إلى جماعةٍ من الخوارج يقال لأحدهم : شَارِي[(١)] .

قال ذو النّسبين أيّده الله: وقرأتُ في « كتاب الاشتقاق »[(٢)] للنّحويّ الكبير أبي جعفر أحمد بن محمّد بن إسماعيل[(٣)]: فقال الشُّراةُ واحدُهم شارٍ.

وقد تكلّم أهلُ اللّغة في اشتقاق هذه الكلمة بغير جوابٍ فمنهم من قال: سُمُّوا شُراةً بقولهم: شَرَيْنا أنفسَنا لله عزّ وجلّ، واشترينا الآخرة بالدّنيا. ومنهم من قال: الكلمةُ مشتقّةٌ من قولهم: شاريتُه أي لاحَحْتُه وماريتُه وهم من ألحِّ النّاس وأشدهم مراءً، ومنه الحديثُ: « فكان لا يُشاري ولا يُماري »[(٤)] .

---

(١) انظر معجم البلدان ٣٧٦/٣ (الشّراة) .

(٢) ذكره القفطيُّ في إنباه الرّواة ١٠٣/١ ووصفه بأنّه كتابٌ حسنٌ .

(٣) ابن النّحّاس المصريُّ النّحويُّ، توفي سنة ٣٣٨هـ، انظر السّير ٤٠١/١٥ ـ ٤٠٢.

(٤) أخرجه بهذا اللّفظ الزّبيرُ بن بكّارٍ ـ كما في الاستيعاب ٥٧٣/٤ ـ حدّثني أبو ضمرة أنسُ ابن عياض اللّيثي قال: حدّثني أبو السّائب ـ يعني الماجن وهو عبد الله بن السّائب ـ قال: كان جدّي أبو السّائب بن عائذٍ شريكَ رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ: نعم الشّريك كان أبو السّائب **كان لا يُشاري ولا يُماري**. ففيه أنّ الشّريك هو أبو السّائب، وقد أخرجه بنحوه أبو داود ١٧٠/٥ ـ ١٧١، رقم: ٤٨٣٦، وابنُ ماجه ٧٦٨/٢، رقم: ٢٢٨٧، لكن عندهما أنّ الشّريك هو السّائب لا أبوه، واعتبر ابنُ عبد البرّ هذا اضطرابا لا يثبت به شيءٌ ولا تقوم به حجّةٌ. غير أنّ العلاّمة الألباني صحّح الحديث من رواية أبي داود وابن ماجه، انظر صحيح أبي داود ١٨٨/٣، وصحيح ابن ماجه ٢٩/٢.

وأصحُّ ما قيل في اشتقاق هذه الكلمة ما حكاه يعقوبُ بن السكِّيت[1] أنّه يُقال : / شَرى الرّجلُ غضباً إذا استطار غضباً، وقيل لهم هذا لشدّة غضبهم واحتدادهم على المسلمين. وحكى أبو عبيد أنّه يُقال : استشرى الفرسُ في سيرِه أي لجّ ومضى فيه بلا فتورٍ ولا انكسارٍ. قال: ومِن هذا القبيل قيل للرّجل - إذا لجَّ في الأمر -: قد شرى فيه واستشرى. ٧٣ / أ

قال يعقوب : وحكى أبو عمرو : شَرى البعيرُ في سَيْرِه يشرَى شَرًى إذا كان سريعَ المشي، وشَريَ زمامُ النّاقةِ يَشْرَى إذا كثُر اضطرابُه، وشَرى البرقُ إذا كثُر لمعانُه، وشَرَيْتُ الشّيءَ بعتُه واشتريتُه، وأصلُه كلُّه مِن سرعة الشّيءِ .

وفي بعض الرّوايات : « أنّه أتى رسولَ الله ﷺ بمكّة » ، وفي روايتنا عن محمّد بن كعب : « أنّه أدركه بعدما هاجرَ إلى المدينة » .

وسوادُ بن قاربٍ هذا رضي الله عنه أزْدِيٌّ دَوْسِيٌّ، وقال ابنُ أبي خيثمة : سَدُوسِيٌّ، وهما قبيلتان مختلفتان إلاّ أن يكون مِن إحداهما / وحالفَ الأخرى، أو نزلَ فيما بين أهلِها فنُسب إليهما جميعاً . ٧٣ / ب

ولسوادِ بن قاربٍ هذا مقامٌ حَميدٌ في دوسٍ حين بلغهم وفاةُ رسول الله ﷺ وارتدَّت العربُ واشرأبَّ النّفاقُ، وجاء مِن العرب ما لا يُطاقُ، فقام خطيباً فقال :

« يا معشرَ الأزدِ، إنّ مِن سعادة القومِ أن يتّعظُوا بغيرهم، ومن شقائهم أن لا يتّعظُوا إلاّ بأنفسهم، وإنّه من لم تنفعه التّجارب ضرّتْهُ، ومن

---

(١) أبو يوسف يعقوب بن إسحاق بن السكّيت البغداديّ النّحويُّ مؤلّف كتاب إصلاح المنطق، توفي سنة ٢٤٤هـ، انظر سير أعلام النبلاء ١٦/١٢ - ١٩.

لم يسعه الحقُّ لم يسعه الباطل، وإنّما تُسْلِمونَ اليومَ بما أسلمتم به أمس، وقد علمتم أنّ نبيّ الله ﷺ قد تناول قوماً أبعدَ منكم فظفِرَ بهم، وأوعدَ قوماً أكثر منكم فأخافَهُم، ولم يمنعه منكم عُدَّةٌ ولا عَدَدٌ، وكلُّ بلاءٍ منسيٌّ إلاّ ما بقي أثرُه في النّاس، وما ينبغي لأهل البلاء إلا أن يكونوا أذْكَرَ من أهل العافية للعافية، وإنّما كفَّ نبيُّ الله عنكم ما كَفَّكُم / عنه، فلم تزالوا ٧٤ / أ خارجين ممّا فيه أهلُ البلاد داخلين فيما فيه أهلُ العافية، حتّى قدم على رسول الله ﷺ خطيبُكم ونقيبُكم فعبّر الخطيبُ عن الشّاهِد، ونقّب النّقيبُ عن الغائِب، ولستُ أدري لعلّه يكون للنّاس جَوْلَةٌ، فإن تكن فالسَّلامةُ منها الأناة، والله يحبُّها فأحبُّوها، فأجابه القومُ وسمعوا قولَه، فقال في ذلك سوادُ بن قاربٍ:

جَلَّتْ مصيبتُك الغَداةَ سَوادُ ... وأرى المصيبةَ بعدها تزدادُ

أبقى لنا فقدُ النّبيِّ محمّدٍ ... صلّى الإلهُ عليه ما يعتادُ

حُزناً لَعَمْرُكَ في الفؤادِ مُخامِراً ... أو هلْ لمن فقدَ النّبيَّ فؤادُ

كُنّا نَحُلُّ به جَناباً مُمْرَعاً ... جَفَّ الجَنابُ فأَجْدَبَ الرُّوّادُ / ٧٤ / ب

فبكت عليه أرضُنا وسماؤُنا ... وتصدّعتْ وَجْداً به الأكبادُ

قلَّ المتاعُ به وكان عَنانُه ... حُلُماً تضمّنَ سَكْرَتَيْهِ رُقادُ

كان العيان هو الطَّريفَ وحُزْنُه ... باقٍ لعمرك في النّفوس تِلادُ

إنّ النّبيَّ وفاتُه كحياتِه ... الحقُّ حقٌّ والجهادُ جهادُ

لو قيل تَفْدُونَ النّبيَّ محمّداً ... بُذِلَتْ له الأموالُ والأولادُ

وتسارعتْ فيه النّفوسُ ببذْلها ... هذا له الإغيابُ والإشهادُ

هذا وهذا لا يَرُدُّ نبيَّنا ... لو كان يَفديه فَداهُ سَوادُ

إنّي أُحاذرُ والحوادثُ جَمَّةٌ ... أمراً لعاصفِ ريحِه إرْعَادُ

٧٥ / أ
إنْ حَلَّ منهُ ما يُخافُ فأنتــــمُ للأرضِ إن رَجَفَتْ بنا أوتــادُ /
لو زادَ قومٌ فوقَ مُنْيَةِ صاحـبٍ زدتُـمْ وليـس لمُنْيَـةٍ مُـزْدَادُ
فأعجبَ القومَ شعرُه وقولُه فأجابوه إلى ما أحبَّ » .

ومَن نزل القرآنُ الحكيمُ والكتابُ الكريمُ بلسانِه، وجرى على بيانِه، وهو الذي لا يأتيه الباطلُ من بين يديه ولا مِن خلفِه، ما عسى أن يُقال في بلاغتِه وفصاحة لفظِه في وصفِهِ، كيف وهو معجزةٌ باقيةٌ إلى يوم الدِّين، عجزَ عن معارضتِها سائرُ الفصحاء من العرب أجمعين، ومَن بعدهم من الفاضلين، مع كونه نُبِّيء مِن الأمّيِّين، كما قال أصدقُ القائلين: ﴿**وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلاَ تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذاً لارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ**﴾(١)، وفي ذلك كفايَة ، وهو لَعَمْري الغايَةُ والنّهايَة .

والفصاحةُ في اللّغة مِن قولهم : أفصحَ فلانٌ عمّا في نفسِه إذا أظهره، والشّاهدُ على أنّها هي الإظهارُ قولُ العربِ: أفصحَ الصّبحُ إذا أضاءَ / وفَصَحَ أيضاً، وأفصحَ الأعجميُّ إذا أبان بعدَ أن لم يكن يُبيِّنُ، وفصُحَ اللّحَّانُ بضمّ الصّاد إذا عبّرَ عمّا في نفسِه وأظهره على جهة الصَّواب، وإذا كان الأمرُ على هذا فالفصاحةُ والبلاغةُ بمعنى واحدٍ إذ كان كلٌّ واحدٍ منهما إنّما هو الإبانةُ عن المعنى والإظهارُ له.
٧٥ / ب

وقال بعضُ علمائنا: الفصاحةُ تمامُ آلة البيان؛ فلهذا لا يجوزُ أن يُسمّى الله تعالى فصيحا إذ كانت الفصاحةُ تتضمّنُ معنى الآلة(٢)، ولا تجوز على الله تعالى الآلةُ، ويوصفُ كلامُه بالفصاحة لما يتضمّنُ من تمام البيان، والدّليلُ على ذلك أنّ الألثغَ والتّمْتامَ لا يُسمَّيان فصيحين لنقصان آلتهما عن إقامة الحروف .

---

(١) العنكبوت : الآية ٤٨ .

(٢) أهلُ السُّنّة والجماعة لا يُثبتون لله إلاّ ما أثبتهُ لنفسه أو أثبتهُ له رسولُه ﷺ، ولم يثبُت وصفه سبحانه في القرآن ولا في السُّنّة بالفصيح .

لا يثبتونه مع

والبلاغةُ مِن قولهم: بلغتُ الغايةَ إذا انتهيتُ إليها وبلّغتُها غيري، ومبلغُ الشّيءِ منتهاهُ، والمبالغةُ في الشّيءِ الانتهاءُ إلى غايتِه، فسُميت البلاغةُ لأنّها تُنهي المعنى إلى قَلْبِ السّامع فيفهمُه / ، وسُميت البُلْغَةُ بُلْغَةً لأنك تتبلّغُ بها فتنتهي بك إلى ما فوقها، وهي البلاغُ أيضاً، والدُّنيا بلاغٌ لأنّها تُؤديك إلى الآخرة، والبلاغُ أيضاً التّبليغُ في قول الله عزّ وجلّ: ﴿هَـٰذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ﴾(١) أي تبليغٌ . والبلاغةُ من صفة الكلام لا من صفة المتكلّم؛ فلهذا لا يجوزُ أن يُسمَّى الله عزّ وجلّ بأنّه بليغٌ إذ لا يجوزُ أن يُوصفَ بصفةٍ كان موضُوعها للكلام، وتسميتُنا المتكلِّمَ بأنّه بليغٌ توسُّعٌ، وحقيقتُه أنّ كلامَه بليغٌ كما تَقولُ: فلانٌ رجلٌ مُحْكِمٌ تعني أنّ أفعالَه مُحْكَمَةٌ قال الله العظيم: ﴿حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ﴾(٢)، فجعل البلاغةَ من صفة الحكمة ولم يجعلها من صفة الحكيم؛ وقد ظهر مِن كلامنا هذا فَرْقُ ما بين البلاغةِ والفصاحةِ وجمعَ ما بينهما بالوجهين جميعاً . ٧٦ / أ

ومنها أنّ رسول الله ﷺ كان يتكلّمُ بالغيُوب، / ممّا لا يطّلعُ عليه إلاّ مَنْ هو عن الوحي النّبويّ ليس بمحجُوب، وذلك في مِرَارٍ عِدَّةٍ لا تَدخلُ في المحصُور والمحسُوب، وذلك ممّا لا يُقْدَرُ عليه بحسابِ مُنَجمٍ ولا كتابةِ مكتُوب . ٧٦ / ب

منها أنّه ﷺ يومَ بدرٍ وضعَ يدَه المقدَّسةَ على الأرض فقال : « هذا مصرَعُ فلانٍ غداً، وهذا مصرَعُ فلانٍ غداً إن شاء الله، فالتقَوا فهزمهُم

(١) إبراهيم : الآية ٥٢ .

(٢) القمر : الآية ٥ .

الله، فوالله ما أماطَ رجلٌ منهم عن موضع كَفَّيْ رسول الله ﷺ، فخرج إليهم النّبيُّ ﷺ بعد ثلاثة أيّامٍ وقد جيَّفوا فقال: يا أبا جهلٍ، يا عتبةُ، يا شيبةُ، يا أميّةُ، هل وجدتم ما وعدكم ربُّكم حقّاً ؟ فإنّي وجدتُ ما وعدني ربّي حقّاً، فقال له عمرُ : يا رسولَ الله، تَدعُوهُم بعدَ ثلاثة أيّامٍ وقد جَيَّفوا؟ فقال : ما أنتم بأسمعَ لما أقولُ منهم، غيرَ أنّهم لا / يَستطيعُون جواباً »[٥] ، وقد ذكرتُ ذلك في مُعجزات يَدَيْه ، صلّى الله عَلَيْه[٦] . ٧٧ / أ

ومنها في غزوة تبوكَ وهي آخرُ غزوةٍ غزاها رسولُ الله ﷺ، « لمّا وصل إلى بيوت ثمودَ نهى أصحابَه أن يخرُج أحدُهم منفرداً، فخرج رجلان مِن بني ساعدة كلٌّ واحدٍ منهم منفردٌ عن صاحبه، أحدُهما يريدُ الغائطَ، فخُنق أحدُهما، فأُخبر النّبيُّ ﷺ بذلك فدعا له فشُفي، والآخَرُ خرجَ في طلب بعيرٍ له فأخذته الريحُ ورمتهُ في جبل طَيٍء، فردّتهُ طَيءٌ بعد ذلك إلى رسول الله ﷺ »[٧] .

و « أضلَّ ﷺ ناقتَهُ في هذه السَّفْرَةِ فقال بعضُ مَن في قلبه نفاقٌ: محمّدٌ يدَّعي أنّ خبرَ السّماء يأتيه وهو لا يَدري حيث ناقتُه، فنزل الوحيُ بما قاله هذا القائلُ على رسول الله ﷺ، فدعا أصحابَهُ فأخبرهم / بقول القائل، ٧٧ / ب

---

(٥) أخرجه مسلمٌ ٤/٢٢٠٢ ـ ٢٢٠٣، رقم: ٢٨٧٣، كتاب الجنّة وصفة نعيمها وأهلها، باب عرض مقعد الميّت من الجنّة، من حديث أنس بن مالكٍ رضي الله عنه.

(٦) لم يرد ذلك فيما مضى ولعلّه في موضع السّقط المشار إليه ص ٢٠٥ .

(٧) أخرجه مرسلاً ابنُ إسحاق ـ كما في تهذيب السيرة ٢/٥٢١ ـ ٥٢٢ لابن هشام، ومن طريق ابن إسحاق البيهقيُّ في دلائل النّبوة ٥/٢٤٠ عن عبد الله بن أبي بكرٍ، عن عبّاس ابن سهل بن سعدٍ السّاعدي به. قال ابنُ إسحاق: « وقد حدّثني عبدُ الله بن أبي بكرٍ أن قد سمّى له العبّاسُ الرّجلين، ولكنّه استودعه إيّاهما، فأبى عبدُ الله أن يُسمّيهما لي » .

وأخبرهُم أنّ الله عزّ وجلّ قد عرّفَهُ بموضع ناقتِه وأنّها في موضع كذا قد تعلّقَ خِطامُها بشجرةٍ، فابتدرُوا المكانَ الذي وصفَ فوجدُوها هنالك »[١].

والقائلُ زيدُ بن اللُّصَيْبِ[٢] وكان منافقاً قالهُ موسى بن عقبة الثِّقةُ وأصحابُ السِّيَر[٣].

قال ذو النّسبين أيّده الله : الصّوابُ اللُّصَيْتُ بالتّاء المثنّاة باثنتين وهو تصغيرُ لُصْتٍ بضمِّ اللاّم، واللُّصْتُ لغةٌ في اللِّصِّ. إلى غير ذلك من إعلاماتِه بالمغيّبات ، وإظْهاره لحقائقها وصُوَرِها بالبراهين والدِّلالاَت.

ومنها « أنّهَ ﷺ كان لا يتثاءبُ » أخرجه البخاريُّ في « تاريخه الكبير » مرسلاً، وأخرجه في « كتاب الأدب » تعليقاً[٤]. وقال مسلمةُ بن عبد الملك : « ما تثاءب نبيٌّ قطُّ ، وإنّها مِن علامة النّبوّة »[٥].

٧٨ / أ

قال ذو النّسبين / أيّده الله :

وصدقَ ؛ ثبتَ عن رسول الله ﷺ أنّه قال : « إنّ الله تعالى يحبُّ العُطاسَ ويكرَهُ التّثاؤُبَ، فإذا عَطَسَ أحدُكم وحمدَ الله كان حقّاً على كلِّ مسلمٍ سمعهُ أن يقول: يرحمك الله. وأمّا التّثاؤبُ فإنّما هو من الشّيطان،

---

(١) أخرجه ابنُ إسحاق ـ كما في سيرة ابن هشام ٢/٥٢٢ ، ٥٢٣ ـ قال: حدّثني عاصمُ بن عمر بن قتادة، عن محمود بن لبيدٍ، عن رجالٍ من بني عبد الأشهل قالوا: فقال زيدُ بن اللّصيت به فذكره. وإسنادُه ضعيفٌ. وانظر دلائل النّبوة ٥/٢٣٢ للبيهقي.

(٢) ويُقال : ابنُ اللُّصيت ، بالتّاء ، انظر السّيرة النّبويّة لابن هشامٍ ٢/٥٢٣ .

(٣) كابن هشامٍ في السّيرة النّبويّة ٢/٥٢٣ .

(٤) أخرجه ابنُ أبي شيبة في المصنّف ٢/٤٢٧: حدّثنا وكيع، عن سفيان، عن أبي فزارة العبسي، عن يزيدبن الأصمّ قال: ما تثاءب رسول الله ﷺ في الصّلاة قطّ. وإسنادُه مرسلٌ، وانظر الفتح ١٠/٦١٣ وقد عزاه أيضا للبخاري في التّاريخ الكبير ولم أره فيه.

(٥) أخرجه الخطّابيُّ فيما ذكر الحافظُ ابنُ حجر في فتح الباري ١٠/ ٦١٣ وقال: « ومسلمة أدرك بعضَ الصّحابة وهو صدوقٌ، ويؤيِّدُ ذلك ما ثبتَ أنّ التّثاؤبَ من الشّيطان »

فإذا تثاءبَ أحدُكم فليردَّهُ ما استطاع، فإنّ أحدَكُم إذا تثاءبَ ضحِكَ منه الشّيطانُ » ، رواه أبو هريرة عن رسول الله ﷺ ، وترجم عليه البخاريُّ في آخر « كتاب الأدب » بابٌ إذا تثاءبَ فليضعْ يدَه على فيه[1] ، وله طرقٌ.

قال أهلُ اللُّغة منهم ثابتٌ[2] في « كتاب الدّلائل » : صوابُ هذه اللّفظة تَثَأَّبَ مُشدّدةَ الهمزة ولا يُقال : تثاوبَ[3] .

قال ابن دُريدٍ : أصلُه مِن ثُئِبَ فهو مَثؤُوبٌ إذا كَسِلَ واسترخَى[4] .

وأمّا لسانُه فخرّج التّرمذيُّ الحافظُ أبو عيسى في « جامعه الكبير » في أبواب / المناقب في باب آيات نبوّة النّبيّ ﷺ وما قد خصّه الله به[5]، وحكمَ التّرمذيُّ بصحّته.

٧٨/ب

حدّثنا محمّدُ بن إسماعيل، حدّثنا محمّدُ بن سعيد، حدّثنا شَريك، عن سِماك، عن أبي ظَبيان، عن ابن عبّاس قال : « جاء أعرابيٌّ إلى رسول الله

---

(١) صحيح البخاري ٦١١/١٠ ، رقم : ٦٢٢٦ .

(٢) العلاّمةُ الإمامُ الحافظُ أبو القاسم ثابتُ بن حزم بن عبد الرّحمن السَّرَقُسْطِيُّ الأندلسيُّ اللّغويُّ صاحب كتاب الدّلائل في غريب الحديث الذي قال عنه أبو عليّ القاليّ: لم يُوضع بالأندلس مثلُه، وأصلُ التّأليف لابنه قاسم لكنّه مات دون إكماله فأكمله أبوه ثابتٌ، توفّي ثابتٌ سنة ٣١٤هـ، انظر سير أعلام النبلاء ٥٦٢/١٤ ـ ٥٦٣، وتاريخ ابن الفرضي ٤٠٣/١، وجذوة المقتبس ص ٣١٢ للحميدي.

(٣) عزاه لثابتٍ في دلائله الحافظُ ابن حجر في فتح الباري ٦١١/١٠ .

(٤) عزاه لابن دريدٍ القاضي عياض في مشارق الأنوار ١٢٧/١ .

(٥) الجامع الكبير ٥٥٤/٥ ، رقم : ٣٦٢٨ .

ﷺ فقال: بمَ أعرفُ أنّك نبيٌّ؟ قال: إن دعوتُ هذا العِذْقَ من هذه النّخلة تَشهدُ(١) أنّي رسولُ الله ؟ فدعاه رسولُ الله ﷺ، فجعل يَنزلُ من النّخلة حتّى سقطَ إلى النّبيّ ﷺ، ثمّ قال: ارجع فعادَ، فأسلمَ الأعرابيُّ » ، هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ(٢) .

قال ذو النّسبين أيّده الله : أبو ظَبيان هذا اسمُه حصينُ بن جندب المذحِجيُّ الجنبيُّ الكوفيُّ والدُ قابوس اتّفقا في « الصّحيحين » على الإخراج عنه لثقتِه، روى عن ابن عبّاسٍ وأسامةَ بن زيدٍ وجرير / بن عبد الله البجليّ، تُوفيّ رحمه الله سنة تسعين . ٧٩ / أ

والعِذْقُ : بكسر العَيْن الكِباسةُ وهو العُرْجون، والعَذْقُ بفتح العَين النّخلةُ(٣).

وفي الباب أحاديثُ كثيرةٌ نتكلّمُ إن شاء الله على سقيمها من صحيحها ، وتعديلها وتجريحها.

منها حديثُ شَاصُونة بن عُبيدٍ أبي محمّدٍ اليَمامِيُّ :

أجاز لنا(٤) أبو طاهر أحمدُ بن محمّد السِّلَفيُّ الأصبهانيُّ(٥) سنةَ ثلاثٍ

---

(١) في جامع التّرمذي : أتشهدُ .

(٢) في جامع التّرمذي : هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ صحيحٌ .

(٣) انظر مشارق الأنوار ٢/٧١ .

(٤) يعني ابنُ دحية الإجازةَ العامّةَ التي أجاز بها السلفيُّ المسلمين قبل موته، وقد روى بها جمعٌ من العلماء منهم ابنُ دحية في كثير من مؤلّفاته .

(٥) الإمامُ العلاّمةُ المحدثُ الحافظُ المشهور شرفُ المعمَّرين، توفي سنة ٥٧٦هـ عن سنٍّ عاليةٍ سنة حتّى ألحق الصّغار بالكبار، أطال ترجمته الذّهبيُّ في سيره ٢١/٥ - ٣٩.

وسبعين وسنة أربع وسبعين[١] ونقلتُه من سماعِه، قال: أخبرنا أبو بكر أحمدُ ابن المظفَّر بن الحسين بن سُوسَن التَّمَّار[٢] بقراءتـي عليـه ببغـداد في شوّال سنةَ ثلاثٍ وتسعين وأربعمائة، قـال: حدّثنـا أبـو القاسـم عبـدُ الرّحمـن بـن عبيـد الله بن عبد الله بـن محمّـد الحُرْفِـيُّ السِّمْسَـارُ[٣] إمـلاءً يـومَ الجمعـة لعشرين من شعبان سنةَ اثنتين وعِشرين وأربعمائة، قـال: حدّثنـا أبـو بكـر أحمدُ بن جعفر بن حَمْدان بن مالك[٤] / إملاءً في شهر رمضان سنةَ ستٍّ وخمسين وثلاثمائة، قال: حدّثنـا أبـو العبّـاس محمّـد بـن يُونـس بـن موسـى القرشيُّ في جمادى الآخرة سنة أربعٍ وثمانين[٥]، قـال: حدّثنـا شَـاصُونَةُ بـن عُبيدٍ أبو محمّد اليَمامِيُّ سنةَ عشرٍ ومائتين بالحَرْدَةِ وقد انصرفنـا مِـن عَـدَن، قال حدّثني مُعْرِضُ بن عبد الله بن مُعْرِضِ بن مُعَيْقِيبٍ قال :

« حججتُ حجّةَ الوداع فدخلتُ داراً بمكّة، فرأيـتُ رسـولَ الله ﷺ كأنّ وجهَه دارةُ القمر، فسمعتُ منه عجباً، جاءه رجـلٌ مـن أهـل اليَمامـة بصبيٍّ يومَ وُلد قد لَفَّهُ في خِرْقَةٍ، فقال رسـولُ الله ﷺ: يـا غـلامُ، مـن أنـا؟ قال : أنت رسولُ الله ، قال : صدقتَ بارك الله فيك ، قال :

ثـمّ إنّ الغلامَ لم يتكلّم بعدها حتّى شَبَّ، قال أبي: فكنّا نُسمِّيه مبارَكَ اليمامة » .

٧٩ / ب

---

(١) يعني وخمسمائة ، وعمر ابن دحية آنذاك ٢٨ عاماً .

(٢) الشّيخُ المعمَّرُ، كان يُلحق سماعاته في الأجزاء فضُعِّف بسبب ذلك، توفي سنة ٥٠٣هـ، انظر سير أعلام النبلاء ١٩/٢٤١ - ٢٤٢.

(٣) الشّيخُ المسندُ البغداديُّ، توفي سنة ٤٢٣هـ، انظر سير أعلام النبلاء ١٧/٤١١ - ٤١٢.

(٤) هو أبو بكر القطيعيُّ راوي مسند الإمام أحمد تقدّم .

(٥) أي ومائتين .

وهذا حديثٌ موضوعٌ مِن وضع محمّد بن يُونس بن موسى المذكور / ٨٠/أ آنفاً يُعرَف بالكُدَيميّ .

وكان الشّيخُ أبو طاهرٍ السِّلَفِيُّ يروي حديثَ شاصُونة[١] ويفخرُ به لعلوِّه فيه، وكان يجبُ عليه شرعاً أن يبيّن ما يرويه من الأحاديث الموضوعات خوفاً من الوعيد الواردِ فيها وهو قولُه ﷺ : « مَن حدّثَ عنّي بحديثٍ يُرَى أنّه كذبٌ فهو أحدُ الكاذبين » ، أسنده الإمامُ أحمدُ في « مسنده »[٢] عن عليّ بن أبي طالبٍ، وأسنده مسلمٌ في « صحيحه »[٣] من طريقين عن صاحبين : المغيرةِ وسمرةَ عن رسول الله ﷺ .

ويُرَى : بضمّ الياء أي يُظنُّ ، فَهُمَا كاذبان أحدُهما كَذَبَ حقيقةً، والآخَرُ كَذَبَ ظنّاً .

وفيه وعيدٌ شديدٌ للمحدِّث إذا حدّث بما يَظُنُّ أنّه كذبٌ على رسول الله ﷺ وإن لم يكن هو الكاذبَ في روايتِه .

وقد أسند مسلمٌ في أوّل « صحيحه »[٤] عن شعبةَ / عن خُبيب بن ٨٠/ب عبد الرّحمن ، عن حفص بن عاصم ، عن أبي هريرة ، عن النّبيّ ﷺ : « كفَى بالمرء كذباً أن يُحدِّث بكلِّ ما سمع » ، وإن كان الصَّوابُ في هذا

---

(١) رواه في مشيخته البغداديّة ل ٩ ب - ١٠ أ .

(٢) مسند الإمام أحمد ١/١١٢ - ١١٣ من طريق الأعمش، عن الحكم، عن عبد الرّحمن بن أبي ليلى، عن عليٍّ به .

(٣) في مقدّمته ١/٩ ، باب وجوب الرّواية عن الثّقات وترك الكذّابين ، و التّحذير من الكذب على رسول الله ﷺ ، من حديث المغيرة وسمرة كما قال ابنُ دحية .

(٤) في مقدّمته ١/١٠ ، باب النّهي عن الحديث بكلِّ ما سمع .

الحديث الإرسال عن حفص بن عاصمٍ قال : قال رسول ا لله ﷺ ، قاله معاذٌ العَنْبَرِيُّ وغُنْدَرٌ وعبدُ الرّحمن بن مهديّ وغيرُهم عن شعبةَ .

ومعنى الحديث أن يُحدِّث بكلٍّ ما سمع من الأحاديث الموضُوعة على رسول ا لله ﷺ فيأثمُ إذا حدَّث بها مع علمِه بحالها و لم يُبيِّنها.

وفي الباب أيضا أحاديثُ منها أنّه أخذَ قطعةً صغيرةً مِن ذَهَب، فَقَلَبَها على لسانِه سيّدُ العَجَمِ والعَرَب ، فوَزَنَ سَلْمَانُ منها أواقيَ كثيرةً وذلك من أعجب العَجَب .

وبسندنا المتقدِّم إلى الإمام أحمد قال: حدّثنا يعقوب[1]، قال: حدّثنا أبي، عن ابن إسحاق، قال: حدّثنا يزيدُ بن أبي حَبيب، عن رجلٍ / مِن عبد القيس، عن سلمان قال : ٨١/أ

« لّما قلتُ: وأين تقعُ هذه من الذي عليَّ يا رسولَ ا لله، أخذها رسولُ ا لله ﷺ فقلبها على لسانِه ثمّ قال: خُذها فأوفهم منها، فأخذتُها فأوفيتُهم منها حقَّهم كلَّه أربعين أوقيّةً » ، وسأُورد هذا الحديثَ إن شاء ا لله بكمالِه، وأتكلَّمُ على رجالِه، في آخر خصائص يديْه ، صلّى ا للهُ عليْه.

وأمّا نفخهُ ﷺ فمِن كرامتِه على ربِّه أنّه نفخَ في رَوَاحلِ أصحابه وقد أعيَت وكلَّت وقد نزلُوا عنها يَسُوقُونها، فانبعثت تسيرُ سيراً شديداً حتّى نازعتهُم أزمّتَها .

خَرَّجَهُ شيخُ السُّنّة أبو القاسم الطبرانيّ في « معجمه الكبير »[2] وفيه ستُّون ألف حديثٍ وقيل : ثمانون ألفاً، وقد تقدّم سندي إليه بقراءتي

---

(١) ابن إبراهيم بن سعد بن إبراهيم بن عبد الرّحمن بن عوف الإمامُ الحجّةُ، توفّي سنة ٢٠٨هـ، انظر سير أعلام النّبلاء ٩/٤٩١ - ٤٩٣ .

(٢) المعجم الكبير ١٨/٣٠٠ - ٣٠١ ، رقم : ٧٧١ .

لجميعه قال: حدّثنا أبو شُعيب الحَرّانيُّ، قال: حدّثنا / يحيى بن عبد الله، ٨١ / ب
قال: حدّثنا صفوانُ بن عمرو، قال: حدّثني عبدُ الرّحمن بن جُبير بن[1]
نُفَيْر، عن فَضالة بن عُبيد : « أنّ رسول الله ﷺ غزا غزوةَ تبوك، فجَهَدَ
الظَّهْرُ جَهْداً شديداً فشكوا إليه ذلك، قال: ورآهم رجالاً يُزْجُون ظَهْرَهُم،
فنظرَ رسولُ الله ﷺ من مَضيقٍ يمرُّ النّاسُ فيه، فوقفَ عليه والنّاسُ يمرُّون،
فنفخَ فيها وقال: اللّهمّ احمِل عليها في سبيلك فإنّك تَحْمِلُ على القويّ
والضّعيف والرَّطْبِ واليابسِ في البحر والبَرّ ، فاستمرّت فما دخلنا المدينةَ
إلاّ وهي تُنازِعُنا أزمّتَها » ، هذا حديثٌ صحيحٌ وإسنادٌ ثابتٌ .

شيخُ الطّبراني أبو شُعيب الحرّانيّ : هو عبدُ الله بن العَدْلِ المحدِّثِ
أبي مسلم الحسن بن أحمد بن أبي شُعيب الحرّانيّ ، سمع منه الإمامُ أبو
عبد الله أحمدُ بن محمّد بن حنبل / والإمامُ أبو زكريّاء يحيى بن معين ٨٢ / أ
والإمامُ إسحاقُ بن أبي إسرائيل حديثَ بِشْرِ بن أُبَيْرِقَ؛ لأنّه أسندهُ وأرسله
غيرُه، والزّيادةُ من الثّقةِ مقبولةٌ .

وابنُه أبو شعيب عبدُ الله : محدِّثٌ مسنِدٌ ثقةٌ .

وشيخُه يحيى بن عبد الله : هو الحَرّانيُّ صاحبُ الأوزاعيّ أخرجا في
« الصّحيحين » عنه لثقتِه وعدالتِه .

وصفوانُ بن عمرو بن هَرِم الحِمْصِيُّ السَّكْسَكِيُّ : ثقةٌ عَدْلٌ، روى
عنه أبو إسحاق الفزاريُّ وابنُ المبارك ومبشِّرُ بن إسماعيل والوليدُ بن مسلم
وإسماعيلُ بن عيّاشٍ وبقيّةُ وأبو المغيرةِ وأبو حيْوةَ وأبو اليمانِ.

---

(١) في الأصل : عن ، والتّصويب من المعجم الكبير .

قال أبو حاتم : ثقةٌ(١) .

وقال عمرو بن عليّ الفَلاّس : صفوانُ بن عمرو ثبتٌ في الحديث(٢) .

قال البخاريُّ : قال يزيدُ بن عبد ربِّه: مات صفـوانُ بـن عمـروٍ سـنةَ خمسٍ وخمسين ومائةٍ، كنيتُه أبو عمرو(٣) .

وقد أخرج مسلمٌ في « صحيحه » عن صفوان بن عمرو(٤) .

٨٢ / ب وعبدُ الرّحمن بن / جبير بن نفير الحضرميّ الشّاميّ فقيهٌ محدِّثٌ عـدلٌ، روى عنه جماعةٌ من العلمـاء منهـم أبـو الهذيـل محمّدُ بـن الوليـد الزّبيـديُّ ومعاويةُ بن صالحٍ وصفوانُ بن عمرو المذكورُ آنفاً وبكرُ بن سوادةَ.

كنيةُ عبدِ الرّحمـن أبـو حُميـدٍ وهـو الأشهـرُ ، خرّجَ عنه مسلـمٌ في « صحيحه » منفرداً به وبأبيه الفاضلِ العَدْلِ جبير بن نفيرٍ دون البخاريّ.

وأمّا فَضالةُ بن عُبيدٍ فصاحبُ رسول الله ﷺ فقيهٌ عالِمٌ مقـدَّمٌ، وهـو من بني عمرو بن عوفِ بن مالكِ بن الأوسِ الأنصـاريّ، أوسـيٌّ يُكنـى أبـا محمّدٍ، شهدَ أحداً مع رسول الله ﷺ ثمّ شهد المشاهدَ كلَّها، ثمّ انتقـل إلى الشّام فسكن دمشقَ وبنى بها داراً ، وكان فيها قاضياً لمعاويـة ، وفي أيّامـه تُوفّي .

---

(١) الجرح والتّعديل ٤/٤٢٢ ، رقم : ١٨٥٢ لابن أبي حاتم .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) التّاريخ الكبير ٤/ ٣٠٨ ، رقم : ٢٩٣٥ .

(٤) انظر رجال صحيح مسلم لابن منجويه ٣١٧/١ ، رقم : ٦٩١ ، وقد تصحّف فيه اسمُ جدّه هرم إلى هرمز، وانظر تهذيب الكمال ٢٠١/١٣ .

والإزْجَاءُ في اللّغة السَّوْقُ .

ومُزْجِي السَّحاب : سائقُها وباعثُها[1] .

/ وأمّا تَفْله ، والتّفْلُ بالتّاء المثنّاة باثنتين مِن فوقُ وهو شبيهٌ بالبَصْقِ ٨٣ / أ وهو أقلُّ منه، أوّله البَصْقُ ثم التّفْلُ ثمّ النّفْثُ ثمّ النّفْخُ، وقد تَفَلَ يَتْفِلُ بفتح الفاء في الماضي وكسرِها في المضارع، وبضمها أيضا في المضارع، ومنه تَفْلُ الرّاقي، واتْفِلْ في الأمر بكسر الفاء، وقولُ رسول الله ﷺ في أهل الجنّة: « لا يتفِلُون »[2] بكسر الفاء أيضاً، كلُّه من النّفْخِ بالبُصاق القليل .

والتّفَلُ بفتح التّاء والفاء : البُصَاقُ نفسُه، وقد وهِم فيه القابسيُّ[3] في « صحيح البخاريّ » فرواه بثاءٍ مثلّثةٍ وهو وهمٌ منه[4] .

وكذلك الريحُ الكريهةُ ومنه قولُه ﷺ في النّساء : « وليخرُجْنَ تَفِلاَتٍ »[5] أي غير مُتطيّباتٍ لئلاّ يُحَرِّكن الرّجالَ بريح طِيبهنّ .

وكذلك في حديث غَسْلِ الجمعة : « وهم تَفَلٌ »[6] أي رائحةٌ كريهةٌ، والفعلُ من الرّائحة الكريهة : تَفِلَ بكسر الفاء، يَتْفَلُ بفتحها في المضارع، تَفَلاً بفتحها في المصدر، / ولم يروِ أحدٌ في صفة أهل الجنّة: لا ٨٣ / ب

(١) هذا التّفسيرُ للقاضي عياض في مشارق الأنوار ٣٠٩/١ .

(٢) أخرجه مسلم ٢١٧٩/٤، رقم: ١٥ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) عالمُ المغرب أبو الحسن عليُّ بن محمّد بن خلف المَعافريُّ القابسيُّ المالكيُّ صاحبُ الملخّص، توفي سنة ٤٠٣هـ، انظر سير أعلام النبلاء ١٥٨/١٧ - ١٦٢.

(٤) انظر مشارق الأنوار ١٢٣/١ .

(٥) أخرجه أبو داود - تحقيق محمّد محيي الدّين ٣٨١/١، رقم: ٥٦٥، كتاب الصلاة، باب ما جاء في خروج النّساء من حديث أبي هريرة، وهو صحيح لطرقه، انظر الإرواء ٢٩٣/٢.

(٦) أخرجه مسلم ٥٨١/٢، رقم: ٦من قول عائشة رضي الله عنها .

يتفَلُون بفتح الفاء في الماضي وكسرها في المضارع وسكونها في المصدر كما قال ﷺ : « لا يَبْصُقُون ولا يَمْتَخِطُون »[(١)]، ولو رُوي بفتح الفاء لكان معناه : لا تُنْتِنُ رَوائحُهم وأعراقُهم[(٢)].

والمرأةُ مِتْفَالٌ ، والتّتْفلُ بفتح الفاء وضمها أيضاً ولدُ الثّعلب.

قال اليَزيدِيُّ[(٣)] : والتّاءُ فيه زائدةٌ .

ومن أصحها أنّ رسول الله ﷺ تَفَلَ في عينيّ عليّ بن أبي طالب عليه السّلام يومَ خيبر وهو أرمدُ، فصحَّ من حينِه، وبعثهُ بالرّاية إلى خيبر ففتحها الله على يديه، رواه سعدُ بن أبي وقّاصٍ وعبدُ الله بن عمر وأبو سعيد الخُدريّ وعمرانُ بن حصين وبريدة الأسلميّ وأبو هريرة وسلمةُ بن الأكوع وسهلُ بن سعدٍ السّاعديّ، غيرَ أنّ في حديثه في « الصّحيحين »[(٤)] أنّ رسول الله ﷺ قال يومَ خيبر :

« لأعطينّ الرّايةَ غداً رجلاً يفتحُ الله على يديه يحبُّ / الله ورسولَه ويحبُّه الله ورسولُه، فباتَ النّاسُ يَدُوكُون ليلتَهُم أيُّهم يُعطاها، فلمّا أصبح النّاسُ غَدَوْا على رسول الله ﷺ كلُّهم يَرجُو أن يُعطاها، فقال: أين عليُّ

٨٤ / أ

---

(١) أخرجه البخاري ٣١٨/٦، رقم: ٣٢٤٥، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنّة، ومسلم ٢١٨٠/٤، رقم: ١٧، كتاب الجنّة، باب في صفات الجنّة من حديث أبي هريرة.

(٢) انظر مشارق الأنوار ١٢٣/١ .

(٣) أبو محمّد يحيى بن المبارك اليزيديُّ النّحويُّ، توفي سنة ٢٠٢هـ، انظر السّير ٥٦٢/٩ .

(٤) صحيح البخاري ١٤٤/٦، رقم: ٣٠٠٩، ومسلم ١٨٧٢/٤، رقم: ٣٤، من حديث سهل بن سعدٍ السّاعديّ .

ابن أبي طالب؟ فقيل: هو يشتكي عينيه، قال : فأرسِلُوا إليه، فأُتي به إليه، فبصقَ رسولُ الله ﷺ في عينيه ودعا له حتّى كأنْ لم يكن به وجعٌ، فأعطاه الرّايةَ، فقال عليٌّ: يا رسولَ الله، حتّى يكونُوا مثلَنا؟ قال: انفُذ على رِسْلِكَ حتّى تنزلَ بساحتهم، ثمّ ادعُهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجبُ عليهم مِن حقِّ الله فيه، فوالله لأن يَهديَ الله بك رجلاً واحداً خيرٌ من حُمُرِ النَّعَمِ » .

قولُه : « يدوكون » أي يخوضون .

والدَّوْكَةُ : الاختلاطُ والخوضُ، تُروى بفتح الدّالّ وضمِّها : دُوكَةٌ ودَوْكَةٌ[1] .

وفي هذا الحديث المجمع على صحّته من الفقه :

/ الدّعاءُ قبل القتال لمن بلغته الدّعوةُ، وقد اختلف الفقهاءُ في دعاء ٨٤/ب العدوّ قبل القتال إذا كانُوا ممّن بلغته الدَّعوةُ، وإنّ رسولَ الله ﷺ أمرَ عليَّ ابن أبي طالبٍ أن يدعُوَ أهل خيبر قبل قتالهم، ولا شكّ في أنّ الدّعوةَ قد كانت بلغتهُم قبل ذلك لمجاورتهم له بأرض الحجاز، مع نصّ القرآن العظيم: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾[2].

وكلُّ ما جاء مِن ذِكْرِ محبّة الله تعالى لعَبْدِه أو محبّةِ العبدِ لله تعالى؛ فمعناه في محبّة العبدِ لله راجعٌ إلى طاعتِه له وإيثار أمرِه على سواه، وفي محبّة

---

(١) انظر مشارق الأنوار ٢٦٣/١ .

(٢) الإسراء : الآية ١٥ .

ا للهِ لعبدِه محمولٌ على إرادة ا للهِ تعالى به الخيرَ وهدايتِه إيّـاه[١]، وأمّـا المحبّـةُ التي هي المَيْلُ إلى المحبوب فالبارىءُ جلّ وعلا منزَّهٌ عنهـا لا يميـلُ ولا يُمـالُ إليه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾[٢].

وأمّا محبّةُ الرّسولِ والملائكةِ عليهم السّلام / لمن يُحبُّهم ويحبُّونـه فهـي على ظاهرها من المَيْلِ اللاّئق بالمخلُوقين إذ الحُبُّ مَيْلُ القلبِ إلى الشّـخص، مِن حَبَّـةِ القلـب وسُـوَيْدائه، يُقـال: أحـبَّ يحبُّ إحبابـاً، والحُبُّ الاسـمُ، ويكون من الملائكة بمعنى الاستغفارِ وحُسْنِ الذِّكْرِ والثّناءِ الجميلِ، وكذلك مِن البَشَر لهم التّعظيمُ والذِّكْرُ الجميلُ، ومِن الرّسـولِ لأمّتِـه إرادتُـه هُداهُـم ونجاتَهـم والدّعاءَ لهم والشّفاعةَ لهم، ومحبّتُهم له طاعتُهم إيّاه والصّـلاةُ عليـه والثّناءُ وتقديمُ أمره وقَبولُ قوله .

٨٥ / أ

ومن ذلك أنَّه أُتِيَ ﷺ بعبد ا لله بن عامر بن كُرَيْزِ بن حبيب بن عبـد شمس بن عبد مناف بن قُصَيّ القُرشيّ العَبْشَمِيّ وهـو صغـيرٌ فقـال: « هـذا شِبْهُنا، وجعل يَتْفِلُ عليه ويعوذُه ، فجعل عبدُ ا لله يَتَسَوَّغُ ريقَ رسـولِ ا لله ﷺ، فقال رسولُ ا لله ﷺ / : إنّه لَمُسْقىً، فكان لا يُعالِجُ أرضاً إلاّ ظهرَ له الماءُ »[٣] .

٨٥ / ب

---

(١) بل محبّةُ ا لله لعبده صفةٌ حقيقيةٌ تليقُ بكمال ا لله وجلاله ليست كمحبّة الخلق بلا شـكٍّ، أمّا ما ذكره المؤلّف من تفسير المحبّة بإرادة الخير للعبد وهدايته له فإن أرادَ التّفسـير بـلازم الصّفة دون تأويل الصّفة فهو كذلك إذ من أحبّه ا لله فقد أرادَ له الخيرَ، أمّا إن أرادَ بـذاك التّفسير تأويل صفة المحبّة فهو خلاف ما عليه السّلفُ من إثبات هذه الصّفة التي وردت في الكتاب والسنّة، إثباتا يليق بكمال ا لله وجلاله.

(٢) الشّورى : الآية ١١ .

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك ٦٣٩/٣ وفيه مصعب بن ثابت ليّن الحديث .

وقال ابنُ عبد البرِّ أيضاً في « الاستيعاب »[١] - عند ذِكْرِه للصّحابة رضي الله عنهم - :

« وقيل : لمّا أُتِيَ بعبد الله بن عامر بن كُريز إلى النّبيّ ﷺ قال لبني عبد شمس: هذا أشبهُ منّا منه بكم، ثمّ تفل في فيه فازْدَرَدَهُ فقال: أرجُو أن يكون مَسْقِيّاً، فكان كما قال ﷺ ».

وإنّما ذكرَ رسولُ الله ﷺ شبهَهُ بهم لأنّ جدّتَه هي البيضاءُ أمُّ حكيم بنتُ شَيْبَةَ الحَمْدِ مُطْعِمِ طير السَّماء عبدِ المطّلب بن هاشمٍ، وكانت تحت كُريز بن حبيب بن عبد شمس فولدتْ له عامِراً أبا عبد الله هذا.

فخرج كما قال رسولُ الله ﷺ؛ حفرَ الآبارَ، وشقّ الأنهار، وهو الذي شقَّ نهرَ البصرة وفتح بلادَ فارسٍ وأصبهان وحُلْوان وكرْمان وخُراسان، وعَمِلَ السِّقاياتِ بعرفةَ، وقُتل / بمرو، وأحرمَ من نَيْسابُور شُكراً لله. ٨٦ / أ

وكان جَواداً ميمونَ النَّقيبة، وولاّه ابنُ خالِه أميرُ المؤمنين أبو عبد الله عثمانُ بن عفّان على فارس والبصرة، وجمعَ له ذلك كلّه وهو ابنُ أربعٍ وعِشرين سنةً، ولم يزل والياً لعثمان على البصرة إلى أن قُتل عثمان، وكان ابنَ عمّتِه فأُصيبَ بمصيبتِه، أسكنهُما الله بحبوحةَ جنّتِه[٢].

قال ذو النّسبين أيّده الله :

كُرَيْزٌ : بضمّ الكاف في قُريشٍ، وكَرِيزٌ: بفتح الكاف في خُزاعةَ[٣].

---

(١) الاستيعاب ٣/٩٣٢ .

(٢) المصدر نفسه ٣/٩٣٢ - ٩٣٣ .

(٣) انظر مشارق الأنوار ١/٣٥١ .

كُرَيْزٌ : بضمِّ الكاف تصغيرُ كُرْزٍ وهو الجُوَالِقُ والخُـرْجُ ، وبـه سُـمِّي الرّجلُ كُرْزاً .

والكَريزُ : بفتح الكاف مأخوذٌ من قول العـرب: كَـرَزْتُ الشّـيءَ إذا اختزنتَهُ، ولذلك أجازوا أن يكون الكُرَّازُ من الفَخّارِ مأخوذاً من ذلك لأنّـه كالذي يَختزنُ الماءَ .

٨٦ / ب وقيل: الكَرّازُ على مثال الفَعّـال وهـو القـارورةُ، وأصلـه / أعجمـيٌّ، وإذا استُعملت الأسماءُ الأعجميّةُ بالألف والـلاّم فقـد صـار حكمُهـا حكـمَ العربيّ .

وأمّا تَفَثُهُ ففيه أحاديث :

منها ما خرّجه البخاريُّ في « صحيحه »[١] حدّثنا المكّيُّ بن إبراهيـم، قال : حدّثنا يزيدُ بن أبي عُبيد ، قال :

« رأيتُ أثرَ ضربةٍ في ساق سَـلَمَةَ[٢] فقلـتُ: يـا أبـا مُسـلمٍ، مـا هـذه الضَّرْبَةُ؟ قال: هذه ضربةٌ أصابَتْها يومَ خيبر، فقـال النّـاسُ: أُصيـب سـلمةُ؟ فأتيتُ إلى النّبيّ ﷺ فنفثَ فيه ثلاثَ نفثاتٍ فما اشتكيتُها حتّى السّاعة » ..

ومنها ما رواه ابنُ وهبٍ في « جامعه » فيما حدّثني به بالجامع الأعظم بقُرطبة شيخُنا المحدِّثُ العَدْلُ مـؤرِّخُ الأندلـس أبـو القاسـم خَلَـفُ بـن عبـد الملـك بـن بشـكُوال الأنصـاريُّ في شـهر صفـرٍ سنةَ أربـعٍ وسـبعين وخمسمائة، قال: سمعتُ جميعَه على الفقيه المفتي أبي محمّد عبـد الرّحمن بـن

(١) كتاب المغازي ، باب غزوة خيبر ، ٧/٤٧٥ ، رقم : ٤٢٠٦ .

(٢) هو سلمةُ بن الأكوع رضي الله عنه .

محمّد بن / عَتّاب[١]، قال: سمعتُ جميعَه على أبي[٢]، قال: قرأتُه على أبي ٨٧ / أ عثمان سعيد بن سلمة[٣]، قال: حدّثنا أبو محمّد عبدُ الله بن محمّد بن عثمان[٤]، عن سعيد بن خُميرٍ[٥]، عن يُونس بن عبد الأعلى[٦] وأحمد بن عبد الرّحمن بن وهبٍ[٧] عن الإمام ابنِ وهبٍ - وهو في عشرين جُزءاً - :

« أنّ خُبَيْبَ بن يَسَافٍ أُصيب يومَ بدرٍ مع رسولِ الله ﷺ بضربةٍ على عاتقِه حتّى مالَ شِقُّه، فردَّهُ رسولُ الله ﷺ ونفثَ عليه حتّى صحَّ » .

وذكره الحافظُ أبو جعفر العُقيليُّ في « صحيحه » عن حبيب بن فُدَيك - ويقال : فُوَيْكٍ بالواو - :

---

(١) تقدّمت ترجمته ، وعن أبي محمّدٍ هذا يروي القاضي عياض جامعَ ابن وهب بهذا الإسناد، انظر الغنية ص ١٦٣.

(٢) العلاّمةُ المحدثُ مفتي قرطبة أبو عبد الله محمّد بن عتّاب بن محسنٍ الأندلسيُّ، توفي سنة ٤٦٢هـ، انظر سير أعلام النبلاء ١٨/٣٢٨ - ٣٣٠.

(٣) أبو عثمان سعيد بن سلمة بن عبّاس القرطبيُّ، كان فاضلاً عاقلاً ضابطاً لما رواهُ، عالماً بما يُحدثُ به، توفي سنة ٤١٣هـ، انظر صلة ابن بشكوال ١/٢١١.

(٤) أبو محمّد عبدُ الله بن محمّد بن عثمان الأسديُّ القرطبيُّ، كان ضابطاً لكتبه، صدوقاً في روايته، ثقةً في نقله، توفي سنة ٣٦٤هـ، انظر تاريخ ابن الفرضي ١/٢٧٢ - ٢٧٣.

(٥) أبو عثمان سعيد بن حميرٍ القرطبيُّ، كان فقيهاً عالماً فاضلاً، توفي سنة ٣٠١هـ، انظر تاريخ ابن الفرضي ١/١٩٤ - ١٩٥.

(٦) أبو موسى الصّدفيُّ الإمامُ، توفي سنة ٢٦٤هـ، انظر سير أعلام النبلاء ١٢/٣٤٨ - ٣٥١.

(٧) الحافظُ أبو عبيد الله المصريُّ المعروفُ ببحشل وهو ابنُ أخي عبد الله بن وهب، وقد أكثر الرّواية عن عمه ابن وهبٍ، توفي سنة ٢٦٤هـ، انظر السّير ١٢/٣١٧ - ٣٢٣.

« أنّ أباه ابيضّت عيناه فلا يبصرُ بهما شيئاً، فتفثَ رسولُ ا لله ﷺ في عينيه فأبصر، فرأيتُه يُدخل الخَيْطَ في الإبرة وهو ابنُ ثمانين » .

وذكر ابنُ أبي شيبة عن محمّد بن بِشْرِ العَبْدِيّ، عن عبد العزيز بن عُمر، عن رجلٍ مِن / سَلامان بن سعدٍ، عن أمّه، أنّ خالَها حبيبَ بنَ فُوَيْك حدّثها : ٨٧ / ب

« أنّ أباه فُوَيْكاً خرج إلى رسول ا لله ﷺ وعيناه مُبيضّتان لا يُبصر بهما شيئاً، فسألهُ ما أصابه؟ فقال: كنتُ أُمَرِنُ جَمَلاً لي فوقفتُ على بَيْضِ حَيّةٍ، فأُصيب بصري، فنفثَ رسولُ ا لله ﷺ في عينيه فأبصر، فرأيتُه يُدخل الخَيْطَ في الإبرة وإنّه لابنُ ثمانين سنةً وإنّ عينيه مُبيضّتان » .

وقد خرّجه البغويُّ عن ابن أبي شيبة، وأتقنه الحافظُ الإمامُ أبو عليّ ابن السَّكن، فيما حدّثني[1] غيرُ واحدٍ بقراءتي بالأندلس والمغرب عن الإمام أبي الحجّاج يوسف بن عبد العزيز بن عبد الرّحمن بن عُدَيْس الأنصاري[2]، قال: قرأتُ على الحافظ الإمام أبي عمر بن عبد البرّ[3]، قال: قرأتُ على الحافظ الثّقة أبي القاسم خَلَفِ بن القاسم[4]، قال: / قرأتُ على ٨٨ / أ

---

(١) يورد ابنُ دحية هنا سنده في رواية صحيح ابن السّكن .

(٢) من أهل شَرِّيون، أخذ عن ابن عبد البرّ كثيراً، وكان حافظاً ذكيّا متفنّناً، توفي سنة ٥٠٥هـ، وهو آخرُ شيخٍ ترجم له القاضي عياض في فهرسته، انظر صلة ابن بشكوال ٢/٦٤٤، والغنية ص٢٢٧.

(٣) الحافظ الإمام أبو عمر يوسف بن عبد ا لله النّمريُّ .

(٤) الحافظُ الإمامُ المتقنُ أبو القاسم خلفُ بن القاسم الأندلسيُّ القرطبيُّ المعروفُ بابن الدّبّاغ، أكثر الرّواية عنه الحافظُ ابن عبد البرّ، توفي سنة ٣٩٣هـ، انظر تاريخ ابن الفرضي =

الحافظ أبي عليّ بن سعيد بن عثمان بن السَّكَن بجامع مصر، قال: حدّثنا أحمدُ بن محمّد بن العلاء، حدّثنا أبو عُبيدة بن أبي السَّفَر، حدّثنا محمّدُ بن بشْرٍ، حدّثنا عبدُ العزيز بن عُمر، قال: حدّثني رجلٌ من بني سَلامَان بن سعدٍ، عن أمّه، عن خالها فُدَيْكٍ : « أنّ أباه خرج إلى النّبيّ ﷺ وعيناه مُبْيضّتان » الحديثَ بنصه .

وهو محفوظٌ بهذه القصّة وهذا السّند ويُروى عن بنت أختِه لابنة أخيه ، وقد اضطرب فيه الحافظُ أبو عمر بن عبد البرّ في « كتاب الصّحابة » في حرف الحاء[1] .

ومنها ما اتّفقا على صحّتِه عن جابر بن عبد ا لله :

« أنّ رسول ا لله ﷺ أطعمَ يومَ الخندق ألفَ رجُلٍ من صاعِ شعيرٍ وعَناق، قال جابرٌ: فأُقسمُ با لله لأكلوا حتّى تركوه وانحرفُوا، وإنّ بُرْمَتَنا / ٨٨ / ب لَتَغِطُّ كما هي، وإنّ عجيننا لَيُخْبَزُ، وكان رسولُ ا لله بصقَ في العجينِ والبُرْمَةِ وبارَكَ » .

رواه عن جابرٍ سعيدُ بن مِينا ونصُّه قال: « لّما حُفر الخندقُ رأيتُ من النّبيّ ﷺ خمَصاً، فانكفيتُ إلى امرأتي فقلتُ: هل عندكِ شيءٌ؟ فإنّي رأيتُ برسول ا لله ﷺ خمَصاً شديداً، فأخرجَتْ إليّ جراباً فيه صاعٌ مِن شعيرٍ، ولنا بُهَيْمَةٌ داجنٌ فذبحتُها، وطحنَتْ ففرّغَتْ إليّ فَراغي وقطعتُها في بُرْمَتِها،

١٦٣/١ ـ ١٦٤، وجذوة المقتبس ص ١٩٥ ـ ١٩٨، وسير أعلام النبلاء ١١٣/١٧ ـ ١١٤.

(١) الاستيعاب ـ تحقيق البجاوي ١/ ٣٢٢ .

ثم ولّيتُ إلى رسول الله ﷺ فقالت: لا تَفْضَحْني برسول الله ومن معه، فجئته فساررته فقلتُ: يا رسولَ الله، ذبحنا بُهَيْمَةً لنا وطحنتُ صاعاً من شعيرٍ كان عندنا فتعالَ أنت ونفرٌ معك، فصاح النّبيُّ ﷺ فقال: يا أهلَ الخندق، إنّ جابراً قد صنع سُوراً فحيَّ هلاً بكم، فقال رسولُ / الله ﷺ: لاتنزلُنَّ بُرْمَتَكُم ولا تخبزُنَّ عجينكم حتّى أجيء، وجئتُ وجاء رسولُ الله ﷺ يقدمُ النّاسَ، حتّى جئتُ امرأتي فقالت: بكَ وبكَ، فقلتُ: قد فعلتُ الذي قلتِ، فأخرجت عجيناً، فبصق فيه وبارك، ثمّ عمدَ إلى بُرْمَتِنا فبصقَ وبارك، ثمّ قال: ادعُ خابزَةً فلتخبز معكِ، واقْدَحِي من بُرْمَتِكُم ولا تُنْزِلُوها وهم ألفٌ، فأقسمُ بالله لأكلوا حتّى تركوه وانحرفُوا وإنّ بُرْمَتَنا لتَغِطُّ كما هي، وإنّ عجينَنا لَيُخْبَزُ كما هو »[1] .

٨٩ / أ

شرحُ غريبه :

الخَمَصُ : ضُمُورُ البطنِ، فقولُه: « رأيتُ به خَمَصاً » يعني ضُمورَ بطنِه من أثر الجُوع[2].

وقولُه : « فانكفيتُ » أي رجعتُ عن سَنَنِ قصدي الأوّل، يُقال: كفأتُ وأكفأتُ وكلُّه بمعنى الميل والانقلاب، ومنه: / وأكفأ بيده أي قلبها وأمالها[3].

٨٩ / ب

---

(١) صحيح البخاري ٧/٣٩٥ ـ ٣٩٦، رقم: ٤١٠٢، كتاب المغازي، باب غزوة الخندق، وصحيح مسلم ٣/١٦١٠ ـ ١٦١١، رقم: ١٤١، كتاب الأشربة، باب جواز استتباعه غيرَه إلى دار من يثق برضاه بذلك، وسياقُ ابن دحية إقربُ إلى سياق مسلمٍ .

(٢) انظر مشارق الأنوار ١/٢٤١ .

(٣) المصدر نفسه ١/٣٤٤ .

وقولُه : « فأخرجتْ إليّ جِراباً » فجمعُه جُرْبٌ وهو وعاءٌ من جلدٍ كالمِزْوَدِ، وقيّده ابنُ القَزَّازِ[1] في « كتابه في اللّغة وفي غريب صحيح البخاريّ » بفتح الجيم، وبالكسر ذكرَهُ الخليلُ وغيرُه[2] .

والصّاعُ : مِكيالٌ يسعُ أربعةَ أمدادٍ بِمُدِّ النّبيّ ﷺ، وهو خمسةُ أرطالٍ وثلثُ رطلٍ، هذا قولُ جميعِ أهل الحجاز[3] .

قولُه : « ولنا بُهَيْمَةٌ » تصغيرُ بَهْمَةٍ وهي الصّغيرةُ من أولاد الغنم، وجمعُها بِهامٌ، وأصلُ ذلك كلُّ ما استبهمَ على الكلام[4]، ومنه قولُهم: بابٌ مُبْهَمٌ أي مسدودٌ.

وقولُه : « تعالَ أنت » يُقال للرّجل: تعالَ أي تقدّم وللمرأة تعالي، وللاثنين وللاثنتين تعاليا، ولجماعة الرّجال: تعالوا، ولجماعة النّساء: تعالين، وجعلوا التّقدُّمَ ضرباً من التّعالي والارتفاع لأنّ المأمورَ بالتّقدُّم في / أصل وضع هذا الفعل كأنّه كان قاعداً فقيل له: تعال أي ارفع شخصَك بالقيام وتقدّم، واتّسَعُوا فيه حتّى جعلوه للواقف والماشي، ويدلُّك على أنّ التّقدّمَ الآن قد صار ضَرْباً من الارتفاع قولُهم: ارتفع فلانٌ وفلانٌ إلى الحاكم أي تقدّما إليه . ٩٠/أ

وقولُه : « ونفرٌ معك » فالنّفرُ ما بين الثّلاثة إلى العشرة[5].

---

(١) محمّد بن جعفر التّميمي تقدّم .
(٢) انظر مشارق الأنوار ١/١٤٤ .
(٣) المصدر نفسه ٢/٥٢ .
(٤) المصدر نفسه ١/١٠٢ .
(٥) المصدر نفسه ٢/٢٠ .

وقولُه ﷺ : « قد صنعَ سُــوراً » فالسُّـورُ بالفارسيّة دون همـزٍ: كـلُّ طعامٍ يُدعى النّاسُ إليه، قـال الطّـبريُّ: وهـي كلمـةٌ فارسـيّةٌ. وقـد جـاءت مفسّرةً بنحو هذا في بعض نسخ البخاريّ. وأمّا السُّؤْرُ مهمـوزٌ فهـو البقيّـةُ من طعامٍ أو ماءٍ أو غيرِهما، وهو من فصيح كلامهم مهموزٌ بلا خلافٍ[1].

وقولُه ﷺ : « فحيَّ هَلاً » يُقال : حَيَّ هَـلَ بفتـح الـلاّم، وحَـيَّ هَـلا بألفٍ مزيدةٍ دون تنوينٍ / قال الشّاعر : ٩٠/ب

بِحَيَّ هَلاَ يُزْجُونَ كُلَّ مطيّةٍ أمامَ المطايا سَيْرُها المتقاذِفُ[2]

وحَيَّ هَلاً للتنكـير كمـا جـاء في الحديـث، وحَيَهَـلاَ بتخفيـف اليـاء، ورُوي: حَيَّهْلَ بالتّشديد وإسكان الهاء، وعُلِّل باسـتثقال تـوالي الحركـات، وقيل: الصّوابُ حَيَهْلَ بتخفيف الياء وسكون الهاء، وأنّ هـذا التّعليـلَ إنّمـا يصحُّ فيه لا في المشدَّدِ. وتلحقُ كافُ الخطـاب بـه فيُقـال: حَيَهَلَـكَ، ومنـه قولُهم: « إذا ذُكر الصّالحون فَحَـيَّ هَـلاً بعُمـر »[3] ، أي ابـدأ بـه واعجـل بذِكْره. وقولُـه ﷺ : « واقْدَحِـي مـن بُرْمَتِكُـم » أي اغْرِفِـي ، والمِقدَحَـةُ : المِغْرَفَـةُ[4]. وقولُـه : « وإنّ بُرْمَتَنَـا لتَغِـطُّ كمـا هـي » أي تَغْلِـي غَلَيانـاً لــه صوتٌ[5].

(١) انظر مشارق الأنوار ٢/ ٢٠١ .

(٢) البيتُ في لسان العرب ٩/ ٢٧٨، ونسبه للنّابغة و« ١٤/ ٢٢١ « حيا » ، ونسبه لمزاحم.

(٣) أخرجه عبدُ الرّزّاق في المصنّف ١١/ ٢٣٢، ومن طريقه الطبرانيُّ في الكبير ٩/ ١٨٠، رقم: ١٨٠ بإسنادٍ حسنٍ كما قال الهيثميُّ في مجمع الزّوائد ٩/ ٧٨، وله شاهدٌ عن عليٍّ عند أبي نعيمٍ في الحلية ٦/ ١٥٢، وعائشة عند أحمد ٦/ ١٤٨.

(٤) انظر مشارق الأنوار ٢/ ١٧٢ .

(٥) المصدر نفسه ٢/ ١٣٣ .

وأخرجه البخاريُّ[1] / من حديث عبد الواحد بن أيمن، عن أبيه قال: ٩١ / أ
« أتيتُ جابراً قال :

إنّا يومَ الخندق نَحْفِرُ، فعرضَتْ لنا كُدْيَةٌ شديدةٌ فجاءوا النّبيَّ ﷺ فقالُوا: هذه كُدْيَةٌ عرضَتْ في الخندق، فقال: أنا نازلٌ، ثمّ قام وبطنُه معصُوبٌ، ولبثنا ثلاثةَ أيّامٍ لا نَذُوقُ ذَواقاً، فأخذ النّبيُّ ﷺ المِعْوَلَ فضربَ فعاد كثيباً أَهْيَلَ أو أَهْيَمَ، فقلتُ: يا رسولَ الله، ائذن لي إلى البيت، فقلتُ لامرأتي: رأيتُ بالنّبيّ ﷺ شيئاً ما في ذلك صبرٌ أعندكِ شيءٌ؟ قالت: عندي شَعيرٌ وعَناقٌ، فذبحتُ العَناقَ وطحنَت الشَّعيرَ حتّى جعلنا اللّحْمَ في البُرْمَةِ، ثمّ جئتُ النّبيَّ ﷺ والعجينُ قد انكسرَ والبُرْمَةُ بين الأَثَافِي قد كادتْ أن تَنْضَجَ، فقلتُ: طُعَيِّمٌ لي فقم أنت يا رسولَ الله ورجلٌ أو رجلان، قال: كم هو؟ فذكرتُ له / قال: كثيرٌ طَيِّبٌ، قال: قل لها لا تنزِعي البُرْمَةَ ولا ٩١ / ب الخبزَ من التّنّور حتّى آتي، فقال: قُومُوا، فقام المهاجرون والأنصارُ، فلمّا دخل على امرأتِه قال: ويحَكِ، جاءكِ النّبيُّ ﷺ بالمهاجرين والأنصار ومَن معهُم، قالت: هل سألكَ؟ قلتُ: نعم، فقال: ادخُلوا ولا تَضاغطُوا، فجعلَ يكسِرُ الخبزَ ويجعلُ عليه اللّحْمَ، ويُخَمِّرُ البُرْمَةَ والتّنّورَ إذا أخذَ منه، ويُقرِّبُ إلى أصحابه ثمّ ينزعُ، فلم يزل يكسرُ ويغرفُ حتّى شبعُوا وبقي منه، فقال: كُلي هذا وأَهْدِي فإنّ النّاسَ أصابتهم مَجاعَةٌ » .

شرحُ غريبه :

« كُدْيَةٌ » : اختلف العلماءُ في تقييدها :

---

[1] في صحيحه ٣٩٥/٧ ، رقم : ٤١٠١ ، كتاب المغازي ، باب غزوة الخندق .

فرواهُ أبو الهيثم محمّدُ بن المكّي بن محمّد بن زراع الكُشْميهَني : « كُدْيَةٌ » بضمِّ الكاف وسكُون الدّال المهملة وياءٍ مثنّاةٍ من تحتُ / ، ٩٢ / أ وكذلك للحافظ أبي بكر بن أبي شيبة في « صحيح مسلم »، وكذلك قال ابنُ قتيبة في « غريبه » .

وهي القطعةُ الصُّلْبَةُ من الأرض التي لا تُحْفَرُ إلاّ بعد شِدَّةٍ يُقال : أَكْدَى الحافِرُ إذا حفَر حتّى يبلُغَ كُدْيَةً لا يَعملُ فيها المِعْوَلُ .

وقيّدهُ الإمامان الفقيهُ أبو الحسن القابسيُّ[1] والفقيهُ القاضي بِسَرَقُسْطَةَ أبو محمّدٍ الأَصيليُّ[2] ببَاءٍ مُفردةٍ من تحتُ مكسورة[3]، وكذا قيّدهُ أبو إسحاق النَّسَفِيُّ[4] عن البخاريّ، وكذا قيّده الهمذانيُّ في « صحيح مسلم » .

وهي قطعةٌ من الأرض صُلْبَةٌ يَشُقُّ كسرُها .

وقيّدناه أيضاً : « كِبْدَةٌ » بكسر الكاف وسكون الباء من قولهم : أرضٌ كَبْدَاءُ أي صلبةٌ ، والكَبَدُ في اللّغة : الشِدَّةُ والمشقّةُ .

وقيّدهُ أبو محمّدٍ الأصيليُّ في المَشْرِقِ على أبي أحمد محمّد بن أحمد بن يوسف الجرجانيّ صاحبِ الفِرَبْرِيّ : « كَنِدَة » / بنونٍ مكسورةٍ . ٩٢ / ب

---

(١) عليُّ بن محمّد بن خلف تقدّم .

(٢) شيخُ المالكية عالم الأندلس أبو محمّد عبدُ الله بن إبراهيم الأصيليُّ، توفي سنة ٣٩٢هـ، انظر سير أعلام النبلاء ١٦/ ٥٦٠ ـ ٥٦١.

(٣) يعني : كَبِدَة .

(٤) أبو إسحاق إبراهيم بن معقل بن الحجّاج النّسفيُّ تقدّم .

وقيّده الإمامُ الحافظُ أبو عليّ بن السّكن : « كَتَدَة » بتاءٍ مثنّاةٍ من فوقُ مفتوحة في الموضعين من الحديث .

قال القاضي أبو الفضل عياضُ بن موسى : ولا أعرفُ لهاتين[١] الروايتين معنىً هاهنا[٢].

قال شيخُنا العالِمُ أبو إسحاق إبراهيمُ بن يوسف الحمزي يُعرف بابن قُرْقُول[٣] سمعتُ منه سنةَ أربع وستّين[٤] في شهر رمضان :

الكَنِدَةُ بالنّون الأرضُ الصّلبةُ التي لا تنبتُ، والكَتَدَةُ بفتح الكاف والتّاء: الأرضُ المتلزّزةُ المنعقِدُ بعضُها إلى بعضٍ، وكلُّه راجعٌ إلى شدّة الحَفْرِ وقلّة تأثير الفأس فيها.

ورواه أبو ذرٍّ عبدُ بن أحمدَ الحافظُ الهرَويُّ[٥] عن شيخِهِ أبي إسحاق إبراهيم بن أحمد البلخيّ المستمليّ وأبي محمّدٍ عبدِ الله بن أحمد بن حَمُّوَيَةَ

---

(١) في الأصل : لها بين ، وهو تصحيفٌ ،وفي مشارق الأنوار : ولا أعرفُ له هنا معنى بالتّاء ولا بالنّون.

(٢) مشارق الأنوار ٣٣٤/١ ، والنّقول السّابقة منه أخذها ابنُ دحية .

(٣) العلاّمةُ الحَمْزِيُّ الوهرانيُّ، صاحب كتاب المطالع على الصّحيح، وهو غزيرُ الفوائد، وضعه على مثال مشارق الأنوار للقاضي عياض، توفي سنة ٥٦٩هـ، انظر المطرب ص ٢٢٥ لابن دحية، وسير أعلام النبلاء ٥٢٠/٢٠ ـ ٥٢١.

(٤) أي وخمسمائة ، وعمر ابن دحية آنذاك ١٨ عاماً .

(٥) الحافظُ العلاّمةُ أبو ذرٍّ عبدُ بن أحمد بن محمّد الهرويُّ المالكيُّ، راوي الصّحيح عن الثّلاثة: المُستمليّ والحمويّ والكُشميهنيّ، توفي سنة ٤٣٤هـ، انظر السّير ٥٥٤/١٧ ـ ٥٦٣.

٩٣ / أ السَّرخسيُّ: كَيْدَة بياءٍ ساكنةٍ مثنّاةٍ من تحتُ وهي الأرضُ الصُّلبةُ أيضا / الشاقُّ قطعُها وحَفْرُها[١].

وقولُه : « ثمّ قام وبطنُه مَعْصُوبٌ » : قال أهلُ اللُّغةِ : العِصابةُ بالتّاء ما يُشَدُّ به الرّأسُ خاصّةً، وأمّا لسائر الجسد فالعِصَابُ بغير تاء.

والمِعْوَلُ : بكسر الميم وسكون العين المهملة : هو الذي يُحفر به[٢].

وقولُه : « فعاد كثيباً أَهْيَلَ » الكثيبُ : قطعةٌ من الرّمل مستطيلةٌ مُحْدَوْدِبَةٌ وهي شبهُ الرَّبْوَةِ[٣] .

والأَهْيَلُ : السَّيَّالُ من كُثْبَان الرّمل يُقال : تهيَّلَ الرّملُ وانهال إذا سال، وهِلْتُه أَهِيلُه إذا نثرتَه وصببتَه، وهَيَّلْتُه إذا أرسلتَه إرسالاً فجَرى، ومنه « كِيلُوا ولا تَهيلُوا » ، وأَهَلْتُهُ أيضاً لغةٌ[٤].

وقولُه : « أو أَهْيَمَ » بالشّكّ بمعنى « أَهْيَلَ »، وكذلك هَيَامُه سَيَلانُه[٥] .

وقولُ امرأة جابر : « عندي شَعيرٌ وعَناقٌ » العَناقُ : الجَذَعَةُ من المعز التي قاربت الحَمْلَ[٦] التي لا يجوزُ أخذُها في الصّدقة لصِغَرِها .

---

(١) مشارق الأنوار ٣٣٤/١ .
(٢) المصدر نفسه ١٠٥/٢ .
(٣) المصدر نفسه ٣٣٦/١ .
(٤) المصدر نفسه ٢٧٤/٢ .
(٥) المصدر نفسه .
(٦) المصدر نفسه .

وقولُه: « والعجينُ قد انكسر » كلُّ شيءٍ / فَتَرَ فقد انكسر يريدُ أنّه ٩٣/ب لانَ ورطب بِمَلْكِهَا العجينَ[١] وما كان اختمرَ بعدُ؛ بدليل أنّهم لم يَخبزُوه لقوله ﷺ: « لا تخبزُوا عجينَكم حتّى أجيء » ، وإن كان الظّاهرُ من الرّواية أنّه كان اختمرَ وجُعل في التّنّور لأنّ رسولَ الله ﷺ قال : « قل لها - يعني لمرأة جابرٍ -: لا تَنْزِعِي البُرْمَةَ ولا الخبزَ من التّنّور » فيكون انكسارُه لينَه للنُّضْجِ وأخذِ النّار منه .

والتّنّورُ : اسمٌ اتّفقت عليه العربُ مع العجم ليس له اسمٌ غيرَ هذا، والتّاءُ فيه زائدةٌ لأنّه من النّار ، وتَنَوُّرُها اتّقادُها في التّنّور[٢] .

والأثافي : جمع أُثْفِيَةٍ وهي ثلاثةُ أحجارٍ تُوضعُ لتوضعَ عليها القِدْرُ للطّبْخِ هذا أصلُها عند العرب .

وأمّا قولُهم : « رَماهُ الله بثالثةِ الأثافي » فأصلُه أنّ الرّجلَ يأتي إلى لَحْفِ الجبل فينصبُ لقِدْرِه أُثْفِيَتَيْنِ / ويجعلُ الجبلَ الثّالثةَ فيُقال: « رَماه الله ٩٤/أ بثالثة الأثافي »، معناه رماه الله بالجبل، ويُقال للدّاهية : ثالثةُ الأثافي[٣].

وذكر ابنُ إسحاق في « السّيرة »[٤] له ــ وإن كان لا يُحتَجُّ به لتجريح مالكٍ إمام دار الهجرة له والإمامِ هشامِ بن عروة قَبْلَهُ فيُستشهد به

(١) مَلَكَ العجينَ : إذا عجنَهُ فأنعمَ عجنَه وأجادَهُ .

(٢) مشارق الأنوار ١/١٢٣ .

(٣) والمثلُ يضربُ لمن رُمي بداهيةٍ عظيمةٍ، ويضربُ لمن لا يبقي من الشّرّ شيئاً. انظر مجمع الأمثال ١/٢٩٩ للميداني

(٤) فقال - كما السّيرة لابن هشام ٣/٢١٩ ــ : وحُدثتُ عن سلمان الفارسيّ أنّه قال : فذكر نحوَه ، وإسنادُه منقطعٌ .

كما فعل البخاريُّ و لم يُسند عنه حرفاً ـ فذكر أنّ رسولَ الله ﷺ حين أمر بحفر الخندق عرضَتْ له صخرةٌ ـ ووقع في غير « السّيرة » : « عَبْلَةٌ » وهي الصّخرةُ الصّمّاءُ وجمعُها عَبلاتٌ ويُقال : العَبْلاءُ، والأَعْبَلُ: صخرةٌ بيضاء ـ فذكر ابنُ إسحاق أنّه لمعتْ له من تلك الصّخرة بَرْقَةٌ بعد بَرْقةٍ.

وأسند الإمامُ أحمدُ في « مسنده »[1] في الجزء السّادس من مسند الكوفيين قال: حدّثنا محمّدُ بن جعفر، قال: حدّثنا عوفٌ، عن ميمونٍ أبي عبد الله، عن البراء بن عازبٍ قال :

٩٤ / ب « أمرنا / رسولُ الله ﷺ بحفر الخندق قال : وعَرَضَ لنا صخرةٌ في مكان من الخندق لا تأخذُ فيها المعاولُ، فشكَوْها إلى رسول الله ﷺ، فجاء رسولُ الله ﷺ، قال عوفٌ : وأحسبُه قال : وضع ثوبَه ثمّ هبطَ إلى الصّخرة فأخذ المِعْوَلَ وقال :

بسم الله، وضربَ ضربةً فكسر ثُلثَ الحَجَرِ وقال : الله أكبر، أُعطيتُ مفاتيحَ الشّام، والله إنّي لأُبصرُ قصورَها الحُمْرَ من مكاني هذا، ثمّ قال: بسم الله، وضرب أخرى فكسر ثُلثَ الحَجَر فقال : الله أكبر، أُعطيتُ مفاتيح فارسَ، والله إنّي لأبصرُ المدائنَ وأبصِرُ قصرَها الأبيض من مكاني هذا، ثمّ قال: بسم الله، وضربَ ضربةً أخرى فقلع بقيّةَ الحَجَر فقال: الله أكبر، أُعطيتُ مفاتيحَ اليمن، والله إنّي لأبصِرُ أبوابَ صنعاء من مكاني هذا » .

---

(١) مسند أحمد ٤/٣٠٣. وميمون أبو عبد الله ضعيفٌ وهو ميمونُ بن أُستاذ البصري.

وقال الإمامُ أحمدُ[١] / أيضا : حدّثنا هوذةُ، قال: حدّثنا عوفٌ، عن ميمون، قال: أخبرني البراءُ بن عازبٍ الأنصاريُّ فذكره، وخرّجه النّسويُّ في « سننه الكبير »[٢] من طريق البراء بن عازبٍ أيضاً . ٩٥/أ

ومن ذلك ما خرّجه محمّدٌ مولى الجعفيين[٣]، عن إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن البراء قال :

« تَعُدُّون الفتحَ فتحَ مكّة وقد كان فتحُ مكّة فتحاً، نَعُدُّ الفتحَ بيعةَ الرِّضوان يومَ الحُديبيّة، كنّا مع رسول الله ﷺ أربعَ عشرةَ مائةً والحديبيّةُ بئرٌ فنزَحْناها فلم نترك فيها قطرةً، فبلغ ذلك النّبيَّ ﷺ فأتاها فجلسَ على شَفيرِها، ثمّ دعا بإناءٍ من ماءٍ فتوضّأ ثمّ مضمض ودعا، ثمّ صبّه فيها، فتركناها غيرَ بعيدٍ، ثمّ إنّها أصدَرَتْنا ماشِينا نحنُ ورِكابُنا » .

وقال محمّد[٤] : حدّثني فُضَيلُ بن يعقوب، قال / : حدّثنا الحسنُ بن محمّد بن أعين أبو عليّ الحرّانيُّ ، قال : حدّثنا زهيرٌ ، قال : حدّثنا أبو إسحاق ، قال : أنبأنا البراءُ بن عازبٍ : « أنّهم كانوا مع رسول الله ﷺ يومَ الحديبيّة ألفاً وأربعَ مائةٍ أو أكثر، فنزلوا على بئرٍ فنزحُوها فأتوا رسولَ ٩٥/ب

---

(١) مسند أحمد ٣٠٣/٤. وقد أخرجه ابن أبي شيبة ٤٢١/١٤ - ٤٢٢، رقم: ١٨٦٦٧ من طريق هوذة به، وميمون ضعيفٌ كما سبق، انظر المسند ـ تحقيق شعيب ٧٦٧/٢٦ .

(٢) السّنن الكبرى للنّسائي ٢٦٩/٥ - ٢٧٠ ، رقم : ٨٨٥٨ ، وفيه ميمون المذكور.

(٣) يعني به البخاريّ قال : حدّثنا عبيدُ الله بن موسى، عن إسرائيل به، وهو في صحيحه ٤٤١/٧، رقم: ٤١٥٠، كتاب المغازي ، باب غزوة الحديبية .

(٤) أي البخاري ، وهو في صحيحه ٤٤١/٧ ، رقم : ٤١٥١ .

ا لله ﷺ، فأتى البئرَ فقعد على شفيرها ثـمّ قـال : ائتُونـي بدلـوٍ مـن مائهـا، فأُتي به فبصق فدعا، ثمّ قال : دعُوها سـاعةً ، فـأَرْوَوْا أنفسَـهم وركـابَهم حتّى ارتحلُوا » .

قولُ البراء رضي ا لله عنه : « نحن نعدُّ الفتحَ بيعةَ الرضوان » فللعلمـاء في تسمية فتح الحديبية فتحاً أقوالٌ :

قال ابن شهابٍ : « لم يكن في الإسلام فتحٌ أعظمَ منه، كانت الحَرْبُ قد حجزت بين النّاس، يعني الصُّلح الذي كـان بـين رسـول ا لله ﷺ وبـين قريشٍ، ودخل أكثرُ النّاس في الإسلام مثل مَـن كـان قبـل / ذلـك في تلـك السّنين التي بُعث فيها ﷺ أو أكثر، وفيها أنـزل ا للهُ الآيـةَ العظمـى: ﴿**لَقَدْ رَضِيَ ا للهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ**﴾[٥] بعـد أن عرّفَـهُ المغفرةَ له لما تقدّم من ذنبه وما تأخّر، ثمّ لم يُنزل بعد ذلك سَخَطاً على مـن رضي عنه، وبيّنت هذه السُّورةُ[٦]: ﴿**إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً**﴾ لمحمّـدٍ ﷺ وللمؤمنين به حالَهُم في الآخرة، فذكر المغفرةَ لنبيه لما تقـدّم مـن ذنبـه ومـا تأخّر، وقال جـلّ وعـلا للمؤمنـين: ﴿**لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ**﴾[٧]، وهـو قـولُ ابـن عبّـاسٍ وعكرمـة والحسـن وقتـادة علـى قولـه تعـالى في سـورة

٩٦ / أ

---

(٥) الفتح : الآية ١٨ .

(٦) يعني سورة الفتح .

(٧) الفتح : الآية ٥ .

الأحقاف: ﴿وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلاَ بِكُمْ﴾[١] قال الحسن: في الدّنيا أي لا يَدري ﷺ ما يلحقُه وإيّاهم من / مرضٍ وصحّةٍ، ورَخْصٍ وغلاءٍ، وغنىً وفقرٍ، ومثلُه: ﴿وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الغَيْبَ لاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾[٢]. ٩٦ / ب

قال أبو جعفر أحمدُ بن محمّد النّحّاسُ في « كتاب النّاسخ والمنسوخ » له : « وهذا أصحُّ قولٍ وأحسنُه »[٣] .

حدّثني به بقيّةُ المَشيخة بقُرطبةَ العدلُ أبو القاسم بن بشكوال، قال: سمعتُ جميعَه يُقرأُ على شيخنا أبي محمّد بن عتّابٍ، ثمّ ذكر سندَ القراءة باتّصال السّماع[٤] وفيه بُعدٌ، ورواه عالياً بالإجازة عن الإمام أبي محمّدٍ مكّيّ بن أبي طالبٍ المقرىء، عن أبي بكرٍ محمّد بن عليّ الأُدْفوِيّ[٥] إجازةً[٦].

---

(١) الأحقاف : الآية ٩ .

(٢) الأعراف : الآية ١٨٨ .

(٣) النّاسخ والمنسوخ ٦٢٨/٢ ـ ٦٢٩ لأبي جعفر النّحّاس .

(٤) فرواهُ محمّد بن عتّابٍ قراءةً لجميعه على أبيه في رمضان سنة ٤٥٨هـ، قال: قُرىء جميعُه على أبي سعيدٍ الجعفريّ بجامع قرطبة وأنا أسمعُ عام ٤٠٠هـ، قال: نا أبو بكر محمّد بن عليّ الأدفويُّ، عن أبي جعفر بن النّحّاس. انظر فهرس ابن خيرٍ ص ٤٩ .

(٥) المقرىءُ النّحويُّ المفسرُ أبو بكر محمّد بن عليّ بن أحمد الأدفويُّ المصريُّ، صحب أبا جعفر النّحّاس وأخذ عنه وأكثر، وروى كلَّ تصانيفه، توفي سنة ٣٨٨هـ، انظر إنباه الرّواة ١٨٦/٣ ـ ١٨٨ .

(٦) فكان أبو محمّد بن عتّابٍ يرويه عن أبي محمّدٍ مكّي بن أبي طالبٍ المقرىء إجازةً عن أبي بكر الأدفويّ، ذكر ذلك ابن خيرٍ. وإنّما صار الأدفويُّ يجيزُه ويمتنع من إقرائه بعد أن
=

وحدّثني شيخُنا أبو القاسمِ المذكورُ[١]، عن الثّقةِ أبي الوليد أحمدَ بن عبد الله بن طَرِيفٍ[٢]، قال: حدّثنا الإمامُ المقرىءُ أبو القاسم عبدُ الوهّاب ابن محمّد بن عبد الوهّاب[٣]، قال: سمعتُ النّحويَّ العَدْلَ أبا الحسن عليَّ بن إبراهيم الحوفيَّ[٤] / يقول في هذه الآية: ﴿وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلاَ بِكُمْ﴾[٥]: ٩٧ / أ

«أمّا في الآخرة فمعاذَ اللهِ قد علمَ أنّه في الجنّةِ حين أخَذَتْ ميثاقَهُ في الرُّسل، ولكن قال: ﴿مَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلاَ بِكُمْ﴾ في الدّنيا، أُخرَجُ كما أُخرجت الأنبياءُ مِن قبلي، ﴿وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلاَ بِكُمْ﴾ أأُمّتي

انفرد أبو سعيدٍ الجعفريُّ بسماعه عليه، وحلف بعد ذلك أن لا يُسمعه لأحدٍ، وفي هذا يقول أبو عبد الله محمّد بن عتّاب: «كان أبو سعيدٍ الجعفريُّ قد انفردَ من بين أصحابه بسماع النّاسخ والمنسوخ من أبي بكر الأدفويّ، وكان أبو عمر الطّلمنكيُّ وغيرُه من أصحابه إنّما هو عندهم إجازة عن الأدفويّ، وكان أبو بكر الأدفويُّ ـ بعد سماع أبي سعيدٍ ـ حلفَ أن لا يُسمعهُ، فكان يُجيزُه» فهرس ابن خيرٍ ص ٥٠ ـ ٥١.

(١) يعني ابنَ بشكوال.

(٢) الشّيخ الكاتبُ الرّاوية الأديبُ النّحويُّ اللّغويُّ أبو الوليد أحمدُ بن عبد الله بن أحمد بن طَريف القرطبيُّ، شيخُ ابن بشكوال والقاضي عياض، توفي سنة ٥٢٠هـ، انظر صلة ابن بشكوال ٧٩/١ ـ ٨٠، وغنية القاضي عياض ص ١٠٥ ـ ١٠٦.

(٣) المقرىءُ الخطيبُ أبو القاسم عبدُ الوهّاب بن محمّد بن عبد الوهّاب بن عبد القدّوس الأنصاريُّ، توفي سنة ٤٦٢هـ، انظر صلة ابن بشكوال ٣٦٢/١.

(٤) وهذا سندٌ آخرُ يروي به ابنُ دحية كتاب البرهان للحوفيّ، وذكر فيما تقدّم أنّه يرويه عن ابن خيرٍ عن الشّنتريني عن ابن بابشاذ عن الحوفيّ.

(٥) الأحقاف: الآية ٩.

المكذّبَةُ أم أمّتِي المُصدّقَـةُ ، أم أمّـتِي المرميّةُ بالحجـارة مـن السّـماء قَذْفـاً، أم مخسـوفٌ بهـا خَسْـفاً، ثـمّ أُوحـي إليـه ﴿وَإِذْ قُلْنَـا لَـكَ إِنَّ رَبَّـكَ أَحَـاطَ بِالنَّاسِ﴾[1] يقول جلّ مِن قائلٍ: أحطتُ لك بالعرب ألاّ يقتلُوك، فعرفَ أنّه لا يُقتلُ، ثمّ أُنزل عليه: ﴿هُـوَ الـذِي أَرْسَـلَ رَسُـولَه بـالهُدَى وَدِيـنِ الحَـقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِا للهِ شَهِيداً﴾[2] يقـول: أشـهدَ لـك علـى نفسِه أنّه سيُظهر دينَه على الأديان، ثمّ قال جلّ مِن قائلٍ لمحمّدٍ ﷺ في أمّته: ﴿وَمَـا كَـانَ ا للهُ لِيُعَذِّبَهُـمْ / وَأَنْـتَ فِيهِـمْ وَمَـا كَـانَ ا للهُ مُعَذِّبَهُـمْ وَهُـمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾[3]، فأخبره ا للهُ جلّ وعلا ما يَصْنَعُ به وما يَصْنَعُ بأمّته . ٩٧ / ب

وقال آخرون : معنى ذلك وما أدري مـا يُفـترض علـيَّ وعليكـم أو يُنزل من حكمٍ، وليس معنى ﴿مَا أَدْرِي مَا يُفْعَـلُ بِـي وَلاَ بِكُـمْ﴾ غـداً في المعاد، فقد بشّر جماعةً بالجنّة وقطعَ لهـم بهـا، وقطـع علـى جماعـةٍ بالنّـار وأنذرهُم بها .

وقال آخرون : أُمر أن يقول هذا في أمرٍ كان ينتظرُه من قِبَل ا للهِ عـزّ وجلّ في غير الثّواب والعقاب .

وسورةُ الأحقاف مكّيّةٌ وسورةُ الفتحِ مدنيّةٌ قاله ابنُ عبّاس .

وقال المسورُ بن مخرمة : نزلت بين مكّة والمدينة .

---

(١) الإسراء : الآية ٦٠ .

(٢) الفتح : الآية ٢٨ .

(٣) الأنفال : الآية ٣٣ .

وصدق ؛ فإنّها نزلتْ في مسير رسول الله ﷺ في العمـرة الـتي خـرج إليها من المدينة إلى مكّة عامَ الحديبية .

وقرأتُ في « كتاب الإيجاز في معرفة ما في القرآن من منسوخٍ وناسخ مُستخرَجٍ من أقوال كل عالمٍ في علمه راسخ » / تأليف النّحويّ الكبير أبي عبد الله محمّد بن بركاتٍ السَّعيديّ[1] بالجامع العتيق بمصر على الثّقة أبي القاسم هبةِ الله بن عليّ الأنصاريّ[2] بحق سماعِه على مُؤلِّفه فقـال مـا هـذا نصُّه :

٩٨ / أ

« سورةُ الأحقاف مكّيّةٌ محكمةٌ غير آيتين :

الآيةُ الأولى : قولُه تعالى: ﴿**قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعاً مِنَ الرُّسُلِ وَمَـا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلاَ بِكُمْ**﴾[3] قـالوا : وليـس في كتـاب الله آيةٌ مـن المنسـوخ ثبتَ حكمُها كمَدَى[4] هذه الآيةِ ثبتَتْ ستَّ عشـرة سـنةً فقـال الكـافرون من أهل مكّة: كيف يجوزُ لنا أن نتّبعَ رجلاً لا يَدري مـا يُفعل بـه ولا بأصحابه، وقال المنافقون من أهل المدينة كذلك، فلمّـا كـان عـامَ الحديبيـة أنزل الله تعالى ناسخَها وهـو أوّلُ سـورة الفتـح، فخـرج النّبيُّ ﷺ عليهـم ووجهُه يتهلّلُ فقال: لقد نزلتْ عليّ آياتٌ هنّ أحـبُّ إليّ ممّـا طلعـت عليـه

(١) المصريّ الأديب ، توفي سنة ٥٢٠ هـ ، انظر سير أعلام النبلاء ١٩/٤٥٥ ـ ٤٥٦ .

(٢) الشّيخُ العالمُ المعمَّرُ مسندُ الدّيار المصريّة أبو القاسم هبةُ الله بن عليّ بن سعود الأنصـاريُّ المصريُّ، توفي سنة ٥٩٨هـ، انظر سير أعلام النبلاء ٢١/٣٩٠ ـ ٣٩٢.

(٣) الأحقاف : الآية ٩ .

(٤) في الإيجاز : كمثل .

الشّمسُ، فقرأ / على أصحابه: ﴿إنّا فَتحْنا لَكَ فَتْحاً مُبيناً﴾ إلى قوله ٩٨/ب تعالى: ﴿وَمَا تَأَخَّرَ﴾[1] ، يعني قبلَ الرسالة وبعدَها .

وقيل : ما تقدّم من ذنب أبيك آدم وما تأخّر من ذنوب أمّتك .

وقيل : ما تقدّم من ذنب أبيك إبراهيم .

وقال آخرون : ما تقدّم من ذنبٍ يومَ بدرٍ وما تأخّر من ذنبٍ يومَ حنين.

الثّانية : ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا العَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾[2] نُسخت بآية السّيف »[3] .

قال ذو النّسبين أيّده الله : وقد ثبتَ بشهادة أهل العدالة والإتقَان، عمّن شهد الله له بالإيمَان، عن المبعوث بالحجّة والبرهَان، الذي وَكَّلَ الله عزّ وجلّ له تبيينَ القرآن، بسماعنا المتّصل المسنَد إلى الإمام أحمد[4] قال : حدّثنا عبدُ الرّزّاق، قال: حدّثنا معمر ، عن قتادة ، عن أنس قال :

« نزلت على رسول الله ﷺ: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾[5] مرجعَه من الحديبية فقال / النّبيُّ ﷺ : لقد أُنزلت عليّ آيةٌ ٩٩/أ

---

(١) الفتح : الآية ١ ـ ٢ . وفي الإيجاز بعد هذا زيادة : من ذنوب أمّتك .

(٢) الأحقاف : الآية ٣٥ .

(٣) الإيجاز في معرفة ما في القرآن من منسوخٍ وناسخ ل ٣٢ ب للسّعيديّ .

(٤) أخرجه عبدُ الرّزّاق في تفسيره ٢/٢٢٥، ومن طريقه أحمدُ في المسند ٣/١٩٧، والتّرمذيُّ في الجامع ٥/٣٥٩ ـ ٣٦٠، رقم: ٣٢٦٣ وقال: هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

(٥) الفتح : الآية ٢ .

أحبُّ إليّ ممّا على الأرض ثمّ قرأها عليهم النّبيُّ ﷺ، فقالوا: هنيئاً مريئاً يا رسولَ الله، قد بيّن الله لك ماذا يفعلُ بك فماذا يفعلُ بنا؟ فنزلت عليه: ﴿لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ﴾ حتّى بلغ ﴿فَوْزاً عَظِيماً﴾[1] ، وله طرقٌ بنقل العَدْلِ عن العَدْلِ .

وقولُهم : « هنيئاً مريئاً » أي طيباً سائغاً .

وقال أبو العبّاس ثعلب عن ابن الأعرابيّ[2] : هَنَأَنِي وأَهْنَأَنِي ومَرَأَنِي وأَمْرَأَنِي لغتان في كل واحدٍ منهما، وقد هَنُؤَ الطّعامُ وهَنِيء هَنَاءَةً وهَنَاةً يُهمز ويُسهّل[3].

والهَنِيءُ : الأمرُ الذي يأتيك من غير مشقّةٍ ولا عَناءٍ .

فمن لم يقطع للنّبيّ ﷺ بالجنّة التي هي دارُ الأبرَار، يُقتلُ ويُسفَكُ دمُه كسائر الكفّار، كيف لا ومحمّدٌ ﷺ أوّلُ من يَقرعُ بابَ الجنّة ويَدخلُها من / النّبيين المصطفين الأخيَار، وليس يدخُلها أحدٌ قبله بكرامةِ العزيز الجبَّار، صلّى الله عليه وعلى آله صلاةً هاطلةَ المِدْرَار. ٩٩/ب

ومنها « أنّ خالدَ بن الوليد المخزوميّ أُثقل بالجراحة يومَ حنين، فأتاه النّبيُّ ﷺ يقول: من يَدلّني على رَحْل خالدٍ؟ حتّى دُلَّ عليه، فوجده قد

---

(١) الفتح : الآية ٥ .

(٢) إمامُ اللّغة أبو عبد الله محمّد بن زياد بن الأعرابيّ، توفي سنة ٢٣١هـ، انظر سير أعلام النبلاء ١٠/٦٨٧ - ٦٨٨.

(٣) مشارق الأنوار ٢/٢٧١ .

أُسند إلى مؤخّرة رحلِه، فنفثَ على جرحه فبرأ » ، ذكره الثّقةُ عبدُ بن حُميدٍ الكَشيُّ وهو ممّا أغفله ابنُ إسحاق في « السّيرة » .

وأسنده الإمامُ أحمدُ في « مسنده » في الجزء الرّابع عشر من المكّيين والمدنيين قال: حدّثنا عبدُ الرّزّاق، عن معمر، عن الزّهريّ قال :

« وكان عبدُ الرّحمن بن الأَزْهَرِ يُحدث أنّ خالدَ بن الوليد بن المغيرة جُرح يومئذٍ وكان على الخيلِ خيلِ رسول الله ﷺ. قال ابنُ أزهر :

قد رأيتُ النّبيّ ﷺ بعدما هَزم / الله الكفّارَ ورجع المسلمون إلى رِحالهم يمشي في المسلمين يقول: من يدلُّ على رَحْلِ خالد بن الوليد؟ قال: فمشيتُ أو قال : فسعيتُ بين يديه وأنا محتلمٌ أقول : من يدلُّ على رحل خالد؟ حتّى دُلِلْنا[1] على رَحْلِهِ، فإذا خالدُ بن الوليد مستنِدٌ إلى مُؤَخَّرِ رَحْلِهِ، فأتاه رسولُ الله ﷺ فنظر إلى جُرْحِهِ ، قال الزُّهريُّ : وحسبتُ أنّه قال : ونفثَ فيه رسولُ الله ﷺ » ، انتهى ما في « المسند »[2] . ١٠٠/أ

---

(١) في المسند : حَلَلْنا .

(٢) أخرجه أحمد في مسنده ٨٨/٤، والحميديُّ في مسنده ٣٩٨/٢، رقم: ٨٩٧، وابنُ حبّان في صحيحه ـ مع الإحسان ٥٦٤/١٥ ـ ٥٦٥، رقم: ٧٠٩٠، وعبدُ الرزّاق في مصنّفه ٣٨٠/٥ ـ ٣٨١، رقم: ٩٧٤١، والبيهقيُّ في دلائل النبوّة ١٣٩/٥ ـ ١٤٠، وابنُ قانع في معجم الصّحابة ١٤٨/٢، وأبو نعيم في معرفة الصّحابة ١٨١٩/٤، رقم: ٤٥٩٣، من طريق معمر، عن الزّهري، عن عبد الرّحمن بن الأزهر به. وتابع معمراً أسامةُ بن زيدٍ أخرجه مختصَراً أبو داود في السّنن ٦٢٧/٤، رقم: ٤٤٨٧. وقد صرّح عند ابن قانع الزّهريُّ بالتّحديث عن عبد الرّحمن بن الأزهر .

وقرأتُ في « المعجم الكبير »[١] لشيخ السُّنّة أبي القاسم الطّبرانيّ، عن إسحاق بن إبراهيم الدَّبَرِيّ، عن أبي بكر عبد الرّزّاق .

وعبدُ الرّحمن هو ابنُ أزهر بن عوف بن عبد عوف بن عبد الحارث ابن زُهرة بن كلاب القرشيّ الزهريّ ابن أخي عبد الرّحمن بن عوف، شهد مع رسول الله ﷺ حنيناً، يكنى أبا جبير[٢]، روى عنه أبو سلمة / بن عبد الرّحمن ، و محمّدُ بن إبراهيم بن الحارث التّيميّ ، وعبدُ الحميد بن عبد الرّحمن بن أزهر ابنه ، وأبو بكر محمّد بن شهاب الزّهريّ. ١٠٠ / ب

قال ابنُ عبد البرّ : وهو أروى النّاس عنه .

ذكره في ترجمته من « الصّحابة »[٣]، ولم يلتفت لقول النّسائي في تكلّمه في سماع الزّهري منه[٤] ، و كذلك قال أحمدُ بن صالح المصريّ

---

(١) لم أقف عليه في معجم الطبراني الكبير، غير أنّ أبا نعيم في معرفة الصّحابة ١٨١٩/٤، رقم: ٤٥٩٣ رواه عن سليمان بن أحمد ـ وهو الطّبراني ـ، عن إسحاق بن إبراهيم ـ وهو الدّبريّ ـ، عن عبد الرزّاق به، فلعلّه في القسم المفقود من معجم الطبراني .

(٢) في الاستيعاب : أبا جابر ، وهو خطأٌ .

(٣) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٨٢٢/٢ .

(٤) الذي وقفتُ عليه هو كلامُ الإمام أحمد في سماع الزّهري من عبد الرّحمن بن الأزهر، انظر المراسيل لأبي داود ص ١٩٠ ـ ١٩١، أمّا النّسائيُّ فلم أقف على كلامه، إلاّ أنّه في سننه الكبرى ٢٥١/٣، رقم: ٥٢٨٣ ألمح إلى ذلك حيث أخرج حديثَ ابن الأزهر من رواية ابن شهاب عنه، ثمّ أخرجه من طريق ابن شهاب عن عبد الله بن عبد الرّحمن بن الأزهر عن أبيه ثمّ قال: « وهذا أولى بالصّواب من الذي قبله » .

وذُكِرَ له مَن أدرك الزّهريُّ مـن أصحـاب رسـول الله ﷺ فقـال ـ : أمّـا عبـدُ الرّحمن بن أزهر فيما أُرى لم يسمع منه الزّهريُّ سماعاً و لم يُدركه لأنّ موتَ عبـد الرّحمن قديمٌ، وقد روى عَقيلٌ عـن الزّهـريّ عـن عبـد الله بـن عبد الرّحمن بن أزهر عن أبيه حديثَ خالد بن الوليـد[1]، وأمّـا سفيانُ بـن عيينة فرواه عن الزّهريّ عن ابـن أزهـر كمـا قدّمنـاه ، والله العـالِمُ لا ربَّ سوَاه، ووهم التّرمذيُّ في نسبه فقـال : عبـدُ الرّحمـن بـن أزهـر / بـن عبـد ١٠١/أ يغوث فجعله ابنَ عمّ عبد الرّحمن وإنّما هو ابنُ أخيه على ما نسبنَاه.

وفي هذا الحديث من الفقه عيادةُ المرضى والجرحى على ما ثبـتَ عـن الرّسول ﷺ في عيادة المريض، وما ذُكر فيهـا عـن الله تعالى مـن الحديـث الطّويل العريض، وهو قولُه عن ربه جلّـت قدرتُـه : « يقـول الله : عبـدي مرضتُ فلم تَعُدْنِي »[2] .

وفيه من الفقه أيضاً زيارةُ الفاضل للمفضُول ، ويجبُ على المُلـوك أن يقتدوا بسيّد ولد آدم محمّدٍ الرّسُول .

وفيه من غريب اللُّغة يُقال : بَرَأْتُ من المرض وبَرِئْتُ منه .

قال ابنُ دريد : يُهمز ولا يُهمز .

يعني أنّ مِن العرب مَن يُسهل مهموزَه وهي لغةُ قريشٍ كما قال علـيٌّ عليه السّلام ـ لمّا سُئل عن رسـول الله ﷺ / في مرضـه الـذي مـات منـه١٠١/ب قـال ـ : « أصبحَ بحمد الله بارِئاً »[3] .

---

(١) هو في السّنن الكبرى للنّسائيّ كما تقدّم .

(٢) أخرجه مسلم ١٩٩٠/٤، رقم: ٤٣ ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) أخرجه البخاري ١٤٢/٨، رقم: ٤٤٤٧، كتاب المغازي، باب مرض النّبيّ ﷺ ووفاته.

قال ثابتٌ في « الدّلائـل » : لغةُ أهل الحجاز يقولون : بَرَأْتُ من المرض، وتميمٌ تقول: بَرِئْتُ بالكسر، وحُكي: بَرُوَ بالضمّ وبَرِيَ بغير همزٍ على لغة مَن ترك الهمزَ تسهيلاً، وأمّا مِن الهمز : فَبَرِيءَ بالكسر لا غيرُ.

ومنه قولُه : « أنا بريءٌ من الصّالقَة »[1].

وفي « الصّحيحين » أن رسول الله ﷺ قال: « وأنا أبرأُ إلى الله أن يكون لي منكم خليلٌ »[2].

وقولُ ابن عمر في أوّل « صحيح مسلم »[3] ـ في القدريّة ـ :

« أنّي بريءٌ منهم وأنّهم برآءُ منّي » ، ومنه قولُهم في الطّلاق : وأنتِ بَرِيَّةٌ أي منفصلةٌ عنّي[4].

وقوله : « قد أُسند إلى مُؤَخَّرَةِ رَحْلِه » :

يقال : آخرَةُ الرَّحْلِ ممدودةٌ وهو عُودٌ في مُؤَخَّرِه وهو ضدُّ قادمتِه .

وقيّدناه أيضاً : « مُؤْخِرَة الرَّحْلِ » في « الصّحيحين » بكسر الخاء وسكون الهمزة ، وبالوجهين[5] ذكره أبو عُبيدٍ / . ١٠٢/أ

---

(١) أخرجه مسلم ١/١٠٠، رقم: ١٦٧، كتاب الإيمان، باب تحريم ضرب الخدود، من حديث أبي موسى الأشعري بلفظ: « إنّ رسول الله ﷺ بريء من الصّالقة ».

(٢) لم يخرجه بهذا اللّفظ البخاريُّ بل مسلم ١/٣٧٧، رقم: ٢٣، كتاب المساجد ومواضع الصّلاة، باب النّهي عن بناء المساجد على القبور ، من حديث جندب رضي الله عنه.

(٣) صحيح مسلم ١/٣٧، رقم: ١، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان.

(٤) كلُّ ما سبق من مادّة (برأ) أخذه ابنُ دحية من مشارق الأنوار ١/٨٢ .

(٥) يعني : آخِرة ومُؤْخِرَة ، كما في مشارق الأنوار .

وقرأتُ في أصل الإمام أبي محمّدٍ الأصيليّ بخطّه في « صحيح البخاريّ » : « مَأخرَة الرَّحْلِ » بفتح الميم ، وهو تقييدٌ غريبٌ .

وأنكر ابنُ قتيبة : « مُؤَخِّرَة الرَّحْلِ » بضمّ الميم وهمز الواو مع التّشديد وفتح الخاء .

وقال ثابتٌ في « الدّلائل » : مُؤَخِّرَةُ الرَّحْلِ ومُقَدِمَتُهُ، ويجوز قادِمَتُهُ وآخِرَتُهُ .

ونقلتُ من « كتاب تقويم اللّسان » لابن مَكّيّ[1]: لا يُقال: مُقْدِمٌ ولا مُؤْخِرٌ إلاّ في العَيْنِ ، وأمّا في غيرها فالفتحُ لا غيرُ[2] .

ومن الحديث الحسن ما خرّجه النّسائيُّ في « مصنّفه »[3] عن سماك بن حربٍ، عن محمّد بن حاطبٍ .

وقرأتُ بقرطبة على شيخنا الفقيه القاضي بأَرْكُش المسند الثّقة أبي القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكُوال الأنصاريّ، قال: قرأتُ بخطّ أبي

---

(١) الفقيه اللّغويُّ المحدِّثُ أبو حفص عمر بن خلف بن مكّي الصّقلّي، صاحب كتاب تثقيف اللّسان وتلقيح الجنان دالٌّ على غزارة علمه وكثرة حفظه، توفي سنة ٥٠١هـ، انظر إنباه الرّواة ٣٢٩/٢، وبغية الوعاة ٢١٨/٢، وأعلام الزّركليّ ٤٦/٥.

(٢) أورد ذلك ابنُ مكّي في كتابه تثقيف اللّسان وتلقيح الجَنان ص ١٦٥ تحت باب ما غيّروه بالتّخفيف فقال : «ويقولون : مُقْدِمُ السّفينةِ ومُؤْخِرُها، ومُقْدِمُ الشّاةِ، والصّوابُ : مُقَدَّمُ ومُؤَخَّرُ بالتّشديد، ولا يُقال: مُقْدِمُ العَيْنِ ومُؤْخِرُها بالإسكان» .

وكلُّ ما سبقَ من مادّة (أخر) أخذه ابنُ دحية من مشارق الأنوار ٢١/١ .

(٣) يعني سننه الكبرى ٣٦٦/٤، رقم: ٧٥٣٨ أخبرنا أحمد بن سليمان، قال: ثنا جعفر بن عونٍ، قال: قال مسعر: أخبرناه عن سماكٍ به .

العبّاس العُذْرِيّ[١] وأخبرنيه غيرُ واحدٍ عنه، قال: حدّثنا عليُّ بن أبي عبد الحميد، قال: / حدّثنا أحمدُ بن وليدٍ، قال: حدّثنا عبدُ الرّحمن بن أحمد بن رِشْدِين[٢]، قال: حدّثنا محمّد بن سَنْجَر[٣]، قال: حدّثنا سعيدُ بن سليمان، قال: حدّثنا عبدُ الرّحمن بن عثمان بن إبراهيم بن محمّد بن حاطب، عن أبيه، عن محمّد بن حاطبٍ، عن أمِّ جَميلٍ بنت المُجَلِّلِ وهي أمُّ محمّد بن حاطبٍ قالت: « قدمتُ بك مكّةَ وطبَختُ قِدْراً ففي الحطبُ، فقمتُ ألتمسُ حطباً فانكفأت القِدْرُ على يدِك، فأتيتُ بك النّبيَّ ﷺ فقلتُ: يا رسولَ الله، هذا محمّدُ بن حاطبٍ وهو أوّلُ من سُمِّي بك، فتفَلَ في يدك ودعا لك وقال: أذْهِب الباْس، ربَّ النّاس، اشفِ أنت الشّافي لا شفاءَ إلاّ شفاؤُك، شفاءً لا يُغادر سَقَماً. قالت: فما قمتُ بك من عنده حتّى بَرِئتْ يدُك »[٤].

١٠٢/ب

وقرأتُ في رحلتي للعراق في « مسند الإمام أحمد » وقد تقدّم إسنادي بقراءتي / لجميعه بمدينة واسط، قال: حدّثنا إبراهيمُ بن أبي

١٠٣/أ

---

(١) الحافظُ الثّقةُ أبو العبّاس أحمدُ بن عمر بن أنس بن دِلهاث العُذْريُّ الأندلسيُّ، توفي سنة ٤٧٨هـ، انظر سير أعلام النبلاء ١٨/٥٦٧ - ٥٦٨.

(٢) المحدثُ الثّقةُ أبو محمّد عبدُ الرّحمن بن أحمد بن محمّد بن الحجّاج بن رِشْدين المصريُّ الورّاقُ، توفي سنة ٣٢٦هـ، انظر سير أعلام النبلاء ١٥/٢٣٦ - ٢٤٠.

(٣) الحافظُ محمّد بن عبد الله بن سنجر صاحب المسند، توفي سنة ٢٥٨هـ، انظر تاريخ الإسلام - وفيات سنة ٢٥٨هـ، ص ٢٩٦ - ٢٩٧.

(٤) أخرجه البخاريُّ في التّاريخ الكبير ١/١٧، وابنُ حبّان في صحيحه - مع الإحسان ٧/٢٤٢ - ٢٤٣، رقم: ٢٩٧٧، والحاكمُ ٤/٦٢ - ٦٣، والطبرانيُّ في الكبير ٢٤/٢٤١، رقم: ٥٤٠، من طريق عبد الرّحمن بن عثمان به، وعبدُ الرّحمن ضعّفه غيرُ واحدٍ.

العبّاس، أنّ إبراهيمَ بن محمّد بن حاطب، قال : حدّثني أبي، عن جده محمّد ابن حاطبٍ، عن أمّه أمّ جَميل بنت المُجَلَّل قالت :

« أقبلتُ بك من أرض الحبشة حتّى إذا كنتُ من المدينة على ليلةٍ أو ليليتين طبختُ لك طبيخاً، ففني الحطبُ فخرجتُ أطلبُه، فتناولتَ القِدْرَ فانكفأتْ على ذراعِك، فأتيتُ بك النّبيَّ ﷺ فقلتُ: بأبي وأمّي يا رسولَ الله، هذا محمّدُ بن حاطبٍ، فتفلَ في فيك، ومسح على رأسك، ودعا لك، وجعل يتفلُ على يدك ويقول: أذهب البأْس، ربَّ النّاس، واشفِ وأنت الشّافي شفاءً لا يُغادر سقماً، قالت: فما قمتُ بك من عنده حتّى برأت يدُك » ، ذكرهُ في مسند النّساء[1] .

أمّا هذه الرُّقيةُ فمتّفقٌ على صحّتها، وأمّا السّندُ فمشهورٌ بها وبابنها / وهي قرشيّةٌ عامريّةٌ ممّن جمعتْ الهجرتين إلى الحبشة وإلى المدينة، وهي ١٠٣/ب بنتُ المجلَّل بالجيم ابن عبدٍ ويُقال: عبيدُ بن أبي قيس بن عبد وُدّ بن نصر ابن مالك بن حِسْل بن عامر بن لُؤي بن فِهر، ولا عقبَ للمُجَلَّل عند أهل النّسب إلاّ من ابنته هذه.

واختُلف في اسمها :

فقال ابنُ السّكَن في « كتاب الحروف » : اسمُها جُويرية.

وقال ابن عبد البرّ في « كتاب الصّحابة » :

« اسمُها فاطمة ، وهو الأكثرُ »[2]. هاجرت مع زوجها حاطب بن الحارث بن معمر القُرشيّ الجمحيّ في جملة المهاجرين الأوّلين، ومات رضي

---

(١) مسند أحمد ٦/٤٣٧ ـ ٤٣٨ وعنون له : حديث أمّ جميل بنت المجلّل رضي الله عنها .

(٢) الاستيعاب ٤/١٩٢٧ ـ تحقيق البجاوي .

ا لله عنه بأرض الحبشة، وولدتْ له هناك ابنيه محمّدَ بن حاطبٍ والحارثَ ابن حاطبٍ، روى عنها ابنُها محمّد، وخلف عليها بعده زيدُ بن ثابت بن الضّحّاك الخزرجيّ الأنصاريّ كاتب الوحي لرسول ا لله ﷺ » .

١٠٤/أ / ومنها ما ذكره العَدْلُ نسّابةُ قريشٍ أبو عبد ا لله الزّبيرُ بن بكّار بن عبد ا لله بن مصعب بن ثابت بن عبد ا لله بن الزّبير بن العوّام حواريّ رسولِ ا لله ﷺ، بروايتي عن عدول مشايخي عن الزّبير .

منها وهي آخر روايتي[1] بأصبهانَ على بقيّة الرُّواة بها الثِّقة الصّالح موفّق الدين أبي جعفر محمّد بن أحمد الصّيدلانيّ، قال: حدّثنا الثِّقةُ الصّالحُ أبو منصورٍ محمودُ بن إسماعيل المدعوُّ بالأَشْقَرِ[2] سنةَ اثنتي عشرةَ وخمسمائة حضوراً وأجاز لي جميعَ رواياتِه في ربيع الآخر سنةَ اثنتي عشرة، قال: أخبرنا الوزيرُ الثِّقةُ الأمينُ أبو الحسين أحمدُ بن محمّد بن الحسين بن فَاذْشَاه[3]، قال: حدّثنا الإمامُ الحافظُ أبو القاسم سليمانُ بن أحمد بن أيّوب اللّخميُّ الطبرانيُّ، قال: حدّثنا المحدّثُ العَدْلُ أبو الحسن عليُّ بن / عبد العزيز البغويّ نزيلُ مكّة زادها ا لله شرفاً ، قال : حدّثنا الفقيهُ القاضي ١٠٤/ب

---

(١) هذا سندٌ يروي به ابنُ دحية أحدَ كتب الزّبير بن بكّار .

(٢) الشّيخ الجليلُ الثِّقةُ أبو منصور محمودُ بن إسماعيل الأصبهانيُّ الصّيرفيُّ الأشقرُ، راوي معجم الطّبراني الكبير عن ابن فَاذْشَاه، توفي سنة ٥١٤هـ، انظر سير أعلام النبلاء ١٩/٤٢٨ - ٤٢٩.

(٣) المسندُ أبو الحسين أحمدُ بن محمّد بن الحسين بن محمّد بن فاذشاه الأصبهانيُّ راوي معجم الطّبراني الكبير، توفي سنة ٤٣٣هـ، انظر سير أعلام النبلاء ١٧/٥١٥ - ٥١٦.

المحدثُ الأديبُ الحسيبُ نسّابةُ قريشٍ أبو عبد الله الزّبيرُ بن بكّارٍ، قال: حدّثني إبراهيمُ بن محمّد بن عبد العزيز الزّبيريُّ، عن أبيه قال :

« وُلد عبد الرّحمن بن زيد بن الخطّاب وهو ألطفُ مَن وُلد، فأخذه جدُّه أبو أمه أبو لبابة بن عبد المنذر الأنصاريُّ في لِيفَةٍ فجاء به النّبيَّ ﷺ، فقال له رسولُ الله ﷺ: ما هذا معك يا أبا لُبابة ؟ قال: ابنُ ابنتي يا رسولَ الله، ما رأيتُ مولوداً أصغرَ خِلْقةً منه، فحنّكه رسولُ الله ﷺ ومسح على رأسه ودعا فيه بالبركة، قال: فما رُئيَ عبدُ الرّحمن بن زيد مع قومٍ في صفٍّ إلاّ فرَعَهُم طُولاً »[1] .

قال الزّبيرُ : « حدّثني عمي وكان عبدُ الرّحمن - زعموا - مِن أطول / ١٠٥/أ الرجال وأتمِّهم وكان شبيهاً بأبيه، وكان عمرُ بن الخطّاب رضي الله عنه إذا نظر إليه قال :

أخُوكم غيرَ أَشْيَبَ قد أتاكُم بحمدِ الله عادَ له الشَّبابُ »[2] .

زيدٌ أخو أمير المؤمنين عمر، شهد بدراً مع رسول الله ﷺ، وكان عمرُ يحبّه حبّاً شديداً، وقُتل باليمامة شهيداً فحزن عليه عمرُ حُزناً شديداً.

ومنها ما خرّجه الإمامُ الثّقةُ العدلُ محدثُ الأندلس وزاهدُها أبو عبد الله محمّدُ بن وضّاحٍ فيما حدّثني به القاضي بسبتة أبو عبد الله محمّد ابن أبي الطّيّب قال : حدّثنا الفقيهُ المفتي أبو عمران بن أبي تَليدٍ[3] سماعاً

---

(١) عزاه أيضاً للزّبير بن بكّارٍ ابنُ حجر في الإصابة ٣/٧٠، والسّيوطيُّ في مناهل الصّفا رقم ٧٠٣، لكن ليس عند ابن حجر : « عن أبيه » بعد : « إبراهيم بن محمّد بن عبد العزيز ».

(٢) نسب قريشٍ ص ٣٦٣ لمصعب بن عبد الله الزّبيري، لكن ليس فيه : « حدّثني عمّي » .

(٣) الفقيهُ الرّاويةُ أبو عمران موسى بن عبد الرّحمن بن أبي تليدٍ الشّاطبيُّ، روى عن ابن عبد البرّ فأكثر عنه، توفي سنة ٥١٧هـ، انظر سير أعلام النبلاء ١٩/٥١٦ ـ ٥١٧، والغنية ص١٩٥ للقاضي عياض.

١٠٥/ب عليه بحضرة مرّاكش، قال: حدّثنا الإمامُ أبو عمر بن عبد البرّ، حدّثني / سعيدُ بن نصرٍ[١]، حدّثنا محمّدُ بن أبي دُليمٍ، حدّثنا ابنُ وضّاحٍ، حدّثنا محمّد بن فَرُّوخ، حدّثنا عليُّ بن عاصمٍ، حدّثنا حصينُ بن عبد الرّحمن، قال: حدّثتني أمُّ عاصمٍ امرأةُ عتبةَ بن فرقدٍ قالت :

« كنّا عند عُتبة بن فَرقدٍ ثلاثَ نسوةٍ ما منّا واحدةٌ إلاّ وهي تجتهدُ في الطِّيب لتكون أطيبَ ريحاً من صاحبتها، وما يمسُّ عتبةُ طِيباً إلاّ أن يلتمس دُهْناً وكان أطيبَ ريحاً منّا، فقلتُ له في ذلك فقال: أصابني الشَّرَى على عهد رسول الله ﷺ ، فأقعدني رسولُ الله ﷺ بين يديه، وتجرّدتُ وألقيتُ ثيابي على عورتي، فنفثَ رسولُ الله ﷺ في كفّه، ثمّ دلكَ بها الأخرى، ثمّ أَمَرَّهُما على ظهري وبطني ، فعبق بي ما ترون »[٢] .

قال ذو النّسبين أيّده الله :

١٠٦/أ الشَّرَى : قُروحٌ تنتشرُ على البدن يُقال منه : / شَرَى جلدُ الرّجلِ يَشْرَى شَرًى .

---

(١) المحدِّثُ المتقنُ أبو عثمان سعيدُ بن نصرٍ القرطبيُّ، روى عنه ابنُ عبد البرّ وغيرُه، توفي سنة ٣٩٥هـ، انظر صلة ابن بشكوال ٢٠٦/١، وسير أعلام النبلاء ٨٠/١٧ .

(٢) أخرجه الطّبرانيُّ في الكبير ١٣٣/١٧، رقم: ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٣١، والصّغير ٣٨/١ ـ ٣٩، وأبو نعيمٍ في معرفة الصّحابة ٢١٣٦/٤، رقم: ٥٣٦١، من طرقٍ عن حصين بن عبد الرّحمن، عن أمّ عاصم امرأة عتبة بن فرقدٍ، عن عتبة بن فرقد به. قال الهيثميُّ في مجمع الزّوائد ٢٨٢/٨ ـ ٢٨٣: « رجال الأوسط ـ كذا والصّواب الصّغير ـ رجالُ الصّحيح غير أمّ عاصم فإنّي لم أعرفها » .

ومنها ما ثبت في « الموطّأ »[١] و« صحيح مسلم »[٢] والمصنّفات سوى البخاريّ عن معاذ بن جبل :

« أنّهم خرجُوا مع رسول الله ﷺ عامَ تبُوك، فكان رسولُ الله ﷺ يجمعُ بين الظّهر والعصر والمغرب والعشاء، قال: فأخّر الصّلاة يوماً[٣] ، ثمّ خرج فصلّى المغربَ والعشاءَ جميعاً، ثمّ قال :

إنّكم ستأتُون غداً إن شاء الله عينَ تبوك وإنّكم لن تأتوها حتّى يُضْحِيَ النّهارُ، فمن جاءها فلا يمسّ من مائها شيئاً حتّى آتي، فجئناها وقد سبقنا إليها رجلان، والعينُ تَبِضُّ بشيءٍ من ماء، فسألهُما رسولُ الله ﷺ هل مسِسْتُما من مائها شيئاً؟ فقالا : نعم، فسبَّهُما رسولُ الله ﷺ وقال لهما ما شاء الله أن يقول، ثمّ غرفُوا بأيديهم من العَيْنِ قليلاً / قليلاً حتّى ١٠٦/ب اجتمع في شيءٍ، ثمّ غسل رسولُ الله ﷺ فيه وجهَه ويديه، ثمّ أعاده فيها، فجَرت العينُ بماءٍ كثيرٍ، فاستقى النّاسُ » .

وقال ابنُ إسحاق في « السّيرة » : « ثمّ نزل فوضع يدَه تحت الوَشَلِ، فجعل يصبُّ في يده ما شاء الله أن يصُبَّ، ثمّ نضحه به ومسحه بيده، ودعا رسولُ الله ﷺ بما شاء الله أن يدعُوَ به، فانخرق من الماء - كما يقول

---

(١) الموطّأ ١/١٤٣ - ١٤٤ ، رقم : ٢ ، كتاب قصر الصّلاة في السّفر ، باب الجمع بين الصّلاتين في الحضر والسّفر .

(٢) صحيح مسلم ٤/١٧٨٤ - ١٧٨٥، رقم: ١٠، كتاب الفضائل، باب تفضيل نبيّنا ﷺ على جميع الخلائق .

(٣) في الموطّأ زيادة : ثمّ خرج فصلّى الظّهر والعصر جميعاً ، ثمّ دخل .

مَن سمعه ـ ما إن حِسًّا كحِسِّ الصّواعق، فشرِب النّاسُ واستقوا حاجتَهُم منه »[١] . رجعنا إلى ما ثبت في « الصّحيح » : ثمّ قال رسولُ الله ﷺ : « يُوشك يا معاذ إن طالت بك حياةٌ أن تَرى ما هاهنا قد مُليءَ جناناً ».

هذا نصُّ « الموطّأ » من رواية الإمام أبي محمّد يحيى بن يحيى عن إمام دار الهجرة أبي عبد الله مالك بن أنسٍ، وقد تقدّمت أسانيدي / إليه في غير موضعٍ. فعاش معاذٌ حتّى افتتحت الشّامُ وعَمَرَ الإسلامُ ذلك المكانَ بالبساتين، بعد أن كانت غَطْشَى وهي التي لا يُبصَرُ طريقُها ولا يَبين. ١٠٧/أ

وكان معاذُ بن جبلٍ أحدَ الأمراء بالشّام من أمراء المسلمين، وممّن قتلَ الله على يديه كثيراً من المشركين، مع الشّجاعة والفقه والمكانة من الدِّين، والصّحبة المحمودة لسيّد الأوّلين والآخرين، محمّدٍ خاتم النّبيِّين.

وتبوكُ من أدنى أرض الشّام من المدينة، قيل: سُمّيت بذلك لأن النّبيّ ﷺ وجدهُما يَبُوكان حِسْيَها بقِدْحٍ أي يُحرِّكانه بإدخال القِدْحِ فيه، فقال: « ما زلتُما تَبُوكانِها منذُ اليوم »[٢]، فسُمِّيت العينُ تبوكَ[٣]. والبَوْكُ : كالنَّقْشِ والحَفْرِ.

---

(١) السّيرة النّبويّة ٥٢٧/٢ لابن هشامٍ .

(٢) أخرجه الزّبيرُ بن بكّارٍ في جمهرة نسب قريشٍ وأخبارها ص ٥٢٦ ـ ٥٢٧ قال: وحدّثني مصعبُ بن عثمان ومحمّدُ بن محمّد بن أبي قدامة العُمَريّ، أنّ أبا الحارث بن عبد الله بن السّائب اختصمَ هو ورجلٌ من قريشٍ، فقال له أبو الحارث: أتكلّمُني وعندك يتيمةٌ لك تُبوكها؟ فاستعدى عليه أبا بكر بن محمّد بن عمرو بن حزم، فسأل عن البَوْكِ، فذُكر له أنّ رسول الله ﷺ وقفَ على مائحَيْنِ في عَيْن تبوك، فقال لهما: أنتما عليها تُبوكانها منذ اليوم؟ يريدُ: تُثوِّرانها، وهذا مرسلٌ. وقد عزاه ياقوت في معجم البلدان « تبوك » لأحمد بن يحيى بن جابر ـ وهو البلاذري ـ، والحافظُ ابن حجر في فتح الباري ١١١/٨ لابن قتيبة ، وسكت عنه .

(٣) والبَوْكُ : كالنَّقْشِ والحَفْرِ.

فإن قيل : فقد سمّاها رسولُ الله ﷺ / بهذا الاسم من قبل وصولهم ١٠٧/ب إليها في قوله: « إنّكم ستأتون غداً إن شاء الله عينَ تبوك » ؟

قلنا : إنّما سمّاها بذلك من قبلُ للوحي الذي أُنزل عليه، فإنّهم سيأتُونها ويجدُون عندها من يبُوكُها من المنافقين الذين كانوا معه الذين نزل فيهم القرآنُ في سورة براءة في قوله تعالى : ﴿ومنهم ...﴾ ﴿ومنهم...﴾ في مواضعَ[1]، ومنها أَمَرَهُ الله تعالى بالرُّجوع إلى المدينة، ومنها بَعَثَ رسلَه إلى ملوك الأرض يدعُوهم إلى الله تعالى، فسمّاها بذلك من قبلُ وعرفَت الصّحابةُ ذلك ولم يسألُوه عنها، وإن كانت كما قيل: إنّما كانت تُسمَّى الرَّشَلَ بوادٍ يُقال له وادي المُشَقَّق قاله أصحابُ السِّير منهم ابنُ إسحاق؛ لأنّهم عرفُوا أن لا عينَ أمامَهم يَصِلُون إليها في غدٍ سواها فعرفُوها بذلك[2]، وعلِمُوا أنّ / في تسميته لها بتبوك معنًى آخرَ ١٠٨/أ سيظهرُ لهم لأنّه لا ينطقُ عن الهوى، لا جرمَ أنّه ظهرَ لهم في غدهم معنى ذلك الاسم وصار عَلَماً لها لا تُسمّى إلاّ به إلى اليوم للمعجزة التي فيها .

وفي هذه الغزاة آياتٌ كثيرةٌ منها ما قد ذُكر في القرآن بأتم البيَان، ومنها ما رُوي عن النّبيّ ﷺ المؤيَّدِ بالبرهَان، فجرت العينُ بماءٍ كثيرٍ عمّهم وفَضِلَ عنهم وتمادى إلى الآن، ثمّ يتمادى إلى قيام السّاعَة، وهكذا النّبوّة الصّحيحةُ فإنّ السحْرَ لا يبقى بعد مفارقة عينِ صاحبه ساعَة، وحضرها من

---

(١) التّوبة : الآية ٥٨ ، ٦١ ، ٧٥ .

(٢) تكررّت في الأصل بعد هذا جملة : «وعلموا ألاّ عينَ أمامَهم يصلون إليها في غدٍ سواها فعرفوها بذلك» ، وسببُ ذلك فيما يظهر انتقالُ بصر النّاسخ .

المسلمين سبعون ألفاً وهي آخرُ غزوات رسول الله ﷺ وهي غـزاةُ العُسْـرَةِ المذكورة في القـرآن في قوله تعـالى: ﴿فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ﴾[1] سمّاهـا الله بذلك لمشقّة السّفر فيها وعُسرةٍ من النّفقة والظَّهْـرِ والزّاد والمـاء / وشـدّة ١٠٨/ب الحرِّ لأنّها كانت زمنَ الحَرِّ ووقتَ طِيب الثِّمار ومفارقـة الظّـلال، وكـانت في مفاوزَ صعبةٍ وشُقَّةٍ بعيدةٍ وعدوٍّ كثيرٍ مـن جميع عبـدة الصّليب، فـأنزل الله عزّ وجلّ فيها ﴿لَقَدْ تَابَ اللهُ عَلَى النَّبِي وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ تَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُـمَّ تَـابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾[2].

فبـدأ بـالنّبيّ ﷺ لشـرفه وفضلـه فكـان ذِكْـرُه تشـريفاً لـه ولمـن بَعْـدَهُ بذِكْـرِهِ، أي لقـد رزق الله الإنابـةَ إلى أمـره وطاعتِـه نبيَّـهُ محمّـداً ﷺ والمهـاجرينَ والأنصـارَ الذيـن اتّبعُـوا رسـولَ الله ﷺ في سـاعة العُسْـرة أي الشّدّة والضّيق من جميع ما ذكرناه .

وقولُه تعالى: ﴿مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ تَزِيغُ قُلُـوبُ فَرِيـقٍ مِنْهُـمْ﴾ أي تميـلُ قلوبُ بعضهم عن / الحقِّ ويشكُّ في دينِه ويرتابُ بـالذي نالـه مـن المشـقّة ١٠٩/أ والشّدّة في سفرِه وغزوتِه، حتّى إنّ الرّجلَ كـان يذهـبُ يلتمسُ المـاءَ فـلا يرجع حتّى يظنّ أنّ رقبتَه ستنقطعُ، وحتّى إنّ الرّجـلَ لينحَـرُ بعـيرَه فيعصـر فَرْثَه فيشربَه ويجعل ما بقي على كبدِه من العطشِ والحرِّ.

---

(١) التّوبة : الآية ١١٧ .

(٢) التّوبة : الآية ١١٧ .

وذكر أهل السّير والحوفيُّ في « تفسيره » : « أنّ أبا بكر الصّدّيق قال: يا رسولَ الله، إنّ الله قد عـوّدك في الدُّعـاء خـيراً فـادعُ لنـا، قـال: أتحبُّ ذلك؟ قال: نعم، فرفع يديه، فلم يُرجعهما حتّى مالت السّماءُ فـانهلّتْ ثـمّ سَكَبَتْ، فملؤُوا ما معهُم، ثمّ ذهبنا لننظر فلم نجدها جازت العسكرَ »[١] ، وحكاهُ ابنُ عبّاسٍ. وقولُه تعالى : ﴿إِنَّهُ بِهِمْ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ أي إنّ ربَّهـم بالذي خالطَ قلوبَهم ـ ذلك لما نالهم في سفرهم من المشقّة والشّدّة ـــ رفيـقٌ بهم، رحيمٌ أن يُهلكهم فينزع منهم الإيمان بعدَ / ما أبلَوا وصبرُوا عليه مـن البأساء والضّرّاء. ١٠٩/ب

وعدّةُ مَن حضرها سبعون ألفاً فيما رواه الثّقاتُ ، وذكرَ الواقـديُّ[٢] عن رِفاعة بن ثعلبة بن أبي مالك، عن أبيه، عـن جـده، أنّ زيـدَ بـن ثـابتٍ قال: « شهد مع النّبيّ ﷺ غزوةَ تبوك ثلاثون ألفاً » ، والواقديُّ كذّابٌ قاله أحمدُ بن حَنبل[٣] ، وقال النّسويُّ : الواقديُّ كذّابٌ وضّاعٌ[٤].

فأمّا الرّوايةُ الأولى فحدّثني غيرُ واحدٍ مـن شيوخي، عـن أبـي محمّـدٍ السَّرَّاج، قال: أخبرنا عبيدُ الله بن عمر بن أحمدَ بن شـاهين، قـال: حدّثنـا أبي، قال: حدّثنا أحمدُ بن محمّد بن سعيد الهَمَدَانيُّ، حدّثنا الحسنُ بن علـيّ

---

(١) أخرجه ابن خزيمة ٥٢/١ ـ ٥٣، وابن حبّان ـــ الإحسـان ٢٢٣/٤، والحـاكم ١٥٩/١، ٤٥٢، والضّياء في المختارة ٢٧٨/١ ـ ٢٧٩، من طرقٍ عن عبد الله بن وهبٍ، عن عمرو ابن الحارث، عن سعيد بن أبي هلالٍ، عن عتبة بن أبي عتبة، عن نافع بن جبير، عـن ابـن عبّاس، عن عمر بن الخطّاب به فذكره. وقد صحّحه الحاكمُ على شرط الشّيخين ووافقـه الذّهبيُّ، وإن كان الضّياءُ المقدسيّ أشار إلى أنّه على شرطِ مسلمٍ فقط.

(٢) في كتاب المغازي ٩٩٦/٣ .

(٣) انظر الكامل لابن عدي ٢٢٤٥/٦، وتهذيب الكمال ١٨٦/٢٦ .

(٤) انظر الضّعفاء والمتروكين رقم: ٥٥٧ للنّسائي، وتهذيب الكمال ١٨٦/٢٦.

الرّازيّ ، قال : سمعتُ أبا زرعةَ الرّازيَّ و سُئل عن عدّة مَن روى عن النّبيّ ﷺ ؟ فقال : « ومن يَضبطُ هذا ، شهدَ مع النّبيّ ﷺ حجّةَ الوداع أربعُون ألفاً، وشهدَ معه تبوك / سبعُون ألفاً » . ١١٠/أ

وأبو زرعة هذا هو عبيدُ الله بن عبد الكريم القرشيُّ الرّازيُّ أحدُ حفّاظ الدّنيا، قال أحمد عنه : إنّه كان يحفظ ستّمائة ألف حديثٍ(١).

قولُه : « والعينُ تَبِضُّ » :

بالضّاد المعجمة هي روايتُنا من طريق أبي محمّد يحيى بن يحيى الأندلسيّ عن مالكٍ، ووافقه القعنبيُّ وابنُ القاسم والتِّنّيسيُّ(٢) .

وهو القَطْرُ والسَّيَلاَنُ القليلُ والرَّشْحُ، يُقال منه: بَضَّ يَبِضُّ وضَبَّ يَضِبُّ، وذكرَ الباجيُّ(٣) أنّ روايةَ يحيى بصادٍ مهملةٍ ، وهي روايةُ مُطَرِّفٍ(٤) عن مالكٍ.

قال ابنُ السِّيد(٥) في « شرح الموطّأ » له : « وبالضّاد المعجمة هو الصّوابُ ومعناه أنّه كان ينبعُ منها ماءٌ قليلٌ »(٦).

---

(١) انظر تاريخ بغداد ٣٣٢/١٠ .

(٢) هؤلاء الثّلاثة من رواة الموطّأ عن مالك .

(٣) المنتقى شرح الموطّأ ٢٥٥/١ .

(٤) أبو مصعب مطرّف بن عبد الله بن مطرّف المدنيّ ابن أخت الإمام مالك بن أنس، توفي سنة ٢١٤هـ، انظر تهذيب التهذيب ١٧٥/١٠ - ١٧٦.

(٥) العلاّمة النّحويُّ اللُّغويُّ أبو محمّد عبدُ الله بن محمّد بن السِّيد الأندلسيُّ، توفي سنة ٥٢١هـ، انظر سير أعلام النبلاء ٥٣٢/١٩ - ٥٣٣.

(٦) مشكلات موطّأ مالك بن أنسٍ ص ٨٦ لابن السِّيد .

وأمّا الرّوايةُ الأخرى عن مُطَرفٍ صاحبِ مالكٍ : « يَبِصُّ » بالصّاد المهملة فهو من البَصيص وهو البريقُ ولمعانُ خروجِ الماء القليل / ونَشْعِه[1]. ١١٠/ب

وقولُه ﷺ : « يوشكُ يا معاذ » :

قال أهلُ اللّغة : أَوْشَكَ أن يقعَ فيه هو في الماضي بفتح الهمزة والشين، ومعناه عند الخليل أسرعَ أن يكون كذا .

قال أبو عليّ البغداديُّ[2] : جعلُوا له الفعلَ كأنّهم قالوا : يُوشكُ الفعلُ.

قال أبو عليّ : مثل عسى أن يفعلَ أي عسى الفعلُ .

قال : ولا يُقال : يوشَكُ بفتح الشين في المستقبل، ولا أُوشِكَ بكسر الشين في الماضي ، وكذلك قال الأصمعيُّ فيهما[3].

وقولُه ﷺ : « أنْ تَرى ما هاهنا قد مُلِيءَ جِناناً » :

فهو جمعُ جَنّةٍ يقال : جَنّةٌ وجَنّاتٌ وجِنانٌ، والعامّةُ يحسبونه واحداً ويجمعونه أَجَنّةٌ بفتح الجيم[4]، وهو لحنٌ قبيحٌ خُصَّ به أهلُ سَبْتَةَ.

وإنّما سُميت جَنّةٌ لأنّ شجرَها تسترُ أرضَها أو داخلَها، ومنه سُمي الجنُّ لاستتارهم عن النّاس، وجَنَّ عليه اللّيلُ إذا أظلم عليه فستره، وجَنّهُ وأَجَنّهُ / إذا أظلم عليه، والجنينُ: ما استتر في بطن أمّه، فإن خرج حيّاً فهو ١١١/أ

---

(١) هذه المادّة أخذها ابنُ دحية من مشارق الأنوار ١/٩٦ .

(٢) يعني القالي .

(٣) هذه المادّة المتعلّقة بـ (وشك) أخذها ابنُ دحية كلّها من مشارق الأنوار ٢/٢٩٦ .

(٤) المصدر نفسه ١/١٥٦ .

ولدٌ، وإن خرج ميِّتاً فهو سِقْطٌ، لكن جاء في الحديث إطلاقُ الاسمِ عليه بعد خروجه استصحاباً لما قبلُ[(١)].

ومنها أنّ شُرَحْبيلَ الجُعْفيَّ ويقال فيه: شَراحيل شكا إلى النّبيّ ﷺ سَلْعَةً كانت في كفِّه، فنفثَ فيها رسولُ الله ﷺ، ووضع يدَه عليها ثمّ رفع يدَه فلم يُر لها أثرٌ.

روى عنه ابنُه عبدُ الرّحمن، رواه الحافظُ المعدِّلُ المجرِّحُ أبو الحسن عليُّ ابن المدينيّ، قال: حدّثنا يونس بن محمّد، حدّثنا حمّادُ بن يزيد يعني المنقريّ، حدّثنا مخلدُ بن عقبة بن عبد الرّحمن بن شُرَحْبيلَ الجُعْفِيُّ، عن جدِّه، عن أبيه قال:

« أتيتُ النّبيَّ ﷺ وبكفِّي سَلْعَةٌ فقلتُ: يا رسولَ الله، إنّ هذه السَّلْعَةَ حالت بيني وبين قائم سيفي أن أقبضَ عليه، وحالت بيني وبين / عِنان الدّابّة، فقال: ادْنُ منّي فدنوتُ منه فقال: افتح كفَّك ففتحتُها ثمّ قال: اقبض يدَك فقبضتُها، ثمّ قال: افتَحها ففتحتُها، ثمّ تنفّس فيها، ثمّ لم يزل يطعنُها ويدلُكها بيده، ثمّ إنّه رفع يدَه وما أرى لها أثراً » .

١١١ / ب

قال ذو النّسبين أيّده الله :

حدّثني به علماءُ المشرق عن غير واحدٍ من أصحاب الخطيب أبي بكر بن ثابتٍ، قال: حدّثنا أبو بكر البَرقانيّ - بفتح الباء منسوبٌ إلى بِرْقانَ بكسر الباء من أعمال خُوارزم، حدّثنا أحمدُ بن إبراهيم الإسماعيليّ، حدّثنا محمّد بن صالح بن ذَريحٍ العكبريّ، حدّثنا عليُّ بن المدينيّ، حدّثنا يونسُ بن

(١) مشارق الأنوار ١/١٥٦ .

محمّد، حدّثنا حمّادُ بن يزيد - يعني المِنقريّ - ، حدّثنا مخلدُ بن عقبة بالإسناد المتقدّم وذَكَرَ الحديثَ .

وقرأتُ جميعَ « المعجم الكبير » لشيخ السُّنّة أبي القاسم الطبرانيّ وهو أكبرُ مسانيد الحديث على الثّقة أبي / جعفرٍ سبطِ ابن مندةَ، قال: سمعتُ على العابدةِ أمّ إبراهيم الجوزدانية، قالت: حدّثنا الفقيهُ الفاضلُ أبو بكرٍ محمّد بن عبد الله بن رِيذَةَ سماعاً عليه لجميعه، قال: سمعتُ جميعَه على مصنّفه، قال: حدّثنا عبدان بن أحمد، قال: حدّثنا الفضلُ بن سهلٍ الأعرجُ، قال: حدّثنا يونسُ بن محمّد، قال: حدّثنا حمّادُ بن يزيد، قال: حدّثني مخلَدُ ابن عقبة بن شَراحيل، عن جده عبد الرّحمن، عن أبيه قال : ١١٢ / أ

« أتيتُ رسولَ الله ﷺ وبكفّي سَلْعَةٌ فقلتُ: يا نبيَّ الله، هذه السَّلْعَةُ قد أورمتني تحولُ بيني وبين قائمةِ السّيف أن أقبضَ عليه وعن عَنان الدّابّة، قال رسولُ الله ﷺ: ادْنُ منّي فدنوتُ منه فقال: افتح يدَك ففتحتُها، ثمّ قال: اقبضها فقبضتُها، قال: ادْنُ منّي فدنوتُ، قال: افتحها ففتحتُها، فنفث في كفّي ثمّ وضع يدَه على السَّلْعَةِ فما / زال يطحنُها بكفّه حتّى رفع عنها وما أَرى أثرَها »[1]. ١١٢ / ب

---

(١) لم أعثر عليه في المطبوع من المعجم الكبير للطبراني ولعلّه في القسم المفقود منه، وقد أورده الهيثميُّ في مجمع الزّوائد ٨/٢٩٨ وقال : «رواه الطّبرانيُّ ، ومخلد ومَن فوقه لم أعرفهم، وبقيّة رجاله رجال الصّحيح»، مع ملاحظة أنّه جاء في المطبوع من مجمع الزّوائد: «عن محمّد بن عقبة بن شرحبيل»، والصّواب: «عن مخلد بن عقبة بن شرحبيل».

قال ذو النّسبين أيّده الله :

والسَّلْعَةُ بفتح السين : الغُدَّةُ تكونُ في العُنق وغيرِه، وجمعُها سِلاَعٌ وسَلَعَاتٌ كجَفْنَةٍ وجِفانٍ وجَفَنَاتٍ، يُقال : أَسْلَعَ الرّجلُ يُسْلِعُ إسْلاَعاً إذا كَثُرَت سَلَعاتُه .

ومنها ما ثبت في « صحيح البخاريّ »[١] عن البراء بن عازبٍ قال :

« كنّا يومَ الحديبية ـ والحديبيةُ بئرٌ ـ فنزحناها حتّى لم نترُك فيها قَطْرَةً، فجلس النّبيُّ ﷺ على شَفير البئر فدعا بماءٍ، فتمضمضَ ومجَّ في البئر، فمكثنا غيرَ بعيدٍ، ثمّ استقينا حتّى رَوِينا ورَوِيَتْ أو صدرَتْ رِكابُنا » .

شرحُ غريبه :

شَفيرُ البئر : حَرْفُها، وكذلك شَفيرُ جهنّم، وشَفْرَةُ السّيف: حَدُّه، والشَّفْرَةُ هي السكّينُ نفسُها، وشُفْرُ / العَين مضمومُ الأوّل : حرفُ الجَفْنِ حيث ينبتُ الهُدْبُ، ويُقال بفتح الشين أيضاً[٢] . ١١٣/أ

والمجُّ : زَرْقُ الماءِ من الفم[٣] .

ومنها ما اتّفقا على صحّتِه[٤] عن عمرانَ بن حصينٍ قال :

---

(١) كتاب المناقب ، باب علامات النّبوّة في الإسلام ، ٥٨١/٦ ، رقم : ٣٥٧٧ .

(٢) مشارق الأنوار ٢٥٦/٢ .

(٣) المصدر نفسه ٣٧٤/١ .

(٤) صحيح البخاري ٥٨٠/٦، رقم: ٣٥٧١، كتاب المناقب، باب علامات النّبوّة قبل الإسلام، وصحيح مسلم ٤٧٤/١ ـ ٤٧٦، رقم: ٣١٢، كتاب المساجد ومواضع الصّلاة، =

« كنّا مع نبيِّ الله ﷺ في مسير لـه، فأدلجنـا ليلتَنـا، حتّـى إذا كـان في وجه الصُّبح عرّسنا، فغلبتنا أعيننا حتّى بزغت الشّمسُ.

قال : فكان أوّلَ من استيقظ منّا أبو بكرٍ، وكنّا لا نُوقظ نبيَّ الله ﷺ من منامِه إذا نام حتّى يستيقظ، ثـمّ استيقظ عمرُ فقـام عنـد نـبيِّ الله ﷺ فجعل يكبِّرُ ويرفعُ صوتَه حتّى استيقظ رسولُ الله ﷺ، فلمّـا رفـع رأسَـه ورأى الشّمسَ قد بزغت نزل فصلّى بنا الغَداةَ.

فاعتزلَ رجلٌ من القومِ ولم يُصلِّ معنا، فلمّا انصرف قـال لـه رسـولُ الله ﷺ: يا فلان، ما منعك أن تصلّيَ معنـا؟ قـال: يـا نـبيَّ / الله، أصـابتني ١١٣ / ب جَنابةٌ، فأمره رسولُ الله ﷺ فتيمّم بالصّعيد فصلّـى، ثـمّ عَجَّلَـني في رَكْـبٍ بين يديه نطلبُ الماءَ، وقد عطشنا عطشاً شديداً، فبينما نحن نسـيرُ إذا نحـن بامرأةٍ سادلةٍ رجليها بين مَزادتين، فقلنا لها: أين الماءُ ؟ فقالت: أَيْهَـاْه أَيْهَـاهْ لا ماءَ لكم، قلنا: فكم بين أهلك وبين الماء؟ قالت: مسيرةُ يومٍ وليلةٍ، قلنـا: انطلقي إلى رسولِ الله ﷺ، قالت: وما رسولُ الله؟ فلم نُمَلِّكها من أمرهـا شيئاً حتّى انطلقنا بها، فاستقبَلْنا رسولَ الله ﷺ فسألها فأخبرته مثـلَ الـذي أخبرتنا، وأخبرته أنّها مُؤْتِمَةٌ لها صبيانٌ أيتامٌ، فأمرَ براويتها فـأُنيختْ، فمـجَّ في العَزْلاوَيْـنِ العُلْيـاوَيْنِ، ثـمّ بعـثَ براويتِهـا فشـربنا ونحـن أربعـون رَجُـلاً عِطاشٌ، حتّى رَوينا وملأنا كلَّ قِرْبَةٍ معنا وإداوةٍ، وغسّلنا صاحبنا، غـيرَ أنّـا لم نَسْقِ بعيراً، وهي / تكادُ تنضرجُ من الماء ـ أعني المزادتين ـ ثـمّ قـال لهـا: ١١٤ / أ

باب قضاء الصّلاة الفائتة واستحباب تعجيل قضائها، وسياقُ ابن دحية أقـرب إلى سياق مسلمٍ مع اختلاف واختصار يسيرين.

هاتُوا ما عندكم، فجمعنا لها مِن كِسَرٍ وتمرٍ وصرَّ لها صُرَّةً فقال: اذهبي فأطعمي هذا عيالَكِ، واعلمي أنّا لم نرزأ من مائك، فلمّا أتتْ أهلَها قالت: لقد لقيتُ أسحرَ البشر أو إنّه لنبيٌّ كما زعم، كان من أمره ذَيْتَ وذَيْتَ، فهدَى الله ذلك الصرْمَ بتلك المرأة فأسلمتْ وأسلمُوا ».

شرحُ غريبه :

قولُه : « فأدلجنا » :

قال أهلُ اللّغة : أَدْلَجَ بسكون الدّال يُقال في سير اللّيل كلِّه، وادّلَجَ بتشديد الدّال أي سِرْنا من آخر اللّيل، هذا هو الأشهرُ عند علماء اللّغة(١).

وقولُها : « أيْهَاهْ » : وفي « صحيح مسلم »: « أَيْآتَ أَيْآتَ »، وأكثرُ ما في « الصّحيحين » وغيرهما : « هَيْهَاتَ » على نص القرآن .

وفيه لغاتٌ :

١١٤/ب يقال : أيْهَاتْ وأَيْآتْ بالهاء تارةً وبالهمز / موضعَ الهاء، وإِيهَاتْ بكسر الهمزة الأولى، وفي الوقف: هَيْهَاهْ، هذا مذهبُ سيبويه والكسائيّ.

وبُنيت عندهم في غير الوقف على الفتح كأنّه ضُمَّ اسمٌ إلى اسمٍ كحَضْرَمَوْتَ .

ومنهم من يَرى كسرَ التّاء فيقفُ عندهم بالتّاء ويُنون إن شاء؛ لأنّها عنده جمعُ هَيْهَةٍ مثل قَبْضَةٍ وقَبْضَاتٍ، ومن لم يُنون فللفرقِ(٢) بين المعرفة والنّكرة .

---

(١) مشارق الأنوار ١/٢٥٧ .

(٢) في الأصل : فلقربِ ، والتّصويب من مشارق الأنوار .

وقال أبو عبيدٍ : هَيْهَات تُرفع وتُنصب وتُخفض .

قال سيبويه : الكسرةُ فيها كالفتحة .

قيل : معناه أنّهما جميعاً للبناء وإن كانت على صُورة المُعرَّبِ من حيث كانت مجموعةً بالألف والتّاء .

قال بعضُهم : هو من مُضاعَف البناء من باب هَاهَيْتُ، وجاء في شعر ذي الرّمّة على غير هذا التّرتيب : يَهْيَاهْ[1] .

وقولُه: « سَادِلةٌ رجليها » أي مرسلتهما على جَمَلِها ، ويُروى: سائلة ومسبلة[2].

والمزادةُ : / الرّاويةُ[3] .

والعَزَالِيُّ حيث وقع كلُّه : فمُ المزادة الأسفلُ الذي يصبُّ منه الماءُ عند تفريغها، الواحدةُ عَزْلاَء ، والجمعُ عَزالٍ ، وتثنيتُه عَزْلاوان[4] .

والمَجُّ كما قدّمناه : زَرْقُ الماء من الفم؛ فمجَّ ﷺ هنا في العَزْلاَوَيْنِ أي طرح ريقَه المقدَّسَ في فم المزادتين[5] .

وقولُه : « تَنْضَرِجُ من الماء »: قيّده الإمامان الفقيهُ أبو الحسن القابسيُّ والفقيهُ أبو محمّد عبدُ الله بن محمّد الأصيليُّ: « تَنْصَرُّ » براءٍ مشدّدةٍ.

---

(١) هذه المادّة المتعلّقةُ بـ : (هيهات) كلُّها مأخوذٌ من مشارق الأنوار ١/٥٥ .

(٢) المصدر نفسه ٢/٢١١ .

(٣) المصدر نفسه ١/٣١٤ .

(٤) المصدر نفسه ٢/٨٠ .

(٥) المصدر نفسه ١/٣٧٤ .

قال القابسيُّ : ومعناه : تنشقُّ ، مِن صِيرِ البابِ[١] ، وذلك بصادٍ مهملةٍ .

وعند أبي عليّ بن السَّكَن : « تَنَضَّرُ »[٢] .

والصّحيحُ من ذلك : « تَنْضَرِجُ » بالنّون والضّاد المعجمة والرّاء المهملة والجيم على ما قيّده علماءُ رواة « صحيح مسلم ».

وابنُ ماهان[٣] قيّدَهُ : « تَتَضَرَّجُ » ، والصّوابُ: « تَنْضَرِجُ » أي تنشقُّ[٤] .

١١٥/ب وقولُه : « من الماء » رويناه أيضاً : « مِن المَلْءِ » / بفتح الميم وكسرِها، أي من الامتلاء، والكسرُ الاسمُ ، والفتحُ المصدرُ[٥] .

وقولُه : « نَرْزَأُ مِن مائكِ » :

قال أبو زيدٍ الأنصاريّ[٦] : رَزَأْتُهُ أَرْزَؤُهُ رِزْءاً إذا أصبتَ منه خيراً.

---

(١) صِيرُ البابِ : شقُّ البابِ عند ملتقى الرِّتاج والعِضادة .

(٢) كذا ضبطه القاضي عياض في مشارقه حين عزاه لابن السّكن فقال : بفتح النّون وتشديد الضّاد المعجمة.

(٣) الإمامُ المحدِّثُ أبو العلاء عبدُ الوهّاب بن عيسى بن عبد الرّحمن بن عيسى بن ماهان الفارسيُّ البغداديُّ، راوي صحيح مسلم، توفي سنة ٣٨٧هـ، انظر سير أعلام النبلاء ١٦/٥٣٥ ـ ٥٣٦.

(٤) كلُّ هذه المادّة المتعلّقة بـ : (ضرج) سوى النّقل الأخير عن ابن ماهان استقاها ابنُ دحية من مشارق الأنوار ٢/٥٨.

(٥) المصدر نفسه ١/٣٧٩ .

(٦) سعيد بن أوس النّحوي البصري .

وقيّدناهُ في « صحيح مسلم » : « ما رَزِئناكِ » بكسر الزّاي، ومعناه: ما نقصناكِ وإنّما استعملناه من بَرَكَةِ الله عزّ وجلّ[١].

وقولُها : « ذَيْتَ ذَيْتَ » بفتح الذّال مثل كذا وكذا عبارةٌ عن أمرٍ مُبهمٍ[٢] .

والقِرْبَةُ : معلومةٌ .

والإداوةُ : وِعاءٌ للماء شبهُ المطهرة[٣].

وقولُها : « أَوْ إنّه لنبيٌّ » بسكون الواو على معنى الشّكّ[٤] .

والنّبيُّ : يهمزُ ولا يهمزُ .

وقولُه : « فهدَى الله بها ذلك الصرْمَ » هو القطعةُ من النّاس ينزلون على الماء بأهليهم، والصرْمَةُ أيضاً من الإبل القطعةُ القليلةُ، وقيل: هي ما دون الأربعين، ومنه قولُ عمر رضي الله عنه: « وإنّ / ربَّ الصُّرَيمة والغُنيمة »[٥] .

وقد ظهرت آيةُ نفثِه بعد مماتِه ، كما كانت ظهرتْ في حياتِه، وذلك من براهينه ومُعجزاتِه .

---

(١) انظر مشارق الأنوار ٢٨٨/١ .

(٢) المصدر نفسه ٢٧٣/١ .

(٣) المصدر نفسه ٢٤/١ .

(٤) المصدر نفسه ٥٣/١ .

(٥) المصدر نفسه ٤٢/٢. وقول عمر هذا أخرجه البخاريُّ ١٧٥/٦، رقم: ٣٠٥٩.

سمعتُ الثّقةَ المسنَّ المُبَشَّرَ بالجنّة(١) أبا جعفرٍ محمّدَ بن أحمد بن نصر ابن أبي الفتح بن محمّد بن عمر الصّيدلانيّ سبط أبي عليّ الحسين بن عبد الملك بن المحدّث أبي عمرو بن الإمام الحافظ المصنّف الكبير أبي عبد الله محمّد بن مندة يقول في داره بأصبهان: قال: سمعتُ الشّيخَ العَدْلَ المسندَ أبا منصور محمودَ بن إسماعيل بن محمّد بن محمّد المدعوَّ بالأَشْقَرِ والصَّيرفيِّ وبالصّالحانيِّ وبالحسّانيِّ وبالأُطْرُوش وأنا حاضرٌ عنده في صفر سنةَ اثنتيَ عشرة وخمسمائة وأجاز لي جميعَ رواياتِه تحت يَدِ المحدِّث الجليل عبدِ الرّحيم بن زِينَة في شهر ربيع الآخر سنة اثنتيَ عشرة وخمسمائة ومولدُه / يومِ الخميس آخرَ يومٍ من شهر ربيعٍ الآخر سنة إحدى وعشرين وأربعمائة، وتوفّي رحمه الله يومَ السّبت الثّامن من شهر ذي القعدة سنة أربع عشرة وخمسمائة، قال: سمعتُ المحدّثَ الثّقةَ أبا مسلم عمرَ بن عليّ بن أحمد اللّيثيَّ البخاريَّ(٢) يقول: سمعتُ أبا عمر عبدَ الواحدِ بن أحمد المَلِيحيَّ(٣) يقول:

١١٦ / ب

---

(١) لم أقف على وجه هذا الوصف من ابن دحية لشيخه الصّيدلانيّ، وعلى كلٍّ فالبشارةُ بالجنّة أمرٌ غيبيٌّ لا يوقف عليها إلاّ بوحيٍ، نعم من بشّره الله بالجنة وشهد له بها في كتابه أو رسوله فيما صحّ عنه من سنّته فإنّ أهلَ السنّة يشهدون له بذلك كما هو الحال مع العشرة المبشّرين بالجنّة وغيرهم، أمّا سائرُ المؤمنين فلا يُشهد لمعيّنٍ بجنّة لكن يُقال: المؤمنون في الجنّة. ويبدُو أن التّبشير بالجنّة كان عن رؤيا رآها الصّيدلانيُّ أو رِيئت له، ثمّ حكاها ابنُ دحية على الحقيقة.

(٢) المحدِّثُ المفيدُ أبو مسلم عمرُ بن عليّ بن أحمد بن اللّيث اللّيثيُّ البخاريُّ، توفي سنة ٤٦٦هـ، انظر سير أعلام النبلاء ١٨/٤٠٧ ـ ٤٠٩.

(٣) الشّيخُ الصّدوقُ مسندُ هراة أبو عمر عبدُ الواحد بن أحمد المليحيُّ الهرويُّ، توفي سنة ٤٦٣هـ، انظر سير أعلام النبلاء ١٨/٢٥٥.

« دخلتُ على الحاكم أبي عمرو حفيدِ الحسنِ بن سفيان النّسـويّ(١) بنيسابور وكان معه شيخٌ يقال له: عَلاّن، فقال له الحاكمُ: اقصُص حديثَك على هذا عَناني، فقال: كنتُ في بلد الرّيِّ وكنتُ أذكـرُ فضـائلَ الشّـيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، فأُنهي ذلك إلى الصّاحب، فأمر بـأخذي ففررتُ منـه إلى جرجـان، وكنـتُ يومـاً في سُوقِها إذا أنـا بقـومٍ جـاؤوني وشَدُّوني على جَمَّازَةٍ، فحُملتُ إلى الرَّيِّ، فلمّا أُدخلتُ ثَـمَّ أمـرَ الصّـاحبُ بقطع لساني، فقُطع ذاك، وكنتُ / على حالةٍ من الألم وضِيق الصَّدر، فلمّا أن دخل اللّيلُ رأيتُ فيما يَرى النّائمُ رسولَ الله ﷺ ومعه أبـو بكـر وعمـر وجماعةٌ من أصحابِه رضي الله عنهـم فقـالا: يـا رسـولَ الله، هـذا أُصيـب فينا، فدَعاني رسولُ الله ﷺ ونفثَ في فمي، فانتبهتُ وليس بي شـيءٌ مـن الوجع، ورُدَّ عليّ الكلامُ، وخرجـتُ مـن ولايتِـه إلى همـذانَ وكـانوا أهـلَ السُّنّة، فقصصتُ عليهم قصّتي، وظهر لي هناك قَبولٌ، وكنتُ ثَمَّ مدّةً أنشـرُ من فضائل الشّيخين، قال عبدُ الواحد: ففتح لنـا عـلاّن فـاه فمـا رأينـا فيـه لساناً، فشاهدناهُ على ذلـك وكـان يُكلِّمنـا بكـلامٍ فصيـحٍ كمـا يُكلِّـم ذو اللّسان » .

١١٧ / أ

❁❁❁❁

❁❁❁

(١) الإمام الحافظُ الثّبتُ أبو العبّاس الحسنُ بن سفيان النّسويُّ، توفي سنة ٣٠٣هـ، انظر سـير أعلام النبلاء ١٤/١٥٧ - ١٦٢.

وأمّا عيناه فإنّه كان يَرى مِن خَلْفِه كما يَرى من أمامِه، ثبتَ في جميع المصنّفات أنّ رسول الله ﷺ / قال : ١١٧ / ب

« هل ترون قبلتي هاهنا ؟ فوالله ما يخفى عليّ ركوعُكم ولا سجودُكم، إنّي لأراكُم مِن وراء ظَهْرِي »(١) .

وثبتَ في جميعها أيضا من رواية مالكٍ، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة(٢) قال :

« صلّى رسولُ الله ﷺ يوماً ثمّ انصرف فقال: يا فلان، ألا تُحسن صلاتَك ؟ ألا ينظرُ المصلّي إذا صلّى كيف يُصلّي فإنّما يُصلّي لنفسه، إنّي والله لأبصرُ مِن ورائي كما أبصرُ مِن بين يدي » .

وفي « الصّحيحين »(٣) عن أنس بن مالك، عن النّبيّ ﷺ قال :

(١) أخرجه البخاري ٥١٤/١، رقم: ٤١٨، كتاب الصّلاة، باب عظة الإمامِ النّاسَ في إتمام الصّلاة وذِكْرِ القبلة، ومسلم ٣١٩/١، رقم: ١٠٩، كتاب الصّلاة، باب الأمر بتحسين الصّلاة وإتمامها والخشوع فيها، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، والسّياقُ لمسلمٍ، وعند البخاري: «خشوعكم ولا ركوعكم» .

(٢) وهم ابنُ دحية رحمه الله في إسناد هذا الحديث وإنّما هو من طريق أسامة، عن الوليد بن كثيرٍ، عن سعيد بن أبي سعيد المقبري، عن أبيه، عن أبي هريرة به أخرجه مسلم ٣١٩/١، رقم: ١٠٨، كتاب الصّلاة، باب الأمر بتحسين الصّلاة وإتمامها والخشوع فيها، والنّسائيُّ ٤٥٤/٢، رقم: ٨٧١، كتاب الإمامة، باب الرّكوع دون الصّفّ .

(٣) صحيح البخاري ٢٢٥/٢، رقم: ٧٤٢، كتاب الأذان، باب الخشوع في الصّلاة، وصحيح مسلم ٣١٩/١ ـ ٣٢٠، رقم: ١١٠، كتاب الصّلاة، باب الأمر بتحسين الصّلاة وإتمامها والخشوع فيها، والسّياقُ للبخاري مع اختلافٍ يسيرٍ جدّاً .

« أتمُّوا الرّكوعَ والسّجودَ فوا لله إنّي لأراكُم من بعـدي وربَّمـا قـال: مِن بعد ظَهْرِي إذا ركعتم وسجدتم » .

وفيها[١] عن أنسٍ أنّ نبيّ ا لله ﷺ قال :

« أتِمُّوا الرّكوعَ والسّجودَ ؛ فوا لله إنّي لأراكُم من بعدِ ظهري إذا ما ركعتُم وإذا ما سجدتُم »[٢] .

قال ذو النّسبين أيّده ا لله :

وهذا الحديـثُ / يُفسـرُه الحديـثُ الـذي مـن قبلِـه، أي لأراكـم مـن بعدي، وكلاهما مفسّرٌ بالحديث السّابق : « من وراء ظهري » ؛ فمعنـى « من بعدي » أي من خَلْفِي . ١١٨ /أ

وقال الدّاوديُّ : في « شرح البخاريّ »[٣] له : يحتملُ أن يُريـد : مـن بعد موتي أي يعلمُ بحالهم.

قال ذو النّسـبين أيّـده ا لله: وهـذا خَلْـفٌ مـن القَـوْل، منـافٍ للنّـصّ والعَقْل، لأنّه ﷺ إنّما أمرهم بإتمام الرّكوع والسّجود خلفه إذ صلّى بهم ثمّ

---

(١) كذا في الأصل ، ولعلّ الأقرب : فيهما ، إشارةً إلى الصّحيحين .

(٢) أخرجه البخاري ١١/٥٢٥، رقم: ٦٦٤٤، كتاب الأيمان والنّـذور، بـاب كيـف كـانت يمين النّبيّ ﷺ، ومسلم ١/٣٢٠، رقم: ١١١، كتاب الصّلاة، باب الأمر بتحسين الصّـلاة وإتمامها والخشوع فيها.

(٣) عزاه للدّاودي القاضي عياض في مشارق الأنوار ١/٩٦ والحافظُ ابن حجر في فتح الباري ٢/٢٢٦ وقال: «وأغرب الدّاوديُّ الشّارحُ فحمل البعدية هنا على ما بعد الوفاة؛ يعني أنّ أعمال الأمّة تُعرض عليه، وكأنّه لم يتأمّل سياقَ حديث أبي هريرة حيث بيّـن فيـه سببَ هذه المقالة» .

انصرف فقال لرجلٍ منهم لا يحسن صلاتَه : « يا فلان، ألا تُحسن صلاتَك؟ » الحديثَ بطُوله .

فقولُه ﷺ : « من بعدي » و« من بعد ظَهْري إذا ركعتم وسجدتم » كقوله ﷺ: « من وراء ظهري »، وحديثُ رسولَ الله ﷺ كالقرآن يفسرُ بعضُه بعضاً، وفي / روايةٍ عن أبي هريرة: « إنّي لأبصرُ مِن قفاي كما أبصرُ من بين يديّ »[١]، ومثلُه عن عائشة وقالت: « زيادةٌ زاده الله إيّاها في حُجّتِه »[٢].

١١٨ / ب

وقال الإمامُ أبو عبد الله أحمدُ بن حنبلٍ: هذه من خصائص رسول الله ﷺ كان يَرى مِن خلفه كما يرى مِن بين يديه.

وهذا كما قال الأصوليّون: لا يمتنع أن يكون الباريءُ تعالى قد خلق إدراكاً في قفاه ﷺ أو في ظهرِه يبصر به مَن وراءه، وقد انخرقت العادةُ له ﷺ بأعظمَ من هذا فلا يُستنكرُ هذا وإنّما يستنكرُه المعتزلةُ حيث شرطُوا للإدراكِ بنْيَةً مخصوصةً، والرّدُّ عليهم مستقصى - قبّحهم الله - في كتب الأصول؛ ومَن سمّاه الله نُوراً فخليقٌ أن يَرى مِن وراء ظهرِه كما يَرى مِن أمامِه[٣] .

١١٩ / أ

فنصُّ « صحيح مسلم »[٤] عن أنسٍ قال : « صلّى بنا / رسولُ الله ﷺ ذات يومٍ، فلمّا قضى أقبل علينا بوجهِه، فقال: أيُّها النّاسُ، إنّي إمامُكم .

---

(١) أخرجه بنحوه مسلم ٣١٩/١، رقم: ١٠٨ بلفظ: « إنّي والله لأبصرُ من ورائي كما أبصر من بين يديّ »، وروايةُ « قفاي » ذكرها عياض في الشّفا ٩٣/١ بلا إسنادٍ.

(٢) لم أقف على من أخرج حديث عائشة ولا على تلك الزّيادة المذكورة، وابنُ دحية إنّما نقل هذا من كتاب الشّفا ٩٣/١ للقاضي عياض .

(٣) لكن ذلك خاصٌّ به ﷺ في حالة الصّلاة ولا دليل على العموم قاله العلاّمة الألبانيُّ في صحيح التّرغيب والتّرهيب ٢١٦/١ .

(٤) كتاب الصّلاة ، باب تحريم سبق الإمام بركوعٍ أو سجودٍ ونحوهما، ٣٢٠/١ .

فلا تسبقوني بالرّكوع ولا بالسّجود ولا بالقيام ولا بالانصراف، فإنّي أراكم أمامي ومِن خلفي، ثمّ قال: والذي نفسُ محمّدٍ بيده لو رأيتم ما رأيتُ لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً، قالوا: وما رأيتَ يا رسولَ الله؟ قال: رأيتُ الجنّةَ والنّارَ» .

إلى غير ذلك من رؤية الملائكة والأنبياء الذين من قبلِه ليلةَ الإسرَاء، وملكوتِ الأرض والسّمَاء، ورؤيةِ الشّياطين على صُورهم التي هم عليها ولا يراها أحدٌ إلاّ الرّسول ﷺ، وقد ترجم عليه البخاريُّ بابٌ الأسير والغَريم يُربط في المسجد، وذكر أخذَه للعِفريت، وهو حديثٌ صحيحٌ متّفَقٌ عليه[1]، وهو ممّا خُصَّ به كما خُصَّ برؤية الملائكة، ولا يَرى أحدٌ الشّيطانَ على صُورتِه / غيرُه ﷺ؛ لأنّ الله تعالى يقول: ﴿إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لاَ تَرَوْنَهُمْ﴾[2]. ١١٩/ب

وقد رأى جبريلَ غيرَ مرّةٍ ورآه وله ستّمائة جناحٍ سادّاً بها ما بين الأفق، ورآه أيضاً جالساً على كُرسيٍّ بين السّماء والأرض على ما ثبت في غير ما حديثٍ .

وقال مَن لا يتّقي الله : إنّ جبريلَ هو القوّةُ التّامّةُ للفَلَكِ وهي الحركةُ له من المشرق إلى المغرب، وإنّ العرشَ هو الأفلاكُ، وإنّ الملائكةَ

---

(١) صحيح البخاري ١/٥٥٤، رقم: ٤٦١، كتاب الصّلاة، باب الأسير أو الغريم يربطُ في المسجد، وصحيح مسلم ١/٣٨٤، رقم: ٣٩، كتاب المساجد ومواضع الصّلاة، باب جواز لعن الشّيطان في أثناء الصّلاة، وجواز العمل القليل في الصّلاة .

(٢) الأعراف : الآية ٢٧ .

هي قُوى الأفلاك، وإنّ جبريلَ كما قدّمناه القاضي على كلّ قـواه؛ فحَـذارِ من هذا القولِ حَذَار، فإنّه يقودُ صاحبَه إلى النّار .

ورأى بيتَ المقدس حين رفعه ا للهُ إليه حتّى وصفه لقُريشٍ على ما هو عليه من صفتِه كما ثبت وصحَّ ، ورُفع له النّجاشيُّ حتّى صلّى عليـه وبينـه وبينه البحرُ الأعظمُ ومسيرةُ مُدّةٍ في البر ، ورأى فيما صـحّ عنـه / مشـارقَ الأرض ومغاربَها حين زَوى ا للهُ له الأرضَ. وهذا كلُّه محمـولٌ علـى رؤيـة العَيْنِ حقيقةً لا مجازاً، فلا يُحملُ على غير ذلك جوازاً.

١٢٠/أ

وقد ذكر الإمامُ أبو محمّد سفيانُ الثّـوريُّ في « مسـنده » عـن عائشـة رضي ا لله عنها قالت : « كان رسولُ ا لله ﷺ يَرى في الظُّلمة كما يَرى في الضّوءِ » .

وقرأتُ ذلك بسندِه بقرطبة على شيخنا الثّقة المحدّث أبي القاسـم بـن بشكوال قال: أخبرنا أبو بحرٍ سفيانُ بن العاصي الحافظُ فيما قرأتُ عليه مِن حفظي، قلتُ له: أخبرك أبو العبّـاس أحمـدُ بـن عمـر العُـذريُّ، أخبرنـا أبـو أسـامة محمّـد بـن أحمـد الهـرويُّ المقـرىءُ بمكّـة في المسـجد الحـرام وفي دار النّدوة، قال: حدّثنا الحسنُ بـن رَشـيقٍ الحـافظ، حدّثنـا الحسـينُ بـن حميـدٍ العكّيُّ، حدّثنا زُهير بن عبّادٍ الرّؤاسيّ، حدّثنـا عبـدُ ا لله بـن المغيرة، قـال: حدّثنا / سفيانُ الثّوريُّ، قال: حدّثنا هشامُ بن عروة، عن أبيه، عن عائشـة رضي ا لله عنها قالت : « كان رسولُ ا لله ﷺ ... » الحديث ، فأقرَّ به أبـو بحرٍ وقال لي : نعم .

١٢٠/ب

قال ذو النّسبين أيّده الله :

وهذا سندٌ ضعيفٌ ؛ عبدُ الله بن محمّد بن المغيرة بن نشيط أبو الحسن كوفيٌّ سكن مصرَ، روى عن الثّوريّ، يُخالَف في بعض حديثِه، ويحدث بما لا أصلَ له، قاله أبو جعفر العقيليُّ في « كتاب الضّعفاء »[1] له .

وقال أبو حاتم الرّازيُّ : ليس بقويٍّ[2] .

وقال أبو سعيد بن يونس : منكرُ الحديث[3] .

وقال أبو أحمد بن عديّ : حديثُه لا يتابعُ عليه[4] .

وقرأتُ في « كتاب لَيْسَ »[5] من تأليف الحافظ أبي عبد الله الحسين ابن خَالَوَيْه اللّغويّ[6]: ليس أحدٌ بيّن لنا سفيانَ الثّوريَّ إلى أي ثورٍ نُسب:

---

(١) الضّعفاء للعقيلي ٣٠١/٢ مع اختلافٍ يسيرٍ .

(٢) الذي في الجرح والتّعديل لابن أبي حاتم ١٥٨/٥ : «ليس بالقويّ» ، وأشار محقّقه أنّه في نسخةٍ: «ليس بقويٍّ» ، وهو كذلك في الميزان ٤٨٧/٢، واللّسان ٣٣٢/٣.

(٣) انظر ميزان الاعتدال ٤٨٧/٢ .

(٤) سياقُ ابن عديٍّ ـ بعد أن أورد أحاديثَ لعبد الله بن محمّد بن المغيرة ـ كما يلي : «وهذه الأحاديثُ عن مالك بن مغول وسائر أحاديثه ممّا لا يُتابع عليه، ومع ضعفه يكتب حديثُه» الكامل ١٥٣٥/٢.

(٥) جرّدتُ الكتابَ فلم أر فيه ما ذكره المؤلّفُ .

(٦) النّحويُّ اللّغويُّ أبو عبد الله الحسينُ بن محمّد بن خَالويه، توفي سنة ٣٧٠هـ، انظر إنباه الرّواة ٣٥٩/١ ـ ٣٦٢، وأعلام الزّركلي ٢٣١/٢.

١٢١/أ أَ إلى ثورٍ جبلٍ ما بين عَيْرٍ إلى ثَوْرٍ، أو إلى الثَّوْرِ / السَّيِّدِ، أو إلى الثَّوْرِ من البقر، أو إلى الثَّوْرِ من من ثوران الخصْيَةِ[1]، أو إلى ثوران الماء، أو إلى الثّور القطعة من الأقط، إلاّ أبو العبّاس ثعلب فإنّه قال غيرَ ذلك قال: نُسب إلى ثور أطحل قال: قال الأصمعيُّ: أطحلُ اسمُ جبلٍ نزلوا إلى جنبه فنُسبوا إليه، وليس بأبٍ ولا حيٍّ ولا قبيلةٍ، كما أنّ تَيْمَ الرَّبابِ سُمُّوا رَباباً لأنّهم تحالفُوا وغمَسُوا أيديَهم في الـرُّبِّ، والرَّبابُ: ضَبَّةُ وتَيْمٌ وعَدِيٌّ وعُكْلٌ، وقاله أبو عليّ الغسّانيّ[2] في « تقييد المهمل »[3] له .

قال ذو النّسبين أيّده الله :

ويحتاجُ تفسيرُه هذا إلى تفسير ، من عالمٍ نِحْرِير[4] .

وذلك أنّ ثورَ أطْحَلَ هو ثورُ بن عبد مناةَ بن أُدٍّ بن طابخةَ رهط الإمام سفيان الثّوريّ؛ لأنّه بلا شكٍّ سفيانُ بن سعيد بن مسروق بن رافع ١٢١/ب ابن عبد الله بن مَوْهَب بن مُنقذ بن نصر بن الحكم / بن الحارث بن مالك ابن مِلْكان بن ثَور بن عبد مَناة بن أُدٍّ بن طابخَةَ بن إلياس بن مُضَر بن نزار ابن مَعَدّ بن عَدْنان .

---

(١) بفتح الخاء وكسرها ، وكتب النّاسخُ فوق الكلمة : «معاً» إشارةً إلى الوجهين .

(٢) الحافظُ الحجّةُ النّاقدُ مسندُ الأندلس أبو عليّ الحسين بن محمّد بن أحمد الغسّانيُّ الأندلسيُّ الجَيّانيُّ صاحبُ كتاب تقييد المهمل وتمييز المشكل، وهو كتابٌ حسنٌ مفيدٌ، توفي سنة ٤٩٨هـ، انظر سير أعلام النبلاء ١٩/١٤٨ ـ ١٥١.

(٣) تقييد المهمل وتمييز المشكل ١/ ل ٣٥ ب .

(٤) يشيرُ ابنُ دحية هنا إلى نفسه !

وقولُه : « كما أنّ تَيْمَ الرّبابِ » ؛ وسُمُّوا الرَباب لأنّهم غمَسُوا أيديَهم في رُبٍّ إذ تحالفُوا على بني تَميمٍ .

وقال الهيثمُ بن عديٍّ[١] في « تاريخه » ـ وذكرَ فقهاءَ الكوفة فقال ـ : وكان بعد الطّبقة الثّانية إلى أن وصل إلى ذِكْرِ سعيد بن مسروق الثّوريّ ثَوْرِ تميمٍ، وكذلك قال عند ذِكْرِه ولده بعد الطّبقة الخامسة: سفيانُ بن سعيد الثّوريّ ثَوْرِ تَمِيم، وهذا وهمٌ منه بنسبه الصّمِيم.

وثَوْرٌ أيضاً في هَمْدَان وليس هو بيتُه إنّما هو من ثَوْرِ عبد مَناةَ الذي ذكرناه، ويشتبه به التَّوَّزيُّ بالتّاء المثنّاة باثنتين من فوقُ والزاي وهو أبو يعلى محمّد بن الصّلت خرّج عنه البخاريُّ في باب الرّدّة[٢]، وتَوَّز : موضعٌ / من أرض فارس[٣] . ١٢٢ / أ

وسفيان من الأَسَفِ لا ينصرفُ، فإن كان من السَّفَنِ انصرف، وكذلك سلمانُ من السّلم لا ينصرف ، قاله ثعلب .

وأمّا خصائصُ صدره ﷺ فقد أثنى الله عزّ وجلّ عليه في القرآن بقوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾[٤]، وثبت في « الصّحيحين »[٥]

---

(١) المؤرِّخُ أبو عبد الرّحمن الهيثمُ بن عديٍّ الطّائيُّ الكوفيُّ، كذّبه غيرُ واحدٍ، توفي سنة ٢٠٧هـ، انظر سير أعلام النبلاء ١٠/١٠٣ ـ ١٠٤.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الحدود، باب لم يحِم النّبيّ ﷺ المحاربين من أهل الرّدّة حتّى هلكُوا، ١٢/١١٠ ـ ١١١ ، رقم : ٦٨٠٣ .

(٣) انظر معجم البلدان (تَوَّز) .

(٤) الشّرح : الآية ١ .

(٥) صحيح البخاري ١/٤٥٨ ـ ٤٥٩، رقم: ٣٤٩، كتاب الصّلاة، باب كيف فُرضت الصّلوات في الإسراء ؟ ، وصحيح مسلم ١/١٤٨، رقم: ٢٦٣، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السّماوات وفرض الصّلوات .

من رواية أبي ذرٍّ الغفاريّ أنّ رسولَ الله ﷺ قال: « فُرِجَ سَقْفُ بيتي وأنا بمكّة، فنزل جبريلُ ففَرَجَ صدري، ثمّ غسله بماء زمزم، ثمّ جاء بطَسْتٍ من ذهبٍ ممتلىءٍ حكمةً وإيماناً فأفرغها في صدري ثمّ أطبقه، ثمّ أخذ بيدي فعرج بي إلى السّماء » الحديث بطُوله .

أخرجه البخاريُّ ومسلمٌ بألفاظٍ متقاربةٍ وأهلُ التّصنيف في مصنّفاتهم[١] سوى « الموطّأ » فإنّ مالكاً كان / لا يخرّج الأحاديثَ ١٢٢/ب الطّويلةَ وعذرُه فيها خوفُه من الزّلل أو الغلط في إيرادها، وكان أعداؤُه يقولون : بل كان لا يحفظُها عند اعتمادها .

ولا خلافَ عند أهل النّقل في صحّة هذا الحديث وفي حديث مالك ابن صعصعة فيما خرّجوه أيضاً واتّفقوا على صحّته أنّ النّبيّ ﷺ حدّثهم عن ليلةِ أُسريَ به قال :

« بينا أنا عند البيت بين النّائم واليقظان، وذَكَرَ[٢] بين الرّجلين، فأُتيتُ بطَسْتٍ ملآى[٣] حكمةً وإيماناً، وأُتيتُ بدابّةٍ أبيضَ ... » الحديثَ بطُوله، وله طرقٌ وألفاظٌ قد ذكرتُها في كتاب « الابتهاج في أحاديث المعراج »[٤] .

---

(١) كالنّسائي في السّنن الكبرى ١/١٤٠ ، رقم : ٣١٤ .

(٢) في البخاري : وذكر رجلاً .

(٣) هذه روايةُ الكشميهني، وروايةُ الأكثر: «ملآن»، قال ابن حجر في فتح الباري ٦/٣٠٨: «التّذكيرُ باعتبار الإناء، والتّأنيث باعتبار الطّستِ لأنّها مؤنّثةٌ» .

(٤) الابتهاج في أحاديث المعراج ص ٢٤ ـ ٣٢ .

وقيّدناه أيضاً في « صحيح البخاريّ » و غيره : « فُرِجَ » ، ورويناه : « فَشُقَّ » مكان فُرِجَ، وقيّدناه أيضاً في « الصّحيحين »: « فشرح صدري».

فقولُه : « فُرِجَ » بتخفيف الرّاء معناه : شُقَّ[1] ، فإن / شددتّها ١٢٣/أ صارت للمبالغة في الشّقّ ، يعني أنّ الملائكةَ لم يدخلُوا من الموضع الذي لم يُسْقَفْ من البيت بل دخلوا عليه من وسط السَّقْفِ وانشقّ لهم السَّقْفُ ليكون أوقعَ في القلب صدقُ ما جاءوا به[2] .

وقولُه ﷺ : « فنزل جبريلُ ففرج صدري » :

وقيّدناه أيضاً في « صحيح البخاريّ » : « فشقّ » مكان « فرج » .

وقيّدناه في « البخاريّ ومسلم »: «فشرح الله صدري» أي شقّه، وأصلُه التّوسعةُ يُقال: شرح الله صدرَه أي وسّعه بالبيان[3] .

وقولُه : « فأفرغها » قيل: إنّ التّأنيثَ للطّستِ لأنّها مؤنّثةٌ وهي فارسيّةٌ معرّبةٌ بدليل أنّه يُقال في تصغيرها: طُسَيْسَةٌ ، وجمعُها طِسَاسٌ وطُسُوسٌ[4]، غير أنّه لم يؤنّثها في حديث أبي ذرٍّ حيث قال: « ممتلىء » و لم يقل: ممتلئة، كما جاء في حديث مالك بن صعصعة / : « ملآى حكمةً ١٢٣/ب وإيماناً »، وروى أيضاً في حديثه: «مملوءة» على التّأنيث.

وقولُه ﷺ : « فشقّ من النّحر إلى مَرَاق » :

---

(١) مشارق الأنوار ٢/١٥٠ .

(٢) ذكر ابنُ حجر حكمتين أخريين فانظر فتح الباري ١/٤٦٠ .

(٣) مشارق الأنوار ٢/٢٤٧ .

(٤) المصدر نفسه ١/٣٢١ .

النّحرُ : مجتمعُ التّراقيّ على الصّدر، ومَراقُّ البطن بتشديد القاف أسفلُه، وأصلُه عند النّحويين: مَراقِقُ أُدغمت القافُ في القاف وهي مفاعل من: رَقَّ يَرِقُّ، سُميت بذلك لأنّها موضعُ رِقّة الجلد، فأوّلُها السُّرَّةُ وهي كانت منتهى الشَّق.

وفي « صحيح مسلم »[1] وقد تقدّم سندي إليه قال : وحدّثنا شيبانُ ابن فَرُّوخ، قال: حدّثنا حمّادُ بن سلمة، حدّثنا ثابتٌ البنانيّ، عن أنس بن مالك «أنّ رسول الله ﷺ أتاه جبريلُ وهو يلعبُ مع الصّبيان، فأخذه فصرعَهُ فشقّ عن قلبه، فاستخرج القلبَ فاستخرج منه عَلَقَةً فقال: هذا حظُّ الشّيطان منك، ثمّ غسلَهُ في طَسْتٍ من ذهبٍ بماء زمزم، ثمّ لأمَهُ / ثمّ أعاده في مكانِه، وجاء الغلمانُ يسعَون إلى أمه ــ يعني ظِئْرَه ــ وقالوا: إنّ محمّداً قد قُتل، فاستقبلُوه وهو منتقعُ اللّون، قال أنسٌ: وقد كنتُ أرى أثرَ ذلك المِخْيَطِ في صدرِه» . ١٢٤ / أ

قال ذو النّسبين أيّده الله :

وقد ذكرنا في كتاب « الابتهاج في أحاديث المعراج »[2] مَن تابع ثابتاً على روايتِه عن أنسٍ عن النّبيّ ﷺ، وذلك يزيدُ على عشرة رجالٍ ثمّ نيّف على خمسةَ عشرَ من رُواةٍ شتّى من طريقٍ آخر .

وهذه معجزةٌ عظيمَة، وآيةٌ قويمَة، لم يكن مثلُها لرسُول، ولا تقدّمت في منقُول، فإنّ شقَّ الصّدرِ واستخراجَ القلبِ منه وغَسْلَهُ ثمّ إعادتَه إلى

---

(١) كتاب الإيمان ، باب الإسراء برسول ﷺ ، ١/١٤٧ ـ ١٤٨ ، رقم : ٢٦١ .

(٢) الابتهاج في أحاديث المعراج ص ٥٨ ـ ٥٩ .

مكانِه، مِن أعظم ما يقومُ لرسول الله ﷺ من برهانِه، فإنّ حياةَ الإنسان مع ذلك عجيب، وليس لغير الرّسول / النّبيّ النّجيب . ١٢٤ / ب

وأمّا شرحُ لُغته :

يُقال: لأمتُ الصّدعَ فالتأمَ أي أصلحتُه فصلح، وكذلك لآءَمْتُه بالمد أي ضممتُ بعضَه إلى بعضٍ[١].

وقولُه : « منتقع اللَّون » أي كاسِفُه يُقال : انتُقِعَ بالنُّون وامتُقِعَ وهو أقوى اللُّغتين.

وقال الخليلُ في « كتاب العين » : ويُقال أيضاً: التُقِعَ باللاّم ، كلُّ ذلك إذا تغيّر لونُه من حُزْنٍ أو دَهَشٍ أو غيرِه[٢] .

ومن ذلك قولُه ﷺ في « الصّحيحين » وغيرهما من المصنّفات : « إنّ عينيَّ تنامان ولا ينامُ قلبي »[٣] .

قال ذو النّسبين أيّده الله :

وفي هذا من المعنى قوّةٌ لقول المفضّل الضّبّيّ[٤] : السنَةُ في الرّأس ، والنّومُ في القلب.

وفيما قدّمناه آيةٌ كبرى ومعجزةٌ عُظمى يقع بها الغِنى إن شاء الله.

---

(١) مشارق الأنوار ١/٣٥٣ .

(٢) الذي في كتاب العين ١/١٧٢: « وانتُقع لونُ الرّجلِ وامتُقِعَ أصوب: تغيّر ».

(٣) تقدّم تخريجُه ص ٢١٩ .

(٤) هو المفضّل بن محمّد الكوفي إمام مقرىء نحويّ إخباريّ مُوثّقٌ ، توفي سنة ١٦٨ هـ ، انظر غاية النّهاية في طبقات القرّاء ٢/٣٠٧ .

١٢٥ / أ / وأمّا يداه فقد نصّ القرآنُ بفضلهمـا في قولـه تبـارك وتعـالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾[١]، أقامَ يدَ رسولِه ﷺ مقـامَ يـدِه الـتي ليسـت بيـدِ جارحـةٍ جـلّ جلالُـه، وخاطبـهُ بالكـاف المخصوصة به في قولِه: ﴿يُبَايِعُونَكَ﴾، فليس هذا لغيره من كُـل مُبـايَعٍ مـن بعدِه ولا قبلِه، إذ ليس لأحدٍ منزلتُه في فضلِـه، فهـي مـن كرامـات يديـه، صلّى الله عليه.

ومن ذلك ما ثبت في «الصّحيحين»[٢] عن جابر بن عبد الله قال:

«خرجتُ مع رسول الله ﷺ في غزاةٍ فأبطأ بي جملي وأعيا فتخلّفْتُ، فنزل فحَجَنَهُ بِمِحْجَنِه ثمّ قـال: اركـبْ فركبـتُ، فلقـد رأيتُـني أكُفُّـه عـن ١٢٥ / ب رسول الله ﷺ» / وذكرَ الحديث، وله طرقٌ في «الصّحيحين» وغيرِهما.

المحجنُ: دون العَنَزَةِ وهو قَدْرُ ذِراعٍ أو أكثر مُعْـوَجُّ الطَّـرَفِ[٣] كـان يمشي بـه ويُعلِّقُـه بـين يديـه علـى البعير علـى مـا جـرت عـادةُ العظمـاء والأشراف من النّاس وذوي القَدْرِ فيهم، كمـا كـان لآبائـه الكـرام، عليـه أفضلُ الصّلاة والسّلام.

ومن ذلك خروجُ الماء من بين أصابعه مِراراً عِدّة، وقـد جعـل الله لـه ذلك في الحُجَّةِ عُدَّة.

---

(١) الفتح: الآية ١٠.

(٢) صحيح البخاري ٣٢٠/٤، رقم: ٢٠٩٧، كتاب البيوع، بـاب شـراء الدّوابّ والحمير، وصحيح مسلم ١٠٨٩/٢، رقم: ٥٧، كتاب الرّضاع، باب استحباب نكاح البِكْر.

(٣) مشارق الأنوار ١٨٢/١.

منها ما ثبت في « الصّحيحين »[١] وغيرِهما عن جابر بن عبد الله وغيرِه قال :

«عطِش النّاسُ يومَ الحُديبية والنّبيُّ ﷺ بين يديه رَكْوَةٌ، فتوضّأ وجَهَشَ النّاسُ نحوَه، فقال: ما لكُم؟ قالوا: ليس عندنا ماءٌ يُتوضَّأُ ولا يُشرَبُ إلاّ ما بين يديك، فوضع يدَه في الرَّكْوَة فجعل الماءُ يثورُ من بين أصابعِه / كأمثال العُيون، فشربنا وتوضّأنا، قلتُ: كم كنتم؟ قال: لو كُنّا مائةَ ألفٍ لكفانا ، كنّا خمس عشرةَ مائة» . ١٢٦/أ

روى هذا الحديثَ جماعةٌ من الصّحابة رضي الله عنهم : جابرٌ وابنُ مسعودٍ وأنسُ بن مالكٍ[٢] وغيرُهم .

والرَّكْوَةُ: هي شبهُ تَوْرٍ من أَدَمٍ وهي بفتح الرّاء وقد تُضَمُّ وتُكسَرُ[٣].

---

(١) صحيح البخاري ٥٨١/٦، رقم: ٣٥٧٦، كتاب المناقب، باب علامات النّبوّة، وصحيح مسلم ١٤٨٤/٣، رقم: ٧٣، كتاب الإمارة، باب استحباب مبايعة الإمام الجيش عند إرادة القتال وبيان بيعة الرّضوان تحت الشّجرة، والسّياقُ للبخاري .

(٢) لا يقصد ابنُ دحية الحديثَ نفسَه بل معجزة نبع الماء من بين أصابعه ﷺ، وقد رواها كما قال المؤلّف جابرٌ كما مرّ وأنسٌ وابن مسعود وسيأتي تخريجه قريباً .
أمّا حديث أنسٍ فأخرجه البخاريُّ ٥٨٠/٦، رقم: ٣٥٧٢، كتاب المناقب، باب علامات النّبوة في الإسلام، ومسلم ١٧٨٣/٤، رقم: ٦، كتاب الفضائل، باب في معجزات النّبيّ ﷺ عن أنس رضي الله عنه قال: أُتي النّبيُّ ﷺ بإناء وهو بالزّوراء ... الحديث . وممّن رواه أيضاً ابنُ عبّاسٍ عند أحمد والطبراني من طريقين كما قال الحافظُ ابن حجر في فتح الباري ٥٨٥/٦ .

(٣) مشارق الأنوار ٢٤٣/١ ، ٢٩٠ .

والجَهْشُ: أن يفزَعَ الإنسانُ إلى الإنسان وهـو مع فزعِه كأنّه يريد البكاءَ كالصّبي يفزعُ إلى أمه أو أبيه متهيّئاً للبكاء[١] .

قال أبوعبيد : ويُقال : أَجْهَشُ[٢] إجْهَاشاً فأنا مُجْهِشٌ قاله أبو زيدٍ وأبو عمرو والأصمعيُّ والأُمَويُّ[٣] .

وقولُ الصّحابة: « ليس عندنا ماءٌ » بالمد كذا ضبطه أهلُ الإتقان في « صحيح البخاريّ » منهم أبو محمّدٍ الأصيليّ[٤] ، و عند غيره : « مَا يُتوضَّأُ » .

١٢٦ / ب ومن ذلك ما ثبت في « صحيح البخاريّ »[٥] دون مسلمٍ / عن عبد الله[٦] :

« كنّا نعدُّ الآياتِ بَرَكَةً وأنتم تعدُّونها تخويفاً، كُنّا مع رسول الله ﷺ في سفرٍ فقلّ الماءُ، فقال: اطلبُوا فضلةً من ماءٍ، فجاءوا بإناءٍ فيه ماءٌ قليلٌ، فأدخل يدَه في الإناء ثمّ قال: حَيَّ على الطَّهُورِ المباركِ، والبركةُ[٧] من الله،

---

(١) مشارق الأنوار ١/١٦٢ .

(٢) في غريب الحديث : أجهشتُ .

(٣) غريب الحديث ١/٢٤٦ لأبي عبيد .

(٤) مشارق الأنوار ١/٣٧١ .

(٥) كتاب المناقب ، باب علامات النّبوّة في الإسلام ، ٦/٥٨٧، رقم: ٣٥٧٩ .

(٦) أي ابن مسعودٍ رضي الله عنه .

(٧) قال ابن حجر في الفتح ٦/٥٩٢ : «البركةُ مبتدأ ، والخبرُ : من الله ، وهو إشارةٌ إلى أنّ الإيجاد من الله» .

ولقد رأيتُ الماءَ ينبعُ من بين أصابع رسُول الله ﷺ، ولقد كنّا نسمعُ تسبيحَ الطّعام وهو يُؤكلُ» .

ومن ذلك ما ثبت في « الصّحيحين »[1] عن جرير بن عبد الله البجليّ من طرقٍ عديدةٍ منها في وسط المغازي وكرّره في غير موضعٍ فقال في هذا الموضع : حدّثنا يوسفُ بن موسى، قال: حدّثنا أبو أسامة، عن إسماعيل بن أبي خالدٍ، عن قيسٍ، عن جريرٍ قال: قال لي رسولُ الله ﷺ : «ألا تُريحني مِن ذي الخَلَصَةِ ؟ فقلت : / بلى، فانطلقتُ في خمسين ١٢٧/أ ومائة فارسٍ من أَحْمَسَ ، وكانوا أصحابَ خَيْلٍ وكنتُ لا أثبتُ على الخيل، فذكرتُ ذلك للنّبيّ ﷺ فضربَ يدَه على صدري حتّى رأيتُ أثرَ يده في صدري وقال: اللّهمّ ثبّتْهُ واجعله هادياً مهديّاً، قال: فما وقعتُ عن فرسٍ بعدُ. قال: وكان ذو الخَلَصَةِ بيتاً باليمن لخَثْعَمَ وبَجيلَةَ فيه نُصُبٌ تُعبَدُ يقال له الكعبةُ، قال: فأتاها فحرَّقها بالنّار وكسرَها. قال: ولمّا قدم جريرٌ اليمنَ كان بها رجلٌ يستقسِمُ بالأزلام فقيل له: إنّ هاهنا رسولَ رسولِ الله ﷺ قال: فإن غلبك ضربَ عنقَك، قال: فبينما هو يضربُ بها إذ وقف فيه جريرٌ فقال: لَتكسِرَنّها ولْتَشْهَدْ أن لا إلهَ إلاّ الله أو لأضربنَّ عنقَك، قال: فكسرَها وتشهّدَ. ثمّ بعث جريرٌ رجلاً من أَحْمَسَ يُكنى أبا أرطاةَ إلى / النّبيّ ﷺ يُبشّرُه بذلك، فلمّا أتى النّبيَّ ﷺ قال: يا رسولَ الله، ١٢٧/ب

---

(١) صحيح البخاري ٨/ ٧٠ ـ ٧١، رقم: ٤٣٥٧، كتاب المغازي، باب غزوة ذي الخَلَصَةِ، ومسلم ٤/١٩٢٦، رقم: ١٣٧، كتاب فضائل الصّحابة، باب من فضائل جرير بن عبد الله رضي الله عنه، مع اختلاف يسيرٍ في بعض الألفاظ .

والذي بعثك بالحق ما جئتُ حتّى تركتُها كأنّها جَمَلٌ أَجْرَبُ، قال: فبرّكَ النّبيُّ ﷺ على خيل أَحْمَسَ ورجالِها خمس مرّاتٍ » .

وذكره في مناقب الصّحابة وترجم عليه: ذِكْرُ جريرٍ[1]، ثمّ ساقه عن قيس عن جرير بن عبد الله قال :

« كان في الجاهليّة بيتٌ يُقال له ذو الخَلَصَةِ، وكان يُقال له الكعبةُ اليمانيّة و[2] الكعبةُ الشّاميّة » .

وذكره أيضاً في المغازي وترجم عليه: غزوة ذي الخَلَصَة الحديثَ بطُوله[3]، وأسقط البخاريُّ لفظةً له في باب البِشارة بالفُتوح[4] على عادتِه من الاختصار .

وفي « صحيح مسلم » في المناقب[5] حدّثني عبدُ الحميد بن بَيانٍ، قال: أخبرنا خالدٌ، عن بَيانٍ / ، عن قيسٍ، عن جريرٍ قال : ١٢٨ / أ

---

(١) صحيح البخاري ١٣١/٧، رقم: ٣٨٢٣، كتاب مناقب الأنصار، باب ذِكْر جرير بن عبد الله البجليّ رضي الله عنه .

(٢) في البخاري : أو .

(٣) صحيح البخاري ٧٠/٨ ، رقم : ٤٣٥٦ ، كتاب المغازي ، باب غزوة ذي الخلصة .

(٤) صحيح البخاري ١٨٩/٦، رقم: ٣٠٧٦ . واللّفظةُ المشارُ إليها هي - والله أعلم - كلمة «خمس» فإن فيه : «فبارك على خيل أحمس ورجالها **مرّاتٍ**» ، والذي في المغازي كما سبق : «... ورجالها **خمس مرّاتٍ**» .

(٥) صحيح مسلم ١٩٢٥/٤ ـ ١٩٢٦، رقم: ١٣٦، كتاب فضائل الصّحابة، باب في فضائل جرير بن عبد الله رضي الله عنه .

« كان في الجاهليّة بيتٌ يُقال له ذو الخَلَصَةِ وكان يُقال له الكعبةُ اليمانيّةُ والكعبةُ الشّاميّةُ، فقال رسولُ الله ﷺ: هل أنت مُريحي من ذي الخَلَصَةِ والكعبةِ اليمانيّةِ والشّاميّةِ؟ فنفرتُ إليها في مائة وخمسينَ من أَحْمَسَ، فكسرناه وقتلنا من وجدنا عنده، فأتيته فأخبرتُه، قال: فدعا لنا ولأحمسَ ».

ثمّ ذكره أيضاً بإثر هذا الحديث[1] عن إسحاق بن إبراهيم بزيادةِ :

« وكنتُ لا أثبتُ على الخيل، فذكرتُ ذلك لرسول الله ﷺ » الحديثَ بطُوله .

وإنّما معنى : « كان يُقال له » أي يُقال من أجله كما قال ابنُ أبي ربيعةَ :

وَقُمَيْرٌ بَدا ابنُ خمسٍ وعِشريـ ـنَ لهُ قَالت الفتاتانِ قُومَا[2]

/ أراد : قُومَنَّ . ١٢٨ / ب

وأنشد الفرّاءُ[3] :

يَحسَبُه الجاهلُ ما لم يَعْلَمَا شيخاً على كُرسيه مُعمَّما[4]

أراد : يَعْلَمَنَّ .

---

(١) رقم : ١٣٧ .

(٢) لسان العرب ١٥/٤٢٨ (آ) .

(٣) العلاّمةُ النّحويُّ أبو زكريّا يحيى بن زياد الأسديُّ الكوفيُّ، توفي سنة ٢٧٠هـ، انظر سير أعلام النبلاء ١٠/١١٨ - ١٢١.

(٤) لسان العرب ١٥/٤٢٨ (آ) .

وذو الخُلُصَةِ : بضمّ الخاء واللاّم في قول أهل اللّغة وأهل السِّيَر.

وبفتحهما قيّدناه في « الصّحيحين »[١] ، وكذا قال ابنُ هشامٍ[٢] .

وقيّده الإمامُ المستبحرُ في كلِّ فنٍّ أبو الوليد الكنانيّ الوَقّشِيُّ[٣] : « الخَلْصَةُ » بفتح الخاء وسُكون اللاّم ، وكذا قال ابنُ دُريدٍ .

وهو اسمُ صنمٍ ببلاد دوسٍ لا اسمُ بيتِه. وسيُعبدُ في آخر الزّمان على ما ثبت وصحَّ عن رسول الله ﷺ خرّجه البخاريُّ[٤] عن أبي اليمان، قال: أخبرنا شعيبٌ، عن الزّهريّ، قال: أخبرني سعيدُ بن المسيّب، أنّ أبا هريرة قال: سمعتُ رسولَ / الله ﷺ يقول: «لا تقومُ السّاعةُ حتّى تضطرب أَلَياتُ نساءِ دَوْسٍ على ذي الخَلَصَةِ » . ١٢٩/أ

أخرجه مسلمٌ في « صحيحه » في كتاب الفتن[٥] : وحدّثني محمدُ بن رافعٍ وعبدُ بن حميدٍ، قال عبدٌ : أخبرنا وقال ابنُ رافعٍ: حدّثنا عبدُ الرّزّاق، قال: أخبرنا معمرٌ، عن الزّهريّ، عن ابن المسيّب، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : «لا تقوم السّاعةُ حتّى تضطرب أَلَياتُ نساء دَوْسٍ مِنْ حَوْلِ[٦] ذي الخَلَصَةِ ، وكانت صنماً تَعبدُها دَوْسٌ في الجاهليّة بتَبالَةَ » .

---

(١) أي : ذو الخَلَصَة ، انظر مشارق الأنوار ١/٢٥٠ ـ ٢٥١ .

(٢) السّيرة النّبويّة ١/٨٦ .

(٣) العلاّمةُ ذو الفنون أبو الوليد هشامُ بن أحمد الكنانيُّ الأندلسيُّ الطُّليطليُّ المعروف بالوَقّشيّ، توفي سنة ٤٨٩هـ، انظر سير أعلام النبلاء ١٩/١٣٤ ـ ١٣٦.

(٤) في صحيحه ١٣/٧٦، رقم: ٧١١٦، كتاب الفتن ، باب تغيّر الزّمان حتّى تعبد الأوثان.

(٥) باب لا تقوم السّاعةُ حتّى تعبد دوسٌ ذا الخلصة ، ٤/٢٢٣٠ ، رقم : ٥١ .

(٦) في مسلم : «حَوْلَ» بدل «مِنْ حَوْلِ» .

الأَلَيَاتُ: بفتح الهمزة واللاّم التي بعدها جمعُ أَلْيَةٍ بفتح الهمزة وسكون اللاّم وهما المقعدتان مــن ابـن آدم، واللَّحمتـان المؤخَّرَتـان اللّتـان يَكتنفـان مخرجَ الحيوان[1] .

وقولُه ﷺ : « ألا تُريحني » من الرّاحة / أي تُزيل هَمي بها[2] . ١٢٩ / ب

وقولُ جرير: « فيه نُصُبٌ تُعبَدُ » في هذه اللّفظـة ثـلاثُ لغـاتٍ: فتـحُ النّون وضمُّها ونُصُبٌ بضمّ النّون والصّاد[3].

قال ابنُ قتيبة: « النُّصُبُ صنمٌ أو حجرٌ كانت العـربُ تنصبُـه وتذبـحُ عنده القرابينُ »[4].

قال ذو النّسبين أيّده الله : إنّما هو حَجَرٌ أو أحجارٌ تَذْبَحُ عليـه أهـلُ الجاهليّة يعبدُونها من دون الله تعالى ويتذلّلون لها قال الله العظيمُ: ﴿وَمِـنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِـذُ مِـنْ دُونِ اللهِ أَنْـدَاداً يُحِبُّونَهُـمْ كَحُـبِّ اللهِ﴾[5]، والنِّـدُّ المثلُ يقال: نِدُّهُ ونَديدُه ويُجمع أنداداً[6].

ثمّ قال : ﴿وَالذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً للهِ﴾[7] يعني منهم لأندادهم.

---

(١) مشارق الأنوار ٣٢/١ .

(٢) المصدر نفسه ٣٠٢/١ .

(٣) المصدر نفسه ١٤/٢ .

(٤) غريب الحديث ١٨٧/٢ لابن قتيبة .

(٥) البقرة : الآية ١٦٥ .

(٦) مشارق الأنوار ٧/٢ .

(٧) البقرة : الآية ١٦٥ .

وقيل : يحبّونهم كما يحبّون الله إذا أقرُّوا بأنّ الله خلقهُم، دلّنا على ذلك قولُه عزّ وجلّ: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللهُ﴾[١]، وقولُه ١٣٠/أ تعالى: / ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى﴾[٢].

وتحقيقُه أنّ المؤمنين لمّا علمُوا أنّ الإلهَ هو الكاملُ[٣] الذي لا يحتاجُ إلى البشر في نَصْبِهِ والاحتفاظِ به ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[٤]، المتعالي عن الصّاحبة والولد والمعين والظّهير، لا كمَن يعبدُ الحجرَ فإن وجدَ أحسنَ منه ترك الأوّلَ وعبدَ الثّاني .

ولّما دخلَ عمرو بن لُحَيٍّ إلى أرض الجزيرة وهُم يعبدُون الأصنامَ، فاستحسنها فسألَهُم أن يُعطُوه واحداً منها ينقلُه إلى أرض العرب ليُعبدَ هناك، فأعطوه هُبَلَ، فحَلاّهُ بالذّهب والفضّة وأصناف الجواهر، وجاء به حتّى نصبهُ في داخل الكعبة أيّامَ غَلَبَةِ خُزاعةَ على أهل مكّة .

وقد فخرَ به أبو سفيان يومَ أُحُدٍ على رسول الله ﷺ فجعل يقول : ١٣٠/ب « اعْلُ هُبَل ، اعْلُ هُبَل ، فأمرهُم رسولُ الله صلّى / الله وعليه وسلّم أن يقولُوا : اللهُ أعلا وأجلّ »[٥].

---

(١) الزّخرف : الآية ٨٧ .

(٢) الزّمر : الآية ٣ .

(٣) الصّحيحُ في تعريف الإله أنه الرّبُّ المعبودُ بحقٍّ .

(٤) الشّورى : الآية ١١ .

(٥) أخرجه البخاري ١٦٢/٦ ـ ١٦٣، رقم: ٣٠٣٩، كتاب الجهاد، باب ما يكره من التّنازع والاختلاف في الحرب، من حديث البراء بن عازبٍ رضي الله عنه .

وقد أخبرنا رسولُ الله ﷺ بنقل العُدُول عنه أنّه قال : « رأيتُ عمرَو ابن لُحَيٍّ يجرُّ قُصْبَهُ في النّار »[١] .

والأقْصَابُ : الأمعاءُ ، وقَصَّبَ الشّاةَ : قطّعها أعضاءً[٢] .

والأصنامُ في اللّغة : كلُّ مُصَوَّرٍ للعبادة ، وما عُبد ممّا ليس بمصوَّرٍ فهو وثنٌ ، قاله نِفطويه[٣] .

وقال العسكريُّ في « تلخيصه » : الصّنمُ ما يُعمل من صُفْرٍ وحديدٍ وذهبٍ وما شاكلَ ذلك.

والوثنُ : الصّنمُ الصّغيرُ، وأصلُه من قولهم : استوثنت الإبلُ إذا نشأ أولادُها .

وقيل : الوثنُ ما كان من طينٍ أو حجارةٍ .

والأزْلامُ : قِداحٌ مُلْسٌ لا ريشَ عليها كانُوا يُدْخِلُونها في خَريطةٍ ضَيِّقَةِ الفَم حتّى لا يخرج منها إلاّ قِدْحٌ قِدْحٌ، يجعلُون عليها علاماتٍ: افعلْ، ولا تفعلْ، واحدُها : زُلَمٌ[٤] بضمِّ الزّاي، وزَلَمٌ بفتح الزّاي .

---

(١) أخرجه البخاري ٥٤٧/٦، رقم: ٣٥٢١، كتاب المناقب، باب قصّة خزاعة، ومسلم ٢١٩٢/٤، رقم: ٥١، كتاب الجنّة وصفة نعيمها وأهلها، باب النّار يدخلها الجبّارون والجنّة يدخلها الضّعفاء، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) مشارق الأنوار ١٨٧/٢ .

(٣) عزاه لنفطويه القاضي عياض في مشارق الأنوار ٤٧/٢ وعنه أخذه ابنُ دحية .

(٤) انظر التّلخيص في معرفة أسماء الأشياء ٧٣١/٢ ـ ٧٣٢ .

١٣١ / أ / وذلك أنّهُم في الجاهليّة كان أحدُهم إذا أرادَ سفراً أو غزواً أو نحوَ ذلك أجالَ القِداحَ أي حرّكها وهي ثلاثةٌ واحدٌ عليه مكتوبٌ: أمرني ربّي، والآخَرُ مكتوبٌ عليه: نهاني ربّي، والآخَرُ غُفْلٌ لا شيءَ عليه يُسمّى المنيحَ، وقيل: هي عشرةُ أقْدُحٍ وشرحُها يطُول[1]، وقد ذكرنا فيها ما قاله اللهُ والرّسُول، قال اللهُ تعالى: ﴿**وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ**﴾[2].

والاستقسامُ بها : هو الضَّرْبُ بها حتّى يَعلمُوا ما كان لهم في الغيب أو ما قُدِّر عليهم[3].

والقِداحُ : عيدانُ السِّهام قبل أن تُرَيَّش وتُركَّب فيها النِّصال، فإذا فُعل ذلك بها فهي سهامٌ[4].

ويُقال : إنّ الأزلامَ حصىً بِيضٌ كانوا يَضربُون بها ، والأوّلُ أشهرُ[5].

ومن ذلك ما خرّجهُ البخاريُّ في « صحيحه » في بقيّة كتاب النّكاح وترجم / عليه : باب الهديّة للعروس : وقال إبراهيمُ عن أبي عثمانَ ـ واسمُه ١٣١ / ب الجعدُ ـ عن أنس بن مالكٍ قال: مرّ بنا في مسجد بني رفاعة فسمعتُه يقول:

---

(١) ذكرها العسكريُّ في التّلخيص ٢/٧٣١ .

(٢) المائدة : الآية ٣ .

(٣) مشارق الأنوار ٢/١٩٣ .

(٤) المصدر نفسه ٢/١٧٢ .

(٥) المصدر نفسه ١/٣١٠ .

«كان النّبيّ ﷺ إذا مرَّ بِجَنَبَاتِ أم سُلَيم دخل عليها فسلّم عليها، ثمّ قال: كان النّبيُّ ﷺ عَروساً بزينب فقالت لي أمُّ سُلَيم: لو أهدينا لرسول الله[1] ﷺ هديّةً، فقلتُ لها: افعلي، فعمدَتْ إلى تمرٍ وسمنٍ وأَقِطٍ فاتّخذَتْ حَيْسَةً في بُرْمَةٍ فأرسلَتْ بها معي إليه، فانطلقتُ بها إليه فقال لي: ضعها، ثمّ أمرني فقال: ادْعُ لي رجالاً سمّاهُم ، وادْعُ لي مَن لَقِيتَ، قال: ففعلتُ الذي أمرني، فرجعتُ فإذا البيتُ غاصٌّ بأهله، فرأيتُ النّبيَّ ﷺ وضعَ يديه على تلك الحَيْسةِ وتكلَّم بما شاء الله، ثمّ جعل يدعُو عَشَرَةً عَشَرَةً يأكلون منه ويقولُ لهم: اذكرُوا اسمَ الله، وليأكل كلٌّ / رجلٍ ممّا يليه، قال: حتّى تصدَّعُوا كلُّهم عنها، فخرج منهم مَن خرج، وبقي نفرٌ يتحدّثُون، قال: وجعلتُ أغتمُّ، ثمّ خرج النّبيُّ ﷺ نحو الحُجُراتِ وخرجتُ في أثره فقلتُ: إنّهم قد ذهبُوا، فرجع فدخل البيتَ وأرخى السترَ وإنّي لفي الحُجرة وهو يقول: ﴿**يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا لاَ تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إلاَّ أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ**﴾ إلى قوله: ﴿**وَاللهُ لاَ يَسْتَحِي مِنَ الحَقِّ**﴾[2]. قال أبو عثمان : قال أنسٌ : إنّه خدم رسولَ الله ﷺ عشرَ سنين» .

١٣٢ / أ

هكذا أخرجهُ البخاريُّ تعليقاً[3]، وأسنده الإمامُ أحمدُ في

---

(١) أشار في حاشية الأصل أنّه في نسخةٍ : إلى رسول الله .

(٢) الأحزاب : الآية ٥٣ .

(٣) صحيح البخاري ٢٢٦/٩ ـ ٢٢٧ ، رقم : ٥١٦٣. قال الحافظُ ابن حجر في فتح الباري ٢٢٧/٩ : « لم يقع لي موصولاً من حديث إبراهيم بن طهمان، إلاّ أنّ بعض من لقيناهُ من الشُّرّاح زعم أنّ النّسائيَّ أخرجه عن أحمد بن حفص بن عبد الله بن راشد عن أبيه عنه، و لم أقف على ذلك بعدُ» .

« مسنـده »[1] وقد تقدّم سندي بقراءة جميعه قال: حدّثنا عبدُ الرّزّاق، [عن معمر][2]، عن أبي عثمان، عن أنسٍ قال :

« لمّا تزوّج النّبيُّ ﷺ زينبَ أهدت إليه أمُّ سُلَيم حَيْساً في تَوْرٍ من حجارةٍ، قال أنسٌ: فقال النّبيُّ ﷺ : / اذهب فادْعُ مَن لقيتَ؛ فجعلُوا يدخلون فيأكلون ويخرجون ووضع النّبيُّ ﷺ يدَه على الطّعام فدعا فيه بالبركة وقال فيه ما شاء الله أن يقول، و لم أدع أحداً لقيتُه إلاّ دعوتُه، فأكلوا حتّى شبعُوا وخرجُوا، وبقي طائفةٌ منهم فأطالوا عليه الحديثَ، فجعل النّبيُّ ﷺ يستحي منهم أن يقول لهم شيئاً، فخرج وتركهُم في البيت، فأنزل الله عزّ وجلّ ﴿ **يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا لاَ تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلاَّ أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ** ﴾ حتّى بلغ ﴿ **لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ** ﴾[3] .

١٣٢ / ب

وأخرجه مسلمٌ في « صحيحه » في كتاب النّكاح[4] حدّثني محمّدُ بن رافعٍ، قال: حدّثنا عبدُ الرّزّاق، قال: حدّثنا معمر، عن أبي عثمان، عن أنسٍ قال :

« لمّا تزوّج النّبيّ ﷺ زينبَ أهدت له أمُّ سُلَيْم حَيْساً / في تَوْرٍ من حجارةٍ، فقال أنسٌ: فقال النّبيّ ﷺ: اذهب فادْعُ لي مَن لقيتَ من

١٣٣ / أ

---

(١) مسند أحمد ١٦٣/٣ .

(٢) من المسند .

(٣) الأحزاب : الآية ٥٣ .

(٤) باب زواج زينب بنت جحشٍ ، ١٠٥٢/٢ ، رقم : ٩٥ .

المسلمين، فدعوتُ له مَن لقيتُ، فجعلُوا يدخلُون عليه فيأكلُون ويخرجُون، ووضع النّبيُّ ﷺ يدَه على الطّعام فدعا فيه وقال فيه ما شاء الله أن يقُول، ولم أدع أحداً لقيتُه إلاّ دعوتُه، فأكلُوا حتّى شبعُوا وخرجُوا، وبقي طائفةٌ منهم فأطالُوا عليه الحديثَ، فجعل النّبيُّ ﷺ يستحي منهم أن يقول لهم شيئاً، فخرج وتركهُم في البيت فأنزل الله عزّ وجلّ : ﴿يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا لاَ تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلاَّ أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ﴾، قال قتادة: غير مُتَحَيِّنِينَ طعاماً ، ﴿وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا﴾ حتّى بلغ ﴿ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾[١].

أبو عثمان : اسمُه الجعدُ ، ثقةٌ عَدْلٌ ، وقد تقدّم اسمُه قبل / هذا ١٣٢/ب الحديث وقال : « قلتُ لأنسٍ : عَدَد كَمْ كانوا ؟ قال : زهاء ثلاثمائة » الحديثَ قبل هذا إلى آخره[٢].

وقولُه جلّت قدرتُه : ﴿غَيْرَ نَاظِرِينَ﴾ أي يدعُوكم رسولُ الله ﷺ إلى طعامٍ تطعمُونه غير منتظرين إدراكَه وبلوغَه يقال: أَنَى يَأْنِي إِنىً إذا نضج وبلغ، وهو مقصورٌ إذا كُسِرَ، والمرادُ بهذا كلّه الوقتُ يريد وقتَ نضجه وبلوغِه.



(١) الأحزاب : الآية ٥٣ .

(٢) صحيح مسلم ١٠٥١/٢ ، رقم : ٩٤ ، كتاب النّكاح ، باب زواج زينب بنت جحش.

ومن ذلك ما ثبت وصحّ عند الجميع غير « الموطّأ » من حديث وفد عبد القيس على رسول الله ﷺ، وأتقنه الإمامُ أبو بكر بن أبي خيثمة في « تاريخه »[1] الذي لا مثلَ له، وزاد فيه زياداتٍ مفيدةً فسُقناه من طريقه .

حدّثنا الشّيخُ الفقيهُ المحدّثُ النّاقدُ القاضي الخطيبُ أبو القاسم عبدُ الرّحمن بن محمّد بن يوسف[2] قراءةً / حدّثنا الفقيهُ المُشاوَرُ المفتي ١٣٤ / أ أبو الحسن يونس بن مُغيثٍ قراءةً عليه، حدّثنا الفقيهُ القاضي بمدينة دانية أبو عمر بن الحذّاء، قال: حدّثنا عبدُ الوارث بن سفيانَ الشّيخِ الثّقةِ، قال: حدّثنا الإمامُ العدلُ المصنّفُ أبو محمّد قاسمُ بن أصبغ، قال: حدّثنا الإمامُ العدلُ شيخُ بغدادَ في زمانِه وابنُ كبيرِ المحدِّثين أبو بكر أحمدُ بن أبي خيثمةَ زهيرِ بن حربٍ سماعاً عليه، حدّثنا موسى بن إسماعيل، حدّثنا أبو عبد الرّحمن مطرُ بن عبد الرّحمن الأعنق العَنَزيُّ، قال: حدّثتني امرأةٌ من عبد القيس مِن صَبَاحٍ يقال لها أمُّ أبانِ بنت الزّارعِ ، عن جدِّها :

« أنّ جدَّها الزّارِعَ بنَ عامرٍ خرج وافداً إلى رسول الله ﷺ وخرج معه بأخيه لأمِّه يُقال له مطرُ بن هلالٍ مِن عَنَزَةَ، وخرج بخاله أو ابن أخته مجنونٌ ومعهم الأشجُّ / وكان اسمُه منذر بن عائذ، فقال المنذرُ لجدّها: يا ١٣٤ / ب زارعُ ، خرجتَ معنا برجلٍ مجنونٍ وفتىً شابٍّ ليس منّا وافدينَ إلى رسول الله ﷺ، قالت: فقال جدّي للمنذر: أمّا المصابُ فإنّي آتي به النّبيَّ يدعُو له

(١) تاريخ ابن أبي خيثمة، قسم منه ـ تحقيق أحمد حمدان ـ رسالة جامعيّة ، رقم: ٥١٤.

(٢) ابن حُبيشٍ الـمَرَوِيُّ شيخُ المؤلّف تقدّم، وابنُ دحية يروي عنه بهذا الإسناد تاريخَ ابن أبي خيثمة، وتقدّم ذلك أيضاً .

يدعُو له عسى أن يُعافيَه الله عزّ وجلّ، وأمّا الفتى العنزيُّ فإنّه أخي لأمّي وأرجو أن تُصيبَه دعوةُ النّبيّ ﷺ قال: فما عدا أن قدِمنا المدينةَ قيل: هذاك رسولُ الله ﷺ، فما تمالكنا أن وثبنا عن رَواحلنا فانطلقنا إليه سِراعاً، فأخذنا بيديه ورجليه نُقبّلهما، وأناخ منذرٌ راحلتَه فعقلها وبعيرَ النّبي ﷺ، ثمّ عمد إلى رواحلنا فأناخها راحلةً راحلةً فعقلَها كلَّها، ثمّ عمد إلى عيبةٍ ففتحَها فوضعَ عنه ثيابَ السّفرِ، ثمّ جاء يمشي إلى رسول الله صلّى / الله ١٣٥/أ عليه وسلّم وبه شَجَّةٌ في وجهه فقال رسولُ الله ﷺ: يا أشجُّ، إنّ فيك لَخُلُقَين يحبُّهما اللهُ ورسولُه، قال: وما هما يا رسولَ الله؟ قال: الحلمُ والأناةُ، قال: فأنا أتخلّقُ بهما أم اللهُ جبلني عليهما؟ قال: بل اللهُ جبلك عليهما، قال: الحمدُ لله الذي جبلني على خُلُقَين يحبُّهما اللهُ ورسولُه. قال: فقال جدّي يا رسولَ الله، بأبي وأمّي إنّي جئتُ معي بخالي أو ابن أختٍ لي ـ شكّ أبو عبد الرّحمن ـ مصابٍ لتدعوَ اللهَ له أن يُعافيَه وهو في الركاب، قال: فأتيتُ وقد رأيتُ الذي صنعَ الأشجُّ، ففتحتُ عيبتي فأخرجتُ ثوبينِ حسنين، وألقيتُ عنه ثيابَ السّفر، وألبستهما إيّاه، ثمّ أخذتُ بيده فجئتُ به إلى رسول الله ﷺ وهو ينظرُ نظرَ المجنون، فقال رسولُ الله ﷺ: اجعل ظهرَه مِن قِبَلي، فجعلتُ ظهرَه / مِن قِبَل النّبيّ ﷺ ١٣٥/ب ووجهَه مِن قِبَلي، فأخذه مِن مُؤخّره بمجامع رِدائه، فرفع يدَه حتّى رأيتُ إبطَه، ثمّ ضرب بثوبه ظهرَه وقال: اخرُج عدوَّ الله، فالتفتَ ينظرُ نظرَ الصّحيح، ثمّ أقعده من بين يديه فدعا له ومسحَ وجهَه، فلم تزل تلك المسحةُ في وجهه وهو شيخٌ كبيرٌ كأنّ وجهَه وجهُ عَذْرَاءَ شَبَاباً، فما كان

في القوم يفضُلُ عليه بفعلٍ بعد دعوة النّبيّ ﷺ، ثمّ دعا لنا عبدَ القيس فقال: خيرُ أهل المشرق، رحمَ الله عبدَ القيس إذ أسلمُوا غيرَ خزايا ولا موتورين إذ أبى بعضُ النّاس أن يُسلموا حتّى وُتِروا، قال: ثمّ لم يزل يدعُو لنا حتّى زالت الشّمسُ. قال: فقال جدّي: يا نبيَّ الله، إنّ معنا ابنُ أختٍ لنا ليس منّا، قال: ابنُ أخت القوم منهم، فانصرفنا راجعين، قال: فقال الأشجُّ: أنت كنتَ يا زارعُ أمثلَ رأياً منّي فيهما، قال: وكان / في القومِ جهمُ بن قُثَم وكان قد شرب قبلَ ذلك بالبحرين مع ابنِ عمٍّ له، فقال له ابنُ عمه، فضرب ساقَه بالسّيف، فكانت تلك الضَّرْبَةُ في ساقِه، فقال بعضُ القومِ: يا نبيَّ الله، إنّ أرضَنا ثقيلةٌ وَخِمَةٌ وإنّا نشربُ مِن هذا الشَّراب على طعامنا، فقال: عَلَّ أحدَكُم أن يشربَ الإناءَ ثمّ يزدادَ إليها أخرى حتّى يأخذ فيه الشَّرابُ، فيقوم إلى ابن عمه فيضرب ساقَه بالسّيف، قال: فجعل يُغطّي جهمٌ ساقَه، فنهاهُم عن الدُّبَّاء والنَّقير والحَنْتَم »(١) .

١٣٦ / أ





(١) أخرجه البخاريُّ في الأدب المفرد رقم: ٩٧٥، وفي التّاريخ الكبير ٣/٤٤٧، وفي خلق أفعال العباد رقم: ٢٠٣، والطّبرانيُّ في المعجم الكبير ٥/٣٧٥ ـ ٣٧٦، رقم: ٥٣١٤، من طريق شيخ ابن أبي خيثمة موسى بن إسماعيل، وأخرجه مختصراً أبو داود ٥/ ٣٩٥ ـ ٣٩٦، رقم: ٥٢٢٥، وإسنادُه ضعيفٌ لجهالة أم أبان، لكن لبعض أجزاء الحديث شواهد استوفاها أخونا أحمد حمدان في تحقيقه لتاريخ ابن أبي خيثمة ص ٤١٩ ـ ٤٢٠.

وفي هذا الحديثِ فوائدُ كثيرةٌ :

منها ثناؤُه على الأشج بما فيه من الأناة والحِلْم اللّذين ذَكَرَهُما، وجعلهما فيه خُلُقَين محمودين قد شكرهُما، ولا يخفى أنّ الطَّيشَ مذمُوم، وأنّ الوقارَ محمودٌ معلُوم، وقد كان الصّحابةُ يوقِّرونه ﷺ الوقارَ / العظيم، ١٣٦/ب ويسلكُون من ذلك في حقّه مسلكَ التّكريم، ولقد أفلح مَن كانا فيه جبلّةً لا تَخلُّقا، كما ذكرهما في الأشج تحقُّقا.

ومنها بَرَكَةُ يدِه المقدّسةِ في طَرْدِ الشّيطان عن ذلك المجنُون، وكونِه صحَّ من وقتِه ممّا كان به من الجنُون .

وفيه ردٌّ على أهل الطّبيعة المنافين للشّريعة في قولهم: إنّه خِلْطٌ يُصيب الإنسان، وهو نوعٌ من السَّوداء المختلفة الأكوان، فكان في هذا لهم تكذِيب، وهو أقوى ما يتمسَّكُ به المجِيب، مع كونه ﷺ في « الصّحيح »[1] خَنَقَ عِفريتاً وأرادَ أن يربطَه إلى ساريةٍ من سواري المسجد .

ورأى أبو هريرة شيطاناً يسرِقُ التّمرَ فأخذهُ وقبض عليه، فذكر له أنّ له صِبيةً فأشفق عليه وأطلقه، فلمّا أخبر النّبيَّ ﷺ بذلك أخبره أنّه الشّيطانُ / وأنّه سيعود إليه، فعاد ثلاثَ ليالٍ[2]. ١٣٧/أ

---

(١) صحيح البخاري ١/٥٥٤، رقم: ٤٦١، كتاب الصلاة، باب الأسير أو الغريم يُربط في المسجد، وصحيح مسلم ١/٣٨٤، رقم: ٣٩، كتاب المساجد ومواضع الصّلاة، باب جواز لعن الشّيطان في أثناء الصّلاة، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) إشارة إلى ما أخرجه البخاري معلّقاً ٤/٤٨٧، رقم: ٢٣١١، كتاب الوكالة، باب إذا وكّل رجلاً فترك الوكيلُ شيئاً فأجازه الموكّلُ فهو جائزٌ ، قال : وقال عثمان بن الهيثم أبو =

وقد تصارع عمرُ بن الخطّاب مع الشّيطان على ما ذكره أبو عبيدٍ في « غريبه »[١] مع قول النّبيّ ﷺ لعُمر : «ما لقيك الشّيطانُ سالكاً فجّاً إلاّ سلكَ فجّاً غير فجك » ؛ هذا كلُّه مع قول الله تعالى: ﴿كَالَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾[٢].

فحذارِ حذارِ، من مخالفة الأخبَار، والعملِ بقول الكفّار، المكذِّبين للشّريعة المطهّرَة ، أولئك هم الكفرةُ الفجرَة.

ومنها إخبارُه ﷺ عن المغيّبات، وكونِ جهماً شرِب بالبحرين فضرب ساقَه بالسّيف فأخبره ﷺ بتلك المخبَّآت .

وقولُه ﷺ : « غير خزايا ولا موتورين » :

١٣٧ / ب أي غير مُذَلِّين ولا مُهانين ولا مَفْضُوحين بوطء البلاد / وقتل الأنفس وسبي النِّساء كما فُعل بغيرهم[٣] .

ونهيُه ﷺ عن الدُّبّاء والنَّقير والحَنْتَم :

عمرو : حدّثنا عوفٌ، عن محمّد بن سيرين، عن أبي هريرة رضي الله عنه به مطوّلاً ، ووصله النّسائيُّ والإسماعيليُّ وأبو نعيمٍ بسندٍ صحيحٍ ، انظر فتح الباري ٤/٤٨٨، ومختصر صحيح البخاري ٢/١٠٦ للألباني .

(١) أخرج القصّة أبو عبيد في غريب الحديث ٣/٢١٤ - ٢١٥ من طريق أبي معاوية، عن أبي عاصم الثّقفيّ، عن الشّعبي، عن عبد الله بن مسعودٍ قال : فذكرهُ ، وأخرجه الدّارميُّ ٢/٤٤٧ - ٤٤٨ .

(٢) البقرة : الآية ٢٧٥ .

(٣) انظر مشارق الأنوار ١/٢٣٤ .

الدُّبَّاءُ : القَرْعُ ساكنُ الرّاءِ لا غير، وهو جمع دُبَّاءَةٍ[١]، وإذا فتحتَ الرّاءَ فهو جَرَبٌ يأخذُ الإبلَ وداءٌ يكون في الإنسان .

والنَّقِيرُ : هي النّخلةُ تُنْقَرُ أي تُحفَرُ في جوفِها أو جنبِها ويُلقى فيها الماءُ والتّمرُ للانتباذِ. وقد فسّرَهُ في المصنّفات الصّحيحة والجامعة للأحاديث فقال : هي النّخلةُ تُنْسَحُ نَسْحاً[٢] وتُنْقَرُ نَقْراً[٣] .

وقيّده بعضُ رواة مسلمٍ ـ قيل: إنّه ابنُ ماهان[٤] ـ: «تُنْسَجُ» بالجيم، وكذلك في « جامع التّرمذيّ »، وذلك خطأٌ وتصحيفٌ؛ لأنّ النَّسْجَ لا معنى له هاهنا وإنّما هو بالحاء المهملة، أي تُنقر ويُحفر فيها ويُطرح من داخلها ما ينتحتُ من نُحاتَتِها[٥]، يقال: نَسَحْتُ التّرابَ نَسْحاً إذا ذَرَّيْتَهُ في الهواء ، ذكرهُ ابنُ طَرِيفٍ[٦] .

والحَنْتَمُ : فسّرَهُ / أبو هريرة بأنّه الجِرارُ الخُضْرُ، وقيل : البيضُ، ١٣٨/أ وقيل: هو ما طُلِيَ بالحَنْتَمِ المعلومِ من الزُّجاج وغيرِه، وقيل: هو الفَخّارُ كلُّه، وقيل: الخُضْرُ في تفسير أبي هريرة هي السُّودُ المطليّةُ بالزِّفْتِ الذي هو القَار .

---

(١) مشارق الأنوار ١/٢٥٢ .

(٢) تصحّفت في مشارق الأنوار إلى : تسيح سيحا .

(٣) المصدر نفسه ٢/٢٣ ـ ٢٤ .

(٤) أبو العلاء عبدُ الوهّاب بن عيسى بن عبد الرّحمن بن عيسى بن ماهان الفارسيُّ تقدّم.

(٥) المصدر نفسه ٢/٢٦ ، ٢٧.

(٦) أحمدُ بن عبد الله بن أحمد بن طَريف القرطبيُّ تقدّم .

قال الإمامُ أبو إسحاق الحربيُّ[١] : هي جِرارٌ مُزَفَّتَةٌ .

وقيل : هي جِرارٌ يُحملُ فيها الخمرُ من مصر أوالشّام .

وقيل : هي جِرارٌ مُصَرَّاةٌ بالخمر .

وقيل : هي جِرارٌ تُعمل من طينٍ قد عُجن بشَعَرٍ ودَمٍ، وهو قولُ عطاء ، فنُهي عنها لنجاستها[٢] .

والزّارِعُ بن عامرٍ بالزّاي :

ذكره العلماءُ في هذا الحرفِ ، وقال ابنُ عبد البرّ في « كتاب الصّحابة » له :

« الزّارِعُ بن عامرٍ العبديّ[٣] أبو الوازع من عبد القيس، حديثُه عند البصريين، ويُقال له الزّارِع بن الزّارع، والأوّلُ أولى بالصّواب، وله ابنٌ يُسمّى الوازِعُ وبه كان يُكنى، روت عنه ابنةُ / ابنِه أمّ أبان بنت الوازع بن الزّارع، عن جدِّها الزّارع حديثاً حسناً ساقتْهُ بتمامه وطُوله سياقةً حسنةً »[٤] .

١٣٨ / ب

---

(١) الإمامُ الحافظُ أبو إسحاق إبراهيمُ بن إسحاق البغداديُّ الحربيُّ صاحب الكتاب النّفيس غريب الحديث، توفي سنة ٢٨٥هـ، انظر سير أعلام النبلاء ١٣/٣٥٦ ـ ٣٧٢.

(٢) مادّةُ (حنتم) مأخوذةٌ كلّها من مشارق الأنوار ١/٢٠٢ ـ ٢٠٣ .

(٣) في الأصل : أبو العبديّ ، والصّوابُ المثبتُ أعلاه .

(٤) الاستيعاب ١/٥٨٧ .

وقرأتُ في « مسند شيخه الإمام أحمد » ما هذا نصُّه، ذكره في الجزء الموفي ثلاثين من مسند الأنصار[1] ، وترجم عليه : حديثُ الوازع بالواو .

وقرأتُ جميعَ « المسند » بمدينة واسط على الإمام العالم القاضي العدل تاج الدِّين أبي الفتح محمّد بن أحمد المندائيّ، قال: سمعتُ جميعَه على رئيس الحضرة أبي القاسم هبة الله ابن الحُصَين، قال: سمعتُ جميعَه على الثِّقة أبي عليّ الحسن بن المُذْهِبِ، قال: سمعتُ جميعَه على الثِّقة أبي بكرالقَطيعيّ، قال : سمعتُ جميعَه على الإمام أبي عبد الرّحمن عبد الله بن إمام أهل السّنة أبي عبد الله أحمد بن محمّد بن حنبل الشّيبانيّ، قال: أملى عليَّ أبي، قال: حدّثنا أبو سعيدٍ مولى بني هاشمٍ / قال: حدّثنا مطرُ بن عبد الرّحمن، ١٣٩ / أ قال: سمعتُ هنداً بنت الوازع، أنّها سمعَتْ الوازعَ يقول :

« أتيتُ رسولَ الله ﷺ والأشجُّ المنذرُ بن عاصمٍ أو عامرُ بن المنذر، ومعهم رجلٌ مُصابٌ، وانتهوا إلى رسول الله ﷺ، فلمّا رأوا النّبيّ ﷺ وثبوا من رواحلهم فقبّلوا يدَه، ثمّ نزل الأشجُّ فعقل راحلتَه وأخرج عَيْبَتَهُ، ففتحها وأخرج ثوبين أبيضين من ثيابه فلبسهُما، ثمّ أتى رواحلَهم فعقلَها، فأتى النّبيُّ ﷺ فقال النّبيُّ ﷺ: يا أَشجُّ، إنّ فيك خصلتين يُحبُّهما الله ورسولُه: الحِلْمُ والأناةُ، قال: يا رسولَ الله، أنا تخلّقتهما أو جبلني الله عليهما ؟ قال: بل الله خلقك عليهما ، قال : الحمدُ لله / الذي جبلني على خُلُقين يحبّهما الله . فقال الوازعُ: يا رسولَ الله ، إنّ معي خالاً لي مُصاباً فادْعُ الله له، قال: أين هو؟ ائتني به، فصنعتُ مثلَ ما صنع

(١) سقط هذا الحديثُ من مسند أحمد، وقد ذكره معزوّاً إليه ابنُ كثيرٍ في البداية والنّهاية ٥/٤٣ ـ ٤٤، وابنُ حجر في إطراف المُسنِد المعتلي بأطراف المسنَد الحنبلي ٥/٤٤٥.

الأشجُّ، ألبستُه ثوبيه فأتيتُه، فأخذ من ردائِه فرفعها حتّى رأينـا بيـاضَ إبطـه ثمّ ضرب بظَهْرِه، قال: اخرجْ عدوَّ الله، فولّى وجهُه وهو ينظرُ نظرَ رجـلٍ صحيحٍ » .

أبو سعيدٍ مولى بني هاشمٍ اسمُه عبدُ الرّحمن بن عبد الله(١) قاله الإمـامُ أحمدُ بن محمّد بن حنبلٍ أبو عبد الله فقال : رجلٌ كان يُلقَّبُ جَرْدَقَة، قـال أبو عبد الله برأسِه أي نَعَمْ(٢) ، شيخٌ صالحٌ محدِّثٌ بصريٌّ سكن مكّةَ .

قال أبو جعفر العقيليُّ : كان يُخطئُ في بعض حديثِه(٣) .

وهذا ليس بتجريح ، عند أهل « الصّحيح » .

١٤٠/أ ومن ذلك أنّ مُنقذَ بن حَيّان الغَنَمِيَّ من غَنم بن وديعةَ بن لُكَيز بن / أفصى بن عبد القيس .

قال المدائنيُّ : «وَفَدَ من بني غَنْـمٍ إلى النّبيّ ﷺ ثلاثـةُ نفرٍ: منقـذُ بـن حيّان أحدُهم وهو أوّلُ مَن أسـلم مـن أهـل البحريـن، وكـان يـأتي يـثربَ بالتّجارات، فمرّ به النّبيُّ ﷺ وقد قدم المدينةَ، فقيل له: هذا القرشـيُّ الـذي يزعمُ أنّه نبيٌّ، فقام منقذٌ إليه فلمّا رآه النّبيُّ ﷺ قام إليه وقال: مرحباً بك يـا مُنقذَ بن حيّان ، كيف جميعُ هيئتك؟ ثمّ سأله عن رجـلٍ رجـلٍ مـن قومـه، فأسلمَ وتعلّمَ سورةَ الحَمْدِ و﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾(٤)، ثمّ شَخَصَ، وقد مسح

---

(١) ابن عبيدٍ البصريّ .

(٢) ذكر هذا عن الإمام أحمد العقيليُّ في الضّعفاء ٣٤١/٢ .

(٣) لم يرد قولُ العقيليّ في كتابه الضّعفاء ، وإنّما فيه قـولُ الإمـام أحمـد: « كـان أبـو سعيدٍ كثيرَ الخطأ ».

(٤) يعني سورة الفاتحة والعلق .

النّبيُّ ﷺ يدَه على وجهه، وكان به عَشى وقُبْحٌ، فأذهب الله عنه العَشَى وأحسن صُورتَه، وكتب معه إلى قومِه أن أسلِمُوا تسلَمُوا، فقدم عليهم بالكتاب فأنكرُوا هيئتَه وحِلْيتَه، ثمّ بدا لهم بعدُ وبَان، فأسلمَ مَن أسلم، ثمّ تعلّم مَن / أسلم منهم القرآن، فكانوا يقرؤونه سرّاً ويصلُّون كذلك حتّى ١٤٠/ب اطُّلِعَ عليهم. وكان الأشجُّ خالَ مُنقذٍ وكان قال لرسول الله ﷺ : إنّ لي خالاً لا يُهمل قومي إن أسلمَ اتّبعُوه، فكان كذلك، فبينا هُم كذلك في دارهم إذ دخل الأشجُّ على أختِه أمِّ مُنقذٍ وهي تقرأُ وتصلِّي، فسألها فقالت: إنّك نَجِسٌ فاذهب فتطهّر حتّى أُعَلِّمَك، ففعل ثمّ عاد فعلَّمَتْهُ، فوقع في قلبه الإسلامُ وأسلمَ، وصُرخ بالإسلام في البحرين، فتلك الدّارُ إلى الآن تُسمَّى دارَ الصَّرْخَةِ؛ فكان لعبد القيس كعمر لقُريشٍ الذي قال: لا يُعبد الله سرّاً بعد اليوم » .

ذكره أبو الحسن عليُّ بن محمّد بن عبد الله المدائنيّ مولى عبد الرّحمن ابن سمرة بهذه الزّيادات المفيدة وإن كان ضعيفاً .

قال الإمامُ أبو أحمد عبدُ الله بن عديّ الجرجانيُّ في « تعديله وتجريحه »[1]: / عليُّ بن محمّد بن عبد الله أبو الحسن المدائنيّ ليس بالقويّ ١٤١/أ في الحديث.

وقد ذكره أبو عبيدة معمرُ بن المثنّى ، وحديثُ المدائنيّ أتمُّ وذكرناه لشُهرته.

(١) الكامل في ضعفاء الرّجال ١٨٥٥/٥ .

وقولُ أختِ الأشج للأشج : « إنك نجسٌ » وأنّه أسلم بعد ذلك دليلٌ على أنّه كان لم يُسلم بعدُ، فيمكنُ أن يكون لم يأتِ النّبيَّ ﷺ ولا أسلمَ إلاّ بعد ذلك، فيُجمع بين الخبرين بذلك وا لله أعلم .

ومنقذٌ هذا لم يذكُره ابنُ عبد البرّ في « الصّحابة » ولا ابنُ فتحون[1] في « الاستدراك عليه »، ونقلتُه من « كتاب الحافظ نسّابةِ الأندلس أبي محمّدٍ الرُّشَاطيّ في استدراكه عليهما »، وقرأتُه على المحدث الفاضل أبي محمّدٍ عبد ا لله بن محمّد بن عُبيد ا لله الحَجْرِيّ[2] قال: قرأتُه على الحافظ أبي محمّد الرُّشاطيّ، وقد ذكره أبو الحسن الدّارقطنيّ في « النَّبيذ » ، سمع منه حنظلةُ بن / سلمة ، روى عنه أهلُ البصرة. ١٤١ / ب

شرحٌ :

قولُه : « يثرب » سُميت باسم الذي نزلها من العَماليق وهو يثربُ بن عَبيل، وبنُو عَبيلٍ هم الذين سَكنُوا الجُحْفَةَ فأجحفت بهم السُّيُولُ بها فسُميت الجُحْفَةَ .

---

(١) هو محمّد بن خلف بن سليمان بن فتحون من أهل أُوريُولة عمل مُرسية، كان معتنياً بالحديث منسوبا إلى فهمه، عارفاً بأسماء رجاله ونقلتِه، توفي سنة ٥٢٠ هـ ، وقيل في التي قبلها، انظر الصّلة ٥٤٧/٢ لابن بشكوال، وقد أثنى على كتابه الذي استدرك به على ابن عبد البرّ في الصّحابة .

(٢) الشّيخُ العلاّمةُ المعمَّرُ الحافظُ أبو محمّد عبدُ ا لله بن محمّد بن عليّ بن عبد ا لله بن عبيد ا لله ابن سعيد بن محمّد الرُّعينيّ الحَجْريُّ الأندلسيُّ المَريي المالكيُّ، توفي سنة ٥٩١هـ، انظر سير أعلام النبلاء ٢٥١/٢١ ـ ٢٥٥.

ولا يجوزُ الآن أن تُسمَّى المدينةُ بهذا الاسمِ لقوله ﷺ: « يقولون يثرب وهي المدينةُ » ، أي أنّ النّاسَ يُسَمُّونها يثربَ وإنّما اسمُها المدينةُ .

فإن قيل : إنّ الله تعالى سمّاها بذلك في القرآن ؟

قلنا له : إنّما حَكى ذلك عن المنافقين إذ هو مشتقٌّ من لفظ التّثريب قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ﴾[1].

وقائلُ هذه المقالة هو أوسُ بن قيظيّ والدُ عَرابةَ الذي يقول فيه الشَّمَاخُ[2] :

إذا ما رايَةٌ رُفِعَتْ لِمَجْدٍ تَلَقّاها عَرَابَةُ باليَمينِ

/ والطّائفةُ تقع على الواحد فما فوقه بدليل هذه الآية، إذ لم يقل هذه ١٤٢/أ المقالةَ سوى أوسٍ المذكور، والله تبارك وتعالى قال في القرآن غيرَ حاكٍ عن أحدٍ: ﴿مَا كَانَ لأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللهِ﴾[3].

وإذا قيل : المدينةُ غير مُضافةٍ ولا مَنسوبةٍ فهي المدينةُ النّبويّةُ كما قال تعالى: ﴿لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ﴾[4].

والنّسَبُ إليها مَدِينيٌّ ، وإلى مدينة أبي جعفر المنصور ـ وهي بغداد ـ مَدَنِيٌّ؛ لأنّ الميمَ فيها أصليّةٌ والياءُ زائدةٌ، وهو مأخوذٌ من: مَدَنَ بالمكان إذا

(١) الأحزاب : الآية ١٣ .

(٢) ديوان الشّمّاخ ص ٩٧ .

(٣) التّوبة : الآية ١٢٠ .

(٤) المنافقون : الآية ٨ .

أقام به، والنّسَبُ إلى مدائن كسرى مدائني مسموعٌ من العرب، والنّسَبُ إلى مَدْيَنَ قريةِ شُعيب عليه السّلام مَدْيَني بفتح الميم وسكون الدّال وفتح الياء .

ولها اثنان وعشرون اسماً :

١٤٢ / ب المدينةُ ، والدّارُ ، والإيمانُ : قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ / تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ﴾[١]، قال ابنُ أبي خيثمة : الإيمانُ مِن أسمائها[٢] .

وطَيْبَةُ وطابَةُ مؤنّثُ الطّابِ وهو الطَّيبُ، وطَيْبَةُ بالتّخفيف أيضاً هي الطَّيبَةُ بتثقيل الياء فخُفِّفَتْ، والمُطَيَّبَةُ، والعَذْراءُ، والجابرَةُ، والمجْبُورَةُ، والمُحَبَّةُ، والمحبّبةُ، والحبيبةُ، والمحبوبةُ، والقاصمةُ لأنّها قَصمَتْ الجبابِرَةَ، ونَيْدَرُ، ويَلَنْدَدُ . انتهى ما وجدتُه في « كتاب الوزير أبي عبيد البكريّ[٣] »[٤] [حدّثنا][٥] به حفيدُه الأديبُ الفارضُ أبو عبيد عبدُ الله ، عن أبيه ، عن جَده الوزير أبي عبيد . وزاد كُرَاعٌ[٦] في « المنتخب له في

---

(١) الحشر : الآية ٩ .

(٢) أخرجه ابن أبي خيثمة في تاريخه ـ الجزء السّابع ، ذِكْرُ المدينة ل ٥٧ أ ـ نسخة القرويين من قول أبي مصعب الزّبيري.

(٣) العلاّمة المتفنّن أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمّد البكريُّ نزيل قرطبة، توفي سنة ٤٨٧هـ، انظر سير أعلام النبلاء ١٩/٣٥ ـ ٣٦.

(٤) معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع لأبي عبيد البكري ٤/١٢٠١ ـ ١٢٠٢ مع اختلافٍ يسيرٍ وزياداتٍ لا توجد في المعجم .

(٥) زيادةٌ يقتضيها السّياقُ .

(٦) هو أبو الحسن عليُّ بن الحسن الهُنائي الأزدي المعروف بكراع النّمل، لغوي نحوي من علماء مصر، انظر إنباه الرّواة على أنباه النّحاة ٢/٢٤٠.

أسمائها » : المرحُومَةُ، والمسكينةُ[١]، والبَحْرَةُ، والبُحَيْرَةُ، والبَحِيرَةُ، فكلُّ ذلك اسمٌ للمدينة ، وأصلُه أنّ كلَّ قريةٍ بَحِيرةٌ.

وقرأتُ في « كتاب ليس »[٢] / : طيّبة ، والمطيّبة ، والحبيبة ، والمحبّبة، ١٤٣/أ والبُحيرة تصغير بَحْرَةٍ لا بَحْرٍ لأنّ البحر مُذَكّرٌ وتصغيرُه بُحيرٌ ؛ فالبُحَيْرَةُ : المدينةُ ، والبَحْرَةُ : الأرضُ والبلدُ .

وقال اللُّغويُّ الكبيرُ أبو الحسين بن سِراجٍ[٣]: ويُقال: البَحِيرَةُ على لفظ النّاقةِ البَحِيرَةِ، والبِحارُ: القُرى، وقد قيل في قوله تعالى: ﴿**ظَهَرَ الفَسَادُ فِي البَرِّ وَالبَحْرِ**﴾[٤] إنّه القُرى والأمصار ، وقيل : بل هو البحرُ نفسُه[٥] .

وثبت عن أبي سعيد الخدريّ « أنّ أعرابيا قال: يا رسولَ الله، أخبرني عن الهجرة، قال : ويحك ، إنّ شأنَ الهجرة شديدٌ فهل لك من إبلٍ؟ قال : نعم، قال: فهل تُؤدِّي صدقتَها ؟ قال: نعم، قال: فاعمل مِن

---

(١) هذا المزيد في كتاب كراع النّمل ، أمّا الأسماء الثّلاثة التّالية فلا ذِكْرَ لها في الكتاب، انظر المنتخب من غريب كلام العرب لكراع النّمل ١/٤٠٥.

(٢) لم أره فيه .

(٣) هو الحافظ اللّغويُّ الوزيرُ أبو الحسين سراج بن عبد الملك بن سراج الأمويُّ، توفي سنة ٥٠٨هـ، انظر الغنية ص ٢٠١ ـ ٢٠٥ لتلميذه القاضي عياض.

(٤) الرّوم : الآية ٤١ .

(٥) انظر مشارق الأنوار ١/٧٩ للقاضي عياض الذي نقل هذه المادّة أو بعضها عن شيخه ابن سراج فقال: « وقال لي ابنُ سراجٍ ... ».

وراء البحار فإنّ الله لن يترك من عملك شيئاً» ، هذا نصُّ «صحيح البخاريّ» في كتاب الأدب[1] .

قولُه : «من وراء البحار» أي البلاد .

١٤٣ / ب وفي «البخاري»[2] : ـ في أُكَيْدِرَ دُومَةَ ـ / «أنّ رسول الله ﷺ كتب له ببَحْرِهِمْ» أي ببلدهم وأرضهم .

قال الطّبريُّ : كلُّ قريةٍ لها نهرٌ جارٍ أو ماءٌ ناقِعٌ فالعربُ تُسمِّيها بَحْراً[3].

وقال كعبٌ : إنّا نجدُ في التّوراة يقولُ الله سبحانه للمدينة : يا طابَةُ، يا طَيْبَةُ، يا مسكينةُ، لا تقبلي الكنوز، أرفعُ أحاجيرَك على أحاجير القُرى، وقد رَوى في هذا حديثاً عن عليٍّ عليه السّلام يرفعُه .

ورُوي أنّ لها في التّوراة أحدَ عشرَ اسماً .

وقيل في قوله تعالى لنبيِّه محمّدٍ ﷺ: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ﴾ أنّها المدينة، وأنّ ﴿مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾ مكّةُ، و﴿سُلْطَاناً نَصِيراً﴾[4] الأنصارُ، وقيل: عَتّابُ بن أَسِيدٍ.

---

(١) باب ما جاء في قول الرّجل : ويلك ، ١٠/٥٥٣، رقم: ٦١٦٥، وأخرجه أيضاً مسلمٌ ٣/١٤٨٨، رقم: ٨٧، كتاب الإمارة، باب تحريم رجوع المهاجر إلى استيطان وطنه .

(٢) صحيح البخاري ٣/٣٤٤، رقم: ١٤٨١، كتاب الزّكاة، باب خَرْصِ التّمر، وصحيح مسلم ٤/١٧٨٦، رقم: ١٢، كتاب الفضائل، باب في معجزات النّبيّ ﷺ. وقولُ ابن دحية : «أكيدر دومة» لعلّه سبقُ قلمٍ وإنّما هو : «ملك أيلة» كما في الصّحيحين .

(٣) هذه المادّةُ المتعلّقةُ بـ : (بحر) نقلها كلَّها ابنُ دحية من مشارق الأنوار ١/٧٩.

(٤) الإسراء : الآية ٨٠ .

وفي « صحيح مسلم »[١] عن جابر بن سمرة قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « إنّ الله سمّى المدينةَ طابَةَ » .

وثبت في « الصّحيحين »[٢] أنّ رسول الله ﷺ قال : « أُمرتُ / بقريةٍ تأكلُ القُرى » أي يفتحُ اللهُ على أهلِها ذلك ويأكلُون فَيْئَهُم[٣] . ١٤٤/أ

والقريةُ : المدينةُ ، وكلُّ مدينةٍ قريةٌ لاجتماع أهلِها فيها مِن : قَرَيْتُ الماءَ في الحوضِ إذا جمعتَهُ[٤] .

وأمرُ المدينة عَجَبٌ، وفي تُرابها وهوائها دليلٌ شاهدٌ وبرهانٌ على قول النّبيّ ﷺ .

وفي « الصّحيحين »[٥] عن جابر «إنّها طَيْبَةُ تنفي خبَثَها ، ويَنْصَعُ طِيبُها» بكسر الطّاء ، رواه ابنُ وضّاحٍ في « الموطّأ » ، ورواه الجماعة :

---

(١) صحيح مسلم ١٠٠٧/٢، رقم: ٤٩١، كتاب الحجّ، باب المدينة تنفي شرارها .

(٢) صحيح البخاري ٨٧/٤، رقم: ١٨٧١، كتاب فضائل المدينة، باب فضل المدينة وأنّها تنفي النّاس، وصحيح مسلم ١٠٠٦/٢، رقم: ٤٨٨، كتاب الحجّ، باب المدينة تنفي شرارها، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) وذُكر معنيان آخران :
أحدهما : أنّ أكلَها وميرتَها من القُرى المفتتحة، وإليها تُساق غنائمُها .
والآخر : أنّ المراد بأكلها القُرى غلبةُ فضلها على فضل غيرها بحيث أنّ الفضائل تضمحلُّ في جنب عظيم فضلها . انظر فتح الباري ٨٧/٤ .

(٤) مشارق الأنوار ١٨١/٢ .

(٥) صحيح البخاري ٩٦/٤، رقم: ١٨٨٣، كتاب فضائل المدينة، باب المدينة تنفي الخبثَ، وصحيح مسلم ١٠٠٦/٢، رقم: ٤٨٩، كتاب الحجّ، باب المدينة تنفي شرارها .

« طَيبُها » بفتح الطّاء[١].

ومعنى « يَنْصَعُ » بالصّاد المهملة والعَين المهملة أي يخلصُ، وقيل: يبقى ويظهر[٢]، والنّاصعُ : الخالصُ .

وطِيبُها : فاعلُ ينصعُ ؛ لأنّ مَن دخلها وأقام فيها كائناً مَن كان مِن النّاس فإنّه يجدُ من تُربتها وحيطانها رائحةً طيبةً ليس لها اسمٌ في الأرائح، وبهذا السّبب طاب طِيبُها، والمعجوناتُ بها من الطِّيب أحَدُّ رائحةً، وكذلك العُودُ وجميعُ البُخور يقوى طيبُه فيها إذا استُعمل فيها / بخلاف غيرها. ١٤٤/ب

وفيها روضةٌ من رياض الجنّة خصَّها الله بذلك دون سائر الأقطار ، ثبت في « الصّحيحين »[٣] أنّ رسول الله ﷺ قال : «ما بين بيتي ومنبري روضةٌ من رياض الجنّة ، ومنبري على حوضي» .

وقال رسول الله ﷺ : « ولقابُ قوسِ أحدكم من الجنّة أو موضعُ قِيدٍ ـ يعني سوطَهُ[٤] ـ خيرٌ من الدّنيا وما فيها » ، رواه أنسٌ عنه أخرجه

(١) مشارق الأنوار ٣٢٤/١ قال القاضي عياض : « وكلاهما هنا صحيحُ المعنى » .

(٢) المصدر نفسه ٣٢٤/١ ، ١٥/٢ .

(٣) صحيح البخاري ٩٩/٤، رقم: ١٨٨٨، كتاب فضائل المدينة، الباب رقم ١٢، وصحيح مسلم ١٠١١/٢، رقم: ٥٠٢، كتاب الحجّ، باب ما بين القبر [كذا والصّحيح : البيت] والمنبر روضةٌ من رياض الجنّة، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٤) قال ابنُ حجر في فتح الباري ١٥/٦ : «قوله : يعني سوطَه ، تفسيرٌ للقِيد غير معروفٍ، ولهذا جزمَ بعضُهم بأنّه تصحيفٌ وأنّ الصّوابَ : قِدّ بكسر القاف وتشديد الدّال، وهو =

البخاريُّ وهذا نصُّه في كتاب الجهاد[١] .

وقَابُ القوسِ : قدرُ طُولِها[٢] .

وقِيدُ سَوْطِه : أي قدرُه[٣] .

فلاحَ من هذا أنّها خيرُ المدائن والأمصَار، وخيرُ المساكن والدّيَار، ومن مات بها شفعَ له رسولُ الله ﷺ عند الملك الجبَّار، وهو حديثٌ صحيحٌ عند نقّاد الآثار.

قال التّرمذيُّ في باب ما جاء في فضل المدينة[٤] : حدّثنا بُنْدَار، حدّثنا معاذُ بن هشامٍ، حدّثني أبي، عن أيّوب، عن نافعٍ / عن ابن عمر قال: قال ١٤٥/أ النّبيّ ﷺ :

«من استطاع أن يموت بالمدينة فليمُت بها فإنّي أشفع لمن يموتُ بها»، وفي الباب عن سُبَيْعة بنت الحارث الأسلميّة. هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ[٥] غريبٌ من هذا الوجه من حديث أيّوب .

---

(١) باب الغدوة والرّوحة في سبيل الله، وقاب قوس أحدكم في الجنّة ، ٦/١٥، رقم: ٢٧٩٦.

(٢) مشارق الأنوار ٢/١٩٣ .

(٣) المصدر نفسه ٢/١٩٧ ، وانظر فتح الباري ٦/١٤ .

(٤) جامع التّرمذي ٥/٦٧٦، رقم: ٣٩١٧، كتاب المناقب، باب في فضل المدينة .

(٥) كلمة : صحيح ، سقطت من طبعة أحمد شاكر، وهي مثبتةٌ في تحفة الأشراف ٦/٧٥، وتحفة الأحوذي ٦/٧٥، وطبعة بشّار عوّاد .

قال ذو النّسبين أيّده ا لله :

صَدَقَ ؛ محمّدُ بن بشّار : هو بُنْدارٌ اتّفقا على الإخراج عنه في « الصّحيحين ».

ومعاذُ بن هشامٍ : اتّفقا أيضا على الإخراج عنه في « صحيحيهما ».

وأبوه هشامٌ الدّستوائيّ : أحدُ ثقات المسلمين وعلمائهم مخرَّجٌ عنه في « الصّحيحين » .

وأيّوبُ : هو ابنُ أبي تميمةَ، واسمُ أبي تميمة كَيْسَان، وهو أحدُ أئمّةِ المسلمين وعُظمائِهم، اتَّفق المسلمون على إخراج حديثه لثقته وعدالته وحفظه، وكان مالكٌ يفخرُ بالأخذ عنه .

ونافعٌ: مولى أبي عبد الرّحمن عبد ا لله بن عمر بن الخطّاب أحدُ ثقات المسلمين، بعثه / أميرُ المؤمنين أبو حفص عمر بن عبد العزيز إلى أهل مصر يُعلِّمهم السُّنَنَ. ١٤٥ / ب

وهذا كلُّه لأنّها طابت بالطَّيبِ المختَار، وأيُّ طَيبٍ أطيبُ من المُتَلَقِّي عن ا لله تعالى مُغَيَّباتِ الأخبَار، ومَن غسلت الملائكةُ باطنَه بماء الجنّة وظاهرَه أيضاً، ومُلِيءَ حكمةً وإيماناً وفاضَ الخيرُ عليه فيضاً، وقد كان إذا مشى وُجدت منه الرّائحةُ الطّيبَةُ من بعيد، فهو في صفةٍ أخرى مَن عظَّمها فهو أسعدُ سعيد، وسأذكرُ مِن طِيب عَرْفِه في موضعه إن شاء ا للهُ[1] ما يُتلى على سائر الأعصَار، ويُقرأ في جميع الأمصَار، ويُنتفع به في الدّارين دارِ

(١) يقصدُ ابنُ دحية القصيدة التّالية التي ختم بها كتابَه هذا الآيات البيّنات وا للهُ أعلم .

التّكليف ودار القرَار، صلّى الله عليه صلاةً تستَدِرُّ شآبيبَ الأمطَار، وتستوعبُ مُتَموَّجَ البحَار، وتتبلَّجُ تبلُّجَ النّهَار ، / وتتأرَّجُ تأرّجَ الأزهَار. ١٤٦/أ

فَهو الذِي أَعْلَمَنَا ربُّنا — أنّ الخَطيئاتِ بِه تُغْفَرُ
قد طابَ في الدّنيا كطيب اسمِه — فهو بذاك الطّيبُ الأطْهَرُ
يا خيرَ خَلْقِ الله حقّاً ومَنْ — بِهِ هُدِي الأسودُ والأحمَرُ
يا صفوةَ الرَّحمنِ من هاشمٍ — ومَن له المنصِبُ والمفخَرُ
يا مَن له فضلُ المقامِ الذي — يُحْمَدُ عند اللهِ والكوثَرُ
لولاك ما كُنّا على شِرْعَةٍ — هادِيَةٍ مَهْدِيَّةٍ تُؤثَرُ
ناسِخَةٍ صارمُها قاطِعٌ — لكل شَرْعٍ قد مضى يُذْكَرُ
لولاك لم تُعْرَفْ لنا جَنّةٌ — للخُلْدِ والنّارُ التي تُسْعَرُ
لولاك لم تُرْفَعْ إلى ربنا — عبادةٌ مِن أجلها نُؤْجَرُ
نَعَمْ ولم يَعلم له ذاكِرٌ — مّما هو المشّروعُ ما يُذْكَرُ
يا خاتمَ الأَرْسَالِ يا سيداً — كلُّ النّبيين به بشَّرُوا
/ أنت الذي أسرى به ربُّه — لمنتهىً ما بعدَهُ مظهرُ ١٤٦/ب
أنت الذي تَشفَعُ في آدَمٍ — والنّاسُ قد ضمَّهُمُ المَحْشَرُ
صلّى عليك الله ما غَرَّدَتْ — قُمْرِيَّةٌ في أَيْكَةٍ تَزْهَرُ

انتهى الكتابُ والحمدُ لله وحده ، وصلّى الله على سيّدنا محمّدٍ نبيه وآلِه الطّاهرين وأصحابِه المُنْتَجَبين وسلّم تسليماً .

فهارس الكتاب

فهرسُ الآيات

النّساء

المائدة

الأنعام

الأعراف

الأنفال

التّوبة

هود

الرّعد

إبراهيم

الحجر

النّحل

الإسراء

طه

المؤمنون

الفرقان

الشّعراء

النّمل

القصص

الرّوم

العنكبوت

الأحزاب

سبإ

يس

الزّمر

غافر

فصّلت

الشّورى

الزّخرف

الدّخان

الأحقاف

الفتح

الحجرات

ق

النّجم

القمر

الواقعة

الحشر

المنافقون

الملك

الحاقّة

القلم

القيامة

التّكوير

الضّحى

الشّرح

العلق

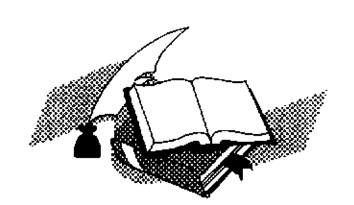
فهرس الأحاديث

طرف الحديث	الصّفحة



فهرس الآثار

طرف الأثر | الصّفحة



فهرسُ الشِّعْرِ

وحديثُها كالقَطْــــرِ يَسْمَعُـــهُ	رَاعِي سِنِينَ تتابَعَــتْ جَدْبَــا	٢٩٥
فَيَصِيخُ يَرْجُــو أن يَكُـــونَ حَيًّا	ويقــولُ مِنْ فَرَحٍ أيَا رَبَّــــا	٢٩٥

[الرّاعي]

أخُوكم غيرَ أَسْيَبَ قد أتاكُـــــم	بحمدِ الله عادَ لـــــه الشَّبــابُ	٣٦٧
أتانـي نَجِيي بعدَ هَدْءٍ ورَقْـــــدَةٍ	ولم يكُ فيما قد بَلَوْتُ بكــاذبِ	٣٦٧
ثـلاثَ ليـالٍ قولُه كلَّ ليلـــــــةٍ	أتاكَ رسولٌ مِن لُؤَي بن غــالبِ	٣٦٧
فشمَّرتُ عن ذَيْلِ الإزارِ ووسَّطَـتْ	بيَ الذِّعْلِبُ الوَجْناءُ بين السَّباسـبِ	٣٦٧
فــأشهـدُ أنّ الله لا ربَّ غـــيرُه	وأنّكَ مأمُونٌ على كُــل غـائبِ	٣٦٧
وأنّك أدنـى المُرسَــلين وَسيــلـــةً	إلى الله يابنَ الأَكْرَمَين الأطـايبِ	٣٦٧
فمُرْنا بما يَأتيك يا خــيرَ مَـــنْ نَشَا	وإن كان فيما جاء شَيْبُ الذّوائبِ	٣٦٧
وكُنْ لي شَفيعاً يومَ لا ذُو شَفاعــةٍ	سِواكَ بمُغنٍ عن سَوادِ بن قــارِبِ	٣٦٧

[سَوادِ بن قــارِبِ]

هــــذا وهــذا لا يَــرُدُّ نبيَّنــا	لو كان يَفديه فَداهُ سَــــوادُ	٣٢١
إنّي أُحاذرُ والحوادثُ جَمَّــــةٌ	أمـراً لعـاصفِ ريحِه إرْعَــادُ	٣٢١
إنْ حَلَّ منهُ ما يُخافُ فأنتـــمُ	للأرضِ إن رَجَفَتْ بنا أوتــادُ	٣٢١
لو زادَ قومٌ فوقَ مُنْيَةِ صاحـــبٍ	زدتُـمْ وليـس لُمْنَيَـةٍ مُــزْدَادُ	٣٢١

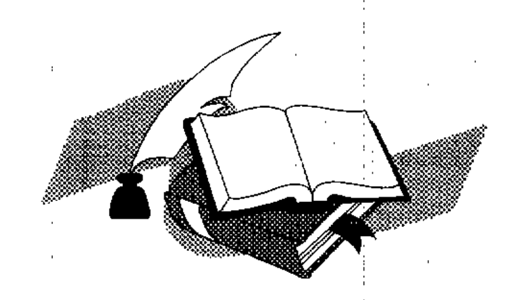
[سواد بن قارب]

كأنّهمُ إذا فكّرتَ فيهـــم	تُيوسٌ بالشُّكَاعِ لها يُعَـــارُ	٢٩٠
ما سُمِّيَ القلبُ إلاّ مِن تقلّبـــه	والرّأيُ يَصْرِفُ والإنسانُ أطـوارُ	٢٩٠
فَهــو الـذِي أَعْـلَمَـنَا ربُّنــا	أنّ الخَـطيئـاتِ بـه تُغْفَـــرُ	٤٣١
قد طابَ في الدّنيا كطيب اسمِـه	فهو بذاك الطِّيِّبُ الأطْهَـــرُ	٤٣١
يا خيرَ خَلْقِ الله حقّاً ومَـــنْ	بِهِ هُدِي الأسودُ والأحمـــرُ	٤٣١
يا صفوةَ الرَّحمنِ من هاشـــمٍ	ومَـن له المنصِبُ والمفخـــرُ	٤٣١
يا مَن له فضلُ المقامِ الـــذي	يُحْمَـدُ عند اللهِ والكوثـــرُ	٤٣١
لولاك ما كُنّا على شِرْعَـــةٍ	هادِيَــةٍ مَهْـدِيَّةٍ تُؤثَـــرُ	٤٣١
ناسِخَةٍ صارِمُــها قاطِـــعٌ	لكلِّ شَرْعٍ قد مضى يُذْكَـــرُ	٤٣١
لولاك لم تُعْرَفْ لنا جَنّـــةٌ	للخُلْدِ والنّارُ التي تُسْعَـــرُ	٤٣١
لولاك لم تُرْفَــعْ إلى ربِّنـــا	عبـادةٌ مِن أجلها نُؤجَـــرُ	٤٣١

فهرسُ الأمثال



فهرسُ الكلمات الغريبة



فهرس الكتب
الواردة في النّص



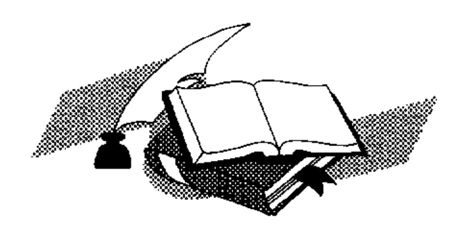
فهرس البلدان والأماكن



فهرس القبائل والأيّام والغزوات

فهرس الأعلام المترجم لهم

فهرس الموضوعات



فهرس المصادر والمراجع

أوّلا : المخطوطات

١ ـ الأجوبة المرضيّة للسّخاويّ، نسخة مصوّرة في مكتبة شيخنا حمّاد بن محمّد الأنصاري رحمه الله تعالى .

٢ ـ أخبارُ فقهاء مالقة وأدبائهم، لابن عسكرٍ، نسخة بحوزة العلامة محمّد المنوني، وعندي منها صورة.

٣ ـ أعلام النّصر المبين في المفاضلة بين أهلي صفّين، ابن دحية ٦٣٣هـ، نسخة الأسكوريال.

٤ ـ الإيجاز في معرفة ما في القرآن من منسوخٍ وناسخ، لأبي عبد الله محمّد بن بركاتٍ السَّعيديّ ٥٢٠هـ، نسخة فلمية بقسم مخطوطات الجامعة الإسلامية.

٥ ـ التّبيان لشرح بديعة البيان، محمد بن عبد الله القيسي المعروف بابن ناصر الدين ٨٤٢ هـ، مكتبة عارف حكمت رقم : ٥٠/ ٩٠٠.

٦ ـ تذكرة الأخيار بما في الوسيط من الأخبار، لابن الملقن، نسخة فلمية بقسم مخطوطات الجامعة الإسلامية.

٧ ـ تنبيه البصائر في أسماء أمّ الكبائر، ابن دحية ٦٣٣هـ، نسخة مكتبة ليدن بهولندا.

٨ ـ الذّيل على تكملة الإكمال لمنصور بن سليم الإسكندرانيّ ٦٧٣هـ، تحقيق: د. عبد القيّوم عبد ربّ النّبيّ بخطّه أرسل إليّ متكرّما ما يتعلّق بابن دحية.

٩ ـ شرح ألفيّة العراقي في السّيرة للمناوي، نسخة أوقفها العلامة المنوني على مكتبة المسجد النّبوي.

١٠ ـ شرح الشّفا لمؤلف مجهول في مكتبة الملك عبد العزيز بالمدينة النبوية.

١١ ـ العلم المشهور في فضائل الأيّام والشّهور، ابن دحية ٦٣٣هـ، نسخة مسجد صنعاء باليمن، وفي مكتبة شيخنا حمّاد بن محمّد الأنصاري رحمه الله تعالى صورة عنها.

١٢ ـ المستوفى في أسماء المصطفى، ابن دحية ٦٣٣هـ، نسخةٌ ناقصةٌ من آخرها، أصلُها موجودٌ في المكتبة النّاصريّة في لكنو بالهند، ولها صورةٌ على الميكروفلم في مخطوطات الجامعة الإسلامية تحت رقم: ٣٥٨٦.

١٣ ـ المقتفى في مبعث النّبيّ المصطفى ﷺ لأبي شامة، نسخة بالجزائر ودار الكتب المصرية.

١٤ ـ وهج الجمر في تحريم الخمر المخطوط، ابن دحية ٦٣٣هـ، نسخة المكتبة المحمودية في المدينة المنورة [هي الآن ضمن مكتبة الملك عبد العزيز]، رقمها ٢١٨ حديث.

ثانيا : المطبوعات

١٥ ـ الابتهاج في أحاديث المعراج، ابن دحية ٦٣٣هـ، حقّقه وخرّج أحاديثه د. رفعت فوزي عبد المطّلب، مكتبة الخانجي، ط الأولى، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.

١٦ ـ أجوبة ابن سيّد النّاس عن أسئلة ابن أيبك، ابن سيّد النّاس ت ٧٣٤هـ، دراسة وتحقيق: محمّد الرّاوندي، ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م، طبع وزارة الأوقاف والشّؤون الإسلامية بالمغرب.

١٧ ـ الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، ابن بلبان الفارسي، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط الأولى، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م، بيروت

١٨ ـ أحوال الرّجال، للجوزجاني ٢٥٩هـ، حقّقه السيّد صبحي البدري السّامرّائي، مؤسسة الرّسالة، ط الأولى، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

١٩ ـ أداء ما وجب من بيان وضع الوضّاعين في رجب، ابن دحية ٦٣٣هـ، رسالة ماجستير بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية مقدّمة من محمّد بن سليمان الفوزان، كلّيّة أصول الدّين، قسم السُّنة وعلومها، عام ١٤٠٤هـ ـ ١٤٠٥هـ. وحقّقها زهير الشّاويش مؤخّرا، طبع المكتب الإسلامي، ط الأولى، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

٢٠ ـ أسباب نزول القرآن، للواحدي ٤٦٨هـ، تحقيق: السيّد أحمد صقر،

ط الثّانية، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

٢١ ـ الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار وعلماء الأقطار فيما تضمنه الموطأ من معاني الرأي والآثار وشرح ذلك كله بالإيجاز والاختصار، ابن عبد البر ٤٦٣هـ، وثق أصوله وخرج نصوصه ورقمها وقنن مسائله وصنع فهارسه الدكتور عبد المعطي أمين قلعجي، دار قتيبة للطباعة والنشر دمشق بيروت، دار الوعي حلب القاهرة، ط الأولى، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م، القاهرة.

٢٢ ـ الاستيعاب في معرفة الأصحاب (على هامش الإصابة)، لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري ٤٦٣هـ، نشر: دار الكتاب العربي

٢٣ ـ أسماء شيوخ الإمام مالك بن أنس، لابن خلفون الأندلسي، تحقيق: محمّد زينهم عزب، مكتبة الثّقافة الدّينية [وهي طبعة سقيمة للغاية كلها تحريف وتصحيف].

٢٤ ـ إطْراف المسنِد المعتلي بأطراف المسنَد الحنبلي، ابن حجر ٨٥٢هـ، حقّقه د. زهير بن ناصر النّاصر، دار ابن كثير ـ دمشق، دار الكلم الطيّب، دمشق ـ بيروت.

٢٥ ـ الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد الزركلي الدمشقي ١٣٩٦هـ، دار العلم للملايين، ط التاسعة، ١٩٩٠م، بيروت ـ لبنان.

٢٦ ـ أعلام النّصر المبين في المفاضلة بين أهلي صفّين، ابن دحية ٦٣٣هـ، دراسة وتحقيق: د. محمّد أمحزون، دار الغرب الإسلامي، ط الأولى، ١٩٩٨م.

٢٧ ـ الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، لشمس الدين أبي الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوي ت ٩٠٢هـ، حققه وعلق عليه بالإنكليزية : فرانز روزنثال، وترجم تعليقاته: د صالح أحمد العلي، نشرة دارالكتب العلمية .

٢٨ ـ الاغتباط بمعرفة من رمي بالاختلاط ، برهان الدين أبي إسحاق إبراهيم بن محمّد بن خليل الحلبي ٨٤١هـ، صحّحها محمّد راغب الطّبّاخ.

٢٩ ـ الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف والأسماء والكنى والأنساب، لابن ماكولا ٤٨٧هـ، تصحيح عبد الرحمن بن يحيى المعلمي، حيدر آباد ـ الهند، دائرة المعارف العثمانية، ط الأولى، ١٣٨١هـ ـ ١٩٦١م.

٣٠ ـ إمتاع الأسماع بما للرّسول ﷺ من الأبناء والأحوال والحفدة والمتاع، للمقريزي ٨٤٥هـ، لجنة التّأليف والنّشر، القاهرة، ١٩٤١م.

٣١ ـ أمثال الحديث، للرامهرمزي، تحقيق: أمة الكريم القرشية، حيدر آباد ـ باكستان، ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨م.

٣٢ ـ إملاء ما منّ به الرّحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن، للعكبري ٦١٦هـ، ط الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان.

٣٣ ـ إنباه الرواة على أنباه النحاة ،لجمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف القفطي ٦٢٤هـ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، طبع ونشر: دار الفكر العربي بالقاهرة ومؤسسة الكتب الثقافية ببيروبت ، ط ١، ١٤٠٦.

٣٤ ـ الأنوار في شمائل النّبيّ المختار، للبغوي، تحقيق: إبراهيم اليعقوبي، دار الضّياء ببيروت، ١٤٠٩هـ.

٣٥ ـ الباعث على إنكار البدع والحوادث، لأبي شامة ٦٦٥هـ، تحقيق: مشهور حسن سلمان، دار الراية للنشر والتوزيع، ط الأولى، ١٤١٠هـ .

٣٦ ـ البداية والنهاية ، أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي ٧٧٤هـ، طبعة مكتبة المعارف، ط الثانية، ١٩٧٧م، بيروت.

٣٧ ـ البدر المنير في تخريج أحاديث الشّرح الكبير، لابن الملقن، تحقيق:

أحمد شريف الدين عبد الغني، دار العاصمة ـ بالرياض، ١٤١٤هـ.

٣٨ ـ بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ت ٩١١هـ، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت ـ لبنان.

٣٩ ـ تاريخ الأدب العربي، كارل بروكلمان، نقله إلى العربيّة د. رمضان عبد التّوّاب ود. السيّد يعقوب بكر، دار المعارف بمصر، ١٩٧٥م.

٤٠ ـ تاريخ إربل المسمّى نباهة البلد الخامل بمن ورده من الأماثل، شرف الدّين أبي البركات المبارك بن أحمد اللّخمي الإربلي المعروف بابن المستوفي ت ٦٣٧هـ، حقّقه وعلّق عليه سامي بن السيّد خماس الصقار.

٤١ ـ تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، وفيات ٦٣٣هـ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ٧٤٨هـ، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، ط : الأولى، ١٤٠٧هـ .

٤٢ ـ تاريخ أسماء الثّقات، لابن شاهين ٣٨٥هـ، تحقيق: صبحي السّامرّائي، الدّار السّلفية، الكويت، ط الأولى، ١٤٠٤هـ.

٤٣ ـ تاريخ بغداد، أبو بكر أحمد بن علي الخطيب ٤٦٣هـ، مكتبة الخانجي بالقاهرة، والمكتبة العربية ببغداد، ط : الأولى، ١٣٤٩هـ .

٤٤ ـ تاريخ عثمان بن سعيد الدّارمي عن أبي زكريّا يحيى بن معين، تحقيق: د. أحمد بن محمّد نور سيف، نشر جامعة الملك عبد العزيز بمكّة المكرمة بالتّعاون مع دار المأمون للتراث بدمشق، بدون تاريخ.

٤٥ ـ تاريخ دمشق / الجزء الرابع، لابن عساكر ٥٧١هـ، دراسة وتحقيق: العمروي، دار الفكر، ط١، ١٤١٥هـ ١٩٩٥م.

٤٦ ـ تاريخ العلماء والرّواة للعلم بالأندلس، أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف الأزدي المعروف بابن الفرضي ت ٤٠٣هـ، عني بنشره وصححه ووقف على طبعه عزت العطّار الحسيني، مكتبة الخانجي للطبع والنشر والتوزيع، ط الثانية، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م

٤٧ ـ التاريخ الكبير، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ت ٢٥٦هـ، طبع جمعية دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد، الهند، ط الأولى، ١٣٦١هـ.

٤٨ ـ تاريخ يحيى بن معين ـ رواية الدّوري، دراسة وترتيب وتحقيق: د. أحمد محمّد نور سيف، نشر مركز البحث العلمي بجامعة الملك عبد العزيز بمكّة المحرّمة، ط الأولى، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.

٤٩ ـ تثقيف اللّسان وتلقيح الجَنان، لابن مكي الصقلي ٥٠١هـ، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط الأولى، ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م.

٥٠ ـ تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف، جمال الدين يوسف بن عبد الرحمن المِزّي ٧٤٢هـ، تحقيق الشيخ عبد الصمد شرف الدين، الدار القيمة بومباي، الهند، ط: الأولى، ١٣٨٤هـ.

٥١ ـ تخليص الشّواهد وتلخيص الفوائد، ابن هشام الأنصاري ت ٧٦١هـ، تحقيق: د. عبّاس مصطفى الصّالحي، دار الكتاب العربي.

٥٢ ـ تذكرة الحفاظ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ٧٤٨هـ، صححه الشيخ عبد الرحمن بن يحيى المعلمي، دار إحياء التراث العربي، بدون تاريخ

٥٣ ـ تفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم ٣٢٧هـ، تحقيق: أسعد محمّد

الطيّب، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة ــ الرّياض.ط١، ١٤١٧هـ ــ ١٩٩٧م.

٥٤ ــ تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي ٧٧٤هـ، تحقيق عبد العزيز غنيم وزميليه، ط الشّعب ـ مصر.

٥٥ ــ تقريب التهذيب، ابن حجر ٨٥٢هـ، تحقيق محمد عوامة، دار الرشيد، حلب، ط الأولى، ١٤٠٦هـ .

٥٦ ـ التكملة لكتاب الصلة، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن الأبار القضاعي ت ٦٥٨هـ، تحقيق: د. عبد السّلام الهرّاس، دار المعرفة ـ المغرب.

٥٧ ـ تكملة الإكمال، لابن نقطة ٦٢٩هـ، تحقيق: د. عبد القيوم عبد رب النبي ومحمد صالح عبد العزيز مراد، طبع مركز إحياء التراث الإسلامي، بجامعة أم القرى بمكة المكرمة .

٥٨ ـ التّكملة لوفيات النّقلة، للمنذري ٦٥٦هـ، تحقيق: د. بشار عواد معروف، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط الثّانية، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.

٥٩ ــ التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرّافعي الكبير، ابن حجر ٨٥٢هـ، صحّحه السيّد عبد الله هاشم اليماني المدني، شركة الطّباعة الفنّية المتّحدة بالقاهرة، ١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٤م.

٦٠ ـ التّلخيص في معرفة أسماء الأشياء، لأبي هلالٍ العسكري، عني بتحقيقه د. عزّة حسن، المجمع العلمي بدمشق، ١٣٨٩هـ.

٦١ ـ تهذيب التهذيب، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ٨٥٢هـ، طبع دائرة المعارف النظامية في حيدر آباد، الهند، ط الأولى، ١٣٢٥هـ .

٦٢ ـ تهذيب الكمال في أسماء الرجال، جمال الدين أبو الحجاج يوسف المزي ٧٤٢هـ، حققه وضبط نصه وعلق عليه د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، ط الأولى، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م .

٦٣ ـ تهذيب اللّغة، للأزهري ٣٧٠هـ، تحقيق عبد السّلام هارون.

٦٤ ـ توشيحُ الديباج وحلية الابتهاج، بدر الدّين القرافي ١٠٠٨هـ، تحقيق: أحمد الشّتيوي، دار الغرب الإسلامي.

٦٥ ـ توضيح المشتبه، ابن ناصر الدين ٨٤٢هـ، تحقيق محمد نعيم العرقسوي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط : الثانية، ١٤١٤هـ.

٦٦ ـ الثقات، أبو حاتم محمد بن حبان البستي ٣٥٤هـ، طبع مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد، الهند، ط الأولى، ١٣٩٣هـ .

٦٧ ـ جامع أحكام القرآن، القرطبي، دار إحياء التّراث العربي، ط الثّانية، بيروت ـ لبنان.

٦٨ ـ جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ٣١٠هـ، حققه وعلق حواشيه: محمود محمد شاكر، راجعه وخرج أحاديثه: أحمد محمد شاكر، دار المعارف بمصر، وطبعة أخرى نشر: دار الكتب العلمية، ط الأولى، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م، بيروت ـ لبنان.

٦٩ ـ الجامع، لأبي عيسى الترمذي ٢٧٩ هـ، تحقيق أحمد شاكر وغيره، طبع مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة، ط الأولى، ١٣٥٦هـ .

٧٠ ـ جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس وأسماء رواة الحديث وأهل الفقه والأدب وذوي النباهة والشعر، أبو عبد الله محمد بن فتوح بن عبد الله الحميدي ت ٤٨٨هـ، قام بتصحيحه وتحقيقه محمد بن تاويت الطنجي، مكتبة

الخانجي للطبع والنشر والتوزيع .

٧١ ـ الجرح والتعديل، عبد الرحمن بن محمد بن إدريس ابن أبي حاتم الرازي ٣٢٧هـ، تحقيق عبد الرحمن ابن يحيى المعلمي اليماني، حيدر آباد، ١٣٧٣هـ.

٧٢ ـ جزء الغطريفيّ، تحقيق: د. عامر حسن صبري، دار البشائر الإسلامية، ط الأولى، ١٤١٧هـ.

٧٣ ـ جمهرة الأمثال، للعسكريّ، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم وعبد المجيد قطامش ، نشر المؤسسة العربية الحديثة بالقاهرة ، ط الأولى، ١٣٨٤هـ.

٧٤ ـ الجواهر المضيّة في طبقات الحنفيّة، لابن أبي الوفاء القرشي ٧٧٥هـ، تحقيق: د. عبد الفتّاح محمّد الحلو، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركائه.

٧٥ ـ المختصر المحتاج إليه من تاريخ الحافظ ابن الدّبيثيّ، انتقاء الذّهبي، تحقيق: د. مصطفى جواد، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م.

٧٦ ـ الحجّة للقرّاء السّبعة، لأبي عليّ الفارسيّ ٣٧٧هـ، حقّقه بدر الدّين قهوجي، وبشير حويجاتي، دار المأمون للتّراث، ط الأولى، ١٤٠٤هـ .

٧٧ ـ حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ٩١١هـ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه .

٧٨ ـ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني ٤٣٠هـ، دار الكتاب العربي، بيروت، ط : الثانية، ١٣٨٧هـ .

٧٩ ـ الخصائص الكبرى، للسيوطي ٩١١هـ، تحقيق: د. محمّد خليل هراس، دار الكتب الحديثة بمصر.

٨٠ ـ الخصائص، لابن جنّي ٣٩٢هـ، تحقيق: محمّد علي النّجّار، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٧١هـ ـ ١٩٥٢م.

٨١ ـ الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، لشهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ٨٥٢هـ، طبع: دار الجيل ببيروت.

٨٢ ـ الدر المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ٩١١هـ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ٩١١هـ، دار الفكر ، ط الأولى ، ١٤٠٣هـ .

٨٣ ـ دلائل النّبوّة، للبيهقي، تحقيق: عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ١٤٠٥هـ.

٨٣ ـ الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، برهان الدين إبراهيم بن علي بن محمد ابن فرحون المدني المالكي ت ٧٩٩هـ، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، وطبعة بتحقيق د. محمد الأحمدي أبو النور، مكتبة دار التراث.

٨٤ ـ ذيل تاريخ بغداد، لابن النّجّار ٦٤٣هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

٨٥ ـ ذيل التّقييد لمعرفة رواة السّنن والمسانيد، للفاس ٨٣٢هـ، تحقيق: كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان.

٨٦ ـ الذّيل على الرّوضتين ، لأبي شامة المقدسي ت ٦٦٥هـ، عني بنشره عزّت العطّار الحسيني، دار الجيل ـ بيروت.

٨٧ ـ ذيل مرآة الزّمان، لليونيني ٧٢٦هـ، دار الكتاب الإسلامي ـ القاهرة.

٨٨ ـ الذيل والتكملة لكتاب الصلة، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري الأوسي المراكشي ت ٧٠٣هـ، تحقيق: د. إحسان عباس، دار الثقافة، ط الأولى، ١٩٧٣م، بيروت ـ لبنان.

٨٩ ـ رجال صحيح مسلم، لابن منجويه، تحقيق: عبد ا لله اللّيثي، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٧هـ.

٩٠ ـ سبل الهدى والرّشاد في سيرة خير العباد، لمحمّد بن يوسف الصّالحي ٩٤٢هـ، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمّد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان.

٩١ ـ سلسلة الأحاديث الصّحيحة، للعلاّمة محمّد ناصر الدين الألبانيّ، مكتبة المعارف ـ الرّياض.

٩٢ ـ سنن الدارقطني، علي بن عمر الدارقطني ٣٠٦هـ، عني بتصحيحه وتنسيقه وترقيمه وتحقيقه عبد ا لله هاشم يماني المدني، دار المحاسن للطباعة، ١٣٨٦هـ ـ ١٩٦٦م، القاهرة، وبهامشه التعليق المغني على الدارقطني، لأبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي.

٩٣ ـ سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني ٢٧٥ هـ، تحقيق عزت عبيد الدعاس، دار الحديث، حمص .

٩٤ ـ السنن الصغرى (المجتبى)، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي ٣٠٣هـ، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط الأولى، ١٣٤٨هـ .

٩٥ ـ سنن ابن ماجه، ابن ماجه، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م.

٩٦ ـ السّنن الكبرى، للنّسائي ٣٠٣هـ، تحقيق: د. عبد الغفار البندراوي وسيد كسروي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـ لبنان ، ط الأولى ، ١٤١١هـ.

٩٧ ـ سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد ا لله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ٧٤٨هـ، تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالة، بيروت،

ط الأولى، ١٤٠١هـ .

٩٨ ـ السّيرة النّبوية، لابن هشام، تحقيق: مصطفى السّقا وزميليه، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط الثّانية، ١٣٧٥هـ ـ ١٩٥٥م.

٩٩ ـ شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، محمد بن محمد مخلوف ١٣٦٠هـ، دار الكتاب العربي، بيروت ـ لبنان.

١٠٠ ـ شذرات الذهب في أخبار من ذهب، أبو الفلاح عبد الحيّ بن العماد الحنبلي ١٠٨٩هـ، مكتبة القدسي، ١٣٥٠هـ.

١٠١ ـ شرح شواهد كتاب سيبويه للأعلم الشّنتمريّ ٤٧٦هـ، طبع في أسفل كتاب سيبويه من طبعة بولاق.

١٠٢ ـ شرح صحيح مسلم، أبو زكريا يحيى بن شرف النووي ٦٧٦هـ، دار الفكر، بيروت، ط الثانية، ١٣٩٢هـ.

١٠٣ ـ شرح معاني الآثار، الطحاوي، دار الكتب العلمية، ط الأولى، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م، بيروت ـ لبنان.

١٠٤ ـ شعب الإيمان، للبيهقي ٤٥٨هـ، تحقيق: محمّد السعيد بن بسيوني زغلول، ط الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان.

١٠٥ ـ الشّمائل المحمّدية للترمذي ـ تحقيق الدّعّاس .

١٠٦ ـ صحيح البخاري = انظر فتح الباري .

١٠٧ ـ صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث، ط الأولى، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩١م.

١٠٨ ـ الصّلة في تاريخ أئمّة الأندلس، لابن بشكوال ٥٧٨هـ، عني بنشره عزّت العطّار الحسيني، مكتبة الخانجي ـ القاهرة، ط الأولى، ١٣٧٤هـ .

١٠٩ ـ صلة الصلة، لأبي جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزّبير الثّقفي العاصمي الغرناطي ت ٦٢٨هـ ـ القسم الرّابع، تحقيق: د. عبد السّلام الهرّاس وسعيد أعراب، طبع وزارة الأوقاف والشّؤون الإسلامية بالمغرب، ١٤١٤هـ .

١١٠ ـ الضعفاء، أبو جعفر محمد بن عمرو العقيلي ٣٢٢ هـ، تحقيق عبد المعطي أمين قلعجي، دار الكتب العلمية، ط الأولى، ١٤٠٤هـ .

١١١ ـ الضّعفاء الصّغير، للبخاري ٢٥٦هـ، تحقيق: محمود إبراهيم زايد، دار المعرفة ببيروت، ط الأولى، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

١١٢ ـ الضّعفاء والمتروكين، لابن الجوزي، تحقيق: عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ١٤٠٦هـ.

١١٣ ـ الضّعفاء والمتروكون، للدارقطني ٣٨٥هـ، تحقيق: موفّق بن عبد الله بن عبد القادر، مكتبة المعارف ـ الرّياض، ط الأولى، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.

١١٤ ـ الضّعفاء والمتروكين، للنّسائي ٣٠٣هـ، تحقيق: مركز الخدمات والأبحاث الثقافية، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط الثانية، ١٤٠٧هـ.

١١٥ ـ طبقات الحفاظ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ٩١١هـ، دار الكتب العلمية، ط الأولى، بيروت ـ لبنان، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

١١٦ ـ طبقات علماء الحديث، ابن عبد الهادي ت ٧٤٤هـ، تحقيق: إبراهيم الزّيبق، مؤسسة الرّسالة، ط الأولى، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م.

١١٧ ـ الطبقات الكبرى، لمحمد بن سعد ٢٣٠هـ، دار صادر، ودار بيروت، بيروت، ١٣٨٠هـ .

١١٨ ـ العبر في خبر من غبر، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ٧٤٨هـ، تحقيق: حقّقه محمّد السّعيد بن بسيوني زغلول، دار

الكتب العلمية.

١١٩ ـ العظمة، لأبي الشيخ ٣٦٩هـ، تحقيق: رضا الله بن محمّد المباركفوري، دار العاصمة ـ الرياض، ط الأولى، ١٤٠٨هـ.

١٢٠ ـ العقد الثّمين في تاريخ البلد الأمين، لتقي الدّين الفاسي ٨٣٢هـ، مؤسسة الرسالة، تحقيق: محمّد حامد الفقي، ط الثانية، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

١٢١ ـ عقود الجمان في شعراء هذا الزمان، لابن الشعار ٦٥٤هـ، تراجم منتقاة منه انتقاها د. محمد بن شريفة ضمن كتابه: تراجم مغربية من مصادر مشرقية، طبع المغرب.

١٢٢ ـ العلل الواردة في الأحاديث النبوية، للدارقطني ٣٨٥هـ، تحقيق: د. محفوظ الرّحمن زين الله السلفي، دار طيبة، ط الأولى، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

١٢٣ ـ العلل ومعرفة الرّجال للإمام أحمد بن حنبل ٢٤١هـ، رواية ابنه عبد الله، تحقيق: وصي الله عبّاس، المكتب الإسلامي ـ بيروت، ودار الخاني ـ الرياض، ط الأولى، ١٤٠٨هـ.

١٢٤ ـ عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، لأبي العباس أحمد بن أحمد الغبريني ٧١٤هـ، تحقيق : عادل نويهض، منشورات لجنة التّأليف والتّرجمة والنّشر ـ بيروت، ١٩٦٩م.

١٢٥ ـ غاية النّهاية في طبقات القرّاء، لابن الجزري ٨٣٣هـ، عني بنشره ج. برجستراسر، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط الثّالثة، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م.

١٢٦ ـ غريب الحديث، لأبي عبيد القاسم بن سلاّم ٢٢٤هـ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدّكن الهند، ١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٤م.

١٢٧ ـ الغنية فهرست شيوخ القاضي عياض، القاضي عياض بن موسى السبتي ٥٤٤هـ، تحقيق: ماهر زهير جرّار، دار الغرب الإسلامي، بيروت ـ لبنان، ط الأولى، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م.

١٢٨ ـ فتح الباري، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ٨٥٢هـ، دار الريّان للتراث، والمكتبة السلفية، حققه محب الدين الخطيب، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه محمد فؤاد عبد الباقي.

١٢٩ ـ الفَرْق بين الفِرَق، للإسفراييني ٤٢٩هـ، تحقيق: محمّد محيي الدين عبد الحميد، مكتبة محمّد علي صبيح وأولاده بميدان الأزهر بمصر.

١٣٠ ـ الفلاكة والمفلوكون، أحمد بن عليّ الدّلجيّ، مكتبة الأندلس ـ بغداد، ١٣٨٥هـ.

١٣١ ـ فهرسة ما رواه عن شيوخه من الدواوين المصنفة في ضروب العلم وأنواع المعارف، أبو بكر محمد بن خير بن عمر بن خليفة الأموي الإشبيلي ت٥٧٥هـ، منشورات دار الآفاق الجديدة، ط الثانية، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.

١٣٢ ـ فهرس ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن عطية المحاربي الأندلسي ٥٤١هـ، تحقيق: محمد أبو الأجفان ومحمد الزاهي، دار الغرب الإسلامي، ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م، بيروت.

١٣٣ ـ الكامل في ضعفاء الرجال، أبو أحمد عبد الله بن عدي الجرجاني، دار الفكر، بيروت، ط الأولى، ١٤٠٤هـ.

١٣٤ ـ كتاب سيبويه أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ١٨٠هـ، تحقيق: عبد السلام هارون، ط الثانية، ١٩٧٧م.

١٣٥ ـ كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، لمصطفى بن عبد الله

المعروف بحاجي خليفة ١٠٦٧هـ، طبع إستنبول ١٩٤١م.

١٣٦ ـ الكشف عن وجوه القراءات السّبع، لمكّي بن أبي طالبٍ ٤٣٧هـ، تحقيق: د.محيي الدّين رمضان، مؤسّسة الرّسالة، ط الثّانية، ١٤٠١هـ.

١٣٧ ـ كشف القناع المرنى عن مهمّات الأسامي والكنى، بدر الدّين العيني ٨٥٥هـ، تحقيق: أحمد نمر الخطيب، مركز النّشر العلمي ـ جدّة.

١٣٨ ـ لسان العرب، أبو الفضل محمد بن مكرم ابن منظور ٧١١هـ، دار صادر، بيروت، بدون تاريخ.

١٣٩ ـ لسان الميزان، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ٨٥٢هـ، طبع بمجلس دائرة المعارف النظامية بحيدر آباد، الهند، ط الأولى، ١٣٢٩هـ.

١٤٠ ـ اللّفظ المكرّم بخصائص النّبيّ المعظّم ﷺ، لقطب الدين الخيضري، تحقيق: مصطفى سميدة، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ١٤١٧هـ.

١٤١ ـ المؤتلف والمختلف، للدارقطني ٣٨٥هـ، تحقيق: د. موفّق بن عبد الله بن عبد القادر، دار الغرب الإسلامي، ط الأولى، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

١٤٢ ـ المجروحين، ابن حبان، تحقيق محمود إبراهيم زايد، دار الوعي، ط الثانية، ١٤٠٢هـ، حلب.

١٤٣ ـ مجمع الأمثال، للميداني ٥١٨هـ، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركائه.

١٤٤ ـ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، نور الدين الهيثمي ٨٠٧ هـ، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٣٥٢هـ.

١٤٥ ـ المجموع شرح المهذب، لأبي زكريا يحيى بن شرف النووي ٦٧٦هـ، دار الفكر، بيروت، بدون تاريخ.

١٤٦ ـ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن عطية المحاربي الأندلسي ٥٤١هـ، طبع وزارة الأوقاف بالمغرب.

١٤٧ ـ مختصر صحيح البخاري، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، ط الخامسة، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

١٤٨ ـ المختصر المحتاج إليه من ذيل ابن الدبيثي للذهبي ٧٤٨هـ، طبع ونشر: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٥هـ.

١٤٩ ـ مرآة الجنان وعبرة اليقظان، أبو محمد عبد الله بن أسعد اليافعي ٧٦٨هـ، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ط الثانية، ١٤١٣هـ .

١٥٠ ـ مرآة الزّمان في تاريخ الأعيان، شمس الدّين أبو المظفّر بن قزاوغلي التّركي الشّهير بسبط ابن الجوزي ت ٦٥٤هـ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدّكن ـ الهند، ١٣٧٠هـ ـ ١٩٥١م.

١٥١ ـ المراسيل، لأبي داود ٢٧٥هـ، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٨هـ.

١٥٢ ـ المزهر في علوم اللّغة وأنواعها، للسيوطي ٩١١هـ، تحقيق: محمد أحمد جاد المولى بك وزميليه، منشورات المكتبة العصرية، صيدا ـ بيروت.

١٥٣ ـ المستفاد من ذيل تاريخ بغداد، لشهاب الدين أبي الحسين أحمد بن أيبك الدمياطي ٧٤٩هـ، تحقيق: د قيصر أبو فرح دي – فل برنستن، نشرة: دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان.

١٥٤ ـ المستقصى في أمثال العرب، للزّمخشريّ ٥٣٨هـ، طبع حيدر آباد

الدّكن ـ الهند، ١٣٨١هـ ـ ١٩٦٢م.

١٥٥ ـ المسند، أبو عبد الله أحمد بن حنبل ٢٢١هـ، أعاد نشره المكتب الإسلامي، ودار صادر، ط الأولى، ١٣٨٩هـ.

١٥٦ ـ المسند، أبو بكر عبد الله بن الزبير بن عيسى الحميدي ٢١٩هـ، حقق أصوله وعلق عليه حبيب الرحمن الأعظمي، المكتبة السلفية بالمدينة النبوية، بدون تاريخ.

١٥٧ ـ مسند الدّارمي ٢٥٥هـ، بعناية: محمّد أحمد دهان، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان.

١٥٨ ـ مشارق الأنوار على صحاح الآثار، للقاضي عياض ٥٤٤هـ، نشر المكتبة العتيقة بتونس، ودار التّراث بالقاهرة تصويرا عن طبعة السّلطان عبد الحفيظ بفاس.

١٥٩ ـ المشتبه في الرجال أسمائهم وأنسابهم، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ٧٤٨هـ، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار إحياء الكتب العربية لعيسى البابي الحلبي وشركاه، ط الأولى، ١٩٦٢م.

١٦٠ ـ المصنف، عبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، ط الثانية، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م، بيروت.

١٦١ ـ المطرب من أشعار أهل المغرب، ابن دحية ٦٣٣هـ، تحقيق: إبراهيم الابياري وزملاؤه، ١٩٩٣م.

١٦٢ ـ المطر والرّعد والبرق والرّيح، لابن أبي الدنيا ٢٨١هـ، تحقيق: طارق محمّد سكلوع العمودي، دار ابن الجوزي، ط الأولى، ١٤١٨هـ.

١٦٣ ـ معالم التنزيل، أبو محمد الحسين بن محمد البغوي ٥١٦هـ، حققه

وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر، وعثمان جمعة ضميرية، وسليمان مسلم، دار طيبة، ١٤٠٩هـ، الرياض.

١٦٤ ـ معاني القرآن ، للأخفش الأوسط، تحقيق د. هدى محمود قراعه، مكتبة الخانجي، ط الأولى، ١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م.

١٦٥ ـ معجم الأدباء، لشهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي ٦٢٦هـ، نشر: مكتبة عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر.

١٦٦ ـ المعجم الأوسط، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني ٣٦٠هـ، تحقيق طارق بن عوض الله بن محمد، وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، منشورات دار الحرمين بالقاهرة، ط الأولى، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.

١٦٧ ـ معجم البلدان، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي ٦٢٦هـ، تحقيق: فريد عبد العزيز الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط الأولى، ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م.

١٦٨ ـ معجم الصّحابة، لابن قانع ٣٥١هـ، تحقيق: مكتبة الغرباء الأثرية، ط الأولى، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.

١٦٩ ـ المعجم الكبير، للطبراني ٣٦٠ هـ، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، الناشر: وزارة الأوقاف، العراق، ط الأولى، ١٣٩٨هـ.

١٧٠ ـ معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، مكتبة المثنى، ودار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان.

١٧١ ـ معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، لأبي عبيد البكري، تحقيق: مصطفى السّقا، طبع لجنة التأليف والترجمة بمصر، ١٣٦٤هـ.

١٧٢ ـ معرفة الصّحابة، لأبي نعيم ٤٣٠هـ، تحقيق: عادل بن يوسف

العزازي، دار الوطن، ط الأولى، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

١٧٣ ـ المعرفة والتّاريخ، للفسوي، تحقيق: د. أكرم ضياء العمري، مكتبة الدّار بالمدينة المنوّرة، ط الأولى، ١٤١٠هـ.

١٧٤ ـ المعونة على مذهب عالم المدينة الإمام مالك بن أنس، القاضي عبد الوهاب البغدادي، تحقيق الدكتور حميش عبد الحق، مكتبة نزار مصطفى الباز، ط الأولى، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م، مكة المكرمة ـ الرياض.

١٧٥ ـ المغازي، لمحمّد بن عمر الواقدي، اعتنى به مارسدن جونس، مطبعة جامعة إكسفورد، ١٩٦٦م.

١٧٦ ـ المغني في الضعفاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ٧٤٨هـ، تحقيق نور الدين عتر، إدارة إحياء التراث الإسلامي بدولة قطر.

١٧٧ ـ مفرّج الكروب في أخبار بني أيّوب، لابن واصل ٦٩٧هـ، تحقيق: د. جمال الدّين الشيّال.

١٧٨ ـ المقفّى الكبير، للمقريزيّ ٨٤٥هـ، تحقيق: محمّد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي.

١٧٩ ـ المقنع في علوم الحديث، لابن الملقّن ٨٠٤هـ، تحقيق: عبد الله الجديع، نشر دار فواز بالإحساء ـ السّعودية، ط الأولى، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م.

١٨٠ ـ المنتخب من غريب كلام العرب، لأبي الحسن علي بن الحسن الهُنائي المعروف بكراع النّمل ٣١٠هـ، جامع أم القرى، ط الأولى، ١٤٠٩هـ.

١٨١ ـ المنتقى شرح موطأ إمام دار الهجرة مالك بن أنس، الباجي، دار الكتاب الإسلامي، ط الثانية، ١٣٣٢هـ، القاهرة.

١٨٢ ـ الموطأ، مالك بن أنس، رواية يحيى بن يحيى الليثي، صححه ورقمه وخرج أحاديثه محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية.

١٨٣ ـ ميزان الاعتدال في نقد الرجال، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ٧٤٨هـ، تحقيق علي محمد البجاوي وفتحية علي البجاوي، دار الفكر العربي.

١٨٤ ـ النّاسخ والمنسوخ في كتاب الله عزّ وجلّ واختلاف العلماء في ذلك، لأبي جعفر النّحّاس ٣٣٨هـ، دراسة وتحقيق: د. سليمان بن إبراهيم بن عبد الله اللاّحم، مؤسسة الرسالة، ط الأولى، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩١م.

١٨٥ ـ النّبراس في تاريخ خلفاء بني العبّاس، ابن دحية ٦٣٣هـ، صحّحه وعلّق عليه المحامي عبّاس العزّاوي، مطبعة المعارف ـ بغداد، ١٣٦٥هـ .

١٨٦ ـ النّبوغ المغربي في الأدب العربي، لعبد الله كنّون، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللّبناني للطباعة والنشر، بيروت، ط الثّالثة.

١٨٧ ـ النجوم الزاهرة في تاريخ مصر والقاهرة، جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تَغْرِي بَرْدِي الأتابكي ت ٨٧٤هـ، طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية.

١٨٨ ـ نزهة النّظر شرح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، ابن حجر ٨٥٢هـ، المكتبة العلمية في المدينة المنورة، ط الثّالثة، ١٩٧٥م.

١٨٩ ـ النّشر في القراءات العشر، لابن الجزري ٨٣٣هـ، أشرف على تصحيحه الشّيخ عليّ محمّد الضّبّاع، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان .

١٩٠ ـ نفح الطّيب من غصن الأندلس الرّطيب، أحمد بن محمّد المقّري التّلمساني، حقّقه د. إحسان عبّاس، دار صادر ـ بيروت.

١٩١ ـ النّكت على مقدّمة ابن الصّلاح، لابن حجر ٨٥٢هـ، دراسة وتحقيق: الشّيخ ربيع بن هادي عمير، نشر المجلس العلمي بالجامعة الإسلامية بالمدينة، ط الأولى، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.

١٩٢ ـ نَكت الهميان في نكت العميان، للصفدي، اعتنى به أحمد زكي بك، مكتبة ابن الجوزي، تصويرا عن نشرة المطبعة الجمالية بمصر.

١٩٣ ـ النّكت والعيون، للماوردي ٤٥٠هـ، راجعه وعلّق عليه السيّد بن عبد المقصود بن عبد الرّحيم، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان.

١٩٤ ـ النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير ٦٠٦هـ، تحقيق: طاهر الزاوي، ومحمود الطناحي رحمه الله، دار الفكر، بيروت.

١٩٥ ـ نهاية السّول في خصائص الرّسول ﷺ، ابن دحية ٦٣٣هـ، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر، عام ١٤١٦هـ، تحقيق د/ عبد الله عبد القادر الشيخ محمّد نور الفادني رحمه الله تعالى.

١٩٦ ـ هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين من كشف الظنون، إسماعيل باشا البغدادي ١٣٣٩هـ، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان.

١٩٧ ـ الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي ٧٦٤هـ، الناشر: جمعية المستشرقين الألمانية، ١٣٨١هـ.

١٩٨ ـ الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، للواحدي ٤٦٨هـ، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم ـ دمشق، الدّار الشّامية ـ بيروت، ط الأولى، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.

١٩٩ ـ الوسيط في تفسير القرآن المجيد، للواحدي ٤٦٨هـ، تحقيق: عادل عبد الموجود وزملائه، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان.

٢٠٠ ـ وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان، شمس الدين أحمد بن محمد ابن خلكان ٦٨١هـ، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط الأولى، ١٣٦٧هـ.

٢٠١ ـ وهج الجمر في تحريم الخمر، ابن دحية ٦٣٣هـ، تحقيق : محمّد ظفر الله عطاء الله ـ قسم الحديث بكليّة أصول الدين في جامعة الإمام ، ١٤٠٣هـ.

ثالثا : الدّوريات العلميّة والفهارس

٢٠٢ ـ فهرس كتب التّفسير في قسم مخطوطات الجامعة الإسلامية.

٢٠٣ ـ فهرس كتب الحديث ـ مؤسسة آل البيت.

٢٠٤ ـ فهرس كتب السّيرة النّبويّة والصّحابة في قسم مخطوطات الجامعة.

٢٠٥ ـ فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية ـ التاريخ، لخالد الرّيّان.

٢٠٦ ـ فهرست مخطوطات دار الكتب المصريّة إعداد فؤاد سيّد .

٢٠٧ ـ فهرس المخطوطات العربية في مكتبة خدابخش .

٢٠٨ ـ فهرس المخطوطات المصوّرة إعداد د. لطفي عبد البديع .

٢٠٩ ـ فهرس مخطوطات مكتبة برلين بألمانيا .

٢١٠ ـ فهرس مخطوطات مكتبة جامعة ليدن بهولندا .

٢١١ ـ مجلّة رسالة المغرب ، العدد ١٥ ، السّنة العاشرة ، ١٣٦٧هـ .

٢١٢ ـ مجلّة مجمع اللّغة العربيّة بدمشق المجلّد ٦٦، ج ٤، ص٦٤٥ [مقال مطوّل للعلاّمة حمد الجاسر].

٢١٣ ـ مجلّة المعهد المصري للدراسات الإسلاميّة، العدد الأوّل، السّنة الأولى، ١٣٧٢هـ ـ ١٩٥٣م ، مدريد.